العدد السادس عشر ـ الجزء الثاني ـ سبتمبر ـ2023 ـ السنة الثالثة مجلة علمية فصلية محكمة

المجلة الأمريكية الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية

American International Journal of Humanities and Social Sciences

ISSN - 2710 - 4834 / رقم الايداع في دار الكتب والوثائق العراقي : 2460

تصدر عن الأكاديمية الأمريكية الدولية للتعليم العالي والتدريب

ISSUED BY AMERICAN INTERNATIONAL ACADEMY OF HIGHER EDUCATION AND TRAINING

www.aijhssa.us / الموقع الرسمي للمجلة

بسم الله الرحمن الرحيم

رئيس التحرير- أ.د. حاتم جاسم الحسون، رئيس الأكاديمية الأمريكية الدولية للتعليم العالي والتدريب.

مدير التحرير- أ.د. هند عباس على الحمادي-أستاذ بقسم اللغة العربية وعلومها-كلية التربية للبنات-جامعة بغداد، جمهورية العراق (مدقق اللغة العربية).

سكرتارية التحرير

1. أ .م.د. محمد حسن أبو رحمة . وزارة التربية – فلسطين .
2. أ.سكينة إبراهيم الصبري - الشؤون الإدارية - الأكاديمية الأمريكية الدولية للتعليم العالي والتدريب.

أعضاء هيئة التحرير

1. أ.م.د.حقي إسماعيل إبراهيم ، كلية التربية ،الجامعة المستنصرية ،. جمهورية العراق - المدقق العام.
2. أ.م.د. خالد ستار القيسي ،عميد كلية الإعلام ، الأكاديمية الأمريكية الدولية للتعليم العالي والتدريب.
3. أ. مجدي عبد الله الجايح،كلية اللغات والعلوم الإنسانية،الأكاديمية الأمريكية الدولية للتعليم العالي والتدريب. (مدقق اللغة الإنكليزية)
4. أ. خالد الأنصاري، كلية علوم التربية،جامعة محمد الخامس ،الرباط، المملكة المغربي. (التنضيد)
5. أ.محمد تايه محمد - بك إدارة أعمال - كلية الإدارة والاقتصاد - جامعة الكوفة. (تصميم).

أعضاء الهيئة العلمية

1. أ.د. أبكر عبد البنات آدم - مدير جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم - جمهورية السودان.
2. أ.د. إلهام شهرزاد روابح - كلية الحقوق والعلوم السياسية - جامعة البليدة 2 - الجمهورية الجزائرية.
3. أ.د. آمال العرباوي مهدي - رئيس قسم التربية المقارنة بكلية التربية - جامعة بورسعيد، جمهورية مصر العربية.

4. أ.د. أمل مهدي جبر- رئيس قسم العلوم التربوية والنفسية ـ كلية التربية للبنات ـ جامعة البصرة، جمهورية العراق.
5. أ.م.د.آوان عبد الله محمود الفيضي ـ دكتوراه قانون خاص ـ كلية الحقوق ـ جامعة الموصل ـ جمهورية العراق.
6. أ.د. إيمان عباس على حسن الخفاف- عميد كلية التربية الأساسية ـ الجامعة المستنصرية ، جمهورية العراق.
7. أ.د. برزان ميسر حامد أحمد الحميد ـ كلية التربية للعلوم الإنسانية- جامعة الموصل ـ جمهورية العراق
8. أ.م.د. تارا عمر أحمد- كلية العلوم السياسية ـ جامعة السليمانية ـ جمهورية العراق .
9. أ.م.د.تحرير علي حسين علوان – كلية الفنون الجميلة – جامعة البصرة – جمهورية العراق.
10. أ.د. حسين عبد الكريم أبو ليله ـ وزارة التربية والتعليم ـ فلسطين .
11. أ.د. خليفة صحراوي ـ رئيس قسم اللغة العربية وآدابها ـ كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية ـ جامعة باجي مختار عنابة ـ الجمهورية الجزائرية.
12. أ.د. داود مراد حسين الداودي ـ دكتوراه العلوم السياسية ـ مدير وحدة البحوث والدراسات ـ جامعة القادسية ـ كلية القانون ـ جمهورية العراق.
13. أ.د. راشد صبري محمود القصبي- أستاذ التخطيط التربوي واقتصاديات التعليم بكلية التربية ـ جامعة بورسعيد ـ جمهورية مصر العربية.
14. أ.د. سندس عزيز فارس الفارس- خبير تربوي- عميد كلية الدراسات العليا والبحث العلمي في الاكاديمية الأمريكية ـ جمهورية العراق .
15. أ.د.عدنان فرحان الجوراني ـ أستاذ الاقتصاد ـ جامعة البصرة ـ جمهورية العراق.
16. أ.د. غادة غازي عبد المجيد- أستاذ في كلية التربية للعلوم الإنسانية – جامعة ديالى ـ جمهورية العراق.
17. أ.د. ماجدولين محمد النهيبي- كلية علوم التربية ـ جامعة محمد الخامس ـ الرباط، المملكة المغربية.
18. أ.د. ماهر مبدر عبد الكريم العباسي ـ نائب عميد كلية التربية للعلوم الإنسانية ـ جامعة ديالى ـ جمهورية العراق.
19. أ.م.د. محمد ماهر محمود الحنفي ـ رئيس قسم أصول التربية ـ كلية التربية ـ جامعة بور سعيد ـ جمهورية مصر العربية.
20. أ.م.د.عبد الباقي سالم – تدريسي في كلية التربية البدنية وعلوم الرياضة – جامعة بابل- جمهورية العراق
21. أ.د. ناهض فالح سليمان- كلية التربية للعلوم الإنسانية ـ قسم اللغة الإنجليزية ـ جامعة ديالى ـ جمهورية العراق.

22. أ.د. نبيل محمد صالح العبيدي ـ عميد كلية الدراسات العليا ـ الجامعة اليمنية ـ الجمهورية اليمنية.
23. .أ.د.نزهة إبراهيم الصبري نائب رئيس الأكاديمية الأمريكية الدولية للتعليم العالي والتدريب- المملكة المغربية.
24. أ.د. نصيف جاسم أسود سالم الأحبابي ـ كلية التربية للعلوم الإنسانية ـ قسم الجغرافية ـ جامعة تكريت ـ جمهورية العراق.
25. أ.د. نورة محمد مستغفر ـ أستاذ التعليم العالي مؤهل، المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين، المملكة المغربية.
26. أ.د. هاله خالد نجم- رئيس قسم الترجمة ـ كلية الآداب- جامعة الموصل – جمهورية العراق .
27. أ.د. وسن عبد المنعم ياسين- أستاذ الأدب العربي – كلية التربية للعلوم الإنسانية ـ جامعة ديالى ـ جمهورية العراق

أعضاء الهيئة الاستشارية

1- أ.م.د.آرام نامق توفيق ـ كلية العلوم ـ جامعة السليمانية ـ جمهورية العراق.
2- أ.د. خالد عبد القادر التومي- باحث في المركز القومي للبحوث والدراسات العلمية ـ ليبيا.
3- أ.د. رائد بني ياسين- عميد كلية الأعمال ـ قسم نظم المعلومات ـ الجامعة الأردنية- فرع العقبة ـ المملكة الأردنية الهاشمية.
4- أ.د. جميلــة غريّب ـ قسم اللّغة العربيّة و آدابها ـ جامعة باجي مختار- عنابة ـ الجمهورية الجزائرية .
5- أ.م.د. رشيدة علي الزاوي- أستاذ التعليم العالي ـ المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين ـ الرباط ـ المملكة المغربية.
6- أ. م.د. رضا قجة- علم الاجتماع – كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية – جامعة محمد بوضياف – المسيلة – الجمهورية الجزائرية.
7- -أ.د. كامل علي الويبة- رئيس جامعة بنغازي الحديثة – ليبيا.
8- أ.د. علي سموم الفرطوسي ـ كلية التربية الأساسية ـ الجامعة المستنتصرية ـ جمهورية العراق.
9- أ.د. حدة قرقور ـ كلية الحقوق ـ جامعة محمد بوضياف ـ المسيلة ـ الجمهورية الجزائرية.
10- أ.د. مازن خلف ناصر ـ كلية القانون ـ الجامعة المستنصرية ـ جمهورية العراق.

11- أ.م.د. محمد عبدالفتاح زهرى- رئيس قسم الدراسات الفندقية- كلية السياحة والفنادق – جامعة المنصورة- جمهورية مصر العربية.
12- أ.م.د.مروة إبراهيم زيد التميمي ـ كلية الكنوز ـ الجامعة الأهلية ـ جمهورية العراق.
13- أ.م.د. هلال قاسم أحمد المريسي ـ عميد الشؤون الاكاديمية ـ جامعة العلوم الحديثة ـ الجمهورية اليمنية.

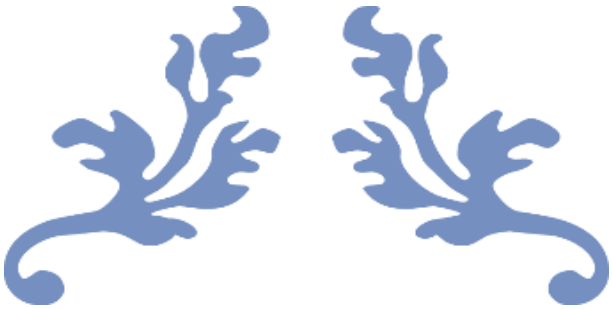

مقال العدد

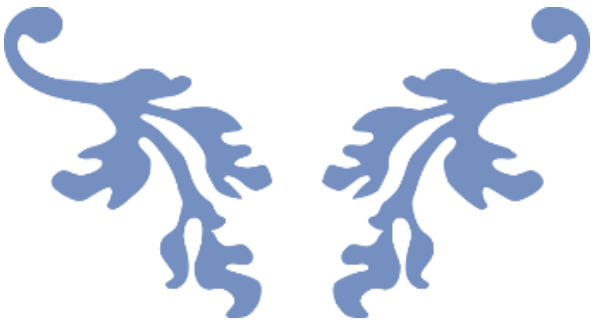

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ، الحمدّ لله على فضله ونعمته ، والصلاة والسلام على رسوله الكريم وآله ، أمّا بعد

في العدد السادس عشر (الجزء الثاني) من المجلة الأمريكية الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية ضمّ عددا من البحوث القيمة ذات المعيار العلمي العالي بما تحمله من قدرات معرفية وعلمية أسفرت عن أقلام باحثين لهم منزلتهم العلمية والعملية في حقول تخصصهم ؛ لذا سعت المجلة على أن تضمّ في عدد هذا العدد النوعي من البحوث ، وليس الكمي ، فالغاية هو طرح الأفكار العلمية المتميزة للعالم القارئ.

لذ دأبت هيئة التحرير على تطبيق معايير التقييم العلمية شأنها بذلك شأن المجلات الرصينة المثيلة في حقل التخصص والنشر العالمي ، فعرضت البحوث على محكمين لهم مكانتهم العلمية في فضائهم العلمي ، ويعودون لجنسيات مختلفة ، ومن جامعات متباينة ، منها الجامعات الحكومية التي ترجع بمرجعيتها إلى بلدان العالم المختلفة ، فضلا عن الاستعانة بخبراء من جامعات خاصة اثبتوا بشكل علمي أنهم أهل للتحكيم واطلاق الحكم على علمية البحث المقدم للمجلة ، وصلاحيته للنشر.

حرصت هيئة التحرير على عرض البحث المقدم من لدن كاتب البحث على محكمين اثنين ، وتقديمه لهما ، بتوقيتات زمنية محددة ، فأن اتفق المحكمان على صلاحية البحث ، تم تحويله إلى مرحلة التنضيد والنشر ، بعد التأكد من دقة تطبيق تعليمات النشر الخاصة بالمجلة . وإن اختلف المحكمان في التقييم المطلق على البحث المقدم ، حول البحث لمحكم ثالث ، فأن قبله ، تم تحويله للمرحلة الثانية التنضيد والنشر ، وإن رفضه ، عندئذ يرفع البحث من قائمة البحوث المعدة للنشر.

لم يختلف منهج هيئة التحرير في آلية قبول البحوث ، وعدّها للنشر عن غيرها من المجلات العلمية ؛ لأن الرصانة العلمية هو هدفها الذي تسعى للوصول إليه ، واعتمدت نظاما دقيقا في استقبال البحوث ، وتقديمها للمقومين ، واشعار الباحثين بقبول النشر ، وفقا لأمر إداري يصدر عن المجلة ، يعد مستندا في صحة نشر البحث في المجلة ، مع تثبيت العدد الذي نشر فيه مذيلا بإمضاء رئيس التحرير.

احتوى هذا العدد في طياته مجموعة من بحوث المشاركين في المرتمرالدولي العلمي الثالث عشر بالاضافة الى بحوث بعض الباجثين من خارج المؤتمر، والتي تحمل موضوعات متنوعة ، ذات الطابع الإنساني والاجتماعي ، ضمن تخصص محاور المؤتمر والمجلة ، وكل الأفكار التي طرحت تحمل الرؤى العلمية وأبعادها ، والنظرية التي يؤمن بها أصحاب تلك الأفكار ، لذلك كانت المجلة دقيقة ؛ لأجل عرض تلك الأفكار من دون التدخل فيها ، مع متابعة كونها لا تؤدي إلى خلق الفوضى العلمية ، أو تحريض للعنف ، أو للتطرف العلمي والمجتمعي.

وأخيرا .. نتقدم بكل العرفان المزدان بأريج الورد للكل الجهود العلمية والفنية والإدارية التي ساعدت ، وتضافرت لأجل أن يصدر هذا العدد ... الاحترام الممتد بالشكر .

02/09/2023 المغرب

هيئة تحرير المجلة

الملاحظة القانونية

البحوث المنشورة في المجلة لا تعبر عن وجهة نظر المجلة ، بل عن رأي كاتبها.

فهرس الموضوعات

العولمة وأثرها على الهوية الثقافية الإسلامية" دراسة وصفية تحليلية"
بروفيسور/أبكر عبدالبنات آدم إبراهيم.....10

برنامج تدريبيّ قائم على استراتيجيّة الفصل المقلوب في إكساب الطّلبة مهارات تصميم برامج تعليميّة تفاعليّة
د. غنى محمد جهاد موسى.....27

تدني الأداء التشريعي لمجلس النواب العراقي وسبل تقويمه
أ.د. طه حميد حسن العنبكي / م.م. علي محسن دشر الماهين..... 57

تشكيل نمو الطفل التوحدي عبر برنامج تحليل السلوك التطبيقي: الغايات وأخلاقيات التدخل
الباحث / جمال بوراصي / البروفيسور/ مولاي التهامي باديدي..... 95

المنهج الاجتماعي بين المفاهيم والإشكاليات (تحليل رواية حضرة المحترم أنموذجاً)
الدكتور عمر عبدالله العنبر/ الدكتور خالد عبدالله العنبر.....108

تصورات أعضاء هيئة التدريس في الجامعات الحكومية الأردنية نحو التعليم عن بعد
د. سامرة أحمد المومني.....137

دور التوظيف الخاطئ لتكنولوجيا الذكاء الاصطناعي والتعليم عن بعد في تشويه المشهد التربوي المعاصر
الدكتور لولوه عمر العبد..... 156

اضرار المخدرات أسبابها ونتائجها وعلاجها
م.د.مريم مجيد عبد الله / أ. م. د. عبد الهادي محمود الزيدي.... 192

الجريمة البيئية وبعد التنمية المستدامة
مونة جنيح.....207

استئخار الدعوى في قانون المرافعات المدنية العراقي رقم 83 لسنة 1969 المعدل
م. زهراء مبروك عبدالله.....225

قضايا الماء بواحة فركلة بالجنوب الشرقي للمغرب
عبد الصمد خويا / حسن علاوي.....250

العولمة وأثرها على الهوية الثقافية الإسلامية" دراسة وصفية تحليلية"

بروفيسور/أبكر عبدالبنات آدم إبراهيم
مدير جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم الاسبق- السودان
الأمين العام المساعد لاتحاد الجامعات الأفروأسيوية- السودان
abaker2012@live.
+249912610599

الملخص

تناولت الدراسة أثر العولمة التي تقودها بعض الدوائر والمؤسسات الغربية على الهوية الثقافية الإسلامية، والتي تهدف للنيل من سمات الحضارة الإسلامية التي تحقق على أيدي العلماء العرب والمسلمين إبان فترة القرون الوسطى، والتي على إثرها ظهرت النهضة العلمية التي شهدتها المنطقة. كذلك هدفت الدراسة إلى إمكانية معرفة مقدرات العقل العربي أو المسلم في استيعاب مفهوم الهوية الإسلامية، والمحافظة على كينونة المجتمع بكل أطيافه. وقد خلصت الدراسة إلى أن الغرب الأوروبي ليس له الرغبة الحقيقية في معرفة الإنتاج العلمي للعرب والمسلمين؛ والوقوف على العوامل الموضوعية والمنطقية لخصائص الهوية الإسلامية التي ساهمت في إثراء التفكير الناقد السليم في الدعوة إلى قبول الآخر، والمحافظة على الوحدة الوطنية في مواجهة كل عوامل الضعف والوهن الذي تعيشه الأمة اليوم. استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي والاستنباطي للكشف عن خطورة العولمة في المحافظة على الهوية الثقافية.

الكلمات المفتاحية: العولمة- الهوية- الثقافية- التغريب- الاستلاب - التنوع.

Globalization and its impact on the Islamic cultural identity "A descriptive and analytical study"

Prof/ Abaker Abdelbanant Adam Ibrahim
Former Vice chancellor of the University of the Holy Quran and Taseel of Sciences – Sudan
Assistant Secretary General of the Association of Afro-Asian Universities – Sudan

Abstract
The study examined the impact of globalization driven by certain Western circles and institutions on Islamic cultural identity, with the aim of undermining the characteristics of Islamic civilization achieved by Arab and Muslim scholars during the Middle Ages, which led to the emergence of the scientific renaissance in the region. The study also aimed to understand the capabilities of the Arab or Muslim mind in grasping the concept of Islamic identity and preserving the integrity of society in all its facets. The study concluded that Western Europe does not have a genuine desire to understand the scientific contributions of Arabs and Muslims, nor to explore the objective and logical factors of Islamic identity traits that have contributed to enriching sound critical thinking in promoting acceptance of the other and preserving national unity in the face of all factors of weakness and vulnerability that the nation is experiencing today. The researcher used a descriptive analytical and deductive approach to reveal the dangers of globalization in preserving cultural identity.

Keywords: globalization, identity, cultural, alienation, assimilation, diversity.

مقدمة

العولمة حركة تاريخية مستمرة مع استمرار المجتمعات البشرية، وتشكل في تكوينها مجموعة من النظم السياسية والاقتصادية والثقافية والحضارية، التي تقارب اندماج وانصهار العالم مع بعضها البعض، وفق تطور وسائل التواصل والاتصال الاجتماعي، مع مراعاة طبيعة القوة التي تكتنفها الدولة المعنية لتطوير ذاتها. فالعالم يواجه اليوم العديد من التحديات منها التحدي الاستعماري والعلماني والرأسمالي والشيوعي والتبشيري والتنصيري، ومن أخطر التحديات في هذا المضمار هي العولمة الثقافية Globalization Cultural. ولعل ظاهرة العولمة من الظواهر الحديثة التي تواثقت ظهورها مع التقدم العلمي والتكنولوجي والمعرفي بعد تكامل أجزائها من خلال قيام الثورة الصناعية وتكالب الاستعمار الأوروبي على العالم النامي؛ وقد بدأت سطوتها مع تطور الدراسات الاستشراقية وتياراتها المختلفة في الساحة الدولية، وظهور ما يعرف بالتعددية القطبية الواحدة. أما اليوم فقد ظلت مفهوم العولمة بالغة الدلالة والتعقيد في كثير من مسارات الحياة. وبالرغم من خطورة هذه الظاهرة وشموليتها في كافة مناحي الحياة، إلا إننا في حاجة لمعرفة أثر هذه الظاهرة في الهوية الثقافية الإسلامية؛ حتى نتمكن من تجاوز تعقيداتها الفكرية والثقافية، وضرورة الكشف عن مخاطرها الجمة حتى نستطيع أن نبتعد عن موضع الخطر الآني والمستقبلي.

مشكلة الدراسة: بالرغم من التقدم العلمي في بناء جسور التعايش بين الأمم إلا أن الأوساط الغربية كثيراً ما يسعى إلى التنكيل بأهمية الهوية الثقافية للإسلام والمسلمين في كثير من أحايين، الأمر الذي دفع بعض العرب والمسلمين إلى تشويه صورة الحضارة الإسلامية" المستغربين".

أهمية الدراسة: تكمن أهمية الدراسة في محاولة إلقاء الضوء على الفلسفة التي تقوم عليها العولمة في هدم الهوية الثقافية للمسلمين من خلال الدراسات الاستشراقية نحو العالم الإسلامي.

اهداف الدراسة: تهدف الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية:

1. الوقوف على معرفة أثر العولمة على الهوية الإسلامية.
2. الكشف عن خطورة نظريات العولمة حول الفكر الإسلامي المعاصر.
3. بيان أن للعولمة دور فاعل في إسقاط العلاقة بين الحضارة الإسلامية والغربية.

منهج الدراسة: استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي وأحياناً الاستنباطي لمعرفة دور العولمة في المحافظة على كينونة الثقافة الإسلامية.

المبحث الأول: قراءة في مفهوم العولمة: العولمة Globalization مصطلح يُعبّر عن ظواهر إنسانية قديمة بمنظور جديد، على اعتبار أن العالم هو بمثابة قرية إلكترونيّة صغيرة(كوكبة) تترابط أجزاؤها عبر الأقمار الصناعيّة والاتصالات الفضائيّة، والقنوات التلفزيونيّة، وقنوات التواصل الاجتماعي. وقد ورد عند علماء التاريخ أنّ أصلها وبداياتها تعود إلى نهاية القرن السادس عشر الميلادي أي بدأت مع بداية الاستعمار الغربي لآسيا وأوروبا والأمريكيتين، ثمّ تطورت مع تطور النظام الاقتصادي الحديث في أوروبا، الأمر الذي أدى إلى ظهور نظام عالمي معقد اتصف بالعالميّة؛ ثمّ أُطلق عليه اسم العولمة. وقد رأى آخرون أن العولمة تقوم على أربع عمليات أساسيّة وهي المنافسة الكبيرة بين القوى العالميّة العظمى، وانتشار عولمة الإنتاج والانتاجية، وتبادل السلع، والابتكار والإبداع التكنولوجي، والتحديث المستمرّ(محزون2000: 23).

العَوْلَمة لُغةً: تُعرَّف العولمة Globalization لغة بأنها مصدر الفعل عَوْلَم، وهي حريّة انتقال المعلومات، وتدفق رؤوس الأموال، والأفكار المختلفة، والتكنولوجيا، والمنتجات والسلع وغيرها.

أما العَوْلَمة اصطلاحاً: اختلفت الآراء حول تعريف العَوْلَمة، وذلك بسبب غُموض مفهومها، فأصبح لكل تعريفه الخاص بهم، إلى أنْ تمّ تقسيم التَعريفات جميعها إلى ثلاثة أنواع رئيسيَّة هي: ظاهرة اقتصاديَّة، وثورة تكنولوجيَّة، وثقافية واجتماعية، فالغالبية منهم يستخدمون مفهوم العَوْلمة للإشارة إلى عوْلَمة الحياة

الاقتصادية، وتحويلها إلى اقتصاد عالَمي. ويرى زروق(1989م:4) أن العولمة هي بمثابة القرية الكونية Universal Village التي يعتبر فيها العالم مترابطاً عن طريق وسائل الاتصال الحديثة، وتعتمد على بعضها البعض اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً وفكرياً، حيث لم يصلح أن يكون الإنسان ممزقاً بين عالمين منفصلين تحكمه قوانين الطبيعة Natural laws، والثاني تحكمه قوانين الخليقة Creation laws. وبشكل عام يمكن القول إنّ العولمة هي نظام عالمي قائم على العقل الإلكتروني والثورة المعلوماتيّة التي تقوم بدورها على الإبداع التقني اللامحدود دون وضع أيّ اعتبار للأنظمة والقيم والثقافات، والحدود الجغرافيّة، والسياسيّة. وبعبارة أخرى، العولمة تُعني الانتقال بالمعارف والعلوم من المجال الوطني أو القومي إلى المجال العالمي أو الانتقال من مفهوم الدولة القطرية إلى مفهوم الدولة العالمية.

المبحث الثاني: مفهوم الثقافة والهوية: يعتمد هذا المبحث على مطلبين: مفهوم الثقافة، مفهوم الهوية الثقافية.

المطلب الأول: مفهوم الثقافة: الثقافة لغةً تعني الفطنة والنشاط والحذق، وثقف الرمُح أي ساواه وعدله (الخطيب1984م:32). فالثقافة من أكثر المصطلحات استخداماً في الحياة المعاصرة، فإن استخدام هذا المصطلح(Culture) في اللغات الأوروبية تجعله يقابل حالة اجتماعية شعبية أكثر منها حالة فردية، فتطلق الثقافة على جماعة أو مجتمع بشري معين، بغض النظر عن مدى تطوره العلمي أو مستوى حضارته وعمرانه. وعلى هذه الشاكلة، تختلف مفهوم الثقافة عند العرب باعتبار ان هناك فرق بين المثقف والمتحضر. فالمثقف هو الذي يتعدى إحساسه الذاتي للإحساس بالآخر، أما المتحضر هو الذي يسلك سلوكا يلائم البيئة الذي يعيش فيها، ولكي يكون الإنسان متحضراً لابد أن يكون مثقفاً. وبمعنى آخر، الثقافة هي الحذق والتمكن، وثقف الرمح أي قومّه وسواه، ويستعار بها للبشر فيكون الشخص مهذباً ومتعلماً ومتمكناً من العلوم والفنون والآداب، فالثقافة هي إدراك الفرد والمجتمع للعلوم والمعرفة في شتى مجالات الحياة؛ فكلما زاد نشاط الفرد ومطالعته واكتسابه الخبرة في الحياة زاد معدل الوعي الثقافي لديه، وأصبح عنصراً فاعلاً بناءً في المجتمع وهكذا.

أما الثقافة اصطلاحاً، أختلف العلماء في تفسير الثقافة؛ فمنهم من يرى بأنها تُعني الكل المركب الذي يشمل المعرفة والمعتقدات والفنون والآداب والقانون والعُرف وما يكتسبه الفرد من مجتمعه. وهنالك من يروى أن الثقافة تمثل طرق الحياة المختلفة من سبل كسب العيش والحياة الروحية والفكرية التي تساهم في ترقية وتطوير الإنسانية. كما عرفت في إحدى مؤتمرات اليونسكو (منظمة الأمم المتحدة للعلوم والثقافة) بأنها" جميع السمات الروحية والمادية والفكرية والعاطفية التي تميز مجتمعاً بعينه أو فئة اجتماعية بعينها"(عليان1401هـ:3). وتتكون الثقافة من العموميات والتي تتضمن اللغة والدين والمعتقدات والقيم الاجتماعية من العادات والتقاليد والأذواق، أما الخصوصيات فهي الظواهر التي تقل فيها مشاركة الأفراد كالمهن الأساسية. وخلاصة القول، فالغرب الأوروبي يستخدم مصطلح الهوية الثقافية في الإطارين المادي والروحي للوصول إلى المجتمعات الفقيرة والضعيفة، فبدأ في دراسة مقومات الثقافة الإسلامية، لتحقيق مبتغاه في التبشير والتنصير على السواء.

المطلب الثاني: مفهوم الهوية لغةً واصطلاحاً: لغة تطلق على حقيقة الشيء؛ وتميزه عن غيره من الأشياء، وتسمى وحدة الذات (مدكور،1403هـ:208).

أما اصطلاحاً: هي حقيقة الشيء أو الشخص التي تميزه عن غيره، فهي ما يوصف به من صفات عقلية وجسمية وخلقية ونفسية. فالهوية بهذا المفهوم هي عبارة عن مجموعة من القيم والسلوك، والتي تكون مرجعيتها الاعتقاد الديني أو هذا بالإضافة إلى العوامل الاجتماعية والفكرية والسياسية، وبعبارة أخرى هي:" تعريف الإنسان نفسه فكراً وثقافة". لذلك يرى الباحث أن الهوية يطلق على معانٍ ثلاثة هي: التشخيص، والشخص نفسه، والوجود الخارجي.

فالهوية الثقافية هي مجموعة من السمات الروحية والفكرية والقومية التي تميز جماعة عن أخرى، وبل شاملة لطرائق الحياة كالعادات والتقاليد والمعتقدات والآداب والقيم والبعد التاريخي باعتباره عامل جوهري في مفهوم الثقافة. لذا يُعرّف الهوية الثقافية من جهتين: أولاً: خارجية؛ بدأت مع ظهور العولمة، وما تمثله من محاولة لتنظيم أو إعداد نظام عالمي جديد بكل ما يترتب عليه من هذا النظام من إيجابيات أو سلبيات.

ثانياً داخلية؛ وتتمثل في المقاربات العلمية والموضوعية التي تتعلق ببيئة الفرد.

فالهوية الثقافية لا تكتمل إلا إذا كانت مرجعيتها وجود الوطن والأمة والدولة بوصفها التجسيد القانوني للوحدة الوطنية، فكلما يمس قوة الأمة يمس الهوية الثقافية. ولعل أبرز ما يجسد تأثير العولمة على ثقافات المجتمعات الأخرى هو الانتشار الواسع والكبير لكثير من الشركات العالمية في العالم الثالث؛ والتي تعتبر رمز الإمبريالية والرأسمالية الاشتراكية.

المبحث الثالث: أثر العولمة على الهوية الإسلامية: يرى العديد من الفلاسفة والكُتّاب أن العولمة الثقافية هي بمثابة دعوة الشعوب المختلفة للترابط وفق المنظور الغربي الديمقراطي أو الرأسمالي. وفي هذا يشير "جان بيترس" إلى أن العولمة الثقافية تنحصر في التهجين بالموروثات الغربية سواء في العادات أو التقاليد، بحجة أنه من الممكن الكشف عن الاختلاط الثقافي عبر القارات والأقاليم من خلال قراءة التاريخ القديم أو الحديث(زروق،:141998). فالإشارة هنا إلى الممارسات الدينية واللغة والثقافة كمحركات فكرية أو أيدولوجية غربية صنعها الاستعمار الأوروبي للبلدان النامية(أسيا وأفريقيا). وخير مثال لذلك، التجربة الهندية التي ظهرت تأثيرها الثقافية بشكل أكثر فذاذة طوال تاريخها الطويل، وعلى ضوء تلك السياسات سعى المستعمر إلى إيجاد موطئ قدم جديد في الدول شرق الأوسطية؛ بحجة التغيير لما هو أفضل، واكتساب مناطق نفوذ جديدة للهيمنة والسيطرة، وذلك باستخدام وسائل تكنولوجية حديثة للتعريف بالثقافة الغربية ومقوماتها والتي منها الحداثة والذكاء الاصطناعي. ولتحقيق تلك الغايات والأهداف شجعت الغرب على إنشاء المدارس والمعاهد والجامعات وأقسام باسم الدراسات الإسلامية، أو الدراسات الشرقية للبحث عن مقومات الثقافة الإسلامية وحضارتها(Serno,1970:176). وقد حفلت الكتابات العربية والأجنبية بالكثير من البحوث والدراسات التي تناول موضوع الهوية الثقافية، التي كثيراً ما تتسم بالشمولية في تكوينها بناءً على متغيرات جيومرفولوجية وعوامل أنثروبولوجية، ولا سيما المتغيرات المجتمعية التي طرأت في فترات زمنية متلاحقة، والتي تشكل طبيعة الوعي البشري في ظرفيه الزماني والمكاني.

وقد دخل مفهوم الهوية إلى الفكر العربي في نهاية القرن التاسع عشر؛ وبداية القرن العشرين، فقد سعى الغرب الأوروبي لإيجاد مترجمات جديدة لمعرفة مفاهيم الهوية من خلال إثراء الدراسات الاستشراقية في الجامعات الشرق أوسطية، وهيمنة المستشرقين على المصطلحات الفكرية المعاصرة التي تتحدث عن تاريخ الثقافة الإسلامية، ودور علماء المسلمين في الإسهام في البحث العلمي، خاصة عندما ادرك الباحثين العرب أهمية الهوية الثقافية متأثرين في بعلاقات الهيمنة الغربية المفروضة عليهم حيث بدأوا يبحثون عن مضامين هويتهم في الوقت الذي بدأ الغرب في تدويل قضايا الهوية عبر مستعمراتهم المنتشرة في دول العالم الثالث بدافع الاستعمار والاستلاب الثقافي(أبو عنزة،:442011). فالهوية الثقافية هي إحساس الفرد بأهمية الذات؛ في ظل التعاون مع الجماعة، كما أنها نتيجة الوعي الذاتي وأحقيته في ممارسة حقه الطبيعي في الحياة الثقافية والفكرية، في ظل معرفة نسبه ووطنه، كل هذه البيانات تشكل جزء من انتماءاته الشخصية. وعلى ذلك تكون الهوية حية عندما يشعر الإنسان بأنه هو الفرد والجماعة والمجتمع على سواء له حقوق وعليه واجبات. وبالرغم من تلك الميزات التي تمتاز بها الثقافة الإسلامية لم يمنع الغرب في السعي وراء استلاب الهوية العربية والإسلامية، خاصة عندما أدرك أن الناس في هذه البلدان لا يعرفون تقييم أنفسهم تقييماً صحيحاً، فهم منقسمون إلى إيدي سبأ كل يريد لنفسه العلو والتعالي، ولا

يدركون قيمة واعتصموا بحل الله جميعاً، أو كونوا عباد الله إخوانا. فالغرب في كلياته هو عبارة عن جرثومة يحيط كل من هو غافل في المحافظة على موروثه الثقافي والفكري، فالعقلاء هم الذين يضعون الدواء اللازم للخروج من هذه المعضلة، وغير الدواء هو المطالبة بحق المواطنة، والتحرر من قيود المستعمر. عليه، تقوم هوية كل أمة عن ما يميزها عن غيرها من الأمم كدينها ولغتها وقوميتها وتراثها، ومعرفة المنتوج الحضاري بل هي نوع من مستوى التفكير وفضاءاته ممثلة في السلوك الاجتماعي الجمعي والإبداعي والابتكاري؛ المؤسس على تلبية خاصية الأداء؛ والانجاز المهني الفردي من خلال تطوير القدرة الذاتية للمجتمعات، والشعور بالوحدة الوطنية الذي يحقق المصالح العليا للجميع. وترتبط العولمة بالهوية الثقافية من خلال نشر الهوية الغربية، وقد ظهر ذلك جليّاً في وسائط الإعلام المختلفة في شكل رسائل أو أفلام أو مسلسلات أو حوارات أو مناظرات أو نقاشات أو في عقد المؤتمرات والورش، وفي صناعة المناهج وغيرها. ومن خلال تلك السياقات، فإن مفهوم الهوية يتضمن درجة عالية من التعقيد والصعوبة، فهوية الإنسان المسلم تعني الإيمان بعقيدة هذه الأمة، والحفاظ على مقومات الدين الإسلامي التي تقوم أركانها على القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وأقوال السلف الصالح، فالهوية تعني الانتماء الكامل، بكل أبعاده المادية والمعنوية، ولا تختصر على الانتماء القبلي أو الجهوي أو الجغرافي، بقدرما هي مفهوم ذات جذور تتناول قيم اجتماعية وثقافية متنوعة، والاعتزاز والتمسك بها، والشعور بالاستقلالية الفردية والجماعية، والقيام بحق الرسالة في البلاغ والتبليغ والشهادة.

وقد سعى الغرب في اعتبار العولمة الفكرية والثقافية بمثابة مشروع استشراقي شامل لصياغة التراث والآثار الإسلامي التي تُغطِّي مُعظم جوانب النّشاط الإنسانيّ في العالم الثالث، وتستمد العَوْلمة الثَّقافية خصوصيتها من تَطوُّر الأفكار والقِيَم والسُّلوك، ومن خلال انفتاح الثَّقافات العالَمية، وتأثُّرها على الواقع الاجتماعي، وما نشاهده اليوم من الانفتاح يمثل محل السؤال فلم يحدُث له مثيل في أي فترة من فترات تّاريخ البشرية. فالعَوْلمة الثَّقافية تعني نقل التعزيزات الشخصية للإنسان من البيئة المحلية إلى المحيط العالمي، بهدف زيادة التفاعل بين مكونات المجتمعات البشرية، وفق المنظومة الغربية، وإلى سيطرة الثَّقافات الأوروبية على حساب الثقافة الإسلامية، ونشر قِيَمها وعاداتها وتقاليدها. فلم تقتصر العولمة على البعد المادي للثقافة الإسلامية فقط؛ بل تعدت ذلك إلى هيمنة الثقافة الغربية عبر ممارسة التنصير المادي والاجتماعي والثقافي مستفيداً من الكوارث الطبيعية والتخلف العلمي والمعرفي الذي يحاك بالعالم الثالث، والاهتمام بالعادات والتقاليد والقيم الغربية؛ على اعتبار أن الثقافة الإسلامية غير مواكبة للحداثة. لذا لا تعترف العولمة بالحدود الجغرافية لأي بلد، بل جعلت من العالم كوكبة صغيرة لها ارتباط ثقافي بين المجتمعات والأعراق المختلفة، وبمعنى آخر هو استلاب للأفكار والعادات وتأويلها بحكم الواقع الغربي، مما جعل الكثير من الشعوب والقوميات يعترفون بالثقافة الغربية لأنها تتحدث عن الحداثة، وجعل الفكر الإسلامي قديم لا يواكب التطور المنظور، ولا يدركون أن العمليات الانتقالية الثقافية بين المجتمعات تختلف من حيث جغرافية الزمان والمكان، ومن درجة التأثير والتأثر. لذا يرى كثير من علماء الاجتماع أن نظرية الهيمنة الثقافية والإعلامية على الدول النامية يشكل جزء من التكالب الغربي على الإسلام والمسلمين، ومن هذا المنطلق نستطيع القول بأن الغرب الأوروبي والولايات المتحدة الامريكية والجمعيات التبشيرية والتنصيرية كلٌ في موقعة يسعى إلى تغلغل في المجتمعات الإسلامية لزرع بذور الفتنة الثقافية للهوية الإسلامي؛ وإيجاد موطئ قدم للسيطرة والهيمنة الفكرية للمحافظة على الأمن الخارجي في المنطقة، وهذا ما نلاحظه في الوزارات الخارجية للدول الغربية، هذا بالإضافة للمؤتمرات التبشيرية والتنصيرية التي تعقد في أنحاء العالم والتي تعرض فيها كل ما يخطر من بال المشاركين في هيمنة الثقافة الغربية على المجتمعات الإسلامية، فالعولمة الثقافية هي بمثابة توحيد أشكال التعبير الثقافي في جميع أنحاء العالم، والدعوة نحو التجانس والتواؤم الذي يجعل التجربة الإنسانية في كل مكان شبيه بالثقافة الغربية.

وبالرغم من أن العالم اليوم يتنسم بالتقدم التكنولوجي والعلمي والمعرفي الذي لعب دوراً مهماً في تكييف الثورة المعلوماتية والإعلامية من خلال إحداث تدفق المعلومات(الغزو الفكري والثقافي) إلا أنها تشكل عقبة في طريق زيادة الوعي المعرفي في كثير من الأحايين وخاصة الأطفال مما حدا إلى تشويه صورة الهوية العربية من خلال استخدام وسائل حديثة في تصوير بعض المقدسات الإسلامية. وعلى ذلك فإن استخدام تلك الوسائط الإعلامية للإبداع والابتكار فقد باتت تشكل أحد عوامل التحدي الفكري والثقافي في كل البلدان العربية بعصرها؛ مخترقاً كل الموروثات التربوية والتعليمية، الأمر الذي أدى إلى تغيير القيم السلوكية لدى المرأة والطفل العربي. وقد يحتاج الطفل العربي إلى تكنولوجيا مغايرة يعالج بها مشكلاته الثقافية واللغوية، أو بناء قيم لا تخرج عن الأصالة العربية والإسلامية.

عليه، سعى الغرب للاهتمام بالإعلام لفرض سيادته قيمه ومفاهيم الدَّولة القومية، وللعَوْلمة الإعلامية دور كبير في تغطية الأخبار العالَميَّة من خلال الفضاءات والقنوات الإذاعية والتلفزيونية، عبر موجات طويلة ومتوسطة وقصيرة. أما اليوم تطور فكرة عولمة الإعلام عبر وسائل التواصل الاجتماعي، فقد أصبح للإعلام دور كبير وفاعل في المُجتمعات العربية والإسلامية، خاصة في نقل الأحداث والأخبار. فالعولمة في مفهومها التكنولوجي تعني سرعة الاستئثار باستخدام الوسائط التكنولوجية الحديثة التي تتميز بالسرعة على نقل الأحداث التي تحقق الأهداف المعلنة وغير المعلنة، مع سهولة الوصول عند الجمهور المستهدف، وذلك من خلال شراء الأدوات التكنولوجية بصورة تلقائية، أو فرض استخدامها في الأغراض التي تحقق المصالح الغربية. وفي خضم هذا التطور اكتسبت تكنولوجيا الاتصالات الحديثة أهمية ومكانة كبرى في ثورة الاتصالات المعلوماتية التي لا تقل مكانة عن أهمية اختراع الطباعة، والثورة الصناعية في القرون التي خلت. وعلى ضوء تلك المعطيات ظهرت آثار تكنولوجيا الاتصالات الحديثة ودورها في تقديم المعلومات من خلال استراتيجية كل دولة في بناء علاقاتها الدولية ثم تطورت هذه الفكرة داخل منظومة وأروقة المنظمات الدولية التي تتحدث عن كيفية صياغة إنسان العالم الثالث في ضوء تطور مفهوم النظام العالمي الجديد (Andrew,2007:190). وبالرغم من التباين الواضح في مفهوم الإعلام الدولي على مستوى المؤسسات الدولية إلاَّ أنَّ ممارسته في الإطار الدولي بغية مسايرة العالمية، يحتاج إلى التغيرات الثقافية والفكرية التي تطرأ في المجتمعات الغربية في سبيل الوصول إلى عصر يمكن ان يستوعب فيها المجتمعات التغيرات الفسيولوجية والسيكولوجية فكانت عصر التنوير (1600-1800)، أمّا اليوم فإننا في أمس الحاجة لمعرفة كيف يحدث التفاعل والتفاهم من خلال التغيرات الأساسية التي طرأت على الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسة والتجارة والتربوية وغيرها هذا بالإضافة إلى التغيرات في مفاهيم البيئة المجتمعية. وقد لعبت المؤسسات الإعلامية المختلفة دوراً كبيراً في صناعة وصياغة الرسائل الإعلامية التي توافق حاجة الدول الغربية، والمساس بحق الدول النامية دون أساس منطقي. لذلك يقوم الإعلام الدولي على أساس النظرية التبعية الغربية التي تفترض المشاكل وتحللها دون اعتبار لحقوق السيادة الوطنية. كما تعمل النظرية التبعية على تحليل العلاقات بين الدول المتقدمة والدول النامية على أساس إشباع حاجات الدول المتقدمة عن طريق السيطرة والسلطة واستغلال الموارد الطبيعية والبشرية. ومن المهم الإشارة هنا أيضاً إلى أن هذه الوسائل لها تأثيرات دولية على المناخ الإعلامي داخل وخارج حدودها الوطنية، وبالتالي من الضروري بمكان فهم تاريخ تطور النظام العالمي الجديد للمعلومات والإعلام. وفي هذا؛ يشكل يقوم الاستلاب العقلي على الآتي:

* دراسة وتحليل الإطار التاريخي للمجتمعات التي تقطن في بقعة واحدة، أو معرفة مدى المواءمة بين الرسالة الإعلامية المرسلة والمستقبلة، وهنا يتطلب معرفة بيئة، وثقافة المتلقي وعلاقاتها بالمجتمع.
* معرفة دور القوى السياسية السائدة في المجتمع العربي، والعوامل التي تكرس ثقافة التخلف والأمية والعنصرية في المنطقة الواحدة.

فالتحيز إلى القوى الأكثر فاعلية، أو الذي يلعب دوراً محورياً في المجتمع أو استغلال الكوارث الطبيعية أو النزاعات القبلية وغيرها، قد ساهمت بشكل كبير في انتشار ظاهرة العولمة، وبناءً على تلك المعطيات يمكن القول إن القنوات التلفزيونية؛ والفضائية تلعب دوراً كبيراً في صياغة المجتمعات البشرية من خلال بث قيم وسلوكيات نفسية مغايرة عن الثقافة الإسلامية، الأمر الذي أثرت في تغيير الواقع الاجتماعي والثقافي العربي والإسلامي، سواءً على نطاق الأمن الأسري، أو السلم الاجتماعي. كما دفعت العولمة الإعلامية إلى تشجيع ثقافة ممارسة العنف الجنس بشكل يتناقض مع عفة ديننا الحنيف. ومن وجهة أخرى فإن العولمة الإعلامية قد لا تتنافى مع فكرة التنوع والتعددية؛ ولكن يخالف مقاصد التشريع الإسلامي في التطبيق، هكذا تبدلت هذه المفاهيم وأصبحت وباءً وشراً مستطيراً على المجتمعات المسلمة، الأمر الذي أدى في نهاية المطاف إلى القضاء على التعايش السلمي والتآلف والتعاون المشترك بين الأمم والشعوب. كل هذه العمليات تم نتيجة لسيطرة الإمبريالية الغربية والصهيونية في ظل غياب الترابط الثقافي بين العربية والإسلامية، وهجرة العقول إلى الغرب، الأمر الذي أفضى إلى تدمير الهوية الإسلامية، وظهور ما يعرف بثقافة الاستهلاك الغربي الغير متجانس في كثير من الأحايين. ومن وجهة نظر أخرى، هنالك من ينظر إلى أن "صدام الحضارات" هو بمثابة ردة فعل عكسية على العولمة الثقافية. وهنا يؤكد صموئيل هنتنغتون على حقيقة أنه في حين أن العالم يصبح كقرية كونية صغيرة، ومترابط بشكل أكبر، يقوم التفاعل بين الشعوب والثقافات المختلفة بتعزيز الوعي الحضاري، وهذا بدوره ينشط الخلافات بين الشعوب والأمم، فبدلاً من التواصل مع المجتمع الثقافي العالمي، تقوم عملية العولمة الثقافية بالزيادة من حدة الاختلافات في الثقافة مما يجعلها مصدراً للصراعات والنزاعات والحروب(هانتغتون، بدون تاريخ:16). فالكوارث بأنواعها المختلفة يمثل مسرح للاختلالات الثقافية والفكرية، لأنها أصبحت في كثير من الأحايين محطة من محطات التبشير لنشر الثقافة الغربية، سواءً عبر تكنولوجيا المعلومات أو عبر تقنية الإلزام البيئي، فالعالم الثالث تشكل اليوم صورة نمطية لتنوع الثقافات والبيئات؛ حيث يضم مجموعة من اللغات والأعراف المتعددة تختلف باختلاف الألسن والقيم. وبالرغم من تلك المحددات فقد اتجهت بعض البلدان النامية نحو خلق تنمية بشرية مستدامة ولكنها برؤية غربية تضمن للجميع في جو من التعاون المشترك، وذلك من خلال استغلال التنوع الثقافي لصالح جهود التنمية المستدامة، ومحاربة الفقر والأوبئة التي تجتاح مناطق عديدة من العالم النامي، وقد استغل الغرب ثقافة التنوع داخل المجتمع الواحد كحافز لاستلاب الفكري والثقافي، عن طريق خلق برنامج وأنشطة تحقق طموحات المستهدفين. فالعولمة الإعلامية هي أداة للهيمنة والسيطرة في حالة الضعف والانكماش أو الانطواء على الذات. فالتطور ليس بالضرورة ضد البعض، وإنما هو لصالح من يتحدى الصعاب، فإذا كانت الاستخدام سليماً يمكن المحافظة على الهوية الثقافية في ظل تعاطي إيجابي مع ظاهرة العولمة، ومع المستجدات الدولية الأخرى التي تساهم في نقل المعارف والعلوم بصورة أكثر قناعة(الخولي،:871998).

وقد ظهرت ذلك جليّاً من خلال المناقشات الحادة حول حقوق المرأة(سيداو) على حساب الحضارة الإسلامية بحجة أنها غير مواكبة للتقدم البشري، وقد شكلت تلك النداء من خلال وجهة نظر بعض المؤسسات الكنسية(الفاتيكان) التي تدعي العالمية والرسولية، وقد جاءت تلك النداءات مغاير عن وجهات النظر الإسلامية التي تدعو إلى الكرامة الآدمية، دون استهداف القيم الدينية لكل دين سماوي، ومثل هذه المواقف شكلت منعطفاً خطيراً في الأوساط الدولية، ومغايراً للاتجاه الذي تبنته منظمة اليونسكو الهادف إلى المحافظة على تباين الثقافات والحضارات، كما كشف الموقف عن أن ممثلي الدول الاسلامية في المنظمات الدولية هم في الواقع يمثلون ثقافة وقيم بلدانهم بقدر تعبيرهم عن ثقافاتهم بعيداً عن القيم الغربية التي تربى عليها المعاهد والجامعات الغربية. فالموقف برمته يدعوا إلى التنبيه بخطورة المرحلة في التعامل مع مفهوم العولمة الثقافية. فالدعوة إلى الاهتمام بالمشاركة الإيجابية في العمل الدولي، والتعبير عن ثقافة وقيم الدول، ثم المتابعة المبكرة لما يجري الإعداد له ضرورة واقعية. وكثيراً ما تسعى العولمة الثقافية على تفكيك الفاعلين الاجتماعيين، وتبني الفئة الساحقة لنشر ثقافة الخلاف والاختلاف. وعلى ذلك

فقد أثرت سياسة التفكيك الغربي في السماح للنخب الحاكمة في البلدان العربية والإسلامية من التحرر من الالتزامات الدينية، وتحويل مجتمعاتهم إلى أداة لتحقيق أجندة خاصة تناقض الأجندة الوطنية، وتتفق مع الأجندات الخارجية.

فالعولمة الاجتماعية أو الثقافية في مفهومها الأخلاقي تعني إطلاق العنان بلا قيود لنوازع الجنس، والتحلل السلوكي، وتدمير القيم الإنسانية، وتدمير الأسرة، وإشاعة الشذوذ. بل هي محاولة السعي في بناء عالم مفتوح الرغبات والشهوات، أساسه توحيد المعايير الكونية، وتحرير العلاقات الدولية السياسية والاقتصادية، وتقريب الثقافات، واستخدام التقدم التكنولوجي في تغيير قيم السلم الاجتماعي. وبهذا المفهوم يمكن أن تحقق الأهداف بين القوى غير المتكافئة سياسياً واقتصادياً وثقافياً، بحيث يستطيع الطرف القوي فرض هيمنة التغيير على الطرف الآخر. وهذا ما نلمسه بين القوى الغربية والعالم الثالث، فالتغيير أخذ منحاً واحداً. فالعولمة الثقافية يعني عملية انتقائية تسعى إلى تقسم العالم إلى عالمين: عالم القوى الكبرى ذات المصالح المتبادلة، والمؤسسات العالمية، والشركات العملاقة التي تمتلك طاقات تكنولوجية عالية الدقة، وعالم الدول النامية أو الضعيفة التي لا تملك الطاقة التكنولوجية، وتشكل دور التابع المطيع للعالم الأول، فالقوي يستنزف الضعيف، في ظل غياب التكافؤ في التقنية والاتصال.

وفي ذات السياق، يمكن أن على الدول النامية أن تدرك خطورة العولمة الثقافية التي تحاول أن تفرض نفسها من خلال بسط النفوذ السياسي، والهيمنة الاقتصادية، والتغلغل المعلوماتي والإعلامي التي يمارسها الدول الغربية، كذلك ضرورة التحكم في الآثار السلبية التي تنجم من خلال التأثير والتأثر، ومضاعفة توجيه الخطاب الإعلامي والديني للمحافظة على كينونة المجتمعات العربية والإسلامية، أيضاً ضرورة الخروج من ويلات مرحلة الاستلاب الفكري إلى مرحلة التقدم العلمي بالتفكير السليم في كافة مجالات الحياة المختلفة.

المبحث الرابع: خصائص ومصادر الهوية الثقافية الإسلامية: يرى كثير من علماء المسلمين أن الهوية الإسلامية هوية متميزة عن غيرها من الهويات، وهذا التميز هو الذي يعطي كل جماعة أو أمة مقومات يمكن أن تشكل رمزيتها ويحفظ لها سمات ثقافتها وحضارتها. لذا فهي تستوعب كل متطلبات حياة المسلم في حله وترحاله، وكل مظاهر شخصيته المادية والمعنوية، لقوله تعالى:{ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}(الذاريات:56)، عليه، فهدف المسلم في هذه الحياة هو أن يعد نفسه لأسباب النجاح، وخاصة عندما يوفر لنفسه مقومات حمل أمانة الاستخلاف في الأرض وعمارتها، وقيادة البشرية لما فيه الخير؛ والسعادة في الدنيا والآخرة. فالهوية الثقافية هي بمثابة سياج الشخصية وذاتيتها، وبدونها يتحول الإنسان إلى كائن غير اجتماعي، فإذا توافقت هوية الفرد مع هوية مجتمعه كان الأمن والراحة والإحساس بالانتماء هو جوهر الاستقرار الفكري والثقافي، أما إذا اصطدمت الهوية بالنوازع النفسية والمزاجية كانت الأزمة والاغتراب هو سمة المجتمع. وعلى ذات النسق، فالهوية التي تتبناها النفس، وتعتز بالانتساب إليها والانتماء لها، والانتصار لها والموالاة والمعادة على أساسها تتحدد فيها شخصية المنتمي، وعلى أساسها يفاضل بين الخصائص الإنسان في ذاته وفي المجتمع من حوله. فلكل حضارة هوية يتمثل في منجزاتها المادية والبشرية؛ والدلالات العقلية، وكل ما يساعد على رفاهية العيش المشترك، ومتاع الحياة وزينتها، أما روح الثقافة فهي مجموعة العقائد والمفاهيم والآداب والتقاليد التي تتجسد في سلوك الأفراد والجماعات، ونظرتهم إلى الدين والكون والحياة ومن أهم العناصر التي تشكل خصائص الهوية الإسلامية منها:

* **الربانية:** من أهم خصائص النظام الإسلامي، أنه مؤسس علي الوحي الإلهي؛ ويستمد أحكامه من مقاصد التشريع الإسلامي لقوله تعالي:{وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَى هَؤُلاء وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ}(النحل:89)، وقال

تعالي:{... الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ }(المائدة:3)، فكمال الدين يعني كمال أصول العقيدة الإسلامية، لقوله تعالي:{وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ}(الأنعام:38)، وكمال الشريعة يؤكد خلوها من النقائص والنقائض والظلم والهوى والمحاباة والنسيان والباطل، ونحو ذلك من الصفات التي لا يستطيع البشر النجاة منها حين تكون تشريعاتهم بمعزل عن هدى الوحي، ومن هنا يتسم النظام الإسلامي بميزات جوهرية تميّزه عن النظم والقوانين الوضعية، كالكمال والسمو والدوام وثبات الأصول وقابلية التطور لضبط المتجدد من الجزئيات تحت المفاهيم الكليّة.

* الثبات والمرونة: تتجلّى خاصية الثبات في التشريع الإسلامي في أصول العقائد والعبادات والقيم الأخلاقية والمرونة في فروع أحكامه الاجتهادية المبنية على الأصول الشرعية، ولهذا قرّر علماء الشريعة باستقراء أدلة الأحكام، والقرائن والإمارات الشرعية التي قد تؤدي إلي تقرير صفة الثبات والقطع والمرونة والتغيير. فالثبات والقطع في أصول العقائد والعبادات وأصول المعاملات والمرونة في المجالات الاجتماعية تتغير بتغير الأزمان والأحوال؛ وهو من أعظم مقاصد الشريعة، أما الفروع الفقهية تدخل في بناء أنظمة الإسلام، وتتجدد بتجدد المصالح البشرية؛ لأن في منشأها عدة أمور منها:

أ. مرونة المصادر الإجماع والقياس والمصلحة المرسلة وغيرها من المصادر التي تقدم حلولاً لكل الوقائع والقضايا، والنوازل والتصرفات والانحرافات الدينية والدنيوية.

ب. الثبات في القضايا التي تخضع للتطور والارتقاء والتقدم، وترك الجزئيات والتفصيلات والتفريعات للاجتهاد الفقهي الملائم للواقع الزماني والمكاني.

ج. المرونة في جواز تغير الأحكام الاجتهادية بتغير الأزمان والأحوال والمصالح.

* ثنائية المسؤولية: اهتم النظام الإسلامي بمبدأ ثنائية المسؤولية على المستوى الفردي والجماعي، ويتضمن ذلك أحكام حفظ حقوق الله، وحقوق العباد، وحمل غيره على تنفيذ الشرع بصورة موضوعية وواقعية، ومسؤولية ذاتية تُعني بالولاء لله عزَّ وجلَّ وطاعته لأوامره، وتنفيذ جانب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لقوله تعالي:{وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَـئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}(التوبة:71)، فالأمر بالمعروف المقرر في الشرع مسئولية ثنائية بين المؤمنين؛ والنهي عن المنكر كذلك، وبهذه الخصوصية رسم التشريع الإسلامي منهجه في ضبط القيم والسلوك، وحماية الحقوق، إذ جعل كل فرد في المجتمع قواماً علي ذاته في مراقبة تنفيذ الشرع الإلهي، وحارساً لمبدأ المشروعية المطلقة، كما جاء في قول رسول الله صلي الله عليه وسلم" كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته الإمام راعٍ ومسؤول عن رعيته، والرجل راعٍ في أهل بيته ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعيةٌ في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راعٍ في مال سيده ومسئول عن رعيته، وكلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته"(العسقلاني1413ه:ج2-:2600).

* ثنائية الجزاء: قد تتفق الشريعة الإسلامية مع بعض القوانين الوضعية التي لا تخالف مقاصد التشريع الإسلامي، ولكن مبدأ عدم الاتفاق والاختلاف تكمن في أن الشريعة تقوم على مبدأ أن الجزاء فيها أخروي ودنيوي، ومع تطور مقتضيات الحياة وضرورة استقرار المجتمع، وتنظيم علاقات الفرد بالجماعة وضمان حفظ الحقوق يستدعى أن يكون مع الجزاء الأخروي جزاء دنيوي، لقوله تعالى:{إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ }(المائدة:33).

* الأصالة والاستقلال: تتفاوت النصوص القرآنية في تبيين استقلالية أصول النظام الإسلامي وقواعده؛ كقوله تعالي:{اتَّبِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلاَ تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ}(الأعراف:3)، وقوله تعالي:{... فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ }(النور:63)، فهذه النصوص وغيرها تبين وجوب إتباع المنهج الشريعي الكامل في أصوله والشامل في فروعه والقابل لاستيعاب المستجدات من الأمور الحياتية الطارئة التي تنمو وتتطور بتطور المجتمع. فالنظم الإسلامية بحكم مصدرها التشريعي لها غاياتها من التطبيق، وهي التعبد إرضاءً لله سبحانه وتعالى، واحتساب الأجر عنده، وهذه الغاية لا وجود لها في القوانين الوضعية، كما أن أصوله وقواعده واجبة وإلزامية لكل مؤمن، لقوله تعالى:{وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُّبِيناً}(الأحزاب:36). وهذا الواجب مفقود في القوانين الوضعية لما يترتب عليه من ثواب وعقاب، فالمسؤولية الفردية أو الجماعية يجعل إمكانية تطبيق النصوص بشكل صريح. أما إذا نظرنا للغرب الأوروبي حول نظرته للإسلام والمسلمين اليوم فالأمر مختلف، لا يريدون لنا التوافق والمؤاخاة لأن هذه السمة لا يحقق طموحاتهم الآنية والمستقبلية، لذا كثيراً ما يؤلبون ثقافة الخلاف والاختلاف، والصراعات والحروب، لإيجاد موطئ قدم في بلداننا العربية والإسلامية، في الوقت الذي لا يدرك الكثير من شعوب العالم الثالث خطورة هذه المتغيرات، فها نحن نعيش اليوم تحت رحمة الغرب الأوروبي في حل كل المشاكل التي تحاك بالأمة المسلمة.

* الشمولية: يمتاز الفكر الإسلامي بالشمول والعموم، ويتناول كل جوانب الحياة أو الحضارة دون أن يخرج عن الإطار الشرعي المقاصدي، وهو فكر ينبثق من أصول مقننة وينطلق من قواعد الاعتقاد وهي أصول كلية ينطلق من مبادئ القوة الجزئية الذي يتطور مع تطور الزمن؛ كما يتناول الصورة الإجمالية لتفاصيل الحياة، فالفقه الإسلامي في غاية المرونة حيث يملك القابلية المثُلى في التطور والتعديل حتى يستجيب للنوازل وما يستجد من أحداث ونوازع ووقائع ومتغيرات. ولقد نظمت الشريعة الإسلامية ملامح حياة الإنسان بالشكل الذي يتماشى مع البناء العقائدي والفكري، كما وضع عدة تصورات للنظم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والفكرية؛ الذي يوازن بين حاجة الفرد والجماعة؛ دون تغليب كفة على أخرى. أما إذا نظرنا للحضارة الأوروبية بكل مقوماتها نجد أن الأمر مختلف حيث استغل انشغال الأمة المسلمة بنوازع الحكم فنادوا بتعميم فكرة الديمقراطية والحرية المطلقة بدلاً عن الشورى، والعدالة والمساواة في الحقوق والواجبات، والسلم الاجتماعي، دون مراعاة لخصوصية النظم الإسلامية التي تستند أحكامها على القرآن الكريم والسنة والنبوية، ولتحقيق تلك الغايات عقدت عدة مؤتمرات إقليمية ودولية لإثارة الشبهات حول الإسلام والمسلمين. ويقول عبد الله دراز(1972 :175)):" الإسلام اسم للدين المشترك الذي هتف به كل الأنبياء وانتسب إليه كل أتباع الأنبياء". وهذا يدحض كل مقولة تقال عن كيفية خلق الإنسان الأول وترقيته، ومن هنا يظهر ضعف الأدلة التي يسوقها الغرب الأوروبي في هذا الجانب فهي مجرد فروض لا ترتقي إلى العلمية، فالله خلق الإنسان منذ يومه الأول في أحسن صورة وفي أحسن تقويم، ولم يتطور الإنسان مع الخلية الأولى، بل خلقه من طين ومن حمأ مسنون لقوله تعالى:{ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ }(الحجرات 26).

* التحلي بمكارم الأخلاق: عرّف بعض الفلاسفة والمفكرين الأخلاق بأنها جملة القواعد والأسس التي يعرف من خلالها الإنسان معيار الخير والشر في السلوك والقيم من خلال تحديد معايير وقواعد السلوك والحقوق والواجبات. كما عرّف بعض علماء المسلمين الأخلاق بأنَّها: عبارة عن المبادئ والقواعد المنظّمة لحياة الإنسان، والتي مصدرها الوحي الإلهي، فالغرض من بعثته ﷺ إشاعة مكارم الأخلاق، ولعلّ هذا المعنى هو المقصود في الحديث الشريف المروي عن الرسول ﷺ حين قال: "إنّما بعثت لأُتَمِّم مكارم الأخلاق" وقال :"بعثت بمكارم الأخلاق ومحاسنها"(ابن الحجاج، بدون تاريخ: حديث رقم4655)، فالعلاقة بين الأخلاق والإيمان والعبادة علاقة وثيقة في جوهرها تعبر عن روح الالتزام في أداء الواجبات

الإلهية. وإجمالاً فالأخلاق هي مجموعة من المعاني والصفات المستقرة في النفس بحسن أو بقبح وكمال المرء بحسن خلقه الباطني والظاهري ليسعد في الدنيا والآخرة، فالحقيقة الماثلة أن الإنسان لا يستطيع أن يستخدم طاقاته النفسية والجسدية والروحية بصورة واقعية إلا إذا تحلى بالأخلاق الفاضلة التي تسعى إلى حب المنافسة والتسابق إلى الخير، فإذا انحرف الإنسان عن هذه الخصوصية أصبح جسداً بلا روح، وهذه ظاهرة مرضية لا نجدها إلا عند العلمانيين والرأسماليين الذين ينكرون نعم المولى عزّ وجلّ في خلقه، ويعصون أوامره. وعلى ما ذكر يستطيع كل فرد في المجتمع أنَّ يتخلص من الظواهر النفسية التي تخالف الدين، وقد تختلف القيم الأخلاقية من مجتمع لآخر حسب العوامل الوراثية والظروف البيئية والنشأة. فالعاقل هو من يستطيع أن ينظم مسئولياته، لقوله تعالى:{وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَى هَؤُلاء وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ} (النحل:89)، فالله عزَّ وجلَّ بلَّغ أحكامه لعباده بواسطة رسله وأنبيائه الذين قدموا الحجة بالدليل والبرهان، فلم يبق من الخُلقُ الحسن إلاَّ وقد بينّه للناس كافة. فعندما يغيب الوازع الديني عند الإنسان تنطلق أهواؤه لتعبر عن نفسها بنظريات غير مثالية متناقضة ومتضاربة ويحاول أن يعرف ما حوله ولا يستطيع معرفته لأنه لا يملك الأصل الذي يرجع إليه، ومهما يجتهد في رد وازعه إلى نظام معين فإنه يستعصى عليه، ويومئذ يصبح كالحيوان، إذ أنَّه يسخِّر كل إمكانياته العلمية والمعرفية في الاتجاه المعاكس، وهذا ما ذكر في قصة إبراهيم عليه الصلاة والسلام حين جادلهُ الملائكة في قوم لوط فأرادوا إهلاكهم، وكان الغرض من هذه المجادلة هو تأخير العذاب عنهم لعلهم يؤمنون، ولكنهم كفروا وتجبَّروا وفسدوا في الأرض، لقوله تعالى:{فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ... يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاء أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ }(هود:74-76)، هكذا تناولت الآيات قصة ضيوف إبراهيم وهم الملائكة الذين مروا عليه وهم بطريقهم لإهلاك قوم لوط لأنهم جحدوا بنعم الله فقال لهم إبراهيم عليه الصلاة والسلام:" أرأيتم إن كان فيهم خمسون من المسلمين أتهلكونهم؟ قالوا :لا، فأربعون؟ قالوا :لا، فمازال يتنزل معهم حتى قال لهم أرأيتم إن كان فيها رجل واحدُ مسلمُ أتهلكونهم؟ قالوا لا فقال لهم :إن فيها لوطاً، قالوا: نحن أعلم بمن فيها لننجّينه وأهله إلاَّ امرأته من الغابرين"(الطبري1974م:80). وهذا دلالة على سمو أخلاق سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام أنه غير عجول في الانتقام إلى المُسئ، وأنه (أوّاه منيب). فالإنسان العاقل هو الذي يستطيع أن يوزن فعله وعمله في ضوء المعاني الأخلاقية التي يحملها من حيث جودتها أو رداءتها فالأخلاق هي عنوان الشعوب، وقد حثَّت عليها جميع الأديان، ونادى بها المصلحون كما هي وسيلة للنهوض بالمجتمع.

* النزعة الإنسانية: تمثل النزعة الإنسانية إحدى دعائم الفكر الإسلامي، فهو يهتم بالإنسان كمخلوق له خاصية تختلف عن باقي المخلوقات، وخليفة في الأرض له شرط الاستخلاف؛ والإقبال عليها، والتكافل والتراحم في إقامة المساواة والعدل؛ والتحلي بالقيم الأخلاقية، قال تعالى:{ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّـهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّـهِ ۚ إِنَّ اللَّـهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ}(آل عمران:159) إنّ حكمة الخالق المدبّر توجب وجود هدف سام ومنظور راق للخلق بصورة عامة وللإنسان بصورة خاصّة، لأنّه تعالى مُنزّه عن اللعب واللهو والعبث، لقوله تعالى:{وَما خَلَقْنا السَّمَاءَ وَالأرضَ وما بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ}(الأنبياء:16)، فالغاية والهدف من وجود الإنسان على هذه البسيطة هو العبادة والخضوع له وتشمل هذه الخاصية الجميع بدون استثناء، لقوله تعالى:{ وَما خَلَقْتُ الجِنَّ والإنسَ إلاّ ليَعبُدُون}(الذاريات:56). فهناكَ فرقاً كبيراً بين عبودية الإنسان لله سبحانه وتعالى؛ وعبودية غيره، فالعبودية الاختيارية الواعية هي التي تصدر عن حبِّ الله سبحانه وشوق له، أي مجاهدة هوى النفس ومنازلة الشيطان وإيثار هَوى الله تعالى على هوى النفس وشهواتها واجتياز الابتلاء الإلهي والانتصار على الفتنة، لقوله تعالى:{أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوْا أَن يَقُولُواْ آمَنَّا وَهُمْ لا يُفتَنُون}(العنكبوت:2). وإذا ما حقّق الإنسان هذه العبودية المطلقة استحقّ أن يكون خليفة لله تعالى في

الأرض. وقد رسم الله عزّ وجلّ من خلال إرسال الرسل والكتب السماوية نظاماً عقائدياً وعبادياً واجتماعياً واقتصادياً وأخلاقياً متكاملاً متوافقاً ومنسجماً مع الهدف من خلقه والغاية من وجوده.

* العقلانية والعلمية: يدعو الإسلام إلى الالتزام في القول والعمل، وعدم إتباع الهوى والسحر والخرافة، والخروج من الأساليب غير العلمية، والاهتمام بما يؤسس الحقائق العلمية الثابتة، وعلى الواقع المشهود له بالاعتراف والقبول؛ لأن إتباع الظن إثم يجب الاجتناب، لقوله تعالى:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ }(الحجرات:6) وقال تعالى:{ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّـهِ إِلَـٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ}(المؤمنون: 117) وقد يدرك الباحث حقيقة كبيرة الأهمية، هي أن الجنس البشري بدأ كما يبدأ الطفل أقرب إلى البدائية والبساطة، ثم نمى أفكاره إلى أن وصل إلى مرحلة الفطرة الطبيعية Natural Instinct. وعلى هذا المنوال، كانت الرسالات السماوية تناسب كل طور من هذه الأطوار ولا نزاع في أن مصدر الرسالات هو الله ذو الجاه والسلطان، ولكن جلت قدرته يعطي الدواء بقدر حاجة المريض فأعطى البشرية كل ما تحتاجه من الهدى والتوجيه، ولكن الإنسانية Humanities في صراعها مع نفسها لم تستطيع أن تعيش على الإيثار أو لم يطل عقلها على صفاء القلوب، فحلت القطيعة محل التراحم والتخاصم مكان المسالمةPacify، فجاء الدين ينظم هذا الشكل من الانحراف Deviation، ويرعى الحس والعاطفة، ويدرس العقل والقلب، وينظم للناس شؤونهم. ويقول الأستاذ سيد قطب في تفسير قوله تعالى:{ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ }(آل عمران:3)، هذا الكتاب" القرآن الكريم" الذي نزل بالحق مصدقاً ما بين يديه من الديانات السماوية التي سبقته، فهو صورة من صور الحق التي جاء بها الرسل عليهم السلام مناسبة لزمانهم، وكلما تغيرت الحاجة جاء طور من الديانة الجديدة يتفق في أصله ويختلف في فروعه تدرجاً مع الحاجات Needs، وتصديق اللاحق للسابق في أصل الوحدانية(سيد قطب1398هـ: 53-54).

* المواكبة والتطور العلمي والتكنولوجي: الهوية الثقافية الإسلامية هوية مستحدثة وداعية إلى الاستزادة العلمية والنفع العام، والانفتاح على الثقافات والحضارات الإنسانية الأخرى، فهي ليست منغلقة على نفسها؛ وإنما منفتحة بالأخذ والعطاء مع الآخرين بمنطق البحث العلمي الرصين، إذ أن الإسلام مبني على الصدق، ومرتكز على الحق، كما أنه يمثل دعامة وركيزة أساسية في نظام الحياة وصيغة ثابتة في بناء سلوك وقيم المجتمع الذي يقوم على محاربة الظنون والشكوك. ومن المعلوم أن العلم لا يتعارض مع الدين، وإنَّ الاعتماد على العلم في تثبيت الحقائق لا يتعارض مع قيم الدين الحنيف. فالأصل في الدين هو التأمل والتدبر في الكون والطبيعة، فإذا أراد الإنسان معرفة ربه عليه أن يتأمل في مظاهر وجوده ليضمن لنفسه السلامة، ويجد الطمأنينة والقدرة على الاحتمال. ففي الوقت الذي يمكن للإنسان أن يتأمل مظاهر وجود بالنظر إلى الطبيعة، إلا أن دعاة الغرب الأوروبي يدعونه إلى التفكير البدائي المبني على التصورات والاحتمالات والخيالات في تعريف الدين، وبناءً على تلك الأوهام اختار كل إنسان أو جماعة إلهاً يحبه ويخشاه، ومن هنا جاءت فكرة تعدد الآلهة، لأن فكرة الإله الواحد لم تأت ولم تستقر بعد، ومن خلاله سعى الإنسان البدائي أن يكون له عدد من الآلهة، فبدأ يرسمه على جدران الكهوف التي يعيش فيها، كما وضع له التماثيل والرموز ليواكب كل تطور حديث ومن هنا بدأ الإنسان يعمل على اختراع ما يعينه على مواكبة الحياة فبدأ بصنع عدد من الأدوات ليضمن لنفسه التوزيع العادل لمتطلبات حياته، وعلى ذاك المنوال بدأت التطور العلمي والتكنولوجي للاستزادة في المعرفة العلمية خاصة بعد ظهور فكرة عولمة الحياة الثقافية، وحينها أصبح الإنسان يتجول في عالم الاختراع والبحث عن كل ما يعينه على مسايرة حياته، وبمرور الزمن تطورت المعارف العلمية إلى نظريات فلسفية، وأصبح إعمال العقل هو القوة الفائقة والجبارة للسيطرة على العالم من حوله، فاكتشف أن للكون قوانين يمكن أن تساعده على الإبداع والابتكار، وله قابلية التعامل مع تكنولوجيا المعرفة، وأن كل نظرية لها قابلة التطور بصورة أكثر دقة وأوسع انتشاراً، ثم أدرك أن العلم يتغير وفق معطيات الزمان والمكان، لكن يظل الإيمان كما هو في

القلب. فالعلم نشاط نسبي والدين إحساس مطلق، فالإيمان هو ما وقر في القلب وصدقه العمل، لا يتغير لكنه يزيد وينقص مع تطور الاكتشافات الحديثة.

إنَّ كلمة علم(Science) في المنظور الغربي يشير إلى العلم التجريبي(Empirical)، أي العلم الذي يقوم ويرتكز على الخطوات المختبرية من ملاحظة وتجربة حتى يمكن إثبات صحته. فكل ما يمكن إخضاعه للعملية الاختبارية بواسطة الحواس يعتبر علماً عندهم، وما لا يمكن اختباره بواسطة الحواس لا يعتبر علماً. ومن هنا يصبح جلياً أن المنهج العلمي الغربي ينفي وجود أي عالم آخر لا تدركه الحوس. وكثيراً ما يطرح بعض التساؤلات من قبل المهتمين بالعالَمين عالَم العلم وعالَم الدين، ومن الطبيعي أن تختلف الأجوبة باختلاف العقيد والبيئة والثقافة. فعندما نتحدث عن الدين فإن هنالك من يصوب أمره لله عزّ وجلّ، ويبنى كل تصوراته بناءً على العقيدة الصحيحة، وهنالك من يبني تصّوراته بعيداً عن الحقائق العلمية. فالإجابة عن حقيقة العلاقة بين الدين والعلم يحتاج إلى دعوة مفتوحة للمسلمين وغير المسلمين بأن يصحوا من غفوتهم، وينظروا إلى القلوب الرصينة بعيداً عن تكالب الإعلام الغربي الذي ينتقص من أهمية الدين في حياة الإنسان، ويسعى الكثير من المؤسسات التعليمية للترويج باستحالة الالتقاء بين الدين والعلم. فالأمر في الحقيقة أكثر تعقيداً مما يدعيه هؤلاء المروجون، فإذا نظرنا إلى الديانتين اليهودية أو المسيحية نجد أنهما يصطدمان بفكرة التنزيه الفطري الذي فطر الإنسان على استحضاره حينما يفكر في الذات الإلهية. لذلك فإن تأثير قوة الله وتدخله في الكون تبين القدرة الفوقية على التنبؤ بما يحدث في النظام الكوني، وهذا ما يتعارض مع نظرية الفوضى العكسية. فالقانون الفيزيائي التي تتعلق بالجاذبية الأرضية مثلاً لا يمكن أن يكون بذاته المسبب لحدوث ظاهرة التجاذب، فالخالق هو الذي يوجه الأجرام السماوية على أن تتصرف وفقاً لقانون الجاذبية، لأن القانون يصف العلاقة ولا يسببها. فالحقيقة أن هذه الحجة هي من أقوى الحجج على الكمال المطلق لله عزّ وجلّ، فالكون كله محتاج إلى وجوده سبحانه وتعالى، وإلى قيامه عليه، فالقانون لا يجبره على التصرف، لقوله تعالى:{وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاء وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ}(الروم:25)، وعلى ذات النسق فإن تأثير الله عزَّ وجلَّ في الكون ليس محصوراً في احتمالات الكم أو التنبؤ حسب نظرية الفوضى كما يزعم(بلوكنغهورن)، ولكنه ماثل في كل زمان ومكان، ومن وراء القوانين والحقائق يأمر الكائنات أن تسير وفق مشيئته(فقيه2011 :33)، كما أمر النار أن تكون برداً وسلاماً على إبراهيم عليه السلام، لقوله تعالى:{قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلَاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ}(الأنبياء:69). فالسؤال الذي يطرح نفسه هل يمكن اثبات وجود أي قضية ميتافيزيقية "الله" أو قوة خارقة للطبيعة؟ قطعاً لا ... لأن الاثبات بطبيعته مادي يقوم على المشاهدة والتجربة والتمحيص، فالعلم بطبيعته مادي أي أنه ينطلق من الظواهر المادية ويفسرها بذاتها... فالمعرفة هي وسيلة لتفسير الطبيعة عبر الإدراك الذاتي؛ أي أنَّ الخروج عن الطبيعة يخالف طبيعة الاثبات لأن الاثبات بحد ذاته طبيعي. أما الدين ينطلق من تفسير الواقع، وتتحرك صوب المطلق بقوانين محكمة تعمل على تفسير جميع الظواهر الكونية وفق الأحكام الشرعية. فإذا كان العلم أساسه مادي، فالدين مادي وروحي فنظرة الدين للطبيعة نظرة مثالية تقوم على إضافة جوهر روحي محرك للظواهر الطبيعية من الخارج، أما العلم فهو يقوم على القبول والتمحيص للظواهر الطبيعية وتفسرها من الداخل بصورة منطقية... ويتجلل ذلك بين سطور الإسلام والمسلمين فيقال "العلم نور". وعلى هذا المنوال فالدين مؤسسة اجتماعية يفرق بين الحق والباطل، وبين العادل والظالم، فكم من وضيع رفعه العلم، فلولا العلم لما آمن الناس ولم يتعوذوا من شر الوسواس الخناس. فالقلوب لا تؤمن إلا عندما تصدق العقول، وعليه، يستخدم الدين العلم النافع حجة للعباد وطريقاً للسداد، ومعياراً لتقييم المعارف السلوكية والأخلاقية. فالإسلامَ في جانب الإعجاز العِلمي تضمن حقائقَ علمية، لم يدركْها المسلمون في القرون الأولى، فيما كشفتْ عنها العلومُ الحديثة بصورة تكشِف عن التطابُق التام بين حقائقه وبيْن النتائج العِلمية الحديثة، الأمر الذي بَهَر المنصِفين من علماء الغرْب، فاستسلموا لحقيقتِه وآمنوا به، بناءً على أنَّ كثيراً مِن النصوص القرآنية

والأحاديث النبوية، تُشير إلى حقائقَ عِلميَّة لم تكن معروفةً للناس وقتَ نزول القرآن، وقد كشفت عن صحَّتها حديثاً؛ مصداقاً لقوله تعالى:{ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ}(سبأ:5-6). وقدْ صنَّف العالِم الفَرنسي "موريس بوكاي" كتاباً في المقارنة بين الكُتب المقدَّسة وبيْن العلم الحديث فخرَج بنتيجةٍ مذهِلة؛ إذ كشَف عن التناقضات الكثيرة بيْن نصوص التوراة والإنجيل وبيْن الكشوفات العلميَّة الحديثة، الأمر الذي لا يوجد في آياتِ القرآن الكريم بل العكس تمامًا؛ فقد ذهل بمدى التوافُق والتناسق بين الحقائق التي أشار إليها القرآنُ الكريم، وبيْن ما توصَّل إليه العلماءُ في جميع العلوم التجريبيَّة"(موريس بوكاي، 1398ه:11). ولهذا الغرَض دعا القرآن الكريم إلى استعمال التفكير السليم في الكشف عن الحقائق العلمية الآنية والمستقبلية، فدعوة القرآن إلى استخدامِ الإنسان لملكاتِ تفكيره أمرٌ صريح لا يحتاج إلى تأويل، فالعقل مِن مقاصد الشرع، ومِن وظائف العقْل والتفكير في منظورِ الإسلام، أنَّه قضى على الخُرافات، وأبْطَل الكهانة والشعوذة، وركَّز على المسؤوليَّة الفردية كتركيزه على المسؤولية الجماعية، وجعل الأمن على العقل مِن المقاصِد الضروريَّة، ووَفْقَ ذلك كفَل الإسلام المناخَ الخصب للعقل ليتأمل ويعي ويفكِّر ويفهم... فوظيفة العقْل في الإسلام هي أساسُ معنى الفِكر الحر، والتأمُّل في الكون تأكيداً؛ لقوله تعالى:{ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}(الجاثية:13)، فالآية تُشير إلى ممارسة الإنسان لوظيفةِ عقْله، ومزاولة نشاطِه المادي والرُّوحي بصورة تكفل له وضع المعايير الموضوعية لتفسير الأشياء من حوله. فالتفكير في الكون وما خلَق الله تعالى، أمرٌ جوهري مقصود، فلابدَّ للإنسان أن يمارسَ دورَه ومسؤوليته، والمقياس في ذلك هو العقلُ السليم، فلا يَنبغي أن يبقى الإنسان مكتوفَ اليدين، فعليه التدبُّر والتفكير باستخدام العقْل، وألاَّ يقِف من الكون موقفَ اللامبالاة، فيحسن تأمُّله ويبْحث فيه ليستفيدَ منه، والاستفادة مِن هذه المسخَّرات في الكون لا تكون إلاَّ بالدِّراسة المتأنية بعيداً عن التفسير الموضوعي للظاهرة الكونية. وما هذا إلا دعوة منه أي القرآن الكريم إلى النظرِ في حقيقة الوجود، باستخدام النَّظَر الحِسي والحواس، لكل من يقَع ثقلُ البحث والتأمُّل والتجريب، والدعوة إلى التبصُّر بحقيقة وجود الكون وانتهاءً بآفاق النَّفْس ... كما أعطى (للحواس) مسؤوليتَها الكُبرى عن كلّ خُطوة يخطوها، لقوله تعالى:{وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولًا}(الإسراء:36)،وقال تعالى:{فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ}(الطارق:5). فلمَّا استجاب المسلمون لهذه الدَّعوة، ونظروا إلى الكون ومباحِث الطبيعة، وفقًا للمنهج الذي حدَّده المولى عزَّ وجلَّ، كانتْ نتيجة ذلك أنْ نبغ في الإسلام عظماء جمعوا بين الحِكمة والشريعة، ونظَّموا بين الحديث. وهذا الأمرُ في مقابل الجمود الذي عاشَه الغرب الأوربي من المستشرقين والمنصرّين غير المنصفين الذين يرفُضون ويحاربون كلَّ علم يعتدُّ فيه بالكتاب والسُّنة. فالنظم الإسلامية هو عبارة عن ثورةٌ علمية ومعرفية كل من يخالف مقاصد التشريع الإسلامي، ويقطعُ كل العلائق التي لا تمد الحقائق الدينية بصلة، كما أنه حضارة مسايرة للتمدُّن والتقدُّم، أيضاً أنه يناسب الإنسان العصري، ويفتح الآفاقَ أمام عقل الإنسان نحو تطور علومه الآنية والمستقبلية، وتنمية قُدراته الإبداعية والابتكارية.

* التوازن والاعتدال: تمتاز الهوية الإسلامية بخاصية التوازن بين الجانب الروحي، والجانب المادي، فلا تفريط ولا إفراط، ولا غلو بغير وجه حق، ولا اندفاع في نهور، وإنما هو الاعتدال الذي من صميم العدالة التي تقوم في إطار موازين القسط. إن التشريع الإسلامي ينفرد بخصائص لا يمكن تصورها في القوانين الوضعية، مثل: السمو الأخلاقي والديني الذي يمنع الناس من الوقوع في الجريمة، ويعاقب على الجريمة بالترك. كما يتميز أيضاً بإيجاد التوازن بين المنطق القانوني للنظام السائد، وبين مصالح البشر، لأن القاعدة القانونية هي وليدة التفاعل المستمر بين المنطق القانوني للنظام وبين مصالح الإنسانية. وهنا نلاحظ قابلية التشريع الإسلامي للتجديد المستمر، وليس التبديل أو التغيير. أما شبهة المستشرقين وما سواهم من أن التشريع الإسلامي وأحكامه مستمد من القانون الروماني فهذه شبهة أصبحت عتيقة لم تبق

في حاجة إلى أن يهتم المحققون في جمع الأدلة على دحضها، ذلك لأن المستشرقين المنصفين منهم قد أغنونا عن دفعها بما كتبوا هم، وبينوا في هذا الشأن وقرروا أن للتشريع الإسلامي أصل مستقل بأصوله، وهو الوحي السماوي، الذي لا يقبل التبديل أو التغيير، فالزعم بأنه مستمد من القانون الروماني، هي خرافة تدل على عدم معرفتهم بالإسلام. فالعدالة وإزالة الفوارق بين الأفراد والجماعات بعيداً عن الازدواجية تحقق المودة والسرور في بناء العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية بين الأمم والشعوب. وقد أرسى ﷺ هذه القاعدة في بناء دولته في المدينة المنورة، على أساس العيش المشترك. فالمجتمع العادل هو الذي يملك من القوانين والنظم ما يسهل لكل فرد أن يحقق مطلوبات حياته دون عناء أو مشقة.

الخاتمة

أكدت الدراسة أن فكرة العولمة الثقافية في الغرب الأوروبي قد بدأت في ظل استقلال التقدم التكنولوجي للتأثير على الرأي العام العالمي لخلق بيئة صالحة لتنفيذ أهداف السياسة الخارجية لكل دولة، من خلال صنع القرارات الدولية للحفاظ على مصالحها بناءً على تطوير سياستها الخارجية، اعتماداً على المنظمات والجمعيات التي تعمل في مجال المساعدات الإنسانية، وهذا ما يسمى بالانفجار الإعلامي Information Explosion. وبهذه الصياغة فقد اهتم الغرب بالعولمة الثقافية كوسيلة من وسائل تحقيق الأهداف الاستراتيجية من خلال تحقيق المصلحة الوطنية للدولة المسيطرة عليها، كذلك تكييف الرسائل الدعائية بين المؤسسات الإعلامية، والمساهمة في تحقيق أهداف المنظمات الدولية التي تسعى جادة في خلق عدم التوازن بين القوميات، والحفاظ على الأمن القومي للغرب، والاهتمام بالقضايا المثيرة دولياً، ومعالجة بعض القضايا المؤثرة في الاستقرار والامن الدوليين.

أهم التوصيات

1. ضرورة إبراز دور البناء النفسي للأفراد والجماعات.
2. ضرورة توحيد المواعين العربية ممثلة في توحيد الخطاب الإعلامي والديني الذي يحقق الأهداف والغايات التي يستمد من تعاليم ديننا الحنيف، وأعرافنا وتقاليدنا التي تتوافق وتتماشى مع ثقافتنا الإسلامية.
3. تفعيل دور الدبلوماسية العربية والإسلامية في مخاطبة التحديات والتهديدات التي تواجه قيم الثقافة الإسلامية، لتحقيق مفهوم التفاهم والتفاعل الدولي اللذان يشكلان محور التحول الثقافي بين الانظمة التقليدية والدولية التي تسعى للحفاظ على صداقة الصديق والحصول على تعاون المحايدين، وبتعبير آخر التخلص من ثقافة خطاب الكراهية، وتحطيم الروح المعنوية للغرب الأوروبي.
4. صياغة المناهج الدراسية بمفردات تساعد على بسط قيم الثقافة الإسلامية.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

السنة النبوية

ابن الحجاج، أبو الحسن مسلم النيسابوري(1400هـ)، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، رئاسة إدارة البحوث العلمية، الرياض، ط2.

أبو عنزة، محمد عمر أحمد(2011). واقع إشكالية الهوية العربية بين الأطروحات القومية والإسلامية "دراسة من منظور فكري"، رسالة للحصول على درجة الماجستير، جامعة الشرق الأوسط، كلية الآداب والعلوم، قسم العلوم السياسية، 2011م.

الخطيب، عزالدين التميمي(1984م)، نظرات في الثقافة الإسلامية، عمان الأردن، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ط1.

الخولي، أسامة أمين(1998م)، العولمة والعرب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.

دراز، عبدالله(1949م)، القانون الدولي في الإسلام، المجلة المصرية للقانون الدولي، ط1.

زروق، عبد الله حسن(بدون تاريخ)، العولمة والعالم الإسلامي، رسائل الحركة الإسلامية.
السيد صالح، سعد الدين(1989م)، التبشير الصليبي، دار الأندلس، القاهرة، ط1.
سيد قطب،(1398هـ)، خصائص التصور الإسلامي، بيروت، دار القرآن الكريم للطباعة، ط1.
الطبري، أبو جعفر (1974م)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق محمود شاكر – دار المعرفة، القاهرة، ط1.
العسقلاني، ابن حجر(1400هـ). فتح الباري في شرح صحيح البخاري. دار الجيل، بيروت، ط2.
عليان، شوكت (1401هـ). محمد الثقافة الإسلامية وتحديات العصر، دار الرشيد الرياض، ط1.
فقيه، عدنان محمد(2011م)، العلم والدين، مكتبة الأمل، الكويت، ط1.
محزون، محمد(2000م). العولمة بين منظورين، مجلة البيان.
مدكور، إبراهيم(1983م)، المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، مصر، ط1.
موريس بوكاي(1398ه)، التوراة والانجيل والقرآن والعلم، ترجمة العديد من الدعاة بإشراف مجلة الفكر الإسلامي، دار الفتوى اللبنانية، بيروت، ط1.
هانتغتون، صموئيل(بدون تاريخ)، الإسلام والغرب، ترجمة مجدي شرشر، مكتبة وهبة، القاهرة، ط2.

Andrew Defty, Britain, America and Anti-Communist Propaganda 1945-1953: The Information Research Department, 2007.
Serno kennth,K, (1970). Foundation of communications. Harper.

برنامج تدريبيّ قائم على استراتيجيّة الفصل المقلوب في إكساب الطّلبة مهارات تصميم برامج تعليميّة تفاعليّة

الاسم: د. غنى محمد جهاد موسى
مكان العمل: كلية التربية- جامعة دمشق
ghenamo490@gmail.com
00963932061596

الملخص

هدف البحث إلى تعرّف فاعليّة برنامج تدريبيّ قائم على استراتيجيّة الفصل المقلوب في إكساب الطّلبة مهارات تصميم برامج تعليميّة تفاعليّة. وتحقيقاً لهذا الهدف، استُخدم المنهج الوصفيّ التحليليّ، والمنهج التجريبيّ، وتم بناء ثلاثة اختبارات أدائية مصحّحة ببطاقة ملاحظة مكونة من (62) بنداً، وطُبقت الأدوات على عيّنة من طلبة دبلوم تأهيل تربوي تخصص معلّم الصف؛مكونة من (54) طالباً وطالبةً، وُزعوا عشوائيّاً إلى مجموعتين متساويتين؛ الأوّلى تجريبيّة، والثانية ضابطة،وتم ذلك في عام (2022-2023) في كلية التربية بجامعة دمشق،وخلص البحث إلى النتائج الآتية:

-فاعليّة برنامج تدريبيّ قائم على استراتيجيّة الفصل المقلوب في إكساب طلبة دبلوم تأهيل تربويّ تخصّص معلّم الصّف مهارات تصميم برامج تعليميّة تفاعليّة،وفاعليّته أيضاً في درجة احتفاظ الطّلبة بالتعلّم.

-وجود فرق دال إحصائيّاً بين متوسطي درجات أفراد المجموعتين الضّابطة والتجريبيّة في التطبيق البعديّ للاختبارات الأدائيّة لصالح المجموعة التجريبيّة.

-وجود فرقٍ دالٍ إحصائيّاً بين متوسّطي درجات أفراد المجموعة التجريبيّة في التطبيقين القبليّ والبعديّ للاختبارات الأدائيّة لصالح التطبيق البعدي.

-عدم وجود فرقٍ دالٍ إحصائيّاً بين متوسّطي درجات أفراد المجموعة التجريبيّة، في التطبيقين البعديّ، والمؤجل للاختبارات الأدائيّة.

وبناءً على نتائج البحث قُدّمت مجموعة من المقترحات تتعلّق بتطبيق استراتيجيّة الفصل المقلوب على طلبة التعليم الجامعي لانسجامها مع واقع الطّلبة، وإكسابهم كفايات تفيد فيمتابعة تعلمهم مدى الحياة، وضرورة عقد دورات تدريبيّة للمعلّمين، وتزويدهم بالمهارات الضروريّة لتوظيف استراتيجيّات تدريسيّة حديثة، ومنها استراتيجيّة الفصل المقلوب، ومواكبة التطورات التعليميّة المتسارعة في تعلم يتمركز على المتعلم لا المعلم .

الكلمات المفتاحية: استراتيجيّة- الفصل المقلوب – مهارات – الطلبة - برامج تعليميّة تفاعليّة.

A training program based on the flipped classroom strategy to provide students with the skills of designing interactive educational programs

Dr. GHENA MHD JEHAD MOUSSA
Faculty of Education - Damascus University

Abstract

The research aimed to investigate the effectiveness of a training program based on the flipped classroom strategy in equipping students with interactive instructional design skills. To achieve this goal, a descriptive-analytical methodology and experimental approach were utilized. Three performance tests were constructed, consisting of 62 items, and the tools were administered to a sample of 54 students enrolled in a Diploma in Educational Qualification specializing in classroom teaching. The students were randomly divided into two equal groups: an experimental group and a control group. The research was conducted during the academic year (2022-2023) at the Faculty of Education, Damascus University. The research yielded the following results:

- The effectiveness of a training program based on the flipped classroom strategy in equipping students with interactive instructional design skills, as well as its effectiveness in enhancing students' learning retention.
- Statistical differences were found between the mean scores of the control group and the experimental group in the post-application of the performance tests, in favour of the experimental group.
- There was a statistically significant difference between the mean scores of the experimental group in the pre-and post-application of the performance tests, favouring the post-application.
- There was no statistically significant difference between the mean scores of the experimental group in the post-application and delayed application of the performance tests.

Based on the research findings, several proposals were presented regarding the implementation of the flipped classroom strategy in higher education to align with students' needs and equip them with lifelong learning competencies. It also emphasized the necessity of conducting training courses for teachers and providing them with the necessary skills to employ modern teaching strategies, including the flipped classroom strategy. Additionally, keeping up with the rapid educational developments that focus on the learner rather than the teacher was highlighted.

Keywords: strategy, flipped classroom, skills, students, interactive instructional programs.

- مقدمة:

مما لا شك فيه أن أفضل أنواع التعليم ذلك التعليم الذي يولد التشويق لدى الطالب للبحث عن المعلومة، واكتساب المعرفة، كما أنه يجعل العملية التعليميّة أكثر متعة وحيوية، مع القليل من المحاضرات التقليديّة، والكثير من المشاريع والمهمات التطبيقيّة في تعلّم يتمركز حول المتعلم لا المعلّم، فضلاً عن تسارع وتيرة التقدّم العلميّ والتقانيّ، فقد أصبحت التقنية جزءاً أساسياً من حياة الإنسان في الوقت الحاضر، ونتيجة لذلك اتجه التربويون لإحداث توازن بين النظام التعليميّ من جهة، والتطور والتقدم في مجالات الحياة من جهة أخرى، كما أصبح هناك اهتمام واضح بالطالب، وطرائق إكسابه المعارف، والمهارات، واختيار أفضل الأساليب واعتمادها لتكون جزءاً مهمّاً من العملية التعليميّة، وعليه فإن المؤسسات التربوية تحتاج إلى استراتيجيات تعليميّة حديثة تساعد الطالب على اكتساب المحتوى التعليميّ.

كما أثرت أزمة كورونا التي تعرض لها العالم في مختلف مجالات الحياة؛ إذ توقفت نتيجةً لتلك الأزمة الكثير من القطاعات الاقتصاديّة والاجتماعيّة، ويذكر تقرير لليونسكو (2020) إغلاق المدارس والجامعات في (165) بلداً في عام 2020، وأثر هذا في ما يفوق (1.5) مليار متعلّم ومتعلّمة أي (87%) من المتعلمين حول العالم، ونتيجةً لذلك لجأت الدول إلى التعلّم الإلكترونيّ، والتعلم من بعد من خلال التقنيّات المختلفة للتعلّم من بُعد" (اليونسكو، 2020). وعليه فالمعلّم اليوم لم يعد محصوراً بمكان أو زمان معيّن، إذ فسحت التكنولوجيا المجال للتعلّم والإبداع من خلال ما وفّرته من برامج، وتقنيّات،وأدوات عدة "فاليوم أصبح تعليم الجانب العمليّ أو المهاريّ أمراً ممكناً وليس فقط الجانب المعرفيّ عبر مختلف التطبيقات" (صيام، ودوبا، 2020، ص 13).

وبما أنّ الطّلبة المعلّمين هم معلّمو المستقبل، والعنصر الفعّال في العمليّة التعليميّة، كان من الضروري إعدادهم وتدريبهم على دمج المستحدثات التكنولوجيّة في التعليم؛ إذ بات إتقان مهارات تصميم البرامج التعليميّة عموماً،والتفاعليّة خصوصاً من المتطلبات الأساسيّة في برامج إعداد المعلّمين، وتأهيلهم أكاديميّاً ومهنيّاً، فقد أكّدت توصيات المؤتمر الإلكترونيّ الثالث بعنوان "التعلّم الإبداعيّ في العصر الرقميّ" المنعقد في الجامعة المصريّة للتعليم الإلكترونيّ (نيسان، 2016) ضرورة تطوير أداء المعلّم ليكون قادراً على نقل المتطلّبات العلميّة، ومستجداتها بالتقنيّات المناسبة، التي تنعكس على المخرجات التعليميّة، كما جاء أيضاً في توصيات مؤتمر التطوير التربويّ بعنوان "رؤية تربويّة مستقبليّة لتعزيز بناء الإنسان والوطن" المنعقد في دمشق بتاريخ (26-28 أيلول/ 2019)، "ضرورة إدراج مهارات القرن الحادي والعشرين في برامج إعداد المعلّم والمدرّس بمؤسسات التعليم العالي، وتعزيزها في أثناء الخدمة".

وعلى ذلك أصبح لزاماً تطبيق استراتيجيات تعليميّة أكثر تأثيراً وعمقاً، تنقل المتعلم من التعليم إلى التعلم، منها استراتيجيّة الفصل المقلوب التي تعد من الاستراتيجيّات المهمّة في القرن الحادي والعشرين، فهي جسر ينقل المتعلمين من النمط التقليديّ للتعليم إلى نمط تعليمي معاصر يتم فيه التركيز على المتعلّم.

2- مشكلة البحث: لاحظت الباحثة من خلال عملها في مجال التدريس، وإشرافها على زمر التربية العمليّة في كليّة التربية، أن استخدام الحاسوب وبرامجه بوصّفه تقنيّة تستخدم في التصميم التعليميّ لا تُنجَز بالصورة المرجوّة منها، وفق مواصفات ومعايير التصميم التعليميّ الإلكترونيّ التفاعليّ، في عصر يتّسم بالتطوّر المتسارع لتقانة التعليم.

كما أظهرت نتائج دراسات عدّة وتوصياتها ضرورة إكساب الطّلبة والمعلّمين مهارات التصميم التعليميّ، ودمج التكنولوجيا في التعليم منها دراستي (سلامة، 2015؛ وأمين، 2020)، كما أوصت دراستي (العالم والعمراني،2020؛ وموسى، 2020)، بضرورة الاهتمام بمهارات التصميم التعليميّ الإلكترونيّ؛ ومنها تصميم الدروس الإلكترونيّة التفاعليّة، والبرامج التعليميّة الحاسوبيّة، وتفعيل ذلك في الجانب العمليّ للمقررات الدراسيّة.

ومن خلال دراسة استطلاعيّة قامت بها الباحثة على مجموعة من طلبة دبلوم تأهيل تربوي تخصّص معلّم الصف بلغت (22) طالباً وطالبةً لاستطلاع آرائهم نحو تصميم برامج تعليميّة تفاعليّة، ومدى معرفتهم بمهارات التصميم التعليميّ التفاعليّ، وجدت أن نسبة (95.45%) من الطّلبة ليس لديهم معرفة بهذه المهارات، ولا يمتلكون مهارات استخدام برنامج (Articulate Storyline)، ولديهم رغبة في اكتساب هذه المهارات، كما أن نسبة (90.90%) منهم لم يقوموا بتصميم برامج تعليميّة تفاعليّة من قبل، ونسبة (86.36%) من الطّلبة اتّفقوا على أنّ توظيف الحاسوبفي العمليّة التعليميّة يؤدّي إلى إثارةِ دافعيّةِ الطّلبة، وتشويقهم لموضوعاتِ الدراسةِ،ويوفر الوقت والجهد.

وما سبق كلّه يعدّ دليلاً على احتياج طّلبة دبلوم تأهيل تربوي اختصاص معلّم الصف للتدريب على مهارات تصميم برامج تعليميّة تفاعليّة، وفق مواصفات ومعايير التصميم، وهذا ما دفع الباحثة وعزّز عملها في تطبيق استراتيجيّة الفصل المقلوب التي تقوم على دمج طرائق التعلّم النشط، وتزيد من تفاعل الطّلبة داخل القاعة الدراسيّة من خلال تطبيق الأنشطة، والمهمّات التدريبيّة الجماعيّة، والفرديّة، فضلاً عن أن الطالب في هذه الاستراتيجيّة أصبح باحثاً، ومستخدماً للتكنولوجيا بفعّالية عن طريق التعلم خارج قاعة الدراسة، وذلك في محاولة لعلاج مشكلات تعلّم مهارات تصميم برامج تعليميّة تفاعليّة لدى الطّلبة، وتحسين المستوى المعرفيّ بالبرامج الحاسوبيّة الحديثة، لمواكبة التطور التقنيّ، لعلّه يكون حلاً من بين حلولٍ كثيرةٍ قد يطرحها الباحثون لعوز إكساب مهارات تصميم برامج تعليميّة تفاعليّة لدى طلبة دبلوم تأهيل تربويّ تخصص معلّم الصف. وبذلك تتحدد مشكلة البحث في السؤال الآتي: ما فاعلية برنامج تدريبي قائم على استراتيجية الفصل المقلوب في إكساب طلبة بلوم تأهيل تربوي تخصّص معلّم الصف مهارات تصميم برامج تعليميّة تفاعليّة؟

3- أهميّة البحث: تكمُنُ أهميّة البحث الحاليّ في النقاط الآتية:

3-1- يؤمل أن يعزز اتجاه القائمين على العملية التعليميّة نحو أهمية استخدام استراتيجيّة الفصل المقلوب، ودورها الفعال في الانتقال بالطالب من ثقافة التعليم إلى ثقافة التعلّم.

3-2- يؤمل أن يساعد على التغلب على التحديّات التي تواجه الطلبة والمعلّمين على حد سواء.

3-3- يتماشى مع توجهات وزارة التربية نحو تحسين مخرجات التعليم، وتدريب المعلّمين على مهارات تصميم برامج تعليميّة تفاعليّة.

3-4- يعدّ البحث من الأبحاث التطويرية في مجال تصميم برامج تفاعليّة.

3-5- يتوقع أن يُسهم في الإعداد المهنيّ لطلبة دبلوم تأهيل تربويّ تخصص معلّم الصف بجامعة دمشق وذلك بإكسابهم مهارات تصميم برامج تعليميّة تفاعليّة.

4 - أهداف البحث: هدف البحث الحاليّ إلى:

4-1- تعرّف المهارات الأساسيّة والفرعيّة المتعلّقة بتصميم برامج تعليميّة تفاعليّة باستخدام برنامج (Articulate Storyline).

4-2- تعرف طبيعةُ البرنامج التدريبيّ القائم على استراتيجيّة الفصل المقلوب المستخدم في إكساب الطّلبة المعلّمين مهارات تصميم برامج تعليميّة تفاعليّة.

4-3- تعرف مراحل التصميم المتّبعة لإعداد البرنامج التدريبيّ القائم على استراتيجيّة الفصل المقلوب المستخدم في إكساب الطّلبة مهارات تصميم برامج تعليميّة تفاعليّة.

4-4- قياس فاعليّة البرنامج التدريبيّ القائم على استراتيجيّة الفصل المقلوب في تدريب الطّلبة (عيّنة البحث) على مهارات تصميم برامج تعليميّة تفاعليّة باستخدام برنامج (Articulate Storyline).

4-5- قياس فاعليّة البرنامج التدريبيّ القائم على استراتيجيّة الفصل المقلوب في درجة احتفاظ الطّلبة بالتعلّم.

5-حدود البحث:

5-1-الحدود العلميّة:المهارات الأساسية والفرعيّة لتصميم برامج تعليميّة تفاعليّة باستخدام برنامج (Articulate Storyline).

5-2- الحدود البشريّة: عيّنة من طلبة دبلوم تأهيل تربوي اختصاص معلّم الصّف في كلية التربية بجامعة دمشق.

5-3- الحدود الزمانيّة: طُبقت أدوات البحث في الفصل الثاني من العام الدراسي 2022– 2023.

5-4- الحدود المكانيّة: طُبقت أدوات البحث في كلية التربية بجامعة دمشق.

6- فروض البحث: تم اختبار فروض البحث عند مستوى الدلالة (0.05).

6-1- لا يوجد فرقٌ ذو دلالة إحصائيّة بين متوسّطي درجات أفراد المجموعة التجريبيّة في التطبيقين القبليّ والبعديّ للاختبارات الأدائيّة.

6-2- لا يوجد فرقٌ ذو دلالةٍ إحصائيّة بين متوسّطي درجات أفراد المجموعة التجريبيّة، وأفراد المجموعة الضّابطة في التطبيق البعديّ للاختباراتا لأدائيّة.

6-3- لا يوجد فرقٌ ذو دلالةٍ إحصائيّة بين متوسّطي درجات أفراد المجموعة التجريبيّة في التطبيقين البعديّ، والمؤجّل للاختبارات الأدائيّة.

7- دراسات سابقة:

7-1- دراسات عربية:

أنجز سلامة (2015) رسالة ماجستير في الجمهورية العربيّة السوريّة هدفت إلى تعرّف فاعليّة البرنامج التدريبيّ القائم على استراتيجيّة التعلّم المدمج في إكساب طلبة معلّم الصف مهارات دمج التكنولوجيا في التعليم، وتحديد مدى قدرة البرنامج في تحقيق الاحتفاظ بالتعلّم لدى الطّلبة مقارنة بالطريقة التقليدية، وتعرف اتجاهاتهم نحوه.ولتحقيق ذلك اعتُمد المنهج الوصفيّ التحليليّ، والمنهج التجريبيّ، وتكونت العيّنة من (51) طالباً وطالبةً من طلبة معلّم الصف سنة ثالثة في كلية التربية، بجامعة دمشق

للعام الدراسي 2014-2015، واختيرت بطريقة قصديّة، ولتحقيق أهداف الدراسة استُخدم اختباراً معرفياً، واختباراً أدائيّاً، وبطاقة الملاحظة، زخلُصت نتائج الدراسة إلى فاعليّة البرنامج التدريبيّ القائم على استراتيجيّة التعلّم المدمج في إكساب الطّلبة الجانبين المعرفيّ والأدائيّ لمهارات دمج التكنولوجيا في التعليم، وفي احتفاظ أفراد المجموعة التجريبيّة بالمعلومات، وبقاء أثر التعلّم.

كما أنجز محمد (2018)، دراسة في فلسطين هدفت إلى معرفة أثر استخدام استراتيجيّة الفصل المعكوس في تدريس الجغرافيا على التحصيل المعرفي، وتنمية بعض المهارات الجغرافيّة لدى طالبات الصف الأوّل الثانوي الأزهري، واعتُمد المنهج شبه التجريبيّ، واستخدمت قائمة بالمهارات الجغرافيّة المستهدفة، وبيئة تعلّم باستراتيجيّة الفصل المعكوس، واختبار تحصيلي في الوحدتين المختارتين، واختبار في المهارات الجغرافيّة، وقُسمت العيّنة إلى مجموعتين متساويتين؛ مجموعة ضابطة ومجموعة تجريبية تكونت كل مجموعة من (30) طالبةً من طالبات معهد الغريزات الثانوي الأزهري للعام الدراسيّ 2017/ 2018، وخلصت نتائج الدراسة إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائيّة بين متوسطات درجات الطالبات في التطبيق البعديّ لاختباري التحصيل المعرفيّ، والمهارات الجغرافيّة لصالح المجموعة التجريبيّة، كما كان حجم الأثر لهذه الاستراتيجيّة كبيراً.

وأنجزت العالم والعمراني (2020)، دراسة في فلسطين هدفت إلى قياس مدى فاعليّة الفصل المعكوس والويب كويست في اكتساب مهارات تصميم المحتوى الإلكترونيّ التفاعليّ لدى طالبات كلية التربية بالجامعة الإسلاميّة بغزة، واعتُمد المنهج شبه التجريبيّ ذو المجموعتين المستقلتين، واستخدمت الباحثتان بطاقة تقييم منتج كأداة للدراسة، وتكونت العيّنة من (34) طالبةً من طالبات كليّة التربية، وخلصت نتائج الدراسة إلى عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائيّة بين متوسطيّ طالبات المجموعة التي تم تدريبها باستخدام الفصل المعكوس، وطالبات المجموعة التي تم تدريبها باستخدام الويب كويست في اكتساب المهارات، كما تبين فاعلية الفصل المعكوس والويب كويست في اكتساب مهارات تصميم المحتوى الإلكترونيّ التفاعليّ.

وأنجزت سلام (2020)، دراسة في المملكة العربيّة السعودية هدفت إلى الكشف عن فاعليّة استراتيجيّة الصف المقلوب في تنمية التحصيل والتفكير البصري في مقرر التربية الأسريّة لدى طالبات المرحلة المتوسطة، واعتُمد المنهج الوصفيّ، والمنهج شبه التجريبيّ، واستُخدم اختبار تحصيليّ، واختبار التفكير البصري كأدوات للدراسة، وتكونت العيّنة من (64) طالبةً من طلاب المرحلة المتوسّطة، مقسّمة إلى مجموعتين متساويتين (تجريبية، وضابطة)، وخلصت نتائج الدراسة إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائيّة بين متوسطيّ درجات الطالبات في التطبيق البعديّ لاختبار التفكير البصريّ في التربية الأسريّة للصف الأوّل المتوسط لصالح طالبات المجموعة التجريبيّة، كما كان للاستراتيجيّة فاعليّة كبيرة.

وأنجزت موسى (2021)، دراسة في الجمهورية العربيّة السورية هدفت إلى قياس فاعليّة التعليم المدمج في تنمية تحصيل معلّمي الحلقة الأوّلى من التعليم الأساسي لخبرات تصميم العروض التقديمية، واعتُمد المنهج التجريبيّ، ولتحقيق ذلك تم تصميم برمجية حاسوبية تفاعليّة، وبناء اختبار تحصيلي مكون من (27) سؤالاً، وتكونت العيّنة من (20) معلّماً ومعلّمةً من معلّمي الحلقة الأوّلى من التعليم الأساسي في الفصل الأوّل من عام 2019-2020 في مدينة دمشق، وخلصت نتائج الدراسة إلى فاعليّة التعليم المدمج في تنمية تحصيل المعلّمين لخبرات تصميم العروض التقديمية، ووجود فرق ذو دلالة إحصائيّة بين متوسطي درجات أفراد عيّنة البحث في الاختبارين القبلي والبعدي، لصالح التطبيق البعدي، ووجود

فروق ذات دلالة إحصائيّة بين متوسطات درجات أفراد عيّنة البحث تعزى لمتغير "عدد سنوات الخبرة" لصالح المعلّمين ذوي الخبرة الأعلى.

كما أنجزت الغامدي (2021)، دراسة في المملكة العربيّة السعوديّة هدفت إلى الكشف عن فاعليّة الصف المقلوب في تحقيق بعض نواتج تعلم العلوم، وكذلك الكشف عما إذا كانت فاعليّة الصف المقلوب تختلف باختلاف المتغيرات التابعة؛ المرحلة الدراسية، ومجال الدراسة، واعتُمد أسلوب التحليل البعدي لنتائج الدراسات السابقة ذات العلاقة والتي استخدمت الصف المقلوب في تدريس العلوم في الفترة ما بين عامي 2015- 2021، وتكونت العيّنة من (28) دراسة أولية انطبقت عليها معايير التضمين والاستبعاد، وخضعت للتحليل، وخلصت الدراسة إلى تأثير مرتفع للصف المقلوب في تحقيق بعض نواتج تعلم العلوم وفقاً لنموذج التأثيرات العشوائية بلغت (2.25)، ووجود تأثيرات متشابهة للصف المقلوب في تحقيق بعض نواتج تعلم العلوم بغض النظر عن نوع المتغيرات التابعة.

7-2- الدراسات الأجنبية:

أنجز Pylman(Cilliers& 2022) ,دراسة في نيجيريا هدفت إلى استكشاف تجارب الطلاب وتصوراتهم للفصول الدراسية المقلوبة في إحدى جامعات جنوب إفريقيا، واعتُمد منهج المسح الكمي، ولتحقيق هدف الدراسة استخدم استبيان منظم يسمى "تصور الطالب لاستبيان التعليمات"، وتكونت العيّنة من (58) طالباً من طلاب الصف الحادي عشر من مدرسة ثانويّة حكوميّة، وقُسّمت إلى مجموعتين المجموعة الضّابطة وبلغت (30) طالباً والمجموعة التجريبيّة، وبلغت (30) طالباً مسجلين في دورة قاعدة البيانات على مدار أربعة أسابيع، وخلُصت نتائج الدراسة إلى أن الطلاب اعتبروا الصف المقلوب إيجابيًا وممتعاً.

وأنجز كل من (Obi Nja et al, 2022)دراسة في نيجيريا هدفت إلى الكشف عن موقف الطلاب تجاه الكيمياء، ومستوى التحصيل الدراسيّ للطلبة الجامعيين تخصّص تربية في فصل دراسيّ مقلوب، واعتُمد المنهج شبه التجريبيّ، ولتحقيق أهداف الدراسة استُخدم استبيان مكوّن من (30) بنداً للكشف عن موقف الطلاب تجاه الكيمياء، "، وتكونت العيّنة من (100) طالباً، وُزعوا إلى مجموعتين؛ تجريبيّة درست باستخدام استراتيجية الفصل المقلوب، وضّابطة درست باستخدام الطريقة المعتادة، وخلصت نتائج الدراسة إلى أن مستوى تحصيل الطلبة في المجموعة التجريبيّة، أعلى من مستوى تحصيل الطلبة في المجموعة الضابطة، وأن لاستراتيجيّة الفصل المقلوب أثر كبير في تحسين موقف الطلبة نحو مادة الكيمياء، بالإضافة إلى مناسبة الاستراتيجيّة لتعلّم وتدريس الكيمياء في المؤسّسات الثانويّة، والجامعيّة في الدول النامية.

وأنجز كل من (Huang et al, 2022) دراسة هدفت إلى قياس أثر دمج BSG في فصل دراسي مقلوب على مشاركة الطلاب (السلوكيّة، والعاطفيّة، والمعرفيّة)، وHOTS وإنجاز التعلّم، واعتُمد المنهج شبه التجريبيّ متعدد الأساليب، وتكونت العيّنة من طلاب جامعيين تخصص إدارة أعمال، وُزعت العيّنة إلى مجموعتين؛ ضّابطة استُخدمت استراتيجيّة الفصل المقلوب في تعليم أفرادها، وتجريبيّة استُخدمت استراتيجيّة الفصل المقلوب BSG في تعليم أفرادها، وخلصت نتائج الدراسة إلى وجود أثر كبير لاستخدام BSGs لزيادة مشاركة الطلاب (السلوكية، والمعرفية، والعاطفية)، وتعزيز مهارات HOTS الثلاثة (الإبداع، والتفكير النقدي، وحل المشكلات) في وقت واحد.

وأنجز كل من(Wei., et al.2022 ,) دراسة في الصين القاريّة هدفت إلى قياس أثر التعلّم الرياضي لطلاب المدارس المتوسّطة، واعتُمد المنهج شبه التجريبيّ، وتكونت العيّنة من (88) طالباً من طلاب الصف السادس في مدرسة ثانوية في الصين القاريّة، وُزعت العيّنة إلى مجموعتين؛ الأولى ضّابطة تم تدريس أفرادها باستخدام الطريقة التقليديّة، والثانية تجريبيّة تم تدريس أفرادها باستخدام استراتيجيّة الفصل المقلوب، خلُصت نتائج الدراسة إلى وجود أثر كبير لاستراتيجيّة الفصل المقلوب في التعلّم الرياضي للطلاب.

7-3- تعقيب على الدراسات السابقة وموقع البحث الحالي منها:

توصّلت الباحثة من خلال استعراضها للدّراسات العربيّة والأجنبيّة السّابقة إلى أنّ هذه الدراسات أُجريت في مدّة زمنيّة بين(2015-2022)، فكانت أولها دراسة (سلامة، 2015)، وآخرها دراسات كل من (Obi Nja et al, 2022؛ Haung et al, 2022 &؛Pylman Cilliers , 2022 , Wei., et al, 2022)؛وشمل مجتمعها بلاداً عربيّةً وأجنبيّةً. وكان الهدف من الدّراسات السّابقة إمّا تعرّف فاعليّة البرنامج التدريبيّ القائم على استراتيجية التعلّم المدمج في إكساب الطلبة مهارات دمج التكنولوجيا في التعليم، أو خبرات تصميم العروض التقديمية مثل دراستي (سلامة، 2015؛ وموسى، 2021)، أو قياس أثر التعلّم الرياضي للطلاب مثل دراسة (Wei, et al.2022 ,)، أو الكشف عن موقف الطلاب تجاه الكيمياء، ومستوى التحصيل الدراسيّ كما في دراسة ((Obi Nja et al, 2022)، وتنوعت المناهج التي اتُّبعت في الدراسات السابقة منها المنهج التجريبي مثل دراسة (موسى، 2021)، والمنهج شبه التجريبي مثل دراسة (Huang et al, 2022)، والمنهجين الوصفي التحليلي، والتجريبي مثل دراستي (سلامة، 2015؛ ومحمد 2018)، واستُخدمت الاختبارات الأدائية كأداة لتطبيق الدراسة كما في دراسة (سلامة، 2015)، بالإضافة إلى استخدام مقاييس أخرى في الدراسات. وتنوعت العينة بين طلبة التعليم الجامعي كما في دراسات (سلامة، 2015؛ والعالم والعمراني، 2020؛ Huang et al, 2022؛ Obi Nja et al, 2022)، وطلبة المرحلتين المتوسطة والثانوية مثل دراستي (محمد، 2018؛ وسلام، 2020)، ومعلمين مثل دراستي (موسى، 2021).

7-4- اختلاف البحث الحالي عن الدراسات السابقة:

تميّز البحث الحاليّ في موضوعه (برنامج تدريبيّ قائم على استراتيجية الفصل المقلوب لإكساب الطلبة مهارات تصميم برامج تعليميّة تفاعليّة)،وهذا الموضوع لمتتطرَّق إليه أي من الدراسات السابقة؛ إذ لم تعثر الباحثة على أية دراسة تجريبية طُبق فيها برنامج تدريبيّ قائم على استراتيجية الفصل المقلوب بوصفه متغير مستقل لإكساب عينة من طلبة دبلوم تأهيل تربوي تخصص معلم الصف، مهارات تصميم برامج تعليميّة تفاعليّة بوصفها متغير تابع، أي لم تعثر الباحثة - في حدود علمها- على أية دراسة تجريبية درست هذين المتغيرين معاً.

وأفادت الباحثة من الدراسات السابقة في إعداد الإطار النظريّ، واختيار عيّنة البحث، وبناء أدواته، ومناقشة نتائجه.

8- أدوات البحث:

8-1- البرنامج التدريبيّ القائم على استراتيجية الفصل المقلوب.

أدوات تقويم البرنامج:

8-2- اختبارات أدائية قبلية/ بعدية/ مؤجلة.
8-3- بطاقة ملاحظة قبلية/ بعدية/ مؤجلة.

9- منهج البحث: اعتمد المنهج الوصفي التحليلي، والمنهج التجريبيّ لمناسبته لطبيعة البحث.

متن البحث:

10- مجتمع البحث وعيّنته:

تكون المجتمع الأصلي للبحث من جميع طلاب دبلوم تأهيل التربوي تخصص معلّم الصف للعام الدراسي 2023/2022، وعددهم (79) طالباً وطالبةً. وتكونت عيّنة البحث من (54) طالباً وطالبةً ممن لديهم رغبة بالتعلّم، واختيرت بطريقة قصديّة من المجتمع الأصليّ للبحث من طلاب دبلوم تأهيل تربويّ اختصاص معلّم الصّف، في كلّية التربية بجامعة دمشق، ووُزعت العيّنة عشوائيّاً إلى مجموعتين متساويتين؛ المجموعة الأوّلى تجريبيّة؛ بلغ عدد أفرادها (27) طالباً طالبةً، واستُخدمت استراتيجيّة الفصل المقلوب في إكساب أفرادها مهارات تصميم برامج تعليميّة تفاعليّة، والمجموعة الثّانية ضابطة وبلغ عدد أفرادها (27) طالباً طالبةً، واستُخدمت طريقة التدريب المعتادة في إكسابهم المهارات ذاتها، وطُبقت التجربة الأساسيّة في العام الدراسيّ 2022/ 2023.

- **تصميم البرنامج التدريبيّ القائم على استراتيجيّة الفصل المقلوب:** تم الاطلاع على بعض نماذج التصميم التعليميّ في أدبيات تكنولوجيا التعليم، واختير نموذج التصميم العام (AIDDIE)، كونه أساس لكل نماذج التصميم، ويتكون من المراحل الخمس؛ هي: (التحليل، والتصميم، والتطوير، والتنفيذ، والتقويم).

خطوات بناء البرنامج التدريبيّ القائم على استراتيجية الفصل المقلوب وفق نموذج التصميم العام (AIDDIE):

المرحلة الأولى- مرحلة التحليل: تمثل هذه المرحلة حجر الأساس لمراحل تصميم التعليم كلِّها، وتتضمّن الآتي:

1-1- **تحديد الهدف العام للبرنامج التدريبيّ القائم على استراتيجية الفصل المقلوب:** حُدد الهدف العام للبرنامج التدريبيّ بإكساب طّلبة دبلوم تأهيل تربوي اختصاص معلم الصف مهارات تصميم برامج تعليميّة تفاعليّة باستخدام برنامج(Articulate Storyline).

2-1- **تحليل خصائص الطلبة المستهدفين**: حُللت خصائص الطلبة المستهدفين في البحث الحاليّ؛ هم طلبة من خريجي كليات مختلفة من الجامعات السورية تخصص معلم صف، التحقوا ببرنامج دبلوم تأهيل تربوي الذي قدمته كلية التربية بجامعة دمشق، وروعي التشابه والتقارب بين أفراد العيّنة من حيث العمر بين (23-25) عام، ومن حيث المعارف، ومستوى التحصيل العلمي؛ بمعدل جيد فما فوق في مرحلة الإجازة حسب ما أشارت إليه مفاضلة دبلوم تأهيل تربوي للعام الدراسي 2023/2022، وسبب اختيار العيّنة التجريبيّة من طلبة دبلوم تأهيل تربوي تخصص معلّم الصف هو تدني مستوى امتلاك الطّلبة لمهارات التصميم التعليميّ الإلكترونيّ بشكلٍ عام،واحتياجهم للتدرّب عليها كما بيّنتها دراسة (موسى، 2020)، ولديهم رغبة في التدرب على مهارات تصميم برامج تعليميّة تفاعليّة،بالإضافة إلى وجود مقرّر دمج التكنولوجيا بالتعليم في الفصل الثاني لبرنامج دبلوم تأهيل تربوي في كلية التربية بجامعة دمشق، وهذا المقرّر مناسب لتطبيق البرنامج التدريبيّ، فضلاً عن تمثيل الطّلبة لمجتمع أصلي يمتاز بوجود مقرري

(تقنيات التعليم، ودمج التكنولوجيا بالتعليم).وهؤلاء الطلبة مطالبون بتطوير مهاراتهم التقنيّة، واستخدامها في مهنة التعليم مستقبلاً.

المرحلة الثانية- التصميم (Design):

أولاً- تصميم البرنامج التدريبي القائم على استراتيجية الفصل المقلوب:

1- صياغة الأهداف العامة للوحدات والأهداف التعليميّة: تكوّن البرنامج التدريبيّ من خمس وحدات تدريبيّة، لكل وحدة هدف عام؛ تمثل الهدف العام للوحدة الأوّلبامتلاك مهارات تخطيط وإنشاء سيناريو جديد للبرامج التعليميّة التفاعليّة،والهدف العام للوحدة الثانية بامتلاك مهارات تصميم البرامج التعليميّة التفاعليّة، والهدف العام للوحدة الثالثة تمثل بامتلاك مهارات تنفيذ البرامج التعليميّة التفاعليّة،والهدف العام للوحدة الرابعة تمثل بامتلاك مهارات تطوير المؤثرات في البرامج التعليميّة التفاعليّة، بينما تمثل الهدف العام للوحدة الخامسة بامتلاك مهارات التقويم في البرامج التعليميّة التفاعليّة.كما تضمن البرنامج أهداف تعليميّة خاصّة لكل وحدة تعليميّة من وحدات البرنامج الخمس اشتقت من الهدف العام للوحدة ذاتها، وصيغت بشكل عبارات سلوكيّة، قابلة للملاحظة والقياس، ووزعت بحسب مستويات بلوم المطوّر (يتذكر، يفهم، يطبّق، يحلّل، يقوّم، يبتكر) الملحق (1).

2- تحديد مهارات تصميم برامج تعليميّة تفاعليّة:بالرجوع إلى الأدبيات المتعلقة بموضوع تصميم البرامج التعليميّة التفاعليّة، وبعد الاطلاع على المراجع الخاصة ببرنامج (Articulate Storyline)، تم تحديد المهارات الأساسية، والمهارات الفرعيّة المكونة للمحتوى التعليميّ في البرنامج التدريبيّ باستخدام برنامج (Articulate Storyline)،وهذه المهارات هي:

أولاً- مهارات الوحدة التدريبيّة الأولى:

1- المهارة الأساسية:مهارة تخطيط سيناريو تفاعلي جديد.

يتفرع عنها المهارات الفرعيّة الآتية: مهارة إنشاء مشروع جديد خال من النصوص والتنسيقات، وإنشاء مشروع جديد يحتوي على نصوص وتنسيقات التي أُنشئت مسبقاً، وإنشاء نماذج محاكاة لإحدى البرمجيات، وإدراج شريحة جديدة، وإعادة تسمية الوسائط، تنظيم الشرائح بواسطة لوحة (Story View)، إنشاء مكتبة الوسائط، إدراج عناصر خلفية الدروس،وضبط شريحة الماستر(Master Slide).

2- المهارة الأساسية: مهارة ضبط إعدادات الشرائح قبل وضع المحتوى التعليميّ التفاعليّ للتصميم الجديد.

يتفرع عنها المهارات الفرعيّة الآتية: مهارة ضبط طول الشريحة، وضبط عرض الشريحة، وضبط خلفية الشريحة، وضبط الخطوط المستخدمة على الشريحة.

3- المهارة الأساسية: مهارة ضبط إعدادات المشغل (Player).

يتفرع عنها المهارات الفرعيّة الآتية: مهارة إظهار القائمة،وإعداد المصطلحات،وإعداد الملفات المرفقة، وتحديد لغة الدرس في البرنامج، وإعداد الألوان والتأثيرات.

ثانياً- مهارات الوحدة التدريبيّ ة الثانية:

4- المهارة الأساسية: مهارة إضافة الوسائط المتعدّدة للمحتوى التعليميّ للبرامج التعليميّة التفاعليّة.

يتفرع عنها المهارات الآتية: مهارة إضافة نص (Text)، وإدراج أشكال (Shapes)، وإدراج صوت (Audio)،وتسجيل صوت (Audio)، وضبط الصوت من إعدادات قائمة (Option)،وإضافة شخصيّات (Characters)،وإضافة تعبيرات الوجه للشخصيّة (Expression)،وإضافة وضعيات الحضور للشخصيّة (Pose)، وإضافة صورة (Picture)،وتنسيق الصورة (Picture)،وإدراج مقطع فيديو (Video) مخزن بالحاسوب، وإدراج مقطع فيديو بلاحقة فلاش (Flash)،وإدراج مقطع فيديو من موقع انترنيتVideo from (Website)، وإدراج مقطع فيديو من تسجيلات الكاميرا،وإدراج وسيط من الانترنيت (Web Object).

5- **المهارة الأساسية**: مهارة التمييز بين أنواع المحتوى التعليميّ.

يتفرع عنها المهارات الفرعيّة الآتية: مهارة إدراج المحتوى التعليميّ الثابت، وإدراج المحتوى التعليميّ التفاعليّ.

6- **المهارة الأساسية**: مهارة إضافة المؤثّرات الحركيّة للمحتوى التعليميّ في البرامج التعليميّة التفاعليّة.

يتفرع عنها المهارات الفرعيّة الآتية: مهارة إدراج حركة انتقاليّة للشرائح،وإدراج حركة انتقاليّة للعناصر (Animations).

7- **المهارة الأساسية**: مهارة معاينة (Preview).

يتفرع عنها المهارات الآتية: مهارة معاينة الشريحة الحاليّة (This Slid)، ومعاينة المشهد بكامله (This Scene)،ومعاينة التصميم بكامل (Entire Project).

8- **المهارة الأساسية**:مهارة نشر المشروع (Publish).

يتفرع عنها المهارات الآنية: مهارة نشر المشروع (Publish) على الانترنيت، ونشر المشروع (Publish) على الانترنيت بموقع خاص بإدارة محتوى شركة البرنامج، ونشر المشروع (Publish) بشكل مباشر على أنظمة إدارة المحتوى LMS، ونشر المشروع (Publish) على قرص CD، ونشر المشروع (Publish) على شكل صفحات Word.

مهارات الوحدة التدريبيّة الثالثة:

9- المهارة الأساسية: مهارة إدراج طبقات تفاعليّة في الشريحة.

ويتفرع عنها المهارات الآنية: مهارة إضافة طبقات تفاعليّة في الشريحة Layers (Adding)، وإعادة تسمية الطبقات التفاعليّة في الشريحة.

10- المهارة الأساسية: مهارة تنفيذ التفاعليّة في الدروس المتضمنة في البرامج التعليميّة التفاعليّة.

ويتفرع عنها المهارات الآتية: مهارة إدراج زر تفاعليّ (Button) في الشريحة،وتنسيق الزر التفاعليّ (Button) من حيث (نمط، لون التعبئة)،وإضافة ارتباط تشعبيّ (Hyperlink) لنص مع موقع انترنيت،وإضافة ارتباط تشعبي (Hyperlink) لنص مع جهاز الحاسوب. وإدراج مشغّل تفاعليّ للوسائط (Triggers)،وإنشاء فيديو تفاعليّ،وإدراج مسار تفاعليّ للماوس (Mouse).

مهارات الوحدة الرابعة (التطوير):

11- المهارة الأساسية: مهارة بناء دليل أو محاكاة لبرنامج من خلال تسجيل فيديو (Video) من الشاشة، وتصميمه، وعرضه.

يتفرع عنها المهارات الآتية: مهارة تسجيل فيديو(Video) على شريحة واحدة، وتسجيل فيديو بطريقة المحاكاة خطوة بخطوة وعرضها بطريقة: عرض الخطوات، تجربة الخطوات، اختبار الخطوات، تصدير تسجيلات الشاشة.

12- المهارة الأساسية: مهارة إنشاء تمهيد للمحتوى التفاعليّ بواسطة إنتاج قصة إلكترونية قصيرة أو حوار.

يتفرع عنها المهارات الآتية: مهارة إدراج حالات تفاعليّة (للشخصياتStates)،وإدراج حالات تفاعليّة للأشكال،وإدراج حالات تفاعليّة للصور.

13- المهارة الأساسية: مهارة تصميم أنشطة مصورة ومسائل حسابية إلكترونية.

يتفرع عنها المهارات الآتية: مهارة مفكرة تفاعليّة (Notepad)،وتصميم متغيرات رقميّة تفاعليّة، وتصميم العمليات الحسابيّة التفاعليّة.

14- المهارة الأساسية:مهارة ترتيب أقسام التصميم التعليميّ بشكلٍ تفاعليٍّ.

يتفرع عنها المهارات الآتية: إنشاء قائمة تفاعليّة مخصّصة،وإنشاء قائمة تفاعليّة منسدلة.

مهارات الوحدة الخامسة التقويم:

15- المهارة الأساسية: مهارة بناء التقويم والاختبارات الإلكترونية.

يتفرع عنها المهارات الآتية: مهارة تصميم تقويم مرحلي من نمط الاختيار المفرد (Pick One)، وبناء تقويم مرحلي مصور من نمط اختيار أكثر من إجابة صحيحة، وتقويم مرحلي إلكترونيّ تفاعليّ مصور من نمط النقاط الساخنة، وبناء اختبار اختيار المفرد التفاعليّ،وتصميم اختبار صح أو غلط، وتصميم اختبار التوصيل، وتصميم اختبار التوصيل من قائمة،وتصميم اختبار الأرقام،وتصميم اختبار النقاط التفاعليّة،وتصميم التغذية الراجعة والانتقال بين الشرائح،وإعادة ترتيب العناصر عند كل مرة يجيب فيها المتعلم عن السؤال، وضبط عدد محاولات الإجابة.

3- تحديد عناصر المحتوى للمهارات التعليميّة، وتجميعها في دروس ووحدات:كُتب محتوى تعليميّ شامل لكل مهارة من مهارات البرنامج. وقد روعي عند تصميم المحتوى إمكانات برنامج (Articulate Storyline) في التصميم التعليميّ التفاعليّ.ووُزّعت عناصر المحتوى التعليميّ على خمس وحدات تمثّل خمس وحدات تدريبيّة، وبذلك اشتمل المحتوى التعليميّ على الآتي:

- الوحدة الأوّلى: التخطيط، وإنشاء سيناريو لتصميم برامج تعليميّة تفاعليّة وفق برنامج (Articulate Storyline).

- الوحدة الثانية: تصميم وإدراج الوسائط المتعدّدة في البرامج التعليميّة التفاعليّة.

- الوحدة الثالثة: امتلاك مهارات تنفيذ البرامج التعليميّة التفاعليّة.

- الوحدة الرابعة: تطوير ميزة التفاعليّة في البرنامج التعليميّ التفاعليّ.

- الوحدة الخامسة: التقويم، وبناء الاختبارات الإلكترونيّة التفاعليّة في البرامج التعليميّة التفاعليّة.

تكونت كل وحدة من الوحدات التعليميّة في البرنامج من عنوان الوحدة التعليميّة، والهدف العام للوحدة التعليميّة، والأهداف التعليميّة الخاصة بالوحدة(صيغت بعبارات سلوكية قابلة للملاحظة والقياس)، والمحتوى المعرفي للوحدة يتضمن أسئلة تمهيدية عن المهارة،ثم خطوات تطبيق المهارة مع مثال تطبيقي، واختبار مرحليّ لكل مهارة، واختبار نهائيّ للوحدة)، وأنشطة مهاريّة داعمة للمحتوى المعرفيّ، وتقويم نهائيّ للوحدة التعليميّة.

ثانياً- تصميم الاختبارات الأدائيّة قبليّة/ وبعديّة/ ومؤجّلة: أُعدت ثلاثة اختبارات أدائيّة بهدف قياس أداء الطلبة لمهارات تصميم برامج تعليميّة تفاعليّة باستخدام برنامج (Articulate Storyline)، وتكوّن الاختبار الأدائي من ثلاثة اختبارات؛ الاختبار الأوّل اشتمل على (22) سؤالاً، والثاني اشتمل على (18) سؤالاً، والثالث اشتمل على (19) سؤالاً، وصُدّر كل اختبار بصفحة تضمّنت عنوان الاختبار،ومعلومات عن اسم الطالب، ودرجة الاختبار، وتعليمات الاختبار، ونص الاختبار الملحق (2)،وصيغت بنود الاختبارات الأدائيّة بشكل واضح، ورُتّبت في التّتابع المتوقّع أن يحدث عند العمل على المهارة.
وحُددت مستلزمات تنفيذ هذه الاختبارات؛إذ صممت الباحثة ملف المستلزمات المكون من صور،ومقاطع فيديو، وملفات صوت، ونصوص وذلك لكل اختبار على حدة، ووضعته في مجلدات، ونسخته على سطح المكتب لحاسوب كل طالب من طلاب العيّنة،وسُمّي المجلد بـ (مستلزمات الاختبار)، ورُقّمت المجلدات بأرقام الاختبارات التابعة لها، وتم تحديد محتوى الاختبارات الأدائيّة في ضوء قائمة أهداف البرنامج التدريبيّ ومهاراته، وذلك بعد أن تم الاطلاع على بعض الاختبارات المصمّمة لأغراض مشابهة.

- صدق الاختبارات الأدائيّة القبليّة/ البعديّة/ المؤجلة:

صدق المحكمين: عُرضت الاختبارات الأدائيّة مع بطاقات الملاحظة الخاصة بها على مجموعة من السّادة المحكّمين، بغية التأكد من قدرتها على قياس ما أعدّت لقياسه، وجاءت الملاحظات في تعديل الصّياغة اللّغوية لبعض البنود، وتم التعديل وفق الملاحظات.

ثالثاً- تصميم بطاقة ملاحظة الاختبارات الأدائيّة (القبليّة/ البعديّة/ المؤجلة): هدفت بطاقة الملاحظة إلى تعرّف مدى اكتساب الطّلبة (أفراد العيّنة) مهارات تصميم برامج تعليميّة تفاعليّة باستخدام برنامج (Articulate Storyline)،فهي بمثابة سلالم تصحيح للاختبارات الأدائيّة صُممت على شكل قوائم مراجعة بحيث يكون لكل بند من بنود الاختبارات مستويان (محقّق، غير محقّق)، ويُعطى المفحوص إذا أدّى المهارة بالشكل الصحيح درجة واحدة فقط (1)، وإذا لم يؤدِّ المهارة درجة الصفر (0)،وصيغت بنود بطاقة الملاحظة بحيث يمثّل كل بند أداءً مباشراً للمطلوب في الاختبار الأدائيّ، واشتملت على ثلاثة أجزاء يختص كل جزءٍ باختبارٍ أدائيّ من الاختبارات الأدائيّة الثلاثة؛ إذ اشتمل الجزء الأوّل على (22) خطوةٍ أدائيّةٍ، واشتمل الجزء الثاني على (20) خطوةٍ أدائيّةٍ، واشتمل الجزء الثالث على (20) خطوةٍ أدائيّةٍ الملحق (3)،وبالتالي تكون الدرجة العظمى للجزء الأوّل (22) درجة، والدرجة العظمى للجزء الثاني (20) درجة، والدرجة العظمى للجزء الثالث (20) درجة؛ إذ توضع علامة (√) من قبل الملاحظ في خانة (محقّق) عندما يؤدي الطالب المهارة بشكلٍ صحيحٍ، وتوضع علامة (×) من قبل الملاحظ في خانة (غير محقّق) عندما لا يؤدي الطالب المهارة بشكلٍ صحيحٍ.

1- صدق بطاقة الملاحظة، وثباتها.

1-1-صدق المحكمين: عرضت بطاقة الملاحظة على السادة المحكّمين لإبداء الرأي في تعديل أي بند، أو حذفه، وأكّد السادة المحكّمون صلاحيّتها للتطبيق بعد إجراء تعديلات في صياغة بعض البنود، وصيغت البنود وفق الملاحظات لتصبح أكثر دقة.

1-2- ثبات بطاقة الملاحظة: حُسب ثبات البطاقة بعد تطبيقها على العيّنة الاستطلاعيّة بالطرائق الآتية:

1-2-1- **طريقة الثبات عبر المصححين:** حُسب معامل الاتفاق والاختلاف بين الملاحظين (الباحثة، والملاحظ الثاني) لكل طالب، واعتُمدت طريقة حساب معامل ثبات (اتفاق) الملاحظين وفق معادلة كوبر (Cooper) الآتية:

نسبة الاتفاق = $\frac{\text{الاتفاقمراتعدد}}{\text{الاتفاقمراتعدد+الاختلافمراتعدد}} \times 100$ (أبو علام، 2005، ص478).

تبين أن معامل ثبات اتفاق الملاحظين بلغ (92.52%)، وهي نسبة ثبات مرتفعة في تطبيق بطاقة الملاحظة، ما يشير إلى أن بطاقة الملاحظة المعتمدة في البحث تحقّق شروط الموضوعيّة، ما يدل على ثباتها وصلاحيّتها للتطبيق على أفراد عيّنة البحث.

1-2-2- التجزئة النصفيّة: بلغ معامل الثبات باستخدام طريقة التجزئة النصفيّةلبطاقات الملاحظة (1)، و(2)، و(3)، على التوالي (0.902)، و(0.74)، و(0.920)، كما بلغ لبطاقات الملاحظة ككل (0.765)، وهو معامل ثبات مرتفع أيضاً وصالح للبحث الحاليّ.

4-2-3- ألفا كرونباخ:بلغت قيمة معامل ألفا كرونباخ لبطاقات الملاحظة للاختبارات الأدائيّة الثلاث (1)، و(2)، و(3) على التوالي (0.794)، و(0.712)، و(0.880)، كما بلغ لبطاقات الملاحظة ككل (0.752)، وهو معامل ثبات مرتفع، وصالح للبحث الحاليّ.

المرحلة الثالثة- مرحلة التطوير/ الإنتاج (Development): في هذه المرحلة تم تطوير وإنتاج المادة التعليميّة التي تم تحليلها، وتصميمها، ونقلها من الورق إلى واقع الإنتاج، وتشمل هذه المرحلة الخطوات الآتية:

1- إنتاج الوسائط السمعية والبصرية في البرنامج التدريبيّ: أُعدّت مجموعة من مقاطع الفيديو القصيرة بمثابة محاضرات ترسل للطلبة قبل المحاضرة بيوم أو يومين، كما أُعدّت صوراً توضيحية، وذلك لكل مهارة أساسية وفرعية من مهارات تصميم البرامج التعليميّة التفاعليّة، بالإضافة إلى أنشطة إلكترونيّة، وقد أُستعين ببرامج حاسوبيّة، ومواقع إلكترونيّة خلال العمل؛ إذ قامت الباحثة بتسجيل خطوات تطبيقها للمهارات بشكل مقاطع فيديو تعليميّة، مترافقة بشرح وافي لكل خطوة في أثناء تطبيق المهارة باستخدام ميزة (تسجيل الشاشة) في برنامج (Articulate Storyline)، كما استخدمت برنامج (Camtasia Studsio9، لتعديل الفيديو، وإضافة تأثيرات سمعية وبصرية مشوقة ومناسبة للمقطع التعليميّ، كما استخدمت برنامج (Snagit) لتصوير نوافذ برنامج(Articulate Storyline) المراد تعليمه للطلبة، وعمل شروح على الصور، ومعالجتها لاستخدامها في محتوى جلسات البرنامج التدريبيّ،وعمل صور تعليميّة للأنشطة، والتقويم المرحليّ والنهائيّ، كما قامت الباحثة بالبحث في شبكة الإنترنت للحصول على صور، ومقاطع فيديو، وملفات صوتيّة (موسيقى تحفيزيّة) مناسبة تخدم الأهداف التعليميّة في البرنامج، كما اعتُمدت مادة العلوم (كتاب الصفين الرابع والخامس من الحلقة الأوّلى من التعليم الأساسيّ)، عند طرح الأمثلة التوضيحية للمهارة في جلسات البرنامج.

2- إنتاج عناصر التعلّم: تم إعداد محاضرات الفيديو، والأنشطة، وأوراق العمل التي تمثل عناصر التعلّم في البرنامج التدريبيّ القائم على استراتيجيّة الفصل المقلوب المستخدم في تدريب المجموعة التجريبيّة؛إذ إن الفيديو يشكل عنصر مهم من عناصر التعلّم في هذه الاستراتيجيّة؛ وقد أُنتجت هذه الفيديوهات التعليميّة، وطُورت من قبل الباحثة بشكل يساعد الطّلبة على الانتباه، وعدم الملل، ويضمن توصيل المعلومة لهم بطريقة مبسطة وفق خطوات متتالية؛ إذ إن الباحثة تبدأ محاضرة الفيديو بإلقاء التحية على الطّلبة، ثم طرح مشكلة تعليميّة متعلقة بالمهارة المراد تعليمها للطلبة في المحاضرة، لتثير دافعيتهم للتعلّم، وتشوقهم لمعرفة المعلومة التي تمثل الحل الأنسب للمشكلة، ومن ثم تشرح الباحثة المهارة وتقوم بتصوير الشاشة في أثناء تطبيقها للمهارة مترافقة بالشرح خطوة بخطوة في أثناء التطبيق، ومستفيدة من ميزة تسجيل الشاشة المتوفرة في برنامج كامتازيا ((Camtasia Studio9، ثم تقوم بتطبيق مثال عملي أمام الطّلبة لتوضيح المهارة التي قامت بشرحها وتطبيقها لهم من مثل إعداد تهيئة لدرس بشكل قصة إلكترونيّة قصيرة أو حوار، أو إعداد مفكرة إلكترونيّة تعليميّة للطالب، أو إعداد اختبار مصور، وبزمن لا يتعدى (10) دقائق لمقطع الفيديو الواحد ليكون مناسب للطلبة حين عرضه، فهذا الفيديو هو بمثابة محاضرة إلكترونيّة يشاهدها الطلبة في المنزل، كما صُممت الأنشطة وأوراق العمل وروعي في تصميمها تركيزها على توضيح مهارات التصميم، وشمولها لمهارات الوحدات التعليميّة كافة.

المرحلة الرابعة-التنفيذ (Implementation): في هذه المرحلة يتم التنفيذ الفعلي للبرنامج؛ فقد جُهّز مكان التطبيق،وتُؤكّد من سلامة أجهزة الحواسيب، ونُصّب برنامج (Articulate Storyline) على هذه الحواسيب، وجُهّز البرنامج التدريبيّ كاملاً، وجُرّبت أدواته من قبل الباحثة، كما تُؤكِّد من جهاز العرض والشاشة، وتم تنفيذ البرنامج التدريبيّ القائم على استراتيجية الفصل المقلوب وفق الخطوات الآتية:

1- تعريف الطلبة بمهارات تصميم برامج تعليميّة تفاعليّةباستخدام برنامج (Articulate) Storylineالمراد تدريبهم عليهامن خلال محاضرة تعريفيّة بالبرنامج، بالإضافة إلى تعريفهم باستراتيجية الفصل المقلوب المتبعة في البرنامج التدريبيّ.

2- تحميل مقطع الفيديو التعليميّ الذي يتضمّن شرح للمهارات (بالصوت والصورة) المراد التدريب عليها في المحاضرة، والذي لا تزيد مدته عن (10) إلى (15) دقيقة على الأكثر، وإرساله للطلبة من خلال مجموعة الواتس أب الخاصة بهم، من أجل مشاهدته في المنزل أو في أي مكان آخر باستعمال حواسيبهم، أو هواتفهم الذكيّة، أو أجهزتهم اللوحيّة قبل موعد المحاضرة بيوم أو يومين، ويتم حث الطلاب على التركيز في أثناء متابعة الفيديو.

3- تُرفق مجموعة من الأسئلة المحدّدة مع مقطع الفيديو التعليميّ لتوجيه تعلّم الطّلبة عند مشاهدتهم الفيديو المُرسل لهم.

4- يقوم الطالب بتدوين الملاحظات والأسئلة في أثناء مشاهدته للفيديو، ومن الممكن أن يستفيد من ميزة إيقاف الفيديو لتدوين الملاحظات، وكذلك يستطيع الطالب تكرار جزء من مقطع الفيديو لتوضيح طريقة تطبيق المهارة.

5- تستقبل الباحثة في اليوم التالي في أثناء المحاضرة استفسارات الطّلبة حول مقطع الفيديو التعليميّ الذي شاهدوه، وتفتح لهم باب النقاش لإزالة أي غموض.

6- يتم توزيع الطّلبة ضمن مجموعات صغيرة، وتُقدّم لهم ورقة نشاط لكل مجموعة تتضمّن بعض مهمّات تطبيقيّة للمهارات، ويُطلب من المجموعات تطبيقها، في حين تتابع الباحثة عمل الطّلبة في كل

مجموعة، وتقدِّم لهم الإرشادات اللازمة، والدّعم المناسب من شرح معلومات، وتدريبات للمتعثرين منهم.

كما تمت عملية التنفيذ على ثلاثة مراحل:

1- مرحلة التطبيق الفردي: طُبق البرنامج التدريبيّ القائم على استراتيجيّة الفصل المقلوب في هذه المرحلة بشكل فردي على ثلاثة طلاب من طلبة دبلوم تأهيل تربويّ تخصّص معلّم الصف من خارج عيّنة البحث الأساسيّة كل طالب على حدا، وتمت الاستفادة من الملاحظات، والأسئلة الموجهة للباحثة للاستفسار عن أمر ما وتوضيحه، وقامت الباحثة بتعديل البرنامج وفق ما سجلته من ملاحظات.

2-مرحلة التجربة الاستطلاعيّة: طُبق البرنامج التدريبيّ في هذه المرحلة على أفراد العيّنة الاستطلاعيّة المكوّنة من (30) طالباً وطالبةً من طلبة دبلوم تأهيل تربوي تخصص معلّم الصف من خارج عيّنة البحث الأساسيّة.

3-مرحلة التجربة النهائيّة: طُبق البرنامج في هذه المرحلة على أفراد المجموعة التجريبيّة، البالغ عددهم (27) طالباً وطالبةً، بينما تم تدريب أفراد المجموعة الضّابطة وعددهم (27) طالباً وطالبةً على المهارات ذاتها باستخدام طريقة التدريب المعتادة، في الفصل الثاني من عام (2022-2023).

المرحلة الخامسة- مرحلة التقويم (Evaluation): اعتُمد في تقويم البرنامج التدريبيّ على:

1- إجراء التقويم التكوينيّ على مجموعات صغيرة، أو بشكل فرديّ: جُرّب البرنامج ونُقح من قبل الباحثة لمرات عدّة، بغية التأكد من أدوات التعلّم كافة،كما حُكّم البرنامج التدريبيّ المصمّم، وأدواته،وعُدّل وفقاً لملاحظات السّادة المحكّمين؛ إذ عُرض بعد تجهيزه وإعداده بالشكل النهائيّ على مجموعة من السادة المحكمين المختصين فكانت آراؤهم تتمحور حول الاهتمام بالأمثلة المدرجة في البرنامج، وقامت الباحثة بمراعاة ذلك.

2- إجراء تقويم موسع نهائيّ للبرنامج وفقاً لنتائج التجربة الاستطلاعيّة: بعد إجراء التعديلاتِ اللازمة على البرنامج التدريبيّ وأدواته، جُرّب على عيّنة التجربة الاستطلاعيّة المكوّنة من (30) طالباً وطالبةً قبل إجراء التجربة على عيّنة البحث الأساسيّة، إذ سُحبت عيّنة الدراسة الاستطلاعيّة بطريقة قصديّة؛ بعد أن التقتْ الباحثة مع الطلبة، وأعلمتهم بأهمية التجربة الاستطلاعيّة للبحث الحاليّ، كما قامت بتعريفهم بأهمية امتلاك مهارات تصميم البرامج التعليميّة التفاعليّة في عصرنا الحاضر،وشرحت لهم عن برنامج (Articulate Storyline)، وأهميّته في التصميم التعليميّ، واستخدامه في تحويل المقرّر الورقي إلى محتوى تعليميّ مصمم بشكل إلكترونيّ تفاعليّ، فضلاً عن تعريفهم بماهيّة البرنامج التدريبيّ المصمّم، ومراحل سيره، والهدف منه، وقد أبدى الطّلبة تحمّسهم ورغبتهم في التدرّب على البرنامج.

طُبّقت الاختبارات الأدائيّة المصحّحة ببطاقة الملاحظة قبليّاً، ثم طُبقت الجلسات التدريبيّة وفق ما هو مخطّط لها، وفي نهاية التطبيق طُبقت الاختبارات الأدائيّة المصحّحة ببطاقة الملاحظة بعديّاً، في الفصل الأول لعام الدراسي 2022-2023،وذلك للتحقّق من خلوّ البرنامج من الأخطاء الفنيّة أو العلميّة، ومناسبة الزّمن لإجراء التجريب النهائيّ لكل وحدة من وحدات البرنامج التدريبيّ، فضلاً عن تعرّف المعوّقات المحتملة في أثناء التطبيق؛بغية تعديلها قبل تطبيقها على أفراد عيّنة البحث الأساسيّة.

3- التوصيف النهائي للبرنامج التدريبيّ القائم على استراتيجية الفصل المقلوب:

يتألف البرنامج التدريبيّ القائم على استراتيجية الفصل المقلوب من خمس وحدات تدريبية، وتم تصميمه وفق نموذج التصميم العام (ADDIE)، ويهدف إلى إكساب طلبة دبلوم تأهيل تربوي تخصص معلم الصف مهارات تصميم برامج تعليميّة تفاعليّة باستخدام برنامج (Articulate Storyline)،وبلغ عدد الأهداف التعليميّة للبرنامج التدريبيّ (80) هدفاً تعليمياً، شملت أهدافاً معرفيّة ومهاريّة، ووجدانيّة، وتضمنت أدوات التعلّم في البرنامج التدريبيّ(محاضرات فيديو، وأوراق عمل) من إعداد الباحثة.

4- **تطبيق التجربة النهائيّة**: طُبّقت التجربة النهائيّة وفق الخطوات الآتية:

4-1-تعريف الطّلبة (أفراد العيّنة) بشكلٍ موجزٍ على مهارات تصميم برامج تعليميّة تفاعليّة باستخدام برنامج (Articulate Storyline)، من خلال جلسة تعريفيّة قامت بها الباحثة لتهيئة الطّلبة للموضوع.

4-2- اختيار عيّنة البحث الأساسيّة بطريقة قصديّة ممن تتوفر لديهم الرغبة والدافعية للمشاركة، وتم تقسيم الطّلبة عشوائيّاً إلى مجموعتين متساويتين تجريبيّة وضابطة؛ المجموعة التجريبيّة بلغ عدد أفرادها (27) طالباً وطالبةً، ويتم إكسابهم للمهارات باستخدام البرنامج التدريبيّ القائم على استراتيجيّة الفصل المقلوب، وأما المجموعة الضّابطة فقد بلغ عدد أفرادها أيضاً (27) طالباً وطالبةً، يتم إكسابهم المهارات ذاتها بطريقة الجلسات التدريبيّة المعتادة، ثم تطبق الاختبارات الأدائيّة على المجموعتين التجريبيّة والضّابطة لقياس أداء الطّلبة في المجموعتين.

4-3- التأكد من التكافؤ بين المجموعتين التجريبيّة والضّابطة من خلال الآتي:

- ضُبِطَ متغيّر المحتوى التدريبيّ؛ إذ إن المحتوى التدريبيّ هو ذات المحتوى الذي دُرّب عليه أفراد المجموعتين الضّابطة والتجريبيّة من قبل الباحثة.

- طبّقت الاختبارات الأدائيّة قبليّاً للتحقّق من تكافؤ أفراد المجموعتين في أداء المهارات، وحسبت المتوسطات الحسابيّة، والانحرافات المعياريّة لدرجات أفراد المجموعتين التجريبيّة والضّابطة باستخدام اختبار (t_ test)، وتم التحقّق من صحة فرضيّة التكافؤ التي نصها: "لا يوجد فرق ذو دلالة إحصائيّة بين متوسطي درجات أفراد المجموعتين التجريبيّة والضّابطة في التطبيق القبلي للاختبارات الأدائيّة"، ويوضح ذلك الجدول الآتي:

الجدول (1)دلالة الفرق بين متوسطي درجات أفراد المجموعتين التجريبيّة والضّابطة في التطبيق القبليّ للاختبارات الأدائيّة

	المتغير	المجموعة	المتوسّط الحسابي	الانحراف المعياري	عدد العيّنة	درجة الحرية	t	مستوى الدلالة	القرار
التطبيق القبلي	الاختبار الأدائيّ (1)	تجريبية	3.70	1.02	27	26	0.22	0.82	غير دال
		ضابطة	3.93	1.07	27				
	الاختبار الأدائيّ (2)	تجريبية	3.93	0.95	27	26	0.51	0.61	غير دال
		ضابطة	3.81	2.96	27				
	الاختبار الأدائيّ (3)	تجريبية	3	0.89	27	26	0.52	0.63	غير دال
		ضابطة	3.29	0.90	27				

يتبيّن من الجدول السابق أنّ قيمة (t) تراوحت بين (0.22- 0.52) في الاختبارات الأدائيّة الثلاثة، عند درجة حرية (26)، وبلغ مستوى دلالة (0.82) في الاختبار الأدائيّ (1)، وبلغ (0.61) في الاختبار الأدائيّ (2)، وبلغ (0.63) في الاختبار الأدائيّ (3)، وجميعهم أكبر من مستوى الدلالة (0.05)، أي أنّ الفرق غير دالٌّ، وبالتالي تُقبل الفرضية الصفريّة التي نصها: "لا يوجد فرق ذو دلالة إحصائيّة بين متوسطي درجات أفراد المجموعتين التجريبيّة والضّابطة في التطبيق القبلي للاختبارات الأدائيّة"، ما يشير إلى التكافؤ بين أفراد المجموعتين التجريبيّة والضّابطة من جانب الأداء.

4-4-طُبقت الجلسات التدريبيّة في مخبر الحاسوب بكلية التربية بجامعة دمشق، في الفترة ما بين 2022/4/13 إلى 2022/6/14، على مجموعتي البحث (التجريبيّة والضّابطة). وتم تدريب أفراد المجموعة التجريبيّة على المهارات باستخدام البرنامج التدريبيّ القائم على استراتيجيّة الفصل المقلوب، بينما تم تدريب أفراد المجموعة الضّابطة على المهارات باستخدام الجلسات التدريبيّة المعتادة.

4-5- طُبقت الاختبارات الأدائيّة المصحّحة ببطاقة الملاحظة بعديّاً لتقييم أداء المجموعتين التجريبيّة والضّابطة، بهدف قياس فاعليّة البرنامج التدريبيّ القائم على استراتيجيّة الفصل المقلوب، والتحقق من الفرضيات.

4-6-طُبقت الاختبارات الأدائيّة المصحّحة ببطاقة الملاحظة بعد (21) يوماً تطبيقاً بعديّاً مؤجّلاً، لقياس درجة احتفاظ الطّلبة بالمعلومات.

4-7-رصدت النتائج وعولجت إحصائيّاً، وتمت مناقشتها، وتفسيرها.

وقد واجهت الباحثة والطلاب بعض المعوّقات في أثناء إعداد وتنفيذ البرنامج، منها بطء سرعة الإنترنت، وكفاءة الاتصال، وانقطاع التيار الكهربائي، بالإضافة إلى عدم توافر أجهزة حاسوب لبعض أفراد العيّنة في المنزل بالنسبة للمجموعتين (التجريبية، والضابطة)؛ وعدم توافر الظروف الملائمة للتعلّم في المنزل بالنسبة لبعض الطلاب في المجموعة التجريبية.

نتائج البحث ومناقشتها وتفسيرها:

بغرض تعرف فاعليّة البرنامج التدريبيّ القائم على استراتيجيّة الفصل المقلوب في إكساب الطّلبة مهارات تصميم برامج تعليميّة تفاعليّة تم اختبار الفرضية الأوّلى التي نصها: "لا يوجد فرق ذو دلالة إحصائيّة بين متوسطي درجات أفراد المجموعة التجريبيّة في التطبيقين القبليّ والبعديّ للاختبارات الأدائيّة".

وللتحقّق من الفرضيّة حُسبت المتوسّطات الحسابيّة والانحرافات المعياريّة لدرجات الطّلبة أفراد المجموعة التجريبيّة في التطبيقين القبلي والبعدي للاختبارات الأدائيّة، استُخدم اختبار (t Paired) Samples T test لعينتين مرتبطتين، وكانت النتائج كما يوضحها الجدول الآتي:

الجدول (2) دلالة الفرق بين متوسطي درجات أفراد المجموعة التجريبيّة في التطبيقين القبليّ والبعديّ للاختبارات الأدائية

المجموعة التجريبيّة	المتغير	التطبيق	المتوسّط الحسابي	الانحراف المعياري	عدد العيّنة	درجة الحرية	t	مستوى الدلالة	القرار
	الاختبار الأدائيّ (1)	القبليّ	3.70	1.10	27	26	48.26	0.000	دال
		البعديّ	19.78	1.12	27				
	الاختبار الأدائيّ (2)	القبليّ	3.93	0.95	27	26	38.02	0.000	دال
		البعديّ	18.04	1.42	27				
	الاختبار الأدائيّ (3)	القبليّ	3.00	1.25	27	26	45.47	0.000	دال
		البعديّ	18.22	1.00	27				

يتبيّن من الجدول السابق أنّ قيمة (t) بلغت ما بين (48.26- 38.02) عند درجة حرية (26)، في الاختبارات الأدائيّة الثلاثة للمجموعة التجريبيّة، وعند مستوى دلالة (0.000)، وهو أصغر من مستوى الدلالة الافتراضيّ (0.05)، أي أنّ الفرق دالٌّ، وبالتالي تُرفض الفرضية الصفريّة، وتُقبل الفرضية البديلة لها التي تقول: "يوجد فرق ذو دلالة إحصائيّة بين متوسطي درجات أفراد المجموعة التجريبيّة في التطبيقين القبليّ والبعديّ للاختبارات الأدائيّة"لصالح التطبيق البعدي، وربما يعود ذلك إلى تصميم البرنامج التدريبيّ وبنائه بشكلٍ منظوميّ وفق نموذج التصميم العام (ADDIE) بما يتناسب مع

خصائص المتعلّمين، واحتياجاتهم، ومستواهم، وموضوع البحث الحاليّ.وتتفق هذه النتيجة مع دراسات (محمد 2018؛ وسلام، 2020).

وبعد التحقّق من الفرق الإحصائيّ بين متوسطي درجات أفراد العيّنة التجريبيّة في التطبيقين القبلي والبعدي للاختبارات الأدائيّة؛ تم التحقّق من فاعليّة البرنامج التدريبيّ القائم على استراتيجيّة الفصل المقلوب في إكساب طلبة دبلوم تأهيل تربوي مهارات تصميم البرامج التعليميّة التفاعليّة باستخدام برنامج (Articulate Storyline)، من خلال حساب نسبة الكسب المعدّل بتطبيق معادلة بلاك (Black) الآتية:

$$\text{نسبة الكسب المعدل} = \frac{\text{م2}-\text{م1}}{\text{ع}-\text{م1}} + \frac{\text{م2}-\text{م1}}{\text{ع}}$$

بحيث: م1: متوسّط درجات الطّلبة المعلّم ين في الاختبار الأدائيّ القبلي.

م2: متوسّط درجات الطّلبة المعلّم ين في الاختبار الأدائيّ البعدي.

ع: الدرجة العظمى للاختبار الأدائيّ.

ويرى بلاك(Black) "أنّ هذه النسبة يجب ألا تقل عن (1-2) حتى تكون فاعليّة البرنامج مقبولة"(حسن، 2011، ص297). وبعد تطبيق القانون تم التوصل إلى النتائج التي يبينها الجدول الآتي:

جدول (3) يبيّن نسبة الكسب المعدّل لأفراد المجموعة التجريبيّة في الاختبارات الأدائية الثلاثة

الاختبار الأدائيّ	متوسط درجات أفراد العيّنة في الاختبار القبلي	متوسط درجات أفراد العيّنة في الاختبار البعدي	الدرجة العظمى للاختبار	نسبة الكسب	الفاعليّة
(1)	3.70	19.78	22	1.6	فعال
(2)	3.93	18.04	20	1.51	فعال
(3)	3	18.22	20	1.65	فعال

-يُلاحظ من الجدول السابق أنّ نسبة الكسب في الاختبارات الأدائيّة الثلاثة تراوحت ما بين (1.6-1.65)، وكلها أعلى من نسبة الكسب المعدّل المعياريّة التي حدّدها بلاك (1.2)، أي أنّ البرنامج التدريبيّ القائم على استراتيجيّة الفصل المقلوب كان فعّالاً في إكساب الطّلبة مهارات تصميم برامج تعليميّة تفاعليّة، وربما يعود ذلك إلى تصميم البرنامج التدريبي وبنائه بشكلٍ منظوميّ، بالإضافة إلى وضوح خطواته، وسهولتها، وتتفق هذه النتيجة مع نتيجة دراسات عدة منها؛ دراسات (سلام (2020)،و(Wei., et al2022)Pylman (Cilliers&؛, (2022),، وتختلف مع نتيجة دراسة (العالم والعمراني، 2020).

2-6- الفرضية الثانية: لا يوجد فرقٌ ذو دلالةٍ إحصائيّة بين متوسّطي درجات أفراد المجموعة التجريبيّة، وأفراد المجموعة الضّابطة في التطبيق البعديّ للاختبارات الأدائيّة.

للتحقّق من صحة الفرضية؛ حُسبت المتوسّطات الحسابيّة والانحرافات المعياريّة لدرجات الطّلبة في المجموعتين الضّابطة والتجريبيّة في التطبيق البعديّ للاختبارات الأدائيّة، باستخدام اختبار t_ test وجاءت النتائج كما هو موضح في الجدول الآتي:

الجدول (4) دلالة الفرق بين متوسطي درجات أفراد المجموعتين الضّابطة والتجريبيّة في التطبيق البعدي للاختبارات الأدائيّة

	المتغير	المجموعة	المتوسّط الحسابي	الانحراف المعياري	عدد العيّنة	درجة الحرية	t	مستوى الدلالة	القرار
التطبيق البعدي	الاختبار الأدائيّ (1)	الضّابطة	14.89	1.05	27	26	17.84	0.000	دال
		التجريبيّة	19.78	1.12	27				
	الاختبار الأدائيّ (2)	الضّابطة	11.96	2.36	27	26	12.27	0.000	دال
		التجريبيّة	18.04	1.42	27				
	الاختبار الأدائيّ (3)	الضّابطة	11.33	1.30	27	26	20.32	0.000	دال
		التجريبيّة	18.22	1.25	27				

يتبيّن من الجدول السابق أنّ قيمة (t) تراوحت بين (20.32- 12.27) في الاختبارات الأدائيّة الثلاثة للمجموعتين الضّابطة والتجريبيّة، عند درجة حرية (26)، وعند مستوى دلالة (0.000)، وهو أصغر من مستوى الدلالة الافتراضيّ (0.05)، أي أنّ الفرق دالٌّ في التطبيق البعديّ للاختبارات الأدائيّة الثلاثة لصالح المجموعة التجريبيّة،وبالتالي تُرفض الفرضية الصفريّة وتُقبل الفرضية البديلة لها التي تنص على أنه:"يوجد فرق ذو دلالة إحصائيّة بين متوسطي درجات أفراد المجموعتين الضّابطة والتجريبيّة في التطبيق البعديّ للاختبارات الأدائيّة لصالح المجموعة التجريبيّة،وربما يعود ذلك إلى تطبيق طريقة التدريب من خلال استراتيجية الفصل المقلوب التي تعمل على منح الطّلبة حافزاً للتحضير، والاستعداد القبلي من خلال إعطائهم الفرصة للاطلاع الأوّلي على المهارات عند مشاهدتهم لمحاضرة الفيديو قبل وقت المحاضرة المحدد بمدة زمنية مناسبة، ومن خلال آلية شرح الباحثة للمهارات في محاضرة الفيديو بخطواتٍ متتابعةٍ، وتدعيم الشرح بمثال تطبيقي ومعاينته، وتجريبيه عدة مرات في محاضرة الفيديو، فضلاً عن الجلسة التدريبية في وقت المحاضرة وجهاً لوجه في مخبر الحاسوب، وتطبيق الطلبة للأنشطة، والمهام المطلوبة منهم بشكل فردي تارةً، وبشكلٍ جماعيّ تارةً أخرى، مع وجود أجواء التعاون التي سادت بين الطّلبة وساعدت على تبادل الخبرات،والتفاعل فيما بينهم؛ما ساعد على اكتساب الطّلبة للمهارات المتضمّنة في البرنامج التدريبيّ وإتقانهم إياها من خلال العمل والخطأ وتصحيح الخطأ في بيئة التدريب المباشر. وهذه النتيجة تتفق مع نتيجة دراستي منها (محمد، 2018؛ وسلام، 2020)، وتختلف هذه النتيجة مع نتيجة دراسة (العالم والعمراني، 2020).

ولتعرف فاعليّة البرنامج التدريبيّ القائم على استراتيجيّة الفصل المقلوب في درجة احتفاظ الطّلبة بالتعلم؟"

تم التأكد من صحة الفرضية الثالثة التي نصها: "لا يوجد فرقٌ ذو دلالةٍ إحصائيّة بين متوسّطي درجات أفراد المجموعة التجريبيّة في التطبيقين البعديّ والمؤجل للاختبارات الأدائيّة".

حُسبت المتوسّطات الحسابيّة والانحرافات المعياريّة لدرجات أفراد المجموعة التجريبيّة في التطبيقين البعديّ والمؤجل للاختبارات الأدائيّة باستخدام اختبار (t_ test) وجاءت النتائج كما هو موضح في الجدول الآتي:

الجدول (5) دلالة الفرق بين متوسطي درجات أفراد المجموعة التجريبيّة في التطبيقين البعديّ والمؤجل للاختبارات الأدائيّة

المجموعة التجريبيّة	المتغير	التطبيق	المتوسّط الحسابي	الانحراف المعياري	عدد العيّنة	درجة الحرية	t	مستوى الدلالة	القرار
	الاختبار الأدائيّ (1)	المؤجل	20.48	1.05	27	26	0.77	0.44	غير دال
		البعدي	19.78	1.58	27				
	الاختبار الأدائيّ (2)	المؤجل	18.25	0.93	27	26	1.54	0.13	غير دال
		البعدي	18.04	0.99	27				
	الاختبار الأدائيّ (3)	المؤجل	18.33	0.97	27	26	1.00	0.32	غير دال
		التجريبيّة	18.22	1.00	27				

يتبيّن من الجدول السابق أنّ قيمة (t) تراوحت بين (0.77- 1.00) في الاختبارات الأدائيّة الثلاثة في التطبيقين البعديّ والمؤجّل، عند درجة حرية (26)، وبلغ مستوى دلالة (0.44) للاختبار الأدائيّ (1)، وبلغ (0.13) للاختبار الأدائيّ (2)، وبلغ (0.32) للاختبار الأدائيّ (3)، وجميعهم أكبر من مستوى الدلالة الافتراضيّ (0.05)، أي أنّ الفرق غير دال، وبالتالي تُقبل الفرضية الصفريّة التي نصها: "لا يوجد فرق ذو دلالة إحصائيّة بين متوسطي درجات أفراد المجموعة التجريبيّة في التطبيقين البعديّ والمؤجل للاختبارات الأدائيّة. وربما يعود ذلك إلى تضمّن البرنامج التدريبيّ لأدوات تعلّم تجمع بين التفاعل، والمشاهدة، والسمع، والتطبيق، ومن ثمّ فإن عامل الزمن لم يكن ذا تأثير في فقدان المعلومات، أو نسيانها؛ لأن الطالب تعلّم بنفسه في أثناء مشاهدته لمحاضرة الفيديو في المنزل، وتدوين الأسئلة والاستفسارات التي تعترض فهمه للمهارة، فضلاً عن إمكانيّة الاحتفاظ بمحاضرة الفيديو عبر تطبيق الواتس أب (WhatsApp)، والاطلاع عليها أكثر من مرة، ما أسهم في مراعاة الفروق الفردية بين الطّلبة، واستبصار مواطن الضعف لديهم ومعالجتها، وتعميق فهمهم للمعارف والمهارات المقدمة إليهم، فضلاً عن التطبيق العمليّ للمهارات في قاعة الحاسوب في وقت المحاضرة المحدّد، والإجابة عن تساؤلات الطّلبة، وكشف الغموض الذي اعترض تعلّمهم، ما زاد من فهمهم واستيعابهم للمهارات كونها اكتُسبت بالممارسة، وبالتالي أسهم في بقاء أثر التعلم في الذاكرة، واحتفاظهم بالمعلومة لمدة زمنية أطول.

خاتمة البحث وتشمل النتائج والمقترحات والتوصيات:

1- فاعليّة البرنامج التدريبيّ القائم على استراتيجيّة الفصل المقلوب في إكساب طلبة دبلوم تأهيل تربوي تخصص معلّم الصّف مهارات تصميم برامج تعليميّة تفاعليّة باستخدام برنامج (Articulate Storyline).

2- وجود فرقٍ دالٍ إحصائيّاً بين متوسّطي درجات أفراد المجموعة التجريبيّة في التطبيقين القبليّ والبعديّ للاختبارات الأدائيّة لصالح التطبيق البعدي.

3- وجود فروق ذات دلالة إحصائيّة بين متوسطات درجات أفراد المجموعتين التجريبيّة والضّابطة في الاختبارات الأدائيّة لصالح المجموعة التجريبيّة.

4- عدم وجود فرقٍ دالٍ إحصائيّاً بين متوسّطي درجات أفراد المجموعة التجريبيّة، في التطبيقين البعديّ المباشر، والبعديّ المؤجل للاختبارات الأدائيّة.

5- فاعليّة البرنامج التدريبيّ القائم على استراتيجيّة الفصل المقلوب في درجة احتفاظ الطّلبة بالتعلم.

- مقترحات البحث وتوصياته:

استكمالاً لهذا البحث وفي ضوء إجراءاته ونتائجه يُقترح الآتي:

1- تطبيق استراتيجيّة الفصل المقلوب على طلبة التعليم الجامعي لانسجامها مع واقع الطّلبة، والتقدم التكنولوجي المعاصر.
2- عقد دورات تدريبيّة للمعلّمين لتزويدهم بالمهارات الضروريّة لتوظيف استراتيجيّات تدريسيّة حديثة في التعليم، ومنها استراتيجيّة الفصل المقلوب، لمواكبة التطورات التعليميّة الحديثة.

3- زيادة التركيز على الجانب العملي للمقررات الدراسية في مجال التصميم التعليميّ الإلكترونيّ للطلبة المعلّمين في مرحلة إعدادهم، وطريقة توظيفهم للبرامج الحاسوبيّة في تطوير العمليّة التعليميّة.

4- تشجيع الطّلبة على التعلّم الذاتي من خلال زيادة الاهتمام بالتدرّب على مهارات البرامج الحاسوبيّة الحديثة، التي يمكن من خلالها تصميم فيديوهات وبرامج تعليميّة تفاعليّة تستخدم في التعلم الذاتي.
5- إجراء دراسات حول قياس أثر استراتيجيّة الفصل المقلوب في تحسين مستوى التحصيل الدراسيّ والدافعيّة لدى الطّلبة الذين لديهم صعوبات تعلّم مقارنة مع أقرانهم من الطّلبة العاديين.

- **المراجع العربيّة والأجنبيّة:**

- المراجع العربيّة:

أبو علام، جاء محمود. (2005). *تقويم التعليم* (ط.1). عمان: دار المسيرة.

أمين، نسرين. (2020). *فاعلية المدونات التعليميّة في تنمية مهارات تصميم الدروس الإلكترونية لدى طلبة كلية التربية واتجاهاتهم نحوها*. رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة دمشق، الجمهورية العربية السورية.

جري، خضير. (2010). *التقنيات التربوية*. (ط.1). بغداد: مكتبة التربية الأساسية.

حسن، عزت عبد الحميد (2011). *الإحصاء النفسي والتربوي*. جامعة الزقزيق: دار الفكر العربي.

خليف، زهير. (2015). *تعلّم برنامج Articulate Storyline لبناء المحتوى الإلكترونيّ التفاعلي*، جامعة أنديانا.

سلام، نجلاء محمد عبد الفتاح محمد (2020). فاعليّة استراتيجيّة الصف المقلوب في تنمية التحصيل والتفكير البصري في مقرر التربية الأسريّة لدى طالبات المرحلة المتوسطة، بحث منشور في مجلة *رابطة التربويين العرب، عدد 126*، 249-306.

سلامة، محمد. (2015). *فاعلية برنامج قائم على استراتيجية التعلم المدمج في إكساب طلبة معلم الصف مهارات دمج التكنولوجيا في التعليم واتجاهاتهم نحوه*، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة دمشق، الجمهورية العربية السورية.

صيام، محمد وحيد ودوبا، عبده محمود. (2020). التعليم الإلكترونيّ: مستقبل التعليم العالي بعد أزمة كورونا، ورقة بحثية مقدمة إلى مؤتمر: *التحديات التي تواجه التعليم الإسلامي العالي بعد أزمة كورونا*. المنعقد في الفترة ما بين 11/ تموز/ 2020.

العالم، تسنيم والعمراني، منى. (2020). فاعليّة الفصل المعكوس والويب كويست في اكتساب مهارات تصميم المحتوى الإلكترونيّ التفاعليّ لدى طالبات كلية التربية بالجامعة الإسلاميّة بغزة". بحث منشور *في مجلة الجامعة الإسلاميّة للدراسات التربوية والنفسية، المجلد 28، العدد 2*، 886-908.

علي، محمد السيد (2011). *موسوعة المصطلحات التربويّة*. عمّان: دار المسيرة.

الغامدي، ريم. (2021). أثر الصف المقلوب في تحقيق بعض نواتج تعلم العلوم: تحليل بعدي. بحث منشور *مجلة البحث العلمي في التربية، المجلد 22، العدد 9*، 355- 325.

محمد، عاطف محمد أحمد (2018). "*أثر استخدام استراتيجيّة الفصل المعكوس في تدريس الجغرافيا على التحصيل المعرفي وتنمية بعض المهارات الجغرافية لدى طالبات الصف الأوّل الثانوي الأزهري*". رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة سوهاج، مصر.

مؤتمر التطوير التربوي "*رؤية مستقبلية لتعزيز بناء الإنسان والوطن*" . (2019). المنعقد في دمشق بتاريخ 26 إلى 28 أيلول/ 2019. الجمهورية العربية السورية.

المؤتمر الدولي الثالث للتعلم الإلكترونيّ . "*التعلّم الإبداعي في العصر الرقمي*. (2016). المنعقد في الجامعة المصرية للتعليم الإلكترونيّ في الفترة (12-14) إبريل/ 2016. مصر.

موسى، غنى. (2020). درجة امتلاك طلبة معلّم الصّف مهارات تصميم البرامج التعليميّة الحاسوبيّةوفقنموذج تصميم التعليم العام (ADDIE) ومدى أهميتها بالنسبة إليهم. بحث مقبول للنشر، دمشق: *مجلة اتحاد الجامعات العربيّة للتربية وعلم النفس*.

موسى، غنى. (2021). فاعليّة التعليم المدمج في تنمية تحصيل معلّمي الحلقة الأوّلى من التعليم الأساسي لخبرات تصميم العروض التقديمية. بحث منشور في *مجلة للعلوم التربوية، المجلد (43)، العدد (19)*، 97-130.

اليونسكو. (2020): *دليل لصانعي السياسات في التعليم الأكاديمي والمهني والتقني*، مركز الملك سلمان للإغاثة والأعمال الإنسانية.

مراجع أجنبية:

Cilliers, L. &Pylman, J. (2022).South African students' perceptions of the flipped classroom: A case study of higher education. *Innovations in Education and Teaching International,Vol. 59, No (3),* 296-305.**https://doi.org/10.1080/14703297.2020.1853588**

Huang, Y. -M., Silitonga, L.M., & Wu, T.-T. (2022). Applying a business simulation game in a flipped classroom to enhance engagement, learning achievement, and higher-order thinking skills.*journal of Computers & Education,Vol 183.*Retrieved from***https://doi.org/10.1016/j.compedu.2022.104494***

https://www.sciencedirect.com/science/article/abs/pii/S0360131522000653?via%3Dihub, 21/8/2023

Obi Nja,.et al, 2022. Students' attitude and academic achievement in a flipped classroom. journal homepage, ***Vol. 8***, *No* ***(1),*** https://www.sciencedirect.com/science/article/pii/S2405844022000809 link: https://doi.org/10.1016/j.heliyon.2022.e08792**,** 28/8/2023.

Wei, et al. (2020). Effect of the flipped classroom on the mathematics performance of middle school students. *Educational Technology Research and Development,vol (68),* 1461-1484, doi: {10.1007/s11423-020-09752

الملحق (1)

الأهداف العامة والتعليميّة لمهارات تصميم برامج تعليميّةتفاعليّة باستخدام برنامج (Articulate Storyline)وتوزعها على مستويات بلوم المطور

جدول يوضح الأهداف العامة والتعليميّة وتوزعها على مستويات بلوم المطور

الوحدة	الهدف العام	الأهداف التعليميّة	المستوى وفق تصنيف بلوم المطور
الأوّلى	امتلاك مهارات تخطيط وإنشاء سيناريو للبرامج التعليميّة التفاعليّة.	**يتوقع من الطالب في نهاية الجلسة أن يكون قادراً على أن:** 1- يفتح واجهة برنامج (Articulate Storyline).	تطبيق
		2- يعدد اثنين من مزايا البرنامج.	تذكر
		3- يشرح مسوغات استخدام البرنامج.	فهم
		4- ينشئ مشروع جديد خال من النصوص والتنسيقات.	تطبيق
		5- يدرج شريحة في عمود الشرائح من نوع شريحة ذات تصميم بسيط Basic Layout .	تطبيق
		6- يدرج شريحة في عمود الشرائح من نوع شريحة قوالب جاهزة.	تطبيق
		7- يعدد خيارات إدراج شريحة جديدة الممكنة في البرنامج.	تذكر
		8- يعيد تسمية الوسائط.	تطبيق
		9- يقوّم تنظيم الشرائح بواسطة لوحة (Story View).	تقويم
		10- ينشئ مكتبة الوسائط.	تطبيق
		11- يدرج عناصر خلفية الدروس.	تطبيق
		12- يشرح مهمة المشغل (Player).	فهم
		13- يضبط إعدادات الشرائح قبل وضع المحتوى عليها.	تطبيق
		14- يحدد حجم الشريحة في التصميم التعليميّ التفاعليّ.	تحليل
		15- يستنتج مهمة شريحة الماستر (Master Slide).	تحليل
		16- يحفظ ملف المشروع لأول مرة.	تطبيق
		17- يكتشف الفكرة الرئيسة للسيناريو المعروض في البرنامج.	يبتكر
		* ينمي الاتجاهات الإيجابية نحو أهمية تخطيط وتنظيم الشرائح في البرامجالتعليميّة التفاعليّة.	وجداني
الثانية	امتلاك مهارات تصميم البرامجالتعليميّة التفاعلية	18- يدرج نص (Text) لثلاثة أسطر داخل الشريحة.	تطبيق
		19- يعدل على الصورة (Picture) المدرجة داخل الشريحة.	تطبيق
		20- يدرج شكل (Shaps) في شريحة المحتوى الرقميّ.	تطبيق
		21- يحدد لون التعبئة للشكل باللون الأخضر.	تحليل
		22- يدرج شخصية (Character) في الشريحة.	تطبيق
		23- يعدد خيارات إضافة ملف الفيديو(Video).	تذكر
		24- يعدل على ملف فيديو (Video) من ملف مخزن بالحاسوب.	تطبيق
		25- يدرج ملف فيديو (Video) مناسب لموضوع الدرس بلاحقة فلاش Flash	تطبيق
		26- يدرج ملف صوت (Sound) داخل الشريحة بامتداد Mp3.	تطبيق
		27- يسجل صوت لشرح الفقرة في المحتوى الرقميّ التفاعليّ.	تطبيق

		28- يصمم حركة انتقالات الشرائح (Animations).	تطبيق
		29- يصمم حركة انتقالات العناصر داخل الشريحة.	تطبيق
		30- يشرح نوعي المحتوى الإلكترونيّ .	فهم
		31- يذكر وظيفتين لشريط الزمن.	تذكر
		32- يدرج طبقتين ضمن الشريحة الواحدة Slide Layers.	تطبيق
		33- يقوم بمعاينة للشرائح (Preview).	تطبيق
		34- ينشر المشروع (Publish) على الانترنيت بموقع خاص بإدارة محتوى شركة البرنامج.	تطبيق
		35- يُبيّن رأيه في تصميم الوسائط المتعدّدة في البرنامج.	تقويم
		• ينمّي الاتجاهات الإيجابيّة نحو أهميّة إدراج الوسائط المتعدّدة في الدروس التفاعليّة	وجداني
الثالثة	امتلاك مهارات تنفيذ البرامج التعليميّة التفاعليّة.	36- يُدرج زر (Button) في الدرس.	تطبيق
		37- يختار لون التعبئة للزر أحمر.	تحليل
		38- يشرح أهميّة المشغّلات (Triggers).	فهم
		39- يميز بين مهمة أدوات المشغلات في البرنامج.	تحليل
		40- يدرجطبقات عدة في الشريحة.	تطبيق
		41- يسمّ الطبقات في الشريحة.	تطبيق
		42- يبيّن رأيه في ترتيب الطبقات داخل لوحة طبقات الشريحة.	تقويم
		43- يدرج ارتباط تشعبيّ (Hyperlink) بين الشرائح في المشهد نفسه.	تطبيق
		44- يرسم مسار للماوس (Mouse).	تطبيق
		45- يدرج نص مناسب للفيديو.	تطبيق
		46- ينشئ مقطع فيديو.	تطبيق
		47- يعدّد خيارات إدراج التسجيل في البرنامج.	تذكر
		48- يعدّلصوت نقرة الماوس إلى نقرة مزدوجة.	تطبيق
		• ينمي اتجاهات إيجابيّة للطلبة نحو تنفيذ المحتوى الرقميّ.	وجداني
الرابعة	امتلاك مهارات تطوير المؤثرات في البرامج التعليميّة التفاعليّة.	49- يحدد طريقتي تسجيل الفيديو من شاشة الحاسوب.	تحليل
		50- يسجّل فيديو من شاشة الحاسوب بطريقة المحاكاة.	تطبيق
		51- يعرض ملف الفيديو المسجّل بطريقة تجربة الخطوات.	تطبيق
		52- يدرج حالة تفاعليّة من شريط الزمن.	تطبيق
		53- يضيف مفكرة تفاعليّة إلى التصميم التعليميّ التفاعليّ.	تطبيق
		54- يذكر أهميّة إضافة مفكرة تفاعليّةتعليميّة .	تذكر
		55- يصمّم متغيّرات نصيّة في المحتوى الرقميّ التفاعليّ.	تطبيق
		56- يكتشف نص مسألة حسابيّة مناسبة للعمليّة الحسابيّة التفاعليّة المكتوبة.	يبتكر
		57- يصمّم متغيرات رقميّة تفاعليّة.	تطبيق
		58- يصمّم قائمة تفاعليّة منسدلة.	تطبيق
		59- يعلّل إنشاء قائمة تفاعليّة مخصّصة.	فهم
		60- يبيّن رأيه في إدراج متغيرات نصيّة ورقميّة في المحتوى الرقميّ.	تقويم
		• ينمي الاتجاهات الإيجابيّة للطلبة نحو التعامل مع التفاعليّة في المحتوى التعليميّ باستخدام برنامج (Articulate Storyline).	وجداني
الخامسة	امتلاك مهارات التقويم للبرامج التعليمية التفاعلية.	61- يعدّد أشكال التقويم الإلكترونيّ التفاعليّ الممكنة في برنامج (Articulate Storyline).	تذكر
		62- يصمّم اختبار من نمط اختيار المفرد (اختيار من متعدد).	تطبيق
		63-يصمّم اختبار من نمط اختيار أكثر من إجابة صحيحة.	تطبيق

يبتكر

		64- يكتشف العنوان الرئيسي للنشاط المصوّر المحدد.	
		65- يصمّم اختبار صح أو غلط.	تطبيق
		66- ينشئ اختبار التوصيل.	تطبيق
		67- ينشئ اختبار التوصيل من قائمة.	تطبيق
		68- ينشئ اختبار الأرقام.	تطبيق
		69- يشرح أهمية إعادة ترتيب العناصر عند كل مرة يجيب فيها المتعلم على السؤال.	فهم
		70- يستنتج أهمية Requireفي البرنامج.	تحليل
		71- يصمّم التغذية الراجعة والتنقل بين الشرائح بالاعتماد على الإجابة.	تطبيق
		72- يضبط عدد محاولات الإجابة.	تطبيق
		73- يبيّن رأيه في أهمية إضافة شريحة النتيجة في نهاية الاختبار الإلكترونيّ .	تقويم
		74- يصمم تغذية راجعة نصية.	تطبيق
		75- يستنتج أهمية إدراج شريحة النتيجة في الاختبار الإلكترونيّ .	تحليل
		76- يدرج تسجيل صوتي للسؤال.	تطبيق
		77- يسجل تغذية راجعة صوتية.	تطبيق
		78- يصمم أنشطة تفاعليّة للمحتوى التعليميّ التفاعليّ.	تطبيق
		79- يشرح أهمية تحديد مدة زمنية للاختبار الإلكترونيّ .	فهم
		80- يصمم واجهة الاختبار الإلكترونيّ للمحتوى التعليميّ في البرامجالتعليمية التفاعليّة.	تطبيق
		• ينمّي الاتجاهات الإيجابية نحو أهمية استخدام الاختبارات الإلكترونيّة التفاعليّة في التعليم.	وجداني

الملحق رقم (2) الاختبارات الأدائيّة

الاختبار الأدائيّ القبلي/ البعدي 1 الخاص بمهارات تخطيط وتصميم سيناريو جديد للبرامج التعليمية التفاعلية باستخدام برنامج Articulate Storyline

اسم الطالب/ الطالبة:.....

المجموعة التجريبيّة : ( )، المجموعة الضّابطة ( ).

درجة الاختبار: ...درجة، ينال الطالب درجة واحدة عن كل مهارة فرعيّة أدّاها بشكل صحيح.

تعليمات الاختبار الأدائيّ:

- عزيزي الطالب/ الطالبة: يرجى قراءة بنود الاختبار جيّداً وتنفيذها بشكل عملي على الحاسوب.
- مستلزمات الاختبار من وسائط موجودة في مجلد الاختبار الأدائيّ 1 على سطح المكتب.

بنود الاختبار:

صمّم درساً الكترونياً تفاعليّاً يتكون من خمس شرائح، بعنوان: "التبدّل" لمادة العلوم للصّف الخامس الأساسيّ بطريقة إنشاء مشروع جديد.

1- افتح برنامج Articulate Storyline
2- أعد تسمية المشهد إلى (تبدل حالات الماء).
3- أعد تسمية الشرائح إلى: مقدمة عن حالات المادة، صور، فيديو، صوت، أشكال.
4- اختر من مشغّل (Player): القائمة.
5- اختر لون الخلفية للشرائح أزرق فاتح، واختر نوع الخط Arial.
6- أكتب في الشريحة الأوّل ى النص الآتي:

- التّجمُّد: عمليَّةُ تحوُّل المادّة من الحالةِ السَّائِلة إلى الحالة الصُّلبة بفقدانِها طاقةً حراريَّة.
- الانصهارُ: عمليَّة تحوُّلِ المادَّة من الحالةِ الصُّلبة إلى الحالةِ السَّائِلة باكتسابِها طاقةً حراريَّة.
- التّبخّر: عمليَّة تحوُّلِ المادَّة من الحالةِ السَّائِلة إلى الحالة الغازيَّة باكتسابِها طاقةً حراريَّة.
- التّكاثُف: عمليَّةُ تحوُّلِ المادّة من الحالة الغازيَّة إلى الحالة السّائِلة بفقدانِها طاقةً حراريَّة.

7- أضف إلى الشريحة الثانية مقطع فيديو عن حالات المادة.
8- فعّل خيار تشغيل الفيديو عند النقر.
9- اختر مكان عرض الفيديو داخل الشريحة.
10- أظهر شريط التحكّم في الفيديو بالإضافة إلى عدّاد الزّمن.
11- أضف إلى الشريحة الثالثة مجموعة الصور عن حالات الماء الموجودة في ملف الاختبار الأدائيّ في مجلد الصور على سطح المكتب.
12- أضف حركة دخول للصور بالتتابع ولتكن Grow.
13- أضف في الشريحة الرابعة ملفّاً صوتياً عن تبدّل حالات المادة.
14- اضبط مستوى الصوت وغيّره إلى (عالي).
15- أضف إلى الشريحة الخامسة شخصية (Character).
16- أدرج تعليق (Caption) واكتب بداخله (تبدّل حالات الماء)
17- أضف ثلاثة أشكال ولتكن (دوائر).
18- أكتب داخل كل (دائرة) اسم أحد حالات الماء.
19- طبّق حركة الانتقالات على كافّة الشرائح ولتكن Circle.
20- قم بإغلاق وتأمين الوسائط جميعها.
21- أعد تسمية الوسائط جميعها في شريط الزمن.
22- احفظ العمل ورقّمه برقم الاختبار في مجلد خاص باسمك على سطح المكتب.

.....

الاختبار الأدائيّ القبلي/ البعدي 2 الخاص بمهارات التنفيذ والتعامل مع أدوات التفاعليّة في البرامجالتعليميّةالتفاعليّة باستخدام برنامج Articulate Storyline

اسم الطالب/ الطالبة:.....

المجموعة التجريبيّة : ( )، المجموعة الضّابطة ( ).

درجة الاختبار: ...درجة، ينال الطالب درجة واحدة عن كل مهارة فرعيّة أدّاها بشكل صحيح.

تعليمات الاختبار الأدائيّ :

- **عزيزي الطالب/ الطالبة يُرجى قراءة بنود الاختبار جيّداً وتنفيذها بشكل عملي على الحاسوب.**
- **مستلزمات الاختبار من وسائط موجودة في مجلد الاختبار الأدائيّ 2 على سطح المكتب.**

بنود الاختبار:

1- افتح شريحة ماستر وارسم عليها زرين بشكل بيضوي.
2- اختر من قائمة Format لون تعبئة الزرين أحمر.
3- اكتب داخل الأزرار (السابق، التالي).
4- أدرج سهماً داخل كل زر.
5- عُد إلى الشريحة العاديّة وأدرج في الشريحة الأوّل ى صورة.
6- أدرج مساراً للماوس على الصورة.
7- عدّل صوت نقرة الماوس إلى نقرة مزدوجة Double.
8- عدّل مسار الماوس إلى خط مستقيم، وأخف تأثير نقرة الماوس.
9- أدرج في شريحة ثانية شخصية (Character).
10- أضف حالة States إلى الشخصيّة ولتكن (Asking).
11- أدرج متغيّراً رقميّ اً باسم Counter وقيمته (0).
12- صمّم في الشريحة الرابعة قائمة تفاعليّ ة مخصّصة تتضمّن ثلاثة أزرار تفاعليّة ، وسمّها (الدرس الأوّل ، الدرس الثاني، الاختبار).
13- أدرج 3 طبقات من لوحة الطبقات.
14- أعد تسمية الطبقات إلى (الدرس الأوّل ، الدرس الثاني، التقويم).
15- اربط كل زر مع الطبقة المسمّاه باسمه.

16- ضع في كل طبقة صورة من صور الحيوانات الفقارية، وصورة من صور الحيوانات اللافقارية.
17- أدرج ارتباطاً للزرين السابق واللاحق.
18- احفظ العمل ورقّمه برقم الاختبار في مجلد خاص باسمك على سطح المكتب.

.....

الاختبار الأدائيّ القبلي/ البعدي 3 الخاص بمهارات التقويم وتصميم الاختبارات الإلكترونيّةفي البرامج التعليمية التفاعليّة باستخدام برنامج (Articulate Storyline)

اسم الطالب/ الطالبة:.....

المجموعة التجريبيّة : ( )، المجموعة الضّابطة ( ).

درجة الاختبار: ...درجة، ينال الطالب درجة واحدة عن كل مهارة فرعيّة أدّاها بشكل صحيح.

تعليمات الاختبار الأدائيّ :

- **عزيزي الطالب/ الطالبة يُرجى قراءة بنود الاختبار جيّداً وتنفيذها بشكل عملي على الحاسوب.**
- **مستلزمات الاختبار من وسائط موجودة في مجلد الاختبار الأدائيّ 3 على سطح المكتب.**

بنود الاختبار:

1- أدرجشريحة جديدة لوضع تعليمات الاختبار(مقدمة للاختبار، عدد الأسئلة، الزمن).
2- صمّم سؤالاً من نوع الاختيار من متعدد، وحدّد عدد المحاولات بـــ (3) محاولات.
3- أرفق السؤال بمقطع فيديو.
4- صمّم تغذية راجعة صوتيّة للإجابات.
5- صمّم سؤالاً مصوراً من نوع Hot Spot
6- اكتب تغذية راجعة لكل خيار من خيارات الإجابة.
7- صمّم سؤال من نوع التوصيل
8- أرفق السؤال بصورة مناسبة.
9- صمم سؤال من نوع اختيار أكثر من إجابة صحيحة.
10- صمم تغذية راجعة صوتية لكل خيار.
11- صمم سؤال من نوع صح أو خطأ.
12- أرفق السؤال بتسجيل صوتي.
13- صمم تغذية راجعة نصية.
14- صمم اختبار أرقام.
15- فعل ميزة إعادة ترتيب العناصر بشكل عشوائي.
16- صمّم شريحة نتيجة الاختبار لكامل الشرائح.
17- فعّل خيار السماح للمتعلم بإعادة الاختبار.
18- حدّد درجة اجتياز الاختبار بـــ (60).
19- حدّد الوقت (15) دقيقة.

الملحق (3)

بطاقة ملاحظة أداء الطالب/ المتدرّب في تنفيذ مهارات البرامجالتعليميّة التفاعليّة باستخدامبرنامج (Articulate Storyline)

تتألف البطاقة من (62) بنداً تمثّل المهارات الخاصّة بتصميم البرامج التعليميّة التفاعليّةباستخدام برنامج (Articulate Storyline)، موزّعة على ثلاثة محاور؛ المحور الأوّل الخاص بالاختبار الأدائيّ (1)، والمحور الثاني الخاص بالاختبار الأدائيّ (2)، المحور الثالث الخاص بالاختبار الأدائيّ (3). والمهارة هنا إمّا أن تكون محقّقة وإمّا أن تكون غير محقّقة.

يُخصص درجة واحدة للمهارة التي تحقّقت ودرجة الصفر للمهارة التي لم تتحقّق، وعلى هذا تكون الدرجة الكليّة العظمى (62) درجة.

ولتحديد أداء الطالب/ المتدرّب يرجى من الملاحظ التقيّد بالتعليمات الآتية:

- عدم التحدّث مع الطّلبة قبل وأثناء وبعد إجراء الملاحظة أو التدخل في أدائهم.
- تدوين البيانات الخاصة بالطالب كما هو موضّح أدناه.
- وضع إشارة (√) في الحقل الذي يعبر عن مستوى المهارة.

البيانات الخاصّة بالطالب:

اسم الطالب/ الطالبة:.....

المجموعة التجريبية: ( )، المجموعة الضابطة ( ).

الرقم	البند	مستوى تحقّق المهارة	
		محقّق	غيرمحقّق
	المحور الأوّل الخاص بالاختبار الأدائيّ (1)		
1-	يفتح برنامج Articulate Storyline		
2-	يعيد تسمية المشهد إلى (تبدل حالات الماء).		
3-	يعيد تسمية الشرائح إلى: مقدمة عن حالات المادة، صور، فيديو، صوت، أشكال.		
4-	يختار من مشغّل (Player): القائمة.		
5-	يختار نوع الخط Arial.		
6-	يكتب في الشريحة الأوّل ى نص معين.		
7-	يضيف إلى الشريحة الثانية فيديو تعليميّ .		
8-	يفعّل خيار تشغيل الفيديو عند النقر.		
9-	يختار مكان عرض الفيديو داخل الشريحة.		
10-	يظهر شريط التحكّم في الفيديو بالإضافة إلى عدّاد الزّمن.		
11-	يضيف إلى الشريحة الثالثة أربعة صور عن حالات الماء.		
12-	يضيف حركة دخول للصور بالتتابع ولتكن Grow.		
13-	يضيف في الشريحة الرابعة ملفّاً صوتياً.		
14-	يضبط مستوى الصوت ويغيّره إلى (عالي).		
16-	يضيف إلى الشريحة الخامسة شخصية Character.		
17-	يدرج تعليق (Caption) ويكتب بداخله (تبدّل حالات الماء).		
18-	يضيف ثلاثة أشكال ولتكن دوائر.		
19-	يكتب داخل كل دائرة اسم أحد حالات الماء.		
20-	يطبّق حركة الانتقالات Circle على كافّة الشرائح.		
21-	يقوم بتأمين الوسائط جميعها.		
22-	يعيد تسمية الوسائط جميعها في شريط الزمن.		
	المحور الثاني الخاص بالاختبار الأدائيّ (2)		
23-	يفتح شريحة ماستر.		
24-	يرسم عليها زرين بشكل بيضوي.		
25-	يختار لون تعبئة الزرين أحمر.		
26-	يكتب داخل الأزرار (السابق، التالي).		
27-	يدرج سهماً داخل كل زر.		
28-	يعود إلى الشريحة العاديّة ويدرج في الشريحة الأوّل ى صورة.		
29-	يدرج مساراً للماوس على الصورة.		
30-	يعدّل صوت نقرة الماوس إلى نقرة مزدوجة Double.		
31-	يعدّل مسار الماوس إلى خط مستقيم.		
32-	يدرج في شريحة ثانية شخصية (Character).		
33-	يضيف حالة (States) إلى الشخصيّة ولتكن (Asking).		
34-	يدرج متغيّراً رقميّ اً باسم Counter وقيمته (0).		
35-	يصمّم في الشريحة الرابعة قائمة تفاعليّة مخصّصة تتضمّن ثلاثة أزرار تفاعليّة		
36-	يسمّي الأزرار (الدرس الأوّل ، الدرس الثاني، الاختبار).		
37-	يدرج ثلاث طبقات من لوحة الطبقات.		
38-	يعد تسمية الطبقات إلى (الدرس الأوّل ، الدرس الثاني، التقويم).		

39-	يربط كل زر مع الطبقة المسمّاه باسمه.		
40-	يدرج في كل طبقة صورة لحيوان فقاري، وصورة لحيوان لافقاري.		
41-	يدرج ارتباطاً للزرين السابق واللاحق.		
42-	يحفظ العمل.		
	المحور الثالث الخاص بالاختبار (3)		
43-	يدرج شريحة تعليمات الاختبار(مقدمة للاختبار، عدد الأسئلة، الزمن).		
44-	يصمّم سؤالاً من نوع الاختيار من متعدد.		
45-	يحدد عدد المحاولات بـــ (3) محاولات.		
46-	يرفق السؤال بمقطع فيديو.		
47-	يصمّم تغذية راجعة صوتيّة للإجابات.		
48-	يصمّم سؤالاً مصوراً من نوع Hot Spot.		
46-	يكتب تغذية راجعة لكل خيار من خيارات الإجابة.		
50-	يصمم سؤال من نوع التوصيل.		
51-	يرفق السؤال بصورة مناسبة.		
52-	يصمم سؤال من نوع اختيار أكثر من إجابة صحيحة.		
53-	يصمم تغذية راجعة صوتية لكل خيار.		
54-	يصمم سؤال من نوع صح أو خطأ.		
55-	يرفق السؤال بتسجيل صوتي.		
56-	يصمم تغذية راجعة نصية.		
57-	يصمم اختبار أرقام.		
58-	يفعل ميزة إعادة ترتيب العناصر بشكل عشوائي.		
59-	يصمم شريحة نتيجة الاختبار لكامل الشرائح.		
60-	يفعّل خيار السماح للمتعلم بإعادة الاختبار.		
61-	يحدد درجة اجتياز الاختبار بـــ (60)..		
62-	يحدد الوقت (15) دقيقة.		

تدني الأداء التشريعي لمجلس النواب العراقي وسبل تقويمه

أ.د. طه حميد حسن العنبكي
كلية العلوم السياسية – الجامعة المستنصرية
taha_aun2004@yahoo.com
009647711239720

م.م. علي محسن دشر الماهين
كلية العلوم السياسية – الجامعة المستنصرية
alimuhssen74@gmail.com
009647702812347

الملخص:
نتيجة لعملية التغيير التي حدثت بعد عام (2003) وما تمخضت عنها من تجاذبات سياسية وتدهور الاوضاع الامنية والاقتصادية انعكس ذلك بشكل أو بأخر على واقع مؤسسات الدولة بشكل عام والمؤسسة التشريعية (البرلمان) بشكل خاص الذي تعد في النظم البرلمانية المؤسسة الام التي تنبثق عنها سائر المؤسسات الاخرى.
وتضطلع هذه المؤسسة بمهام متعددة تقف في مقدمتها مهمة تشريع القوانين، وبمقتضى الدستور العراقي الصادر عام (2005) النافذ المؤسسة التشريعية تتكون من مجلسين هما (مجلس النواب ومجلس الاتحاد) وبما الثاني لم يتم تشكيله لغاية الان بسبب التجاذبات السياسية والصعوبات التي تعتريه من الناحية النظرية والواقعية سوف يقتصر البحث على مجلس النواب كونه هو الذي يضلع بمهمة التشريع.
ولكن ما يميز العملية التشريعية في النظم البرلمانية الاتحادية (الفيدرالية) بمراحلها المتعددة انها ليست حكراً على المؤسسة التشريعية (مجلس النواب) بل تشترك معها المؤسسة التنفيذية بل تعتبر الاخيرة ذات الدور الرئيس والفعال في عملية التشريع، ولا شك ان تلك العملية تواجه إشكالات عدة، سواء كانت دستورية، أم سياسية، أم ثقافية، أم إجتماعية، تؤثر حتماً في طبيعة وهيكلية وصياغة العمل التشريعي في إطاره العام ، ولا سيما إذا كان النظام السياسي قد اعتمد مسبقًا على مبدأ التوافق السياسي في عملية سن التشريعات وهذا ما يحصل في العراق التي اضحت فيه تلك العملية عرضة للمساومات بين اعضاء المؤسسة التشريعية (البرلمان) وأعضاء المؤسسة التنفيذية من جهة ، والاحزاب والكتل التي يمثلونها من جهة اخرى.
ولكن من الناحية العملية لم يكن الأداء التشريعي لمجلس النواب منذ عام 2006 – موعد تاريخ انعقاد أول مجلس تشريعي منتخب بعد دخول الدستور الدائم حيز النفاذ - ولغاية عام 2023- لم يرتقِ إلى أدنى مستويات الطموح في تشريع القوانين التي تخدم المواطنين، ويعود ذلك إلى سياسة المحاصصة الطائفية والعرقية والحزبية التي فرضها الواقع السياسي بعد التغيير ، وقد انعكس ذلك بصورة مباشرة على طبيعة تكوين مؤسسات الدولة على وجه العموم ، فضلاً عن عدم الانسجام بين القوى والأحزاب التي اشتركت في تشكيله يؤدي الى عدم الالتزام بالتوقيتات الدستورية وتأخير انعقاد المجلس وعدم الاتفاق على انتخاب الرئاسات فضلًا عن ذلك ترحيل القوانين المهمة والضرورية للوطن والمواطن في كل دورة، وذلك لأن كل طرف يسعى لتحقيق مصالحه على حساب المصلحة الوطنية، ومما عقد الأمور غياب التنسيق والتكامل بينها وبين مؤسسات الدولة الأخرى – مجلس النواب على وجه الخصوص .
وبغية تشخيص تلك الإشكالية – تدني الأداء التشريعي لمجلس النواب خلال الدورات النيابية المذكورة – لابد من تقسيم هذا البحث – فضلاً عن المقدمة والخاتمة - على المباحث الآتية:

المبحث الأول: الأداء التشريعي لمجلس النواب العراقي للمدة (2006 -2014)
المبحث الثاني: الأداء التشريعي لمجلس النواب العراقي للمدة (2014 -2023)
المبحث الثالث: سبل تقويم الأداء التشريعي لمجلس النواب العراقي

الكلمات المفتاحية: مجلس النواب، الأداء، التشريع، الدستور، العملية السياسية، التقويم

The decline in the legislative performance of the Iraqi Council of Representatives and ways to evaluate it during the period (2006-2023)

Prof.Taha Hamid Al-Anbaki
assistant teacher :ali mohsin Desher Al-Mahin
College of Political Science / Al-Mustansiriya University

Abstract

As a result of the process of change that took place after the year (2003) the resulting political tensions and the deterioration of the security and economic conditions, this were reflected in one way or another in the reality of state institutions in general and the legislative institution (Parliament) in particular, which in parliamentary systems is considered the mother institution from which all other institutions emanate the other.

This institution carries out multiple tasks, foremost of which is the task of legislating laws, according to the Iraqi constitution promulgated in (2005) in force, the legislative institution consists of two chambers (the House of Representatives and the Council of the Union), and since the second has not been formed yet due to political tensions and difficulties that it faces in theory and reality. The search will be limited to the House of Representatives, as it is the one responsible for legislating. However, what distinguishes the legislative process in the federal (federal) parliamentary system with its multiple stages is that it is not monopolized by the legislative institution (the House of Representatives), but rather the executive institution participates in it. Rather, it is considered the latter with the main and effective role in the legislative process.

There is no doubt that this process faces several problems, Whether it is constitutional, political, cultural, or social, it inevitably affects the nature, structure, and formulation of legislative work in its general framework, especially if the political system had previously relied on the principle of political consensus in the process of enacting legislation, and this is what is happening in Iraq, in which it has become The process is subject to bargaining between members of the legislative institution (Parliament) and members of the executive institution on the one hand, and the parties and blocs they represent on the other hand.

However, in practice, the legislative performance of the House of Representatives since 2006 - the date of the first elected legislative council after the entry into force of the permanent constitution - until 2023 - has not risen to the lowest levels of ambition in enacting laws that serve citizens, and this is due to the quota policy.

sectarian, ethnic and partisan imposed by the political reality after the change, and this was directly reflected like the formation of state institutions in general,

in addition to the lack of harmony between the forces and parties that participated in its formation leads to non-compliance with the constitutional timings and the delay in convening the council and the lack of agreement on the election of the presidencies as well As a result, the important and necessary laws for the homeland and the citizen should be deported in each session, because each party seeks to achieve its interests at the expense of the national interest, and what complicated matters is the lack of coordination and integration between it and other state institutions – the parliament in particular.

To diagnose this problem - the poor legislative performance of the House of Representatives during the aforementioned parliamentary sessions - this research must be divided - in addition to the introduction and conclusion - into the following investigations:

The first topic: the legislative performance of the Iraqi Council of Representatives for the period (2006-2014)

The second topic: the legislative performance of the Iraqi Council of Representatives for the period (2014-2023)

The third topic: ways to evaluate the legislative performance of the Iraqi Council of Representatives

keywords : (House of Representatives, performance, legislation, constitution, political process, and evaluation)

المقدمـــــة

فـرض عمليـة التغييـر السياسـي بعـد عـام (2003) واقعًـا سياسـيًا جديـد الـذي تمخضـت عنـه المحاصصة السياسية المشرعنة وفقًا للدستور العراقي والتي أفرزتها الديمقراطية التوافقية إذ تقوم الأخيرة علىتقسيم مؤسسات الدولة بين القوى الأحزاب السياسية (السنية، الشيعية، الكردية) ونتيجة لصراع الهوية بين هذه المكونات اخذ كل واحد منهم يبحث عن مصالحة الضيقة بل تعدى الامر اكثر من ذلك اضحى كل حزب يبحث عن مصالحه الخاص داخل المكون نفسه.

الامر الذي أدى الى تشظي عمل مؤسسات الدولة وفقدانها البوصلة الصحيحة لخدمة المجتمع والدولة، لان الأخيرة تم تأسيسها وفق أسس معينة قائمة على تقاسم المغانم في كافة مفاصلها وصولًا الى بقية مؤسسات الدولة على وجه العموم ومجلس النواب على وجه الخصوص وحتى لم يشرعن لهاالدستور، شرعت لها الممارسة السياسية ابتداء من الدورة النيابية الأولى عام (2006-2010) الى الدورة النيابية (2018-2023)، والتي اثرت بشكل مباشر على أداء مجلس النواب بصورة عامة واداءه التشريعي بصورة خاصة إذ اضح الأخير تتحكم به الانتماءات المتعددة الحزبية والطائفية والعرقية وحتى الشخصية والمصالح الخاصة للأحزاب السياسية دون مراعاة المصلحة العامة لان الأحزاب والجماعات السياسية المكونة لمجلس النواب هي احزاب تعتمد على الجماعة أو الطائفة أو العرق أو المذهب بالدرجة الأساس ولا تعتمد برنامج وطني شامل الذي يخدم المصلحة العامة، وكل ما تقدم اثر بشكل مباشر على الأداء التشريعي لمجلس النواب العراقي وجعله لا يرتقي الى ادنى مستويات الطموح، لذا سنتطرق إلى أداء مجلس النواب التشريعي - كونه مازال هو المجلس التشريعي الوحيد في البرلمان (المؤسسة التشريعية) – خلال الدورات النيابية الاربعة الواقعة ضمن نطاق البحث، ونحاول وضع بعض الحلول التي من شأنها ان تساهم في معالجة هذا الخلل الذي شوه الدور التشريعي لمجلس النواب، وذلك من خلال ثلاثة مطالب فضلًا عن المقدمة والخاتمة، وكما يأتي:

المطلب الأول: الأداء التشريعي لمجلس النواب العراقي للمدة (2006 -2014)

المطلب الثاني: الأداء التشريعي لمجلس النواب العراقي للمدة (2014 -2021)

المطلب الثالث: سبل تقويم الأداء التشريعي لمجلس النواب العراقي.

الكلمات المفتاحية تتمثل بـ(مجلس النواب، الأداء، التشريع، الدستور، العملية السياسية، التقويم)

المبحث الاول: الأداء التشريعي لمجلس النواب العراقي للمدة (2006 -2014)

مما لا شك فيه إن أداء أية مؤسسة يرتكز بالدرجة الأساس على إطارها البنيوي، لذا لابد من التعرف على تشكيلة مجلس النواب وبشكل مختصر في تلك المرحلة.

المطلب الأول: أداء مجلس النواب العراقي للدورة النيابية (2006-2010)

اولًا: تشكيلة مجلس النواب العراقي على وفق انتخابات عام (2005):

إثـر إجـراء أول انتخابـات نيابيـة -بموجـب الدسـتور الـدائم الصـادر عـام 2005 – يـوم (2005/12/15)، انبثقت أول مؤسسة، وتلك هي المؤسسة التشريعية(البرلمان - مجلس النواب)، وهي بذلك تعد المؤسسة الأم – على وفق تقاليد النظم البرلمانية السائدة في العالم المعاصر- كما أنها تعد بمثابة

تجسيد لإرادة الشعب العراقي، وقد مثل ذلك نقطة تحول تاريخية للعراق وللعراقيين (تغريد حنون، 2008، ص210) (تغريد حنون، 2010، ص291).

وقد تم انتخاب اعضاء مجلس النواب بالاقتراع السري المباشر من قبل الشعب بموجب قانون رقم (16) لعام (2005)، اذ نص هذا القانون على ان مجلس النواب يتألف من (275) مقعداً منها (230) مقعداً توزع على الدوائر الانتخابية، و(45) مقعداً توزع كمقاعد تعويضية (قانون الانتخابات رقم (16) لعام (2005))، وشارك في انتخابات هذه الدورة النيابية ما يقارب (19) ائتلافاً سياسياً و (307) كياناً سياسياً تضم ما مجموعه (7655) مرشحاً (تقييمالبعثة الدولية للانتخابات العراقية، بلا، ص10-18)، لكن لم يفز من هذه الائتلافات الا (12) ائتلافاً سياسياً وبعد ذلك تكونت خارطة الكتل النيابية داخل مجلس النواب من (16) كتلة نيابية (دفار:عادل حسن ، بلا، ص2).

وكانت تلك الانتخابات بمثابة نقطة تحول تاريخية في العراق، إذ تعد أول انتخابات نيابية جسدت احدى اهم صور الديمقراطية المعاصرة، ولكن في الوقت ذاته واجهت تلك العملية تحديات جمة منها، التحديات الأمنية، وتدني مستوى الوعي الثقافي لدى الناخب العراقي، وكذلك غياب التعداد السكاني الذي يضمن توزيع عادلاً للمقاعد النيابية، فضلاً عن الشكاوى والاتهامات المتبادلة بين القوى السياسية حول نزاهة وعدم نزاهة تلك العملية، وكل ذلك انعكس سلباً على الإطار البنيوي للمؤسسة التشريعية (مجلس النواب)، الامر الذي أدى الى تلكؤ أدائه التشريعي وتخبطه.

كما إن عدم حصول أي من الائتلافات أو الكيانات السياسية على الأغلبية المطلقة (50%+1) في مجلس النواب والتي تمكنها من تشكيل الحكومة، دفع الكتل الى التحالف فيما بينها وتشكيل حكومة ائتلافية شملت كل تلك الكتل، الامر الذي أدى الى غياب المعارضة واعتماد نظام التوافقية (م.م. صديق: فلاح مصطفى؛ اسماعيل: كاروان اورحمان، 2017، ص117).

واعتمد هذا القانون طريقة القائمة المغلقة، على ان توزع المقاعد المخصصة لكل قائمة على المرشحين بالاستناد على ترتيب الأسماء الوارد فيها (المادة (9) و(12) من قانون الانتخابات رقم (16) لعام (2005))، الامر الذي ساهم في صعود الكثير من النواب الذي لا يملكون المؤهلات والخبرة اللازمة للاضطلاع بمهمة العمل النيابي والكيفية التي يتم فيها سن القوانين التي تخدم المصلحة العامة.

ووفقًا لذلك ان النائب الذي يحصل على مقعد نيابي سيكون مدين للحزب أو القائمة التي أوصلته الى هذا المكان، ومن ثم يكون ولائه للحزب أو القائمة على حساب ولائه للدائرة الانتخابية التي انتخبته (العاني: حسان شفيق، 2005، ص36)، مما ساعد ذلك على اللجوء الى التخندق الطائفي والمناطقي والحزبي في اختيار المرشحين وليس على اساس الكفاءة والولاء للوطن والعمل من اجل المصلحة العامة.

وبناءً على الأخير تم انتخاب رئاسة المجلس على أساس طائفي أو قومي أو حزبي، إذ انتخب (محمود المشهداني) رئيساً للمجلس عن جبهة التوافق العراقية الممثلة لأهل السنة، وانتخب (خالد العطية) نائباً اول له عن الائتلاف العراقي الموحد الذي يمثل الشيعة، وتم انتخاب (عارف الطيفور) نائباً ثاني لرئيس المجلس عن التحاف الكوردستاني الذي يمثل الاكراد (الجلسة الأولى لمجلس النواب العراقي16/3-2006/4/22)، وكذلك الحال بالنسبة للجان المجلس الذي تم توزيعها على هذا الاساس، فرئيس اللجنة من كتلة معينة ونائبه من كتلة أخرى (علي: امنة محمد، 2015، ص108).

وهذا بطبيعة الحال خلق حالة عدم انسجام داخل مجلس النواب والحكومة على حد سواء، مما أدى الى ضياع المسؤولية وضعف التنسيق، وغياب التكامل الذي تستدعيه عملية تشريع القوانين التي تقتضيها المصلحة العامة وينشدها المواطنين، فضلًا عن ذلك فقدان اللجان البرلمانية فاعليتها أدى الى عرقلة عمل التشريعي لمجلس النواب لأنها تمثل العصب الحيوي له وهذه العلة الاساسية التي تقف وراء تدني أداء المجلس لأنها أصبحت مجرد مناصب تعطى لأرضى الكتل السياسية.

ثانيًا: الأداء التشريعي:فقد نص الدستور العراقي الصادر عام (2005) على وجود نافذتين لإصدار القوانين واحدة منها مجلس النواب والمتمثلة بعشرة نواب أو إحدى لجانه وذلك من خلال تقديم مقترحات القوانين' وهذا ما نصت عليه فقرة اولاً من المادة (62) على ان ترسل تلك المقترحات الى الحكومة ومجلس الوزراء لصياغتها كمشروعات قوانين[*]، فضلاً عن مناقشة مشروعات القوانين التي تقترحها أو تقدمها المؤسسة التنفيذية بفرعيها (رئاسة الجمهورية ومجلس الوزراء)، وبعد ذلك تعرض تلك المشروعات على مجلس النواب لمناقشتها ومن ثم التصويت عليها(العنبكي: طه حميد، 2016، ص61)، ومن ثم تأخذ طريقها اذا ما تمت الموافقة عليها داخل مجلس النواب الى التصديق والنشر، لذا فأن مجلس النواب هو المؤسسة المسؤولة عن وضع القوانين والقواعد العامة الملزمة لجميع الافراد، وبذلك تُعد من اهم مؤسسات النظام السياسي بفعل الاختصاصات الممنوحة له.

وفيما يتعلق بالتصويت داخل مجلس النواب، فبفعل الطريقة والالية التي حاز فيها أعضاء مجلس النواب على مقاعدهم – كما أسلفنا القول - فأن تلك العملية كانت تجري على الاعم الاغلب على أساس الولاءات لكتل كرست ثقافة الخضوع، إذ إن أعضاء مجلس النواب لا يصوتون على أساس قناعاتهم وبمحض ارادتهم وعلى أساس تحقيق مصلحة المواطن والوطن، بل انهم يصوتون بناءً على ما تمليه عليهم الكتلة التي ينتمون إليها، بل على وفق رغبة وإرادة رئيس الكتلة أو الحزب الذي ينتمون اليه (البكري: ياسين سعد محمد، 2009، ص71).

ولابد من الإشارة ان من اهم الحالات التي اثرت على أداء مجلس النواب التشريعي هي استمرار حالات غياب للكثير من أعضاء مجلس النواب، ولم يتخذ المجلس أي اجراء بحقهم بالرغم من تأكيد النظام الداخلي له على ضرورة محاسبتهم، وهذا التغافل أدى ببعضهم الى عدم الحضور الا في جلسة ترديد القسم(السويراوي: عبد الله، نظرة مستقبلية للبرلمان الجديد 11/5/ 2010) (عصام حاكم، ظواهر غير قانونية في أداء مجلس النواب العراقي، 28/نيسان/2016)

فضلاً عن عدم تحقيق النصاب في مناسبات عديدة نتيجة انسحاب أو التهديد بالانسحاب من قبل بعض الكتل السياسية داخل مجلس النواب أثر بشكل كبير على عدم إقرار القوانين المهمة التي تنفع الوطن والمواطن، ففي عام (2007)، علقت جبهة التوافق عضويتها وفي العام نفسه هددت أيضاً بسحب وزرائها من الحكومة إذا لم تنفيذ المطالب المتفق عليها بين الكتل السياسية، وكانت قبل ذلك قاطعت جلسات

[*] أصدرت المحكمة الاتحادية قرارتها (43) و(44) اتحادية في 2010/7/12، وتم بموجبهما سلب مجلس النواب صلاحيته في اقتراح القوانين وأصبحت هذه الصلاحية عملياً بيد المؤسسة التنفيذية، فقد قضت المحكمة بعد جواز اصدار أي قانون بناءً على أساس مقترح، وان أي مقترح يتقدم بها أعضاء مجلس النواب لا بد الرجوع به الى المؤسسة التنفيذية لأنه فكرة والقانون لا يصدر الا بمشروع قانون الذي تعده المؤسسة التنفيذية وبموافقتها. ينظر: احكام وقرارات، المحكمة الاتحادية العليا، 2010/7/2، موقعها الرسمي على الرابط:https://www.iraqfsc.iq/krarat/1/2010/44_fed_2010.pdf 2023/7/20.

اجتماعات مجلس النواب إثر الازمة التي اثيرت حول رئاسة (محمود المشهداني) لمجلس النواب، ورفض كتلة الائتلاف العراقي الموحد لرئاسته (جاسم: عماد مؤيد، 2014، ص105).

ويمكن رصد مجمل الأداء التشريعي لمجلس النواب خلال هذه الدورة من خلال الدخول في تفاصيل تلك الدورة من حيث عدد الجلسات كون عدم الالتزام بانعقاد الجلسة وتوقيتاتها تؤثر بشكل كبير على عمل المجلس واعداد القوانين التي تدخل اليه، فقد عقد مجلس النواب خلال الدورة النيابية الأولى (306) جلسة على مدى الفصول التشريعية الثمان، ولا بد من الإشارة ان هذه الجلسات الاعتيادية تخللتها (6) ستة جلسات استثنائية، و (34) أربعة وثلاثون جلسة مفتوحة، و (9) تسعة جلسات تداولية (منشورات مجلس النواب العراقي، انجازات (2008)).

وتأسيسًا على ذلك يمكن رصد والقوانين التي تم التصويت عليها، والقوانين التي تمت قراءتها قراءة أولى والقوانين التي تمت قراءتها قراءة ثانية ولم يصوت عليها، أما بالنسبة القوانين التي دخلت مجلس النواب فقد بلغ عددها (421)، والقوانين التي تمت قراءتها قراءة أولى فقد بلغ عددها ما يقارب (76)، في حين بلغ عدد القوانين التي تم قراءتها قراءة ثانية ولم يصوت عليها (33)، وبلغ عدد القوانين التي لم يتم قراءتها ابداً بالرغم من احلتها الى اللجان المختصة داخل مجلس النواب (86)، وهنالك (17) قانوناً تم اعادته الى الحكومة وإيقاف عمل سير التشريع بشأنها، اما القوانين التي تم التصويت عليها (219)، (الدائرة البرلمانية: حركة مشروعات ومقترحات القوانين داخل مجلس النواب العراقي، (2006-2010)).

واضف الى ذلك ان اغلب القوانين التي تم اقراراها من قبل مجلس النواب لم تكن تصب في خدمة المواطن أو يركز على بناء مؤسسات الدولة وما يتصل بها، بالرغم من ان المشرع الدستوري العراقي قد ترك ما يقارب (67) مادة او فقرة من أصل (144) مادة توزعت على موضوعات عدة منها سياسية ومنها اقتصادية ومنها موضوعات تمس الحريات وتنظيمها، وموضوعات أخرى جميعها تصب في التكامل المؤسساتي وبناءها، الا ان في هذه الدورة لم يفلح مجلس النواب الا في اصدار (15) قانون من أصل (67) أي ما يقارب (21%) من القوانين المطلوب تشريعها، وبالرغم من ذلك ان هذه التشريعات انصبت في الأمور التي لا تحاكي التكامل المؤسسي للدولة، بل ركزت على القوانين التي تضمن الامتيازات لشرائح متضررة من النظام السابق أو تلك التي تحاكي المرحلة الانتقالية كقانون المسائلة والعدالة وقانون هيئة النزاعات الملكية (مجلس النواب العراقي، القوانين المطلوب تشريعها دستورياً، ص1) ، وهذا كما هو موضح في الجدول رقم (1) في ادناه، وكما يأتي

جدول (1) يوضح نوعية القوانين التي اقرها مجلس النواب

ت	نوعية القوانين	العدد
1	قوانين تتعلق بإلغاء قرارات مجلس قيادة الثورة المنحل	35
2	قوانين معدلة	64
3	تصديق وانضمام العراق الى اتفاقيات	47
4	قوانين تتعلق بالجانب الأمني	6
5	قوانين تتعلق بالمواد الدستورية والانتخابية وتشكيل وزارات وهيئات (قوانين تنظيمية)	67
6	المجموع	219

الجدول من اعداد الباحثانان بالاعتماد على: دفار: عادل حسن، بلا، ص10-11

المطلب الثاني: تشكيل وأداء البرلمان العراقي للدورة النيابية (2010-2014)

اولًا: تشكيلة البرلمان (مجلس النواب العراقي) على وفق انتخابات عام (2009):

بما ان النظام الانتخابي يؤدي دوراً مهماً في التأثير على الأطر البنيوية والوظيفية للمؤسسات الدستورية والسياسية عندما شارفت الدورة النيابية الأولى على الانتهاء سعت الكتل الكبيرة الى تغيير قانون الانتخاب ، وبعد مخاض عسير وبسبب عدم امكانيتها في اصدار قانون جديد اكتفت بتعديل القانون السابق على اثر اصدار قانون رقم (26) لعام (2009) وهو بمثابة تعديل لقانون انتخابات رقم (16) لعام (2005) (احمد: لقمان عثمان؛ عباس: الفاروق عبد الرحمن، 2014، ص349)، اذ ركز هذا القانون على تبني القائمة المفتوحة وزيادة عدد مقاعد مجلس النواب الى (325) عضواً بعد ان كانت (275) عضواً في الدورة السابقة وهذه الزيادة جاءت بعد إضافة نسبة النمو السكاني البالغة (2,8%) لكل محافظة سنوياً (الفقرة اولاً من المادة (1) من قانون تعديل قانون انتخابات رقم (16) لعام (2005))، وكما قلل هذا القانون عدد المقاعد التعويضية من (45) مقعد الى (15) مقعد اذ توزع (8) من هذه المقاعد على المكونات (الاقليات)، و(7) منها توزع كمقاعد تعويضية وطنية على الكيانات الفائزة بنسبة ما حصلوا عليه من مقاعد، اذ توزع المقاعد التعويضية الوطنية بقسمة عدد المقاعد للكيان على المستوى الوطني على عدد المقاعد العامة البالغة (310) مقعد مضروبا في (7) (المفوضية العليا المستقلة للانتخابات، 2010م، ص3)،

وتنافس في ظل هذه الانتخابات (6281) مرشحاً بينهم ما يقارب (1813) امرأة، توزعوا على (161) كياناً سياسياً، موزعين على (12) ائتلافاً سياسياً(المفوضية العليا المستقلة للانتخابات، الكيانات المشاركة في الانتخابات التشريعية (2010))، وانخفض عدد الكيانات السياسية بشكل ملحوظ بالمقارنة بالانتخابات السابقة، فضلاًعن انخفاض عدد المرشحين وعدد الكيانات السياسية المشاركة في الانتخابات، وفازت في هذه الانتخابات (9) تسعة ائتلافات بهذه الانتخابات، وبعد ذلك تكونت خارطة الكتل النيابية داخل مجلس النواب من (11) كتلة (الدفار: عادل حسن، بلا، ص2).

وبفعل اعتماد هذا القانون الباقي الأقوى في احتساب الأصوات في هذه الانتخابات أدى الى اهدار الأصوات التي حصلت عليها القوائم الصغيرة ومن ثم عدم فوزها بأي مقعد داخل المجلس، بالرغم من إنها حصدت أصوات كثيرة على مستوى العراق، الامر الذي ساعد الكتل الكبيرة في الحصول على كل المقاعد التعويضية الوطنية، إذ اخذت هذه القوائم تمنحها لمن تشاء دون وجه حق، وهذه واحدة من المأخذ التي سجلت على قانون الانتخابات، وكما حصلت انقسامات في صفوف الكتل السياسية، إذ انقسمت بعض الكتل الى كتلتين أو أكثر، وانقسمت الأحزاب نفسها وبرزت قيادات وأحزاب وكتل سياسية جديدة الامر الذي زاد من حدة الاختلاف داخل المجلس ومن ثم انعكس ذلك على أداؤه في مختلف المجالات.

كما رافقت هذه الانتخابات إشكالية في الية احتساب المقاعد للفائزين، فهناك مرشحين فازوا بمقعد دون الحصول على القاسم الانتخابي، نتيجة حصول زعماء قوائمهم على نسبة عالية من الأصوات اذ اخذو يمنحوها الى من هو الأقرب لهم، فضلاً عن صعود نساء الى مجلس النواب وهنَ لم يحصلن الا على أصوات قليلة جداً، وكان ذلك بفعل نظام (الكوتا) النسائية، وكان ذلك على حساب رجال حصلوا على أصوات كثيرة(العنبكي: طه حميد، 2010، ص19-20) (الاسدي: ضياء عبد الله، 2010، توزيع المقاعد التعويضية الوطنية (نظرة قانونية)).

وبهذه الاحداث وبعد المصادقة على نتائج الانتخابات عقدت جلسة الافتتاحية لمجلس النواب برئاسة أكبر الأعضاء سناً يوم (6/13/ 2010)، التي كان من المفترض أن تجري خلالها عملية انتخاب رئيس مجلس النواب ونائبيه، لكن الاختلاف بين الكتل السياسية حول اختيار رئاسات الثلاث (رئاسة الجمهورية، ومجلس النواب، ومجلس الوزراء)، رفعت الجلسة وبقيت مفتوحة ولم ينتخب رئيس مجلس النواب ونائبيه، وذلك بسبب عدم الاتفاق حول الشخصيات المرشحة لتلك الرئاسات(مجلس النواب، محضر الجلسة الافتتاحية الاولى، 2010).

وتم استئناف الجلسة المفتوحة التي امتدت من (2010/6/14 – 2010/10/24) بعد ان حكمت المحكمة الاتحادية العليا بعدم دستوريتها ودعت رئيس السن (فؤاد معصوم) الى انهائها، بناءً على دعوى رفعتها عدد من منظمات المجتمع المدني على رئيس مجلس النواب وتم كسب الدعوى لصالحهم وصدر القرار في (10/24/ 2010) وتضمن إلزام مجلس النواب إنهاء واستئناف جلساته خلال أسبوعين من تأريخ صدور قرار المحكمة المذكور، لان ذلك يمثل خرقاً للدستوروصادر مفهوم (الجلسة الاولى) ومراميها التي قصدتها المادة (55) من الدستور النافذ (: المحكمة الاتحادية العليا، 2010، احكام وقرارات).

وهذا التأخير في عقد جلسات المجلس وعدم احترام المواقيت الدستورية من الأسباب الرئيسة التي تؤدي الى تلكؤ وعرقلة العمل البرلماني ومن ثم حرمان المواطنين من الكثير من القوانين التي تتطلب الإقرار والمصادقة لكي تدخل حيز النفاذ، فضلاً عن انها تتقف حجر عثرة في طريق الأداء التشريعي، لان الجلسة المفتوحة بمثابة تعطيل لعمل المجلس افي مختلف المجالات.

وبعد ان تم استئناف جلسات مجلس النواب نتيجة لقرار المحكمة الاتحادية العليا واتفاق الكتل السياسية لتسوية الخلافات التي أدت الى رفع الجلسة وابقاءها مفتوحة حسمت رئاسة مجلس النواب وعلى أساس المحاصصة الطائفية والقومية، اذ تم انتخاب عن المكون السني (اسامة النجيفي) رئيساً لمجلس النواب عن القائمة العراقية، وانتخب عن المكون الشيعي (قصي السهيل) نائباً اول له عن التحالف الوطني، وعن المكون الكردي (عارف طيفور) عن التحالف الكوردستاني.

أما بخصوص تشكيل اللجان البرلمانية، فقد اخذت المحاصصة الطائفية والحزبية مأخذها في ذلكفقد زاد عددها إذ تم تشكيل (26) لجنة دائمة، وهذه الزيادة جاءت نتيجة لتجذر مبدأ التوافق والمحاصصة فلم يتم الاتفاق على تشكيلها إلا في الجلسة الرابعة من جلسات مجلس النواب(مجلس النواب العراقي، 2010، محضر الجلسة الرابعة).

وبهذه الاحداث والسلوكيات التي تسلكها الكيانات والتحالفات السياسية ظلت الخارطة السياسية لمجلس النواب تعاني من الاصطفاف القومي والطائفي والحزبي، الامر الذي ادى الى استمرار حالة عدم الانسجام داخل المؤسسة الام (مجلس النواب)، فضلًا عن ذلك ان استمرار الخلافات والتجاذبات والصراعات في بعض الأحيان مما سينعكس سلباً على أداء تلك المؤسسة كما سنرى، ولكن بالمقابل امتازت انتخابات هذه الدورة النيابية ارتفاع نسب المشاركة للمناطق التي قاطعت الانتخابات في الدورة الأولى، فضلاً عن تحسن الوضع الأمني نوعاً ما في الكثير من المناطق، وزيادة الوعي السياسي والانتخابي للناخب، الأهم من هذا كله تشكلت قوائم انتخابية وكتل نيابية ليست طائفية أو انها على الأقل تدعي ذلك

ثانيًا: الأداء التشريعي:

نتيجة لبروز أحزاب كتل سياسية جديدة في هذه الدورة بفصل الانقسامات التي حدثت داخل الأحزاب والكتل السياسية تفاقمت حالة عدم الانسجام داخل مجلس النواب وادى الى تلكؤ عمله في جميع مفاصله والتي استمر طيلة تلك الدورة النيابية (جاسم: خيري عبد الرزاق، 2009، ص16-18)(الغزي: ناجي، ظاهرة الفساد مسبباتها وتحليلها واثارها على المجتمع)، وهذه التفاصيل والتكتلات أدت الى ضياع الرؤية الوطنية الموحدة التي تهدف الى بناء المجتمع لدى اعضاء مجلس النواب، فضلاً عن ان الكيانات السياسية الممثلة فيه أضحت تبحث وتتمسك بالمناصب التنفيذية أكثر من التشريعية(صحيفة الصباح الجديد، مجلس النواب ما زال يحصد ثمار ما زرعه من بذور طائفية)، ومن ثم أدى ذلك الى هيمنة الصراعات والخلافات على علاقات الأحزاب والكتل السياسية بفعل تباين وتعارض مصالحها وتوجهاتها السياسية فضلًا عن ذلك تفضيل مصالحهم الخاص على المصلحة العامة، مما انعكس بشكل سلبي على أداء البرلمان العراقي (مجلس النواب) وفسح المجال امام التدخلات الإقليمية في الشؤون الداخلية.

وفي خضم تلك الاوضاع خيم شعور لدى اغلب الناخبون بصورة خاصة وسائر المجتمع العراقي بصورة عامة بأن الكتل والأحزاب السياسية لم تفي بما قدموا من وعود انتخابية لهم، كما انها لم تعمل على تبني الموضوعات والقضايا الحساسة والمصيرية والأساسية التي اوكل الدستور أو المشرع العراقي امر تنظيمها الى مجلس النواب، لذا فشل الأخير فشلًا ذريعًا في اصدار تلك القوانين التي تعد في غاية الأهمية مثل: قانون الأحزاب، وقانون مجلس الاتحاد، وقانون المحافظات المتنازع عليها...غيرها(الحلو: مشتاق، وقفة مع أداء البرلمان العراقي وكتله)، وبدل ان تسعى تلك الأحزاب الى اصدار قوانين تصب في خدمة المجتمع وتحقيق النهضة الشاملة في مختلف القطاعات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والخدمية والصحية ، أخذت تنساق وراء مصالحها الضيقة على حساب المصلحة العامة.

وكانت من الأسباب الرئيسية التي أدت الى تعطيل وتلكؤ أداء مجلس النواب هو تعمد غياب النواب في اغلب الأحيان من اجل كسر النصاب القانوني للجلسة لمنع تمرير قانون معين يضر بمصالح الكتلة المخلة بالنصاب أو لصالح جمهورها مما أدى الى استمرار التلكؤ وضعف في الأداء في المجال التشريعي في هذه الدورة(حاكم: عصام ، ظاهرة إخلال النصاب القانوني لتعطيل تشريع القوانين، 2018)، وهذا ما حدث فعلاً عندما عمد نواب القائمة العراقية الى مقاطعة جلسات البرلمان في كانون الثاني (2012) نتيجة الاتهامات التي وجهت الى طارق الهاشمي وتم إصدار مذكرة قبض بحقه بتهمه إدارة مجاميع إرهابية، كما قاطع التحالف الكردستاني في حزيران (2013)، لمساومة المركز على حصة الإقليم من الموازنة اذ عمدوا الى كسر نصاب الجلسات التي خصصت لأقرارها لرفع سقف تخصيصات المالية للإقليم من الموازنة، وكذلك قاطعت ائتلاف دولة القانون جلسات مجلس النواب احتجاجاً على هيئة رئاسة المجلس لعدم ادراجها مشروع قانون الموازنة العامة للدولة لعام (2014) في جدول الاعمال (الركابي: هاتف محسن، 2016، ص349)، أو هناك من يغيب عن جلسات المجلس بشكل متكرر وربما مستمر،مما يؤدي الى عدم تمثيل شرائح كبيرة من المجتمع داخل المجلس لنقل وجهات نظرهم حول ما يقرر من سياسة عامة، اذ تشير بعض الاحصائيات بلغت عدد غيابات أعضاء مجلس النواب في هذه الدورة الواحدة ما يقارب (3433) غياب، والبعض من النواب شكلت نسبة غيابهم خمس جلسات متتالية أو اكثر رغم ان النظام الداخلي لمجلس النواب في مادة (18)، فقرة ثانياً على هيئة الرئاسة في حال تكرار عضو مجلس النواب الغياب لخمس مرات متتالية أو عشر مرات غير متتالية خلال الدورة السنوية ان توجه تنبيهاً خطياً الى العضو الغائب تدعوه الى الالتزام بالحضور وفي حالة عدم امتثاله يعرض الموضوع على المجلس

بناءً على طلب الهيئة واستقطاع من مكافأة العضو في حالة غيابه نسبة معينة يحددها المجلس (النظام الداخلي لمجلس النواب العراقي، 2013) وكل هذه الاسباب وغيرها تؤدي حتمًا الى تعطيل عمل مجلس النواب التشريعي والرقابي على حداً سواء، وقد ينعكس ذلك ايضاً على نوعية وكمية القوانين التي من المفترض ان يصدرها.

وبالتوازي مع ما تقدم رحل مجلس النواب في الدورة النيابية الأولى بعض من مقترحات القوانين الى هذه الدورة، وهذه الظاهرة من اهم المؤشرات على تعثر وتدني الأداء التشريعي لمجلس النواب لأنه لم توجد اليه معين تعالج هذه الحالة، وبالمحصلة يمكن رصد حالات التلكؤ والتعثر في هذه الدورة من خلال تسليط الضوء على عدد جلسات مجلس النواب ومجموعة القوانين ونوعيتها التي دخلت اليه والمراحل التي مرت بها فقد عقد مجلس النواب خلال الدورة النيابية الثانية (216) جلسة، على مدى الفصول التشريعية الثمان، ولابد من الإشارة الى ان هذه الدورة تخللتها جلستين استثنائيتينبتاريخ (2012/1/5) و (2013/11/28)، وجلستين مفتوحتين بتاريخ (2010/6/13) و (2010/11/11) والجلسة رقم (32) في (2013/11/3/2)، وثلاث جلسات تشاورية بتاريخ (2013/1/6) و (2013/4/28) و (2014/4/2) (محاضر جلسات مجلس النواب العراقي، للدورة النيابية الثانية (2010-2014)).

ويمكن ان نشخص اهم المؤشرات أو المخالفات التي تُأثر بشكل كبير على أداء مجلس النواب على وجه العموم والأداء التشريعي على وجه الخصوص، هو عدم التزام مجلس النواب بالتوقيتات الدستورية لعقد جلساته الاعتيادية، لاسيما تزامن مع هذه الدورة تدهور الأوضاع الأمنية وزيادة حدة التوترات السياسية بين الكتل والقوى السياسية الممثلة داخل البرلمان على النحو التي اخذت بعض القوى السياسية تعارض إقرار قانون معين أو تعطيل إقرار الموازنة العامة للدولة في سبيل التأثير على أداء الحكومة ومن ثم تحريض الجماهير على الحزب الذي يملك هرم السلطة.

ونتيجة لهذا التلكؤ نلاحظ في هذه الدورة ان الأداء التشريعي قد انخفض بشكل ملحوظ وكما هو مبين فيما يأتي، إذ بلغ عدد القوانين التي دخلت مجلس النواب (531)، إذ تم قراءة (38) قانون قراءة أولى، اما القوانين التي تم قراءتها قراءة ثانية ولم يصوت عليها بلغ عددها (45)، في حين بلغ عدد القوانين التي لم تقرأ ابداً (112)، وبلغ عدد القوانين التي تم اعادتها الى الحكومة أو تم إيقاف سير إجراءات التشريع، أو لم يتم حصول الموافقة عليها لقراءتها قراءة أولى (110) اما القوانين التي تم التصويت عليها بلغ عددها (226) قانون (الدائرة البرلمانية: حركة مشروعات ومقترحات القوانين داخل مجلس النواب العراقي، للدورة النيابية الثانية (2010-2014)) ومن تلك القوانين ما يأتي:

وعليه لم ينجح البرلمان العراقي في هذه الدورة في انجاز القوانين التي احالها الدستور له ليشرع قانون بشأنها، بأستثناء (12) قانون أي ما يقارب (18%) (مجلس النواب العراقي، القوانين المطلوب تشريعها دستورياً، ص1)، ونلحظ من ذلك ان نسبة انجاز هذه القوانين في هذه الدورة قد تراجع عن سابقتها، وهذا يعد دليلًا على استمرار ضعف عمل وتلكؤ أداء البرلمان العراقي ومؤشراً كبيراً على تعثر السياسة العامة، ويعود سبب هذا التلكؤ والتباطؤ والاخفاق في اصدار مثل هكذا تشريعات تهدف الى التكامل المؤسسي أو تمس حياة المواطنين الى الجانب السياسي الذي خيم عليه الصراعات والخلافات الطائفية والعرقية والمناطقية، اذ ان التصويت داخل مجلس النواب كان يجري على مبدأ التوافق بين الكتل السياسية وبحسب مصالحها في الدرجة الأساس وليس مصلحة الوطن والمواطن، والجدير بالذكر ان اغلب القضايا والموضوعات المهمة بالنسبة للعملية السياسية لا تناقش داخل قبة البرلمان وانما تناقش

داخل بيوتات الزعماء السياسيين ويتم الاتفاق عليها خلف الكواليس بين الكتل النيابية، وهذايترتب عليه تقيد اعضاء مجلس النواب بالقرار التي يتخذ من قبل زعماء كتلهم النيابية سواء كان بالقبول أو الرفض (الدليمي: حافظ علوان، 2014، ص43)، إضافة الى ذلك هناك أسباب أخرى قد تتعلق بضعف الخبرة التي تتمتع بها اللجنة القانونية الخاصة بالعمل التشريعي والصياغة القانونية.

ونتيجة لما تقدم أضحت اغلب القوانين التي يقرها البرلمان العراقيضعيفة ومرتبكة الصياغة وتعاني من النقص في البناء التشريعي على النحو الذي تصبح به تلك القوانين غير قادرة على مسايرة الحياة، أو متعارضة مع قوانين أخرى وخير مثال على ذلك قانون مجالس المحافظات رقم (21) لعام (2008) المعدل مرتين (الحسيني: علاء إبراهيم محمود الفشل الوظيفي في عمل مجلس النواب)، أو يتم اقرار قوانين تتعارض مع الدستور صراحة الامر الذي يدفع بعض الجهات الى طعن بعدم دستوريتها امام المحكمة الاتحادية العليا مثلما حصل مع قانون فك ارتباط دوائر وزارة البلديات والاشغال العامة رقم (20) لعام (2010)، وكذلك قانون فك ارتباط دوائر الشؤون الاجتماعية في وزارة العمل رقم (18) لعام (2010) الذي اقرت المحكمة الاتحادية العليا بعدم دستوريتهما بقرار (43) و(44) اتحادية، كونهما تم اقرارهما دون الرجوع للمؤسسة التنفيذية، وهذا كما هو موضح في الجدول الاتي:

جدول رقم (2) يوضح نوعية مشروعات ومقترحات القوانين التي اقرها مجلس النواب

ت	نوعية القوانين	العدد
1	قوانين تتعلق بتصديق المعاهدات والاتفاقيات الدولية	**77**
2	قوانين معدلة	**49**
3	قوانين تتعلق بإلغاء قرارات مجلس قيادة الثورة المنحل	**26**
4	قوانين تتعلق بالمواد الدستورية والانتخابية وتشكيل وزارات وهيئات (قوانين تنظيمية)	**74**
5	المجموع	**226**

الجدول من أعداد الباحثانان بالاعتماد على: حركة مشروعات القوانين داخل مجلس النواب للدورة (2010-2014).

المبحث الثاني: الأداء التشريعي لمجلس النواب العراقي للمدة (2014 -2023)

سنتناول في هذا الإطار الخارطة السياسية التي تشكل بها البرلماني العراقي، والتعرف على عمله التشريعي خلال المدة المذكورة وكما يأتي:

المطلب الأول: أداء مجلس النواب العراقي للمدة (2014-2018)

اولًا: الخارطة السياسية للبرلمان العراقي على وفق انتخابات عام (2014):

عندما شارفت الدورة النيابية الثانية على الانتهاء، أضحت هناك دعوات الى تغيير قانون الانتخابات وبالفعل أقدم البرلمان العراقي على تغييره بعد مخاض عسير بين الكتل والتحالفات السياسية المكونة للبرلمان كاد ان يؤدي الى تأجيل الانتخابات بسبب الخلاف حول عدد المقاعد وطريقة توزيعها بين القوائم والائتلافات السياسية(احمد: لقمان عثمان؛ عباس: الفاروق عبد الرحمن، 2014، ص359)، وبعد ذلك

الاحتدام بينهم بالفعل تم اصدار قانون انتخابات رقم (45) لعام (2013)، الذي حدد عدد أعضاء مجلس النواب بـ (328) مقعداً نيابياً، كما الغى المقاعد التعويضية الوطنية التي كانت تستحوذ عليها القوائم الكبيرة(قانون انتخابات مجلس النواب العراقي رقم (45)، لعام (2013))، وجاء هذا القانون بالية ترشيح ذاتها المعتمدة في القانون السابق، الا انه اختلف في طريقة احتساب المقاعد وتوزيعها بين الكتل والقوائم الفائزة اذ اعتمد طريقة (سانت ليغو المعدل) [*]،كما جعل توزيع المقاعد بين المرشحين داخل القائمة ليست بالنسبة لتسلسلهم داخلها، وانما بنسبة عدد الأصوات التي حصلوا عليها يعاد ترتيب التسلسل(قانون انتخابات مجلس النواب العراقي رقم (45) لعام (2013)).

وكان عدد الكيانات السياسية التي شاركت فيها (277) كياناً سياسياً ضمت(9045) مرشحاً من الذكور والاناث، بنسبة (27%) للإناث و(73%) للذكور، وتقلص عدد الكيانات المتنافسة بعد دخولها بقوائم انتخابية مع الكيانات الاخرى فأصبح عددهم بعد ذلك (107) كياناً توزعت على (36) ائتلافاً(المفوضية العليا المستقلة للانتخابات، أسماء وأرقام الكيانات السياسية المشاركة في الانتخابات، 2014) (المفوضية العليا المستقلة للانتخابات، أسماء الائتلافات المصادق عليها لانتخابات، 2014)، وبهذا النحو تكونت الخارطة السياسية للبرلمان العراقي من (29) كتلة نيابية تقريباً، إذ انضمت بعض الكيانات الصغيرة الى كيانات أخرى أو تحالفت فيما بينها(التقرير النهائي للمرصد النيابي، بلا، ص13-15) (المرصد النيابي، 2014-2018، الائتلافات السياسية)، اذ أصبح عدد الكتل النيابية داخل مجلس النواب (6) وهي: التحالف الوطني (179) نائب، والتحالف الكردستاني (65) نائب، وتحالف القوى العراقية (54) نائب، وائتلاف الوطنية (19) نائب، والتحالف المدني الديمقراطي (5) نواب، والمكونات (6) نواب.

ونتيجة لذلك قد خيم على مجلس النواب اصطفاف الطائفي والمذهبي بالدرجة الأساس – كما هو عليه في الدورات النيابية السابقة -، فضلاً عن الخلافات التي حصلت بين قادة الكتل والاحزاب السياسية التي راحت تبحث عن مصالحها الحزبية والشخصية على حساب المصلحة العامة، الامر الذي أدى الى ذوبان مفهوم المواطنة وضعفه في اذهان الناس، وهو ضروري لبناء الدولة ومؤسساتها والتفاعل مع ما تقره مؤسسات الدولة من سياسة عامة.

مما أدى الى تأخير الجلسة الافتتاحية للبرلمان العراقيولم يعقد جلسته الأولى في موعدها المقرر بسبب تجاذبات والخلافات السياسية بين الأحزاب والكتل الفائزة بقيت الجلسة مفتوحة ولم يتوصلوا الى عقد جلسة أخرى الا في (2014/7/13)، وبقي الحال كما هو عليه ورفعت الجلسة وبقيت مفتوحة، وفي يوم (2014/7/15)، تمكن أعضاء مجلس النواب من انتخاب الرئيس ونائبيه ، وكما هو عليه الحال إذ تم انتخابهم على أساس طائفي وحزبي فانتخب من المكون السني (سليم الجبوري) رئيساً لمجلس النواب عن اتحاد القوى، وتم اختيار من المكون الشيعي (حيدر العبادي) نائبا أول له عن دولة القانون، واختير (آرام الشيخ محمد) وهو مرشح التحالف الكوردستاني ومثلاً عن المكون الكردي نائبا ثانياً لرئيس المجلس(محظر الجلسة (الاولى) المفتوحة لمجلس النواب، بتاريخ، 2014/7/15/13/1).

---

[*]سمي المعدل لان في النظام الأصلي يتم تقسم الأصوات الصحية التي تحصل عليها كل قائمة على الاعداد التسلسلية (9.7.5.3.1.6...الخ)، وبعدد المقاعد للمخصصة للدائرة الواحدة، وبالحقيقة ان هذا النظام بيتم توزيع المقاعد فيه في الانظمة الانتخابية العالمية بدأً من (1.4) وليس (1.6) بل كانت بعض الكتل السياسية تسعى لتفصيل النظام الانتخابي على مقاسها وخدمة لمصالحها لدرجة انها اقترحت تعديل القانون المعدل اصلاً لتبدأ فيه القسمة من (1.9) لكنها فشلت. للمزيد ينظر: القصاب: عبد الوهاب،2014م، ص8.

وخير دليل على تجذر المحاصصة الطائفية في توزيع المناصب هو بعد ان كُلف (حيدر العبادي) بتشكيل الحكومة لاحقاً، انتخب النائب (همام حمودي) وهو من التحالف الوطني الشيعي نائباً ثانياً لرئيس مجلس النواب، وأصبحت هيئة الرئاسة –كما هو الحال عليه في الدورات النيابية السابقة -منتخبة على أساس التوافق الحزبي والطائفي.

ومما تقدم يمكن ان نعزوسبب هذا التأخير في انتخاب رئيس مجلس النواب ونائبيه في كل دورة الى عدم الاتفاق على رئاسة المجلس بين الكتل السياسية وفشل الاخيرة في اختيار مرشح يرضي جميع الأطراف والقوى السياسية، مما انعكس ذلك على أداء مجلس النواب على وجه العموم والأداء التشريعي على وجه الخصوص.

أما بخصوص تشكيل اللجان البرلمانية الدائمة، فقد قرر مجلس النواب تشكيل (26) لجنة دائمة وتم توزيعها بين الكتل النيابية على اساس المحاصصة الطائفية والسياسية –كما اسلفنا -، وهذا ما اكده رئيس مجلس النواب (سليم الجبوري) بالقول (اجتمع رؤساء الكتل السياسية ولغرض تشكيل اللجان الدائمة وتم الاتفاق على تشكيل لجنة سباعية برئاسة النائب الثاني لرئيس مجلس النواب (أرام محمد علي) تمثل جميع الاحزابوالكتل السياسية والمكونات الاجتماعية، وباشرت أعمالها وفق السياق المتبع من خلال وضع اللجان في مستويات ثلاثة بحسب أهميتها وبحسب العرف البرلماني الذي تم إتباعه سابقا)، كما اكد على رؤساء الكتل السياسية بتسمية من يمثلهم وكذلك المكونات الاجتماعية الموجودة بتسمية من يمثلهم ضمن إطار هذه اللجنة (محضر الجلسة (السادسة) لمجلس النواب، 2014/8/10)، وذلك يعد مخالفاً للنظام الداخلي لمجلس النواب اذ اكدت المادة (72) منه (لكل عضو الحق بأن يرشح نفسه لعضوية اللجنة)، وتكوين اللجان بهذه الطريقة يوضح لنا ان موضوع تشكيلها مختصر على رؤوساء الكتل والاحزاب السياسية يرشحوا لعضويتها من يشاءوا من النواب وبناءً على مدى ولاء ذلك النائب للكتل ورئيسها، الامر الذي أثر بشكل كبير على الغرض التي وجدت من اجله تلك اللجان فضلًا عن ذلك لكئت اداءها على المستوى التشريعي والرقابي.

ثانيًا: الأداء التشريعي:

ان تدهور الأوضاع السياسية زيادة على الأوضاع الأمنية اثرت بشكل مباشر على العمل والأداء التشريعي لمجلس النواب في هذه الدورة النيابية، اذ اجتاحت الجماعات الإرهابية داعش مدينة الموصل بعد اعلان نتائج الانتخابات التشريعية بشهر تقريباً وبعده سقطت معظم الأراضي العراقية بيدها ما يقارب ثلث مساحة العراق، الامر الذي انعكس سلباً على القوى السياسية المكونة للمجلس الى الحد الذي أدى الى تبادل الاتهامات بينهم بالتخوين والتعاون مع تنظيم داعش الإرهابي (العنبكي: طه حميد، 2016، ص67)، وادى ذلك الى عرقلة أداء مجلس النواب التشريعي وانعدام الثقة بين اغلب القوى السياسية المكونة له، اذ انعكس هذا على النظام السياسي بمجمله، لان مجلس النواب هو الضابط المحوري للعملية التشريعية والممارسة السياسية عن طريق التشريعات التي يصدرها لأنها تمثل الأساس الذي يبنى عليه كل علاقات ونشاطات المجتمع، وذلك بسبب تطور نشاط الدولة وزيادة تدخلها في تنظيم أمور الحياة في كافة مجالاتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والأمنية... الخ (الداوودي: غالب، 1992م، ص98).

كما ان اخفاق البرلمان العراقي في وضع الية معينة لاستبدال أعضاءه الذين يتولون مناصب تنفيذية يؤثر بشكل كبير على أدائه التشريعي، اذ نراه يتلكئ يتأخر في استبدالهم أو استبدال الأعضاء

المقالين أو المستقيلين مما يبقى مقعدهم شاغراً لمدة معينة من الزمن الامر الذي يؤثر بشكل مباشر على تمثيل جمهور معين داخل المجلس (تقرير المرصد النيابي، بلا، ص62)، ويعزو النائب (عبد الرحمن اللويزي) ذلك الى رغبة قادة الكتل السياسية لكي يستحوذوا على اختيار الأعضاء الذين سوف يحلون محل النائب الذي شغل منصب تنفيذي أو المستقيل أو المقال، وحاول أعضاء مجلس النواب في أكثر من موضع اقتراح قانون يعالج هذا الامر الا انه فشل، للسبب ذاته(لقاء اجراه الباحثان مع السيد عبد الرحمن اللويزي، في منزله يوم (2019/4/15))، وهذا التأخير غير المبرر في عقد جلسات مجلس النواب من البديهي يؤدي الى التعطيل والتأخير في إقرار وتشريع القوانين الضرورية والمهمة التي تلامس حياة المواطنين ومؤسسات الدولة خصوصاً تلك القوانين التي تحاكي التكامل المؤسساتي للدولة وتلامس الحياة العامة للمواطنين.

وكل التراكمات السابقة انعكست بصورة غير مباشرة على أداء مؤسسات الدولة بصورة عامة وأداء مجلس النواب بصورة خاصة، الامر الذي أدى الى ارباك الحركة التشريعية للكثير من القوانين التي لم يتم إقرارها بسبب الخلافات السياسية وسوء الأوضاع الأمنية أو ان إقرارها يحتاج مزيد من التوافق بين الكتل السياسية، فضلاً عن الازمة المالية التي مرَ بها العراق في هذه الدورة وان كثير من هذه القوانين تحتاج تخصيصات مالية كثيرة كقانون المحكمة الاتحادية وقانون مجلس الاتحاد وغيرها.

ومن خلال المتابعة الحركة التشريعية داخل البرلمان العراقي يمكن رصد حجم التلكؤ والتعثر في إقرار القوانين المهمة والضروريةوذلك يكون من خلال عدد الجلسات وما تم قراءته وما تم التصويت عليه من قوانين، إذ عقد مجلس النواب في الدورة النيابية الثالثة (281) جلسة، وعلى مدى الفصول التشريعية ثمان، لكن لابد من الإشارة ان هذه الدورة تخللتها (6) ست جلسات استثنائية، و(3) ثلاث جلسات تداولية، وجلسة تشاورية، وجلسة للنواب المعتصمين(محاضر جلسات مجلس النواب العراقي، الدورة النيابية الثالثة (2014-2018))، إذ بلغ عدد القوانين التي دخلت مجلس النواب (413)، إذ تم قراءة (62) قانون قراءة أولى، اما القوانين التي تم قراءتها قراءة ثانية ولم يصوت عليها بلغ عددها (60)، في حين بلغ عدد القوانين التي لم تقرأ مطلقاً رغم احالتها الى اللجان المختصة ما يقارب (83)، وبلغ عدد القوانين التي تم اعادتها الى الحكومة، أو لم يتمحصول الموافقة عليها لقراءتها أو طلبت الحكومة سحبها (43)، اما القوانين التي تم التصويت عليها بلغ عددها (165) قانون(حركة مشروعات ومقترحات القوانين داخل مجلس النواب العراقي، للدورة النيابية (2014-2018)).

جدول يوضح حركة مشروعات ومقترحات القوانين داخل مجلس النواب (3)

ت	نوعية القوانين	العدد
1	قوانين تتعلق بتصديق المعاهدات والاتفاقيات الدولية	39
2	قوانين معدلة	44
3	قوانين تتعلق بإلغاء قرارات مجلس قيادة الثورة المنحل	18
4	قوانين تتعلق بالمواد الدستورية والانتخابية وتشكيل وزارات وهيئات وقوانين تنظيمية	66
5	المجموع	165

الجدول من اعداد الباحثانان بالاعتماد على: حركة مشروعات ومقترحات القوانين للدورة النيابية الثالثة (2014-2018).

ونلحظ من خلال المتابعة للحركة التشريعية داخل مجلس النواب، ان هناك الكثير من القوانين التي ترحل من دورة الى أخرى بغض النظر إذا كانت قد تم قراءتها قراءة أولى او ثانية، اذ لا يوجد ما يلزم مجلس النواب الجديد على اكمال قراءتها أو التصويت عليها، وانما يتم اعادتها الى مجلس الوزراء الجديد لغرض اعادتها الى مجلس النواب بحسب الأهمية (تقرير المرصد النيابي، للشهور(تموز واب وأيلول))، لان اي قرار في العراق لا يُتخذ في مجلس النواب أياً كان تشريعياً ام سياسياً بل في غرف اجتماعات زعماء الأحزاب والقوائم فأصبح المجلس مجرد قاعة لتمرير رغبات الأحزاب والقوى السياسية بشكل قوانين وقرارات لإضفاء الصبغة الشرعية والقانونية عليها، اذ اضحى بذلك النائب مجرد آلة لا حاجة لهم بها الا لإكمال النصاب القانوني لجلسة مجلس النواب والتصويت على ما تم الاتفاق عليه او تعطيل النصاب وإيقاف غير المتفق عليه(الطالقاني: علي، أداء مجلس النواب واليات تطويره).

وهذا يمثل مؤشر خطير يقف حاجزًا امام العجلة التشريعية، لاسيما القوانين محل الخلاف بين القوى والكتل السياسية، إذ تختلف هذه الكتل في توجهاتها من دورة الى أخرى، فالعملية التشريعية تحتاج الى بيئة تتوفر فيها اليات ومؤشرات علمية وقانونية، لكن حتى لو وجدت هذه المؤشرات لا يمكن تشريع أي قانون وذلك بسبب ارتباط رأي النواب بالكتلة السياسية أو لا يتخذ قرار الى بالرجوع اليها مما اثر ذلك بشكل كبير في تشريع تلك القوانين واقرارها، وهذا ما أكده النائب (عبد الرحمن اللويزي) بالقول ان الكتل النيابية داخل مجلس النواب تسعى الى تكريم العضو الملتزم بأوامرها أو توجهاتها عن طريق الايفادات أو رئاسة احدى اللجان التي تكون من حصة الكتلة(لقاء اجراه الباحثان مع السيد عبد الرحمن اللويزي، في منزله يوم (2019/4/15))، وهذه الالية أضحت بمثابة قيد قلصت من الحرية التي ينبغي ان يتمتع بها عضو مجلس النواب داخل البرلمان الامر الذي أدى الى تعزيز الصبغة السياسية في أي قانون يتم اقراره وعززت حساب الصبغة التشريعية والرقابية التي يجب ان يتمتع بها مجلس النواب (الركابي: هاتف محسن، 2016، ص352).

ورغم هذا التلكؤ والتعثر في أداء البرلماني العراقي في هذه الدورة لكنه استطاع حسم بعض القوانين محل الاختلاف كقانون الاحزاب السياسية مثلاً الذي طال مدة عسره في رحم مجلس النواب ما يقارب ثلاثة عشر سنة، وفي الوقت نفسه اعتبر هذا القانون من المأخذ التي اخذت على العمل التشريعي للمجلس، ففي الوقت تعلن فيه الحكومة التقشف في النفقات المالية نرى مجلس النواب يقر قانوناً يحمل ميزانية الدولة اموالاً طائلة، فمادة(44) من قانون الأحزاب تنص على تمويل الأحزاب السياسية بنسبة (20%) و(80%) للأحزاب الممثلة داخل مجلس النواب بنسبة عدد مقاعدها(قانون الأحزاب السياسية رقم (36) لعام 2015م)، وهذا ان دل على شيء دل على عدم التنسيق والتخبط في عمل مجلس النواب التشريعي اذ انه في الوقت الذي يعلنون فيه التقشف يقرون قانوناً يحمل الدولة أعباء مالية كثيرة، فضلاً عن انه يسبب اثراءً للأحزاب السياسية خصوصاً تلك التي تمتلك مقاعد كثير داخل المجلس، كما نقضت المحكمة الاتحادية تقريباً (11) احدى عشر مادة منه مما يدل ذلك على ضعف الصياغة القانونية له (المحكمة الاتحادية العليا، احكام وقرارات).

المطلب الثاني: أداء مجلس النواب العراقي للمدة (2018-2021)

اولًا: تشكيلة مجلس النواب العراقي على وفق انتخابات عام (2018):

كانت البيئة التي أجريت بها الانتخابات البرلمانية العراقية لعام (2018) بيئة مغايرة تمامًا عن الدورات فعلى أثر انتهاء الدورة الثالثة وما رافقتها من احداث وتداعيات والتي كانت في مقدمتها سيطرة تنظيم داعش الإرهابي على بعض المدن والمحافظات العراقية، وذلك نتيجة للتحول في خريطة القوى السياسية في الداخل، أو للأزمات السياسية أو الأمنية التي مر بها العراق بين عامَي (2014-2018)، أو نتيجة لانعكاسات او التدخلات الإقليمية والدولية على الداخل العراقي، وإن كان العنف ملمحًا رئيسيًّا يجمع بين هذه البيئات الانتخابية الأربع كجزء من ملامح المشهد العراقي العام منذ الغزو الأمريكي، وهو ما يلقي بظلاله على المعادلة العراقية الجديدة بعد انتخابات (2018) مع اقتراب موعد اجراءها تجددت المواقف المتباينة والنظرات المتعددة نحوها من قبل الأحزاب السياسية وشرائح المجتمع المختلفة، إذ طالبت القوى السياسية السنية بضرورة تأجيل موعد اجراءها بسبب عدم استقرار المحافظات المحررة من سطوة داعش الإرهابي وإبقاء اكثر من مليوني نازح خارج ديارهم، إذ أصدرت المحكمة الاتحادية بالاتفاق قراراً بضرورة اجراء الانتخابات في موعدها المقرر ردًا على الطلب الوارد من مجلس النواب بتاريخ (21/ 1/ 2018) الذي يقتضي تأجيل الانتخابات (المحكمة الاتحادية العليا، احكام وقرارات، 2018/1/21).

ووسط هذه الاحداث أجريت الانتخابات في موعدها المحدد الموافق يوم (2018/5/12) تنافس في ظلها ما يقرب من (320) حزبًا سياسيًا، وبلغ عدد المرشحين فيها ما يقارب (736) مرشح، وبهذا تشكلت خارطة الكيانات السياسية المشاركة في الانتخابات من (88) قائمة انتخابية و(205) كيانات سياسية و(27) تحالفًا انتخابيًا (المرصد النيابي، تقرير شهر أيلول/ 2018)، وبذلك تكونت الخارطة النيابية داخل مجلس النواب من تعسة كتل نيابية رئيسة (سائرون، الفتح، ائتلاف النصر، دولة القانون، الحزب الديمقراطي الكردستاني، القائمة الوطنية، تيار الحكمة، الاتحاد الوطني الكردستاني، القرار العراقي) وبالرغم من رغبة وادعاء الأحزاب والقوى السياسية على مدار الدورات السابقة في الخروج من الاحتشاد الطائفي والحزبي لا ان هذه الانتخابات جرت وسط جو داخلي مشحون ومتوتر، إذ انقسمت الكتلة الواحدة الى اثنان أو اكثر فقدتوزعت القوى السياسية الشيعية إلى خمس قوائم رئيسية والكرد الى سبعة قوائم،أما القوى السياسية السنية فقد شاركت بقائمتين رئيسيتين، وبين أطرافها العديد من الخلافات المتعددة (مكي: لقاء، 2018، ص3-4).

ونتيجة لذلك لم يعقد البرلمان العراقي جلسته الأولى الا في (2018/9/3) اي بعد ما يقارب (4) أشهر من اجراء الانتخابات البرلمانية برئاسة النائب الاكبر سنا محمد علي زيني، واجتمع المجلس واستمرت هذه الجلسة مفتوحة الى يوم (2018/8/15) الذي تم فيها اختيار محمد الحلبوسي رئيساً لمجلس النواب ممثلًا عن القوس السياسية السنية، وفي يوم (2018/8/16) تم استكمال انتخاب هيئة رئاسة البرلمان تم استكمال انتخاب هيئة رئاسة البرلمان إذ تم انتخاب حسن كريم مطر الكعبي عن تحالفسائرون الشيعي نائبًا اول وانتخاب بشير الحداد مرشح الحزب الديمقراطي الكردستاني نائبًا ثانيًا(محظر جلسة مجلس النواب (المفتوحة)، بتاريخ (3-2018/9/16)، وهذا التأخير الحاصل في انعقاد المجلس ان دل على شي دل على حجم الخلافات والمناكفات السياسية واختلاف المصالح الحزبية والطائفية بين الأحزاب والقوى السياسية يعكس بشكل أو باخر حجم القلق الذي يسود القوى السياسية، فكل طرف من الاطراف يرى في أنه يمثل الخير والاخر يمثل الشر، فالأزمة التي تعاني منها مؤسسات الدولة على وجه العموم

ومجلس النواب على وجه الخصوص في هذه الدورة تعني في حقيقة الامر تكرار للازمات ومعوقات التي حدثت في الدورات السابقة، ومن ثم هذا التأخير في انعقاد المجلس وعدم الاتفاق بين الأطراف السياسية على الية معين في إدارة مؤسسات الدولة اثر بشكل مباشر على الأداء التشريعي لمجلس النواب وحرم المواطنين من إقرار الكثير من القوانين.

أما بخصوص تشكيل اللجان البرلمانية الدائمة، فقد قرر مجلس النواب تشكيل (24) لجنة برلمانية دائمة(المرصد النيابي، الدورة النيابية الرابعة (2018-2021))، وتم توزيعها بين الكتل النيابية على اساس المحاصصة السياسية والطائفية بين السنة والشيعية والكرد – كما اسلفنا – التي القت بظلالها على مؤسسات الدولة بصورة عامة ومجلس النواب بصورة خاصة التي كبلت وقيدت عجلته التشريعية التي امتازت بالتلكؤ والتعثر.

ثانيًا: الأداء التشريعي:

نتيجة لكل الإحداث والخلافات التي تراكمت منذ (2003-2021) على العملية السياسية اثرت بشكل مباشر على العمل والأداء التشريعي للبرلمان العراقي في هذه الدورة النيابية على النحو الذي أصبح فيه أي قانون أو قرار يقر أو يناقش داخل أروقة البرلمان يحتاج الكثير من التوافق لإقراره، لاسيما بعد ان اندلعت التظاهرات الشعبية التي تطالب بضرورة تحسين الأوضاع الاقتصادية العراقي والسياسية التي امتازت بنظام المحاصصة الطائفي التي أدى الى فقدان الثقة بالنخبة السياسية، فضلًا عن انتشار الفساد وغياب العدالة في توزيع الثروات وما تبعتها من تداعيات وتدخلات خارجية انطلاقًا من أهميتها وتأثير مخرجاتها على التوازنات السياسية، سواء في الداخل العراقي أو في توازنات القوى الإقليمية أو الدولية من واقع توجهات وسياسات الكتلة السياسية الجديدة ذات الأغلبية في البرلمان العراقي الجديد (مصطفى: عبدالرؤوف، آفاق الدور الإيراني في ضوء الانتخابات التشريعية العراقية 2018)، ونتيجة لانعدام الثقة بين اغلب الأحزاب والكتل السياسية الامر الذي ادى الى تلكؤ وتعثر أداء مجلس النواب التشريعي بشكل ملحوظ على اضحى فيه أي قانون يقر حتى لو كان يخدم المصلحة العامة نرى بعض الكتل تساوم الكتل الاخرى حتى تحث نوابهم للتصويت عليه كون جهة معين هي من اقترحته، وبطبيعة الحال انعكس هذا على مؤسسات الدولة برمتها، ولان مجلس النواب يمثل العملية المحورية في عملية التشريع عن طريق القوانين التي يشرعها إذ تعد الأخيرة الأساس الذي يبنى عليه كافة علاقات ونشاطات المجتمع، ومجلس النواب في هذا المجال كان دوره غير فعال إذ لم يشرع القوانين التي تخدم المواطنين والمصلحة العامة (محمد: لبيب شائف، 2012، ص12-13).

وكل التراكمات السابقة انعكست بصورة غير مباشرة على أداء مؤسسات الدولة على وجه العموم وأداء مجلس النواب على وجه الخصوص، إذ أصبحت المُحاصصة والتوافق الحزبي هو المُتحكّم في اغلب القوانين التي يتم إقرارها الامر الذي أدى الى ارباك الحركة التشريعية للكثير من القوانين التي لم يتم إقرارها بسبب الخلافات السياسية وسوء الأوضاع الأمنية أو ان إقرارها يحتاج مزيد من التوافق بين الكتل والاحزاب السياسية، وهذا الامر جعل الأحزاب والقوى السياسية تعمل على تكريس الطائفية والتخندق ورائها، حتى وصل الأمر ببعض الطوائف والاحزاب إلى الإستقواء بقوى خارجية في مواجهة الطوائف والاحزاب المنافسة لها تزامنا مع غياب مرجعية الدولة ومؤسساتها عن أذهان النخب السياسية، فصارت المرجعيات الدينية والعشائرية والقبلية والعائلية هي من تتحكّم في العملية السياسية(القدرات: ماهر، 2019/12/9، المظاهرات العراقية 2019....).

وبصورة عامة يمكن رصد الحركة التشريعية داخل مجلس النواب من خلال عدد الجلسات وما تم قراءته من قوانين وما تم التصويت عليه من قوانين، إذ عقد مجلس النواب في الدورة النيابية الرابعة (161) جلسة، وعلى مدى الفصول التشريعية ثمان، وجلسة تشاورية واحدة وجلسة استثنائية واحدة (محاضر جلسات مجلس النواب العراقي، الدورة النيابية الرابعة (2018-2021)) (المرصد النيابي العراقي، الدورة النيابية الرابعة (2018-2021))، وقد بلغ عدد القوانين التي دخلت مجلس النواب (174)، إذ تم قراءة (46) قانون قراءة أولى، اما القوانين التي تم قراءتها قراءة ثانية ولم يصوت عليها بلغ عددها (37)، اما القوانين التي تم التصويت عليها بلغ عددها (91) قانون((المرصد النيابي العراقي، (2018-2021))، ومن تلك القوانين ما يأتي:

جدول رقم (4) يوضح نوعية مشروعات ومقترحات القوانين التي اقرها مجلس النواب

ت	نوعية القوانين	العدد
1	قوانين تتعلق بتصديق المعاهدات والاتفاقيات الدولية	**41**
2	قوانين معدلة	**23**
3	قوانين تتعلق بإلغاء قرارات وقوانين	**3**
4	قوانين تتعلق بالمواد الدستورية والانتخابية وتشكيل وزارات وهيئات (قوانين تنظيمية)	**24**
5	المجموع	**91**

الجدول من اعداد الباحثانان بالاعتماد على: المرصد النيابي العراقي، الدورة النيابية الرابعة (2018-2021)

ونلحظ من خلال المتابعة للحركة التشريعية داخل مجلس النواب لهذه الدورة نجد ان هناك الكثير من القوانين التي قد تم قراءتها قراءة أولى او ثانية ولم يصوت عليها، ولا يوجد ما يلزم مجلس النواب الجديد على اكمالها والتصويت عليها وهذا يعد من اهم مؤشرات التعثر والفشل والاخفاق في عملية التشريع، والأكثر من ذلك اضحى اغلب أعضاء مجلس النواب يهتمون بمصالحهم الضيقة سواء كانت شخصية أو حزبية أو طائفية إذ تخلى الكثير من النواب عن عمله التشريعي ولعب الدور التنفيذي وذلك محاولة لمغازلة المواطنين خاصة مع الفترة الزمنية القريبة على موعد اجراء الانتخابات، وكما ان الكثير من النواب ساهموا في إرساء الفشل والتدخل في تعليمات وجداول مرسومة كتلك المتعلقة بالدراسات العليا او حتى بقرار قانون يساهم في تراجع التعليم وتخلفه مثل قانون معادلة الشهادات الخارجية والدرجات العلمية (رقم20 لسنة2020) حيث عد من أسوء التعليمات والقوانين التي أقرت التي نظمت حاملي الشهادات العليا وحملة الألقاب العلمية، حيث سيكون لهذا القانون تداعيات خطيرة على التعليم العالي بشكل عام والشهادات العليا بشكل خاص، ويجعل هناك تضخم في حملة الشهادات العليا على كل المستويات، لاسيما يعد هذا القانون منفذ لأغلب المسؤولين لاكتساب الشهادات العليا (اسعد كاظم شبيب، تقييم أداء مجلس النواب الدورة النيابية الرابعة (2018-2021))، ومن الإخفاقات التي سجلت على أداء مجلس النواب بصورة عامة فقد سجل المرصد العراقي النيابي من خلال تقسيم عدد ساعات عمل البرلمان كان المجموع النهائي هو (428.46) ساعة لمجموع الجلسات خلال الدورة النيابية، أي ما يعادل (2.8) ساعة لكل جلسة من الجلسات، أو ما يعادل (61) يوما عمل بمعدل سبع ساعات عمل يوميا، مشيرا الى ان المجلس اعلن في جداول أعماله عن (819) فقرة نفذ منها (515) فقرة فيما رحلت (304) (المرصد النيابي، التقرير النهائي للدورة النيابية (2018-2021)، ص27-29)، وهذا يعني ان مجلس النواب يضع

في جدول اعماله ما لا يستطيع استيعابه من فقرات، أو يمكن ان نعزو ذلك الى حجم التخبط الذي يحدث اثناء عقد الجلسات والمناكفات التي تحدث بين أعضاء المجلس تؤدي الى هدر الوقت من دون فائدة وجدوى والتي الى عدم الاتفاق ومن ثم ضياع الوقت ورفع المجلس جلساته دون مناقشة القرات المدرجة في جدول اعماله.

المطلب الثالث:الأداء التشريعيلمجلس النواب العراقي للمدة (2021-2023)

أولاً: تشكيل مجلس النواب العراقي على وفق انتخابات عام (2021)

ان الاحتجاجات التي شهدها الشارع العراقي في (2019-2021) كان من بين اهم مطالبها تغيير النظام الانتخابي الذي يعتمد طريقة السانت ليغو في احتساب المقاعد وإقرار نظام انتخابي يعتمد طريقة الدوائر المتعددة والترشيح الفردي أو المستقل وبالفعل تم إقرار الأخير في عام (2021) والتي جرت على أساسه انتخابات الدورة النيابية الخامسة (2021-2024)، وقسم هذا القانون الانتخابي العراق الى (83) دائرة انتخابية شارك فيها (3225) مرشحًا من الرجال والنساء موزعين على (108) حزبًا سياسيًا و(21) تحالفًا انتخابيًا، شارك فيها ما يقارب (9629601) مليون من مجموع (22116368) مليون ناخب ونلحظ من ذلك وبشكل واضح عزوف اكثر من نصف الناخبين عن الانتخابات وهذا ان دل على شيء دل على انعدام الثقة بين المواطن والأحزاب والكتل السياسية (المرصد النيابي العراقي، الدورة النيابية الخامسة للمدة (2022/1/9-2022/12/10) ، ص7-9).

وعلى أثر ذلك أعلنت المفوضية العليا للانتخابات نتائج الانتخابات وحصلت الأحزاب السياسية المنضوية ضمن التحالفات السياسية على (137) مقعدًا نيابيًا، اما الأحزاب المستقلة حصلت على (148) مقعدًا نيابيًا، بينما حصل المرشحون المستقلون على (44) مقعدًا نيابيًا وبذلك أصبح عدد المقاعد البرلمانية (329) مقعدًا نيابيًا، وكما هول الحال عليه في كل دورة بعد اعلان نتائج الانتخابات تنقسم الأحزاب السياسية بين مؤيد للنتائج وبين مشكك الامر الذي أدى الى تأخير اعلان النتائج النهائية بفعل التشكيك بالنتائج والتلاعب بها (المفوضية العليا المستقلة للانتخابات، انتخابات مجلس النواب العراقي 2021، النتائج النهائية).

وبعد التجاذبات والمد والجزر بين الأحزاب والكتل السياسية صادقت المحكمة الاتحادية على نتائج الانتخابات في (2021/12/27)، على أثرها تكونت الخارطة النيابية داخل البرلماني العراقي وهي كما يلي: (المفوضية العليا المستقلة للانتخابات، انتخابات مجلس النواب العراقي 2021، النتائج النهائية)

ت	الكتلة أو الائتلاف السياسي	عد المقاعد	ت	الكتلة أو الائتلاف السياسي	عد المقاعد
1	الكتلة الصدرية	**73**	7	تحالف الكوردستاني	**17**
2	تحالف تقدم	**37**	8	الأحزاب الفائزة بمقعد واحد	**17**
3	تحلف ائتلاف دولة القانون	**33**	9	عزم	**14**
4	الحزب الديمقراطي	**31**	10	حركة الجيل الجديد	**9**
5	المرشحين المستقلين	**43**	11	حركة امتدد	**9**
6	تحالف فتح	**17**	12	باقي التحالفات الاخرى	**29**
المجموع					**329**

ثانيًا الأداء التشريعي:

وكل التراكمات السابقة انعكست بصورة غير مباشرة على العملية السياسية على وجه العموم وعلى أداء مؤسسات الدولة والتي تقف في مقدمتها المؤسسة التشريعية على وجه العموم، إذ انهى مجلس النواب سنته التشريعية الأولى في ظل احداث متسارعة مثلت منعطف كاد ان يذهب بالعملية السياسية من أساسها على اثر توقف الحوار وانعدام التوافق بين الكتلتين الأكبر أدى الى تعطيل جلساته، وهذه الاحداث كانت تنذر منذ الوهلة الأولى الى تخبط وتعثر أداء مجلس النواب العراقي لان هذا التأخير يؤدي حتمًا الى تعطيل عمل المجلس التشريعي الى يعود بالسلب على حياة المواطنين والحياة العامة في البلد.

وبصورة عامة يمكن رصد الحركة التشريعية داخل مجلس النواب من خلال عدد الجلسات وما تم قراءته من قوانين وما تم التصويت عليه من قوانين، إذ عقد مجلس النواب في الدورة النيابية الخامسة (69) جلسة لغاية (16\ 8 \ 2023)، وجلستان تشاورية (المرصد النيابي العراقي، الدورة النيابية الرابعة (2021-2023))، وقد بلغ عدد القوانين التي دخلت مجلس النواب (96)، إذ تم قراءة (95) قانون قراءة أولى، اما القوانين التي تم قراءتها قراءة ثانية ولم يصوت عليها بلغ عددها (56)، اما القوانين التي تم التصويت عليها بلغ عددها (27) قانون (المرصد النيابي العراقي، الدورة النيابية الرابعة (2021-2023)، القوانين)، ومن تلك القوانين ما يأتي:

جدول رقم (4) يوضح نوعية مشروعات ومقترحات القوانين التي اقرها مجلس النواب

ت	نوعية القوانين	العدد
1	قوانين تتعلق بتصديق المعاهدات والاتفاقيات الدولية	**13**
2	قوانين معدلة	**8**
3	قوانين تتعلق بالمواد الدستورية والانتخابية وتشكيل وزارات وهيئات (قوانين تنظيمية)	**6**
4	المجموع	**27**

وبسبب تراكم الاحداث والخلافات بين الكتل والأحزاب السياسية التي وصلت ذروتها في هذه الدورة وكادت ان تنسف العملية السياسية برمتها على اثر تقدم الكتلة الصدرية استقالتها إذ لم يستطيع مجلس النواب العراقي عقد جلساته الاعتيادية بصورة طبيعية الا في (13 | 10 | 2022) وهذا التأخير في المواقت الدستورية كان كله على حساب الوطن والمواطن، الامر الذي فوت الفرصة على مجلس النواب اقرار الكثير من القوانين التي تخدم المصلحة العامة.

عمومًا كل ما تقدم ولد خلل كبير كبل عمل مجلس النواب، بعبارة اخرى قيد ادوات التي يعتمد عليها كل مجلس تشريعي في الانظمة البرلمانية، وهذا الخلل اصاب مؤسسات الدولة برمتها كونها تنبثق من المؤسسة الام، الا وهي المؤسسة التشريعية (مجلس النواب) والاخير قد خيمت عليه اعراف المحاصصة الطائفية والحزبية والسياسية والعرقية مما جعله خاضعًا لمزاجيات الكتل والاحزاب السياسية المكونة له وهذا الامر بطبيعة الحال يؤدي الى اعاقة العمل التشريعي ويجعله خاضعًا للمساومات بين الاحزاب

والكتل السياسية إذ يجعلون اقرار أي قانون مرتبط بمقدار ما يحصلون عليه من فوائد للحزب أو الجهة التي يمثلونها وليس على مقدار ما يجبي من فوائد للمصلحة العامة.

المبحث الثالث: سبل تقويم الأداء التشريعي لمجلس النواب العراقي

من خلال ما تقدم يتضح لنا بأنه ما زالت المنظومة السياسية في العراق لم تكتمل بعد، وذلك بفعل الازمات والتحديات التي تواجه هذا البلد، بدءاً بأزمة بناء الدولة مروراً بأزمة التكامل والتوزيع وانتهاءً بأزمة المشاركة، وهذا الواقع يفرض وجود واستمرار عملية سياسية وهي عملية مخاض عسيرة لم يتمخض عنها بعد بناء أسس ومقومات النظام السياسي، وهذا الواقع هو الذي يلقي بظلاله على أداء مؤسسات الدولة على وجه العموم وأداء مجلس النواب على وجه الخصوص التي تفترض وجود الأخير (النظام السياسي)، بمعنى أدق، ان الأداء التشريعي لمجلس النواب لم يرتقي لمستوى الطموح ولا يلبي رغبات المجتمع والدولة، لذا لابد البحث عن حلول علمية وعملية لمعالجة ذلك الخلل، ومن تلك الحلول: التأهيل السياسي، والنظام الانتخابي، والتكامل المؤسساتي، وسيادة القانون وهذا ما سنتطرق له اتباعاً، وكما يأتي:

المطلب الاول: التأهيل السياسي

تستدعي مهمة تأهيل المجتمع السياسي (ناخبين ونخبة) تعزيز روح المواطنة، ومن ثم استبدال الثقافات الفرعية الضيقة بثقافة وطنية، وهذا ما سنتعرض له اتباعاً.

1. **تعزيز روح المواطنة**: يمثل هذا المفصل مهمة من المهمات التي تقع على عاتق الانظمة السياسية، لان توفرها في أي بلد يعد مؤشراً على مدى الاستقرار والانسجام الاجتماعي بين أفراده، وينعكس ذلك حتمًا بشكل ايجابي على الحياة السياسية على وجه العموم.

لكن هناك مؤشرات في بلدنا العراق تؤكد وجود إنتماءات فرعية متعددة: دينياً ومذهبياً وقومياً، ولا تشكل تلك الانتماءات مشكلة بحد ذاتها، وذلك لان الله تعالى خلق الناس على الاختلاف، ولكن المشكلة حينما يتحول هذا الاختلاف الى خلاف وصراع، وهذا ما حصل حينما تم تغذية تلك الانتماءات الفرعية وطغت على الانتماء الأصل الا وهو الانتماء للوطن، وقد ساهمت قوى دولية وإقليمية في هذا الامر، والمشكلة الأكثر خطورة إن التحول الذي شهده بلدنا العراق بعد سقوط النظام عام (2003) فسح المجال امام تلك القوى لاستغلال الأوضاع، والمضي قدماً في مشروعها الرامي الى تمزيق الوحدة الوطنية وإضعاف العراق واستثمار ثرواته البشرية والمادية.

ولما كانت التعددية الحزبية هي إحدى اهم سمات التحول المذكور، لذا فقد تأسست أحزاب عديدة وصل عددها الى أكثر من (300) حزب، والاشكالية ايضاً لا تكمن في العدد، بل تكمن في هذا الانخراط الذي خلق حالة التشتت لدى المواطن العراقي، والامر الأكثر خطورة إن معظم تلك الأحزاب تأسست على الانتماءات الفرعية، ومن النادر جداً ان تجد فيها من يحمل إيديولوجية وطنية جامعة شاملة، مما زاد الأمور تعقيداً إن جل تلك الأحزاب التي كان من المفترض أنها تمثل شرائح وانتماءات اجتماعية تمثيلاً مشروعاً وضمن الأطر الدستورية والقانونية، لكنها كرست تلك الانتماءات ورسخت حالة التعصب والتخندق والاصطفافات الطائفية والعرقية والحزبية، وبالمحصلة ساهمت تلك الأحزاب في اضعاف روح المواطنة، إن لم نقل غيابها لدى أوساط واسعة في المجتمع العراقي.

وهذا واقع الحال أنعكس بشكل جلي على العملية السياسية وعلى مدى الدورات النيابية الاربع (موضوع البحث) – كما اسلفنا القول – واضحت ظاهرة الصراعات الحزبية والدينية والمذهبية والعرقية طاغية على الحياة السياسية، وكان ذلك هو السبب الأساس في عدم اكتمال بناء مؤسسات الدولة لتكون نواة لبناء النظام السياسي.

ولمعالج هذا الواقع لابد من اتخاذ الخطوات اللازمة لتعزيز روح المواطنة وتغليبها لدى المواطن العراقي في كل المواضع والاحوال على حساب الانتماءات الفرعية، وهذا لا يعني الغاء الأخيرة بل استيعابها وإحتوائها في منظومة متكاملة، وقد جاء الباب الثاني من الدستور العراقي النافذ – باب الحقوق والحريات العامة – ليمثل الحل الأمثل لتلك الإشكالية، إذ ساوى نص المادة (14) بين العراقيين بمختلف مكوناتهم فنصت على ان (العراقيون متساوون امام القانون دون تميز بسبب الجنس أو العرق أو القومية أو الأصل أو اللون أو الدين أو المذهب أو المعتقد أو الرأي أو الوضع الاقتصادي والاجتماعي)، بينما أكدت المادة (16) على ان (تكافؤ الفرص حق مكفول لجميع العراقيين وتكفل الدولة اتخاذ الإجراءات اللازمة لتحقيق ذلك).

لذا بعد تطبيق هذه النصوص على الوجه الأمثل فأنها ستساعد عندئذ على خلق روح العمل الجماعي الذي يرتكز على مبدأ المواطنة وما يترتب عليها من حقوق وواجبات وينمي الشعور بالمسؤولية لدى جميع افراد المجتمع للعمل من اجل مستقبلهم المشترك، فضلاً عن انها تنمي وتوثق الارتباط الوطني والقدرة السياسية والعمل السياسي الذي يشترك فيه الجميع ومن ثم يؤدي ذلك الى مشاركة الجميع ومساهمتهم في بناء الدولة ومؤسساتها، وهذا الامر ينمي الشعور بالمسؤولية لدى كل فرد من افراد المجتمع ويجعله يدرك مكانته في المجتمع والدولة واهميته بالنسبة لها من خلال عمل مؤسسات الدولة على حفظ كرامة مواطنيها وصيانتها، لان كل هذا يؤدي الى تحويل الفرد من فرد مستهلك أو سلبي الى فرد منتج أو إيجابي يساهم في بناء مجتمعه، مما ينعكس ذلك بكل تأكيد على تقويم وبناء السياسة العامة في البلد بالشكل الصحيح ذلك من خلال خلق قوة داعمة أو مساندة لما يقر من سياسات عامة.

وفي هذا الصدد لا بد من الإشارة ان ترسيخ مفهوم المواطنة وتحقيق الوحدة الوطنية يتوقف على توافر مجموعة أساسية من المقومات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، لان البناء الدستوري والسياسي واليات عمل مؤسسات الدولة وحالة التوازن بينهما والعلاقة المتوازنة بين النظام السياسي والمجتمع والتزام النظام السياسي بقواعد الدستور وتوفير أجواء من الديمقراطية والحرية، فضلاً عن حالة التوازن بين الانتماءات والهوايات الفرعية وانضمامها تحت الهوية الوطنية كل هذا يعد محدد أساسي يمهد لبناء الوحدة الوطنية، والعكس صحيح لان ان انعدام هذه المقومات يؤدي الى تصدع الهوية الوطنية وتمزق وحدتها (الزبيدي: ليث عبد الحسن، 2014، ص74).

وعليه متى ما توفرت الحقوق والحريات والواجبات التي كفلها الدستور كحق المشاركة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والإعلامية والثقافية إضافة الى المساواة امام القانون تتوفر المواطنة وتتأصل في نفوس المواطنين(عجيل: عمار وكاع، بلا، ص114) (عبد الرضا: اسعد طارش، 2010م، ص409)، وهي بأبسط صورها تعني الانتماء الى الوطن والولاء له ولهذا التعبير دلالاته القانونية والسياسية تمتد لتشمل جميع افراد الشعب بما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات بغض النظر عن انتماءاتهم، بذلك تكون الاطار الذي يضم الانتماءات الفرعية بكل أنواعها لان هدفها الأول والاساس هو عدم الانغلاق وقبول الاخر ومشاركة الجميع(السامرائي: محمود سالم، 2009م، ص5) (عجيل: عمار وكاع، بلا، ص119) (العنبكي: طه حميد، 2016، ص69)، وبالمقابل فان غيابها يفسح المجال امام القوى الإقليمية

والدولية لتحقيق مصالحها والتي هي في كل الأحوال على حساب المصلحة الوطنية للشعب العراقي (عطوان: خضير عباس، 2006م، ص41)، والمتتبع للأمر يبدو له واضحاً من خلال الفجوة الحاصلة بين النخب والقوى السياسية والمواطنين أو بين المجتمع والدولة، اذ مثل ذلك احدى اهم معوقات التي تقف امام ترسيخ مفهوم المواطنة والوحدة الوطنية، ومن ثم امام صنع السياسة العامة وتنفيذها، ولو عرضنا هذه الصورة على الوضع العراقي منذ التغيير الى الان نجد ان العراق بأمس الحاجة الى تفعيل وترسيخ مفهوم المواطنة والوحدة الوطنية من اجل النهوض بواقع مؤسسات الدولة وإعادة بناء المجتمع كخطوة أولى واساسية نحو بناء مجتمع متجانس وقادر على تجاوز الصعاب، مما يهيئ ذلك امام صناع السياسة العامة الأجواء المناسبة لإقرار سياسات عامة يكون جل اهتمام المصلحة العامة ولا تكترث الى المصالح والولاءات الفرعية، وذلك يكون من خلال ايجاد مؤسسات جديدة تعمل على تطوير الوعي المجتمعي بما يتلائم مع آليات الديمقراطية ومع خصوصية المجتمع.

وذلك يكون من خلال وضع آليات تعمل على تعزيز روح المواطنة لدى جميع افراد المجتمع، مثلاً وضع خطط للتنشئة الاجتماعية السياسية ويكون ذلك من خلال تغيير المناهيج التعليمية فعن طريق الأخيرة يمكن للأفراد معرفة مكانة وطنهم وعلاقته بالعالم الخارجي، وكذلك عن طريق المؤسسات الدينية فالخطاب الديني له الأثر المباشر في نفوس الافراد، وكل ذلك سيفضي حتماً الى تحويل المواطنين من قوة سلبية الى قوة إيجابية داعمة للسياسة العامة.

2. **التغيير الثقافي:** بسبب الموروث التاريخي المتخم بشراسة الطائفية، وشدة القمع والتي بلغت ذروتها في ظل الحكم السابق (قبل عام 2003) (الجنابي: ميثم، 2010، ص213-214)، كان تدني الوعي الثقافي للناخب العراقي ردة فعل واقعية وربما طبيعية نتيجة لهذا الواقع، ما أدى الى انتشار الثقافة التقليدية التي يغلب عليها طابع التسلط والشخصنة والاقصاء وعدم قبول الاخر بل واقصائه فضلاً عن سيادة حالة التعصب للانتماءات الفرعية (الدينية، والمذهبية، والقومية، والمناطقية، وما الى ذلك) على حساب الولاء للوطن.

لذا أضحت الثقافة السائدة في العراقي هي ثقافة الخضوع، ذات قيم موروثة يغلب عليها طابع التسلط والشخصنة والاقصاء والتهميش وعدم قبول الاخر فضلاً على سيادة حالة التعصب للانتماء الديني أو الطائفي أو القومي على حساب الانتماء للوطن، كما ان النخبة ما زالت غير مؤمنة بالتقاليد الديمقراطية وغير مؤمنة بثقافة المعارضة (العنبكي: طه حميد، 2016، ص68)، وهذه الثقافة أدت الى ركن العقل والمنطق والحوار والنقاش جانباً، فالثقافة السياسية ما هي الا مجموعة الاتجاهات والقيم التي تتصل بعمل نظام سياسي محدد وتعد بمثابة معرفة منتظمة ومهارات مكتسبة عن عمل هذا النظام، كما تتضمن اتجاهات إيجابية أو سلبية نحوه وايضاً احكاماً تقييمية بشأنه (محمد: محمد علي، 1990م، ص128).

وبما ان القوى السياسية في النظام السياسي العراقي اخذت تسعى للحصول على مواقع وزارية بدافع البحث عن الامتيازات والنفوذ، دفع كل مكون من مكونات الشعب العراقي السعي وراء ضمان حقوقه من خلال تأسيس الأحزاب وضمان النفوذ السياسي لهم والحصول على مراكز مرموقة في السلطة، حيث اخذ كل مكون يؤسس حزبه على أسس طائفية أو مذهبية أو قومية، فالصابئة المندائيين وكذلك الآيزيديون مثلا لم يفكروا في يوم من الأيام بتأسيس تنظيم سياسي إلا بعد أن وجدوا أنفسهم خارج الخريطة السياسية فظهر مشروع حزب " التجمع المندائي الديمقراطي" وتنظيم " الحركة الديمقراطية الآيزيدية " وظهرت التنظيمات الكردية الفيلية، وسارع المسيحيون إلى تأسيس حزب تحت عنوان "

الحزب الديمقراطي المسيحي العراقي " مع وجود أحزاب كلدو آشورية (الخيون: رشيد، 2011م، ص44).

وعليه اخذت تلك الاحزاب يثقفون الناخب الذي ينتمي لتلك المكونات بالتصويت على أساس الانتماءات الفرعية وليس على أساس النزاهة والكفاءة، وهذا ما حصل بالفعل في جميع الانتخابات التشريعية (للدورات النيابية محل البحث) خصوصاً انتخابات الدورة النيابية الأولى، مما انعكس ذلك على أداء مؤسسات الدولة والسلوك النيابي للكتل السياسية واعضائها وعلى ثقافتهم السياسية ايضاً، إذ اخذ تلك الأحزاب والقوى السياسية يتشبثون بالمناصب التنفيذية للحصول على المغانم والامتيازات الحزبية أو الشخصية، اكثر من تشبثهم بالمناصب التشريعية.

وهذه الأسباب وغيرها كفيلة بأن تجعل أداء مجلس النواب بشكل عام وأدائه التشريعي بشكل خاص لا يلبي الطموح فضلًا عن ذلك وتجريده من فحواه الذي وجد من اجله وهو خدمة المصلحة العامة.

وعليه تتوقف الثقافة السياسية للأفراد بشكل كبير على مقدار المعرفة السياسية التي يتمتعون بها اتجاه القضايا السياسية المختلفة سواء كانت متعلقة بالنظام السياسي أو الحياة السياسية بمجملها، فالمعرفة السياسية للأفراد تتكون نتيجة لما تطرحه الأحزاب أو القوى السياسية المنتمين اليها أو المتعاطفين معهم من أفكار حول الواقع السياسي وما يجري فيه من احداث، ولما كانت تلك القوى أو الأحزاب السياسية تفتقد الى الثقافة السياسية الصحيحة انعكست بصورة مباشرة على ثقافة الجماهير الذين يتبعونهم (لان فاقد الشيء لا يعطيه)، إذ اخذت تلك القوى تصدر ثقافة التهميش والاقصاء والتخوين وعدم الاطمئنان والثقة الى الأطراف الأخرى الامر الذي نتج عنه تصويت كل ناخب الى طائفته السياسية الذي جعلته يشعر لا امان له الا في ظلها، ومن ثم انعكس ذلك وبشكل مباشر على النظام السياسي بمختلف مكوناته وعلى أداء المؤسسة التشريعية.

وبناءً على ما تقدم فأن حل تلك الإشكالية يستدعي تحقيق ما يسميه (كَابريل الموند) بالتغيير الثقافي أي تغيير الثقافة التقليدية السائدة الى ثقافة الحوار وقبول الاخر بل والنقد البناء وتوزيع الأدوار خدمة للصالح العام وتطوير أداء مؤسسات النظام السياسي، ويكون ذلك عبر وضع الخطط الشاملة على كافة المستويات بدءاً بتغيير المناهج الدراسية وتسخير الاسرة والمؤسسات الاعلامية ومؤسسات المجتمع المدني والمؤسسات الدينية اذ تأخذ هذه الخطة على عاتقها تنشئة المجتمع تنشئة اجتماعية سياسية (حجازي: غادة عودة؛ شعبان: خالد رجب علي، 2013م، ص11)، التي تكسب الفرد روح النقد الموضوعي وقيم المبادرة وروح التعاون والتسامح الفكري والثقة بالأخرين لتجاوز الانا والاعتراف بالأخر (عبد الله: رؤى، 2017م، ص131).

مما يهيئ قوة داعمة للعملية التشريعية سواء كانت على مستوى المؤسسات الرسمية أو القوى والمؤسسات الشبه الرسمية عن طريق التعاون وتبادل الأفكار خدمة للصالح العام، وهذا كله يكون عندما توجد ثقافة وطنية تتجاوز الثقافات الفرعية وتنمي التواصل بين أبناء المجتمع الواحد، ويكون ذلك عبر مؤسسات التنشئة الاجتماعية السياسية والقضاء على البطالة وخلق رخاء اقتصادي على النحو الذي يقتنع فيه المواطن ضرورة تغيير ثقافته السياسية وتغيير توجهاته السلبية بالإيجابية، والاهم من هذا كله هو وجود قيادة سياسية تؤمن بمبادئ الديمقراطية وفكرة التداول السلمي للسلطة واحياء مبدأ المعارضة السياسية لان مثل هذه القيادات قادرة على انتشال البلد من المأساة الى بر الأمان، وعليه تُعد الثقافة

السياسية من اهم العناصر الرئيسية والاساسية التي تميز مراحل النمو التطور في النظم السياسية وانتقالها من نظم تقليدية الى نظم حديثة.

ومن هنا يتضح لنا دور الثقافة السياسية وخطورته في صناعة السياسة واتخاذه لاسيما في ظل وجود هكذا تحديات طائفية ومذهبية وقومية متجذرة في ذهنية اغلب أعضاء مجلس النواب والقادة السياسيين الذين يتولون مراكز القرار اذ تنعكس هذه الميولات بدون شك على ما يشرع من قوانين داخل مجلس النواب وعلى تنفيذها، الامر الذي يجعل اغلب القوانين التي يصدرها هشة خاضعة للمساومات والمصالح الحزبية ومراعاتها أكثر من المصلحة العام.

لان الثقافة السياسية هي إحدى الأدوات السياسية المهمة التي تساعد على بناء الدولة والمجتمع من خلال التزام النخبة الحاكمة بعدم تجاوزها لحدود السلطة السياسية الشرعية، مع التزام أفراد المجتمع بالمقابل بقرارات هذه السلطة لتحقيق أهداف عامة تتجاوز المصالح الفرعية، مما يؤدي ذلك الى توسيع مدارك القادة السياسيين والافراد على ضرورة العمل المشترك للنهوض بواقعهم الاجتماعي والسياسي عن طريق دعم ما يُقر من سياسات السياسة العامة سواء كان بتجاوز المصالح الحزبية والشخصية من قبل القادة السياسيين أو عن طريق دعمها والمحافظة عليها من قبل الافراد.

وبالمحصلة حينما نتمكن من اعداد ناخب يتمكن من إختيار من ينوب عنه بملئ ارادته وبوعيه الكامل وبمعرفته الاكيدة ومن دون ضغوط أو املاءات أو ترغيب أو ترهيب، وقتذاك ستكون مخرجات العملية الانتخابية بناء برلمان (مجلس النواب) يمثل الشعب بكافة انتماءاته تمثيلاً حقيقياً ويجسد إرادته ويكون اهلاً للمسؤولية وبذلك يضطلع بمهامه الدستورية على أكمل وجه، بدءاً باختيار رئيس الجمهورية، ومنح الثقة لمجلس الوزراء، والرقابة على أعمالهم وانتهاءً بالمهام الأخرى التي اناطها الدستور به، وحين ذلك تتوفر لنا مؤسسات وطنية وفاعلة وقادرة على صنع سياسة عامة راشدة، كونه المؤسسة الام التي تنبثق عنه سائر المؤسسات الأخرى.

المطلب الثاني: النظام الانتخابي

ان النظام الانتخابي يؤثر بشكل كبير على عدد الأحزاب الموجودة داخل النظام السياسي، فنظام الأغلبية ذو الدور الواحد يؤدي الى الثنائية الحزبية، ونظام الأغلبية ذو الدوريين يؤدي الى تعدد الأحزاب لكن بشكل معتدل أو مرن ومتقارب، بينما يؤدي نظام التمثيل النسبي الى التعددية الحزبية بشكل متطرف (دفرجية: موريس، 1980م، ص330-331)، كما يؤثر النظام الانتخابي بشكل مباشر على علاقة الاحزاب والقوى السياسية وكذلك على مخرجات النظام السياسي، فاذا تم اتباع نظام الانتخابي يقوي دور الاحزاب، يؤدي بالمقابل الى اضعاف مؤسسات الدولة على وجه العموم المؤسسة التشريعية والتنفيذية على وجه الخصوص (الشاوي: منذر، 2001م، ص107.).

لان طبيعة النظام الانتخابي المعتمد في أي دولة من الدول يؤثر بشكل مباشر على بناء مؤسسات النظام السياسي الدستورية، فمن الممكن ان تؤدي طبيعة النظام الى حصول حزب معين على الأغلبية المطلوبة التي تمكنه من تشكيل الحكومة مع إبقاء الأحزاب الأخرى الى جانب المعارضة، ويمكن ان تؤدي الى عدم قدرة أي حزب من الأحزاب الحصول على الأغلبية المطلوبة لتشكيل الحكومة مما يدفعها الى تشكيل حكومات ائتلافية مع الأحزاب الأخرى، وهذا يعد من اهم المؤشرات التي تؤثر في مخرجات النظام السياسي وبناء مؤسساته وتعثر أدائها، ومن ثم ينعكس ذلك بشكل مباشر على فحوى السياسة العامة والاهداف المرجوة منها.

وذلك يبدو وضحاً عند متابعة الانتخابات التشريعية - للدورات النيابية الاربع محل البحث - إذ أدى اعتماد –النظام المذكور - الى التعددية الحزبية المتطرفة وظهور (أحزاب موسمية)، اثرت بشكل مباشر على أداء مؤسسات النظام السياسي، فقوانين الانتخابات الذي تم اعتمادها خلال تلك الدورات قد جيرت لصالح الأحزاب والكتل السياسية الكبيرة – كما اسلفنا-.

لكن يمكن الإشارة بالرغم من ان تلك القوانين التي اعتمدت في الدورات النيابية المذكور تعطي حجماً وطنياً لكل القوى السياسية المشاركة في الانتخابات الا انه في الوقت نفسه يقوي سيطرة الأحزاب السياسية على المرشحين بفعل عدم وجود قائمة وطنية تضم جميع شرائح المجتمع، لان تكوين القوائم الانتخابية في ظل نظام التمثيل النسبي يمثل ضماناً للنجاح أو الفشل ومن ثم ينعكس ذلك في اليات التصويت داخل مجلس النواب بمدى التزام المرشحين بالتصويت وعدم التصويت (عبدو سعد واخرون،2005م، ص91)، ذلك لان كل حزب ينظر الى مصلحة المكون الذي ينتمي اليه وليس الى المصلحة العامة.

وعليه افضت تلك العمليات الانتخابية الى انتاج مؤسسات، (مجلس النواب) على وجه الخصوص لا يمثل إرادة الامة تمثيلاً حقيقياً مما انعكس سلباً على أداء مؤسسات النظام السياسي برمتها، وهذا ما تؤكده الأوضاع التي شهدها العراق على مدار الدورات النيابية الثلاث إذ لم يكن أداء تلك المؤسسات يرتقي الى مستوى الطموح، فضلاً عن انها تشكلت على أساس المحاصصة السياسية والطائفية التي افرزها النظام الانتخابي وثقافة الناخب.

وكان ذلك نتيجة مشاركة اغلب تلك الأحزاب في السلطة بسبب اعتماد مبدأ المشاركة الوطنية وتشكيل حكومة وطنية، وهذا ان دل على شيء انما يدل على تأثير نظام الانتخابي (نظام التمثيل النسبي) المعتمد في العراق على عدد الأحزاب وعلى بناء المؤسسات السياسية، اذ يقتضي هذا النظام بضرورة توزيع مقاعد مجلس النواب على سائر مكونات الشعب العراقي بشكل عادل نسبياً.

كما شجع ذلك كل ذي نفوذ ومكانة على الترشيح للانتخابات الامر الذي انعكس بطبيعة الحال على تعدد التوجهات داخل مجلس النواب، والأكثر من ذلك عدم حصول أي حزب على الأغلبية الذي تمكنه من تشكيل الحكومة الامر الذي أنتج لنا حكومات ائتلافية غير منسجمة مهددة بين الحين والأخر بسحب الثقة منها مما يجعلها ترضخ لمطالب الأحزاب المشاركة فيها ومراعاة مصالحهم على حساب المصالح العامة، وهذا يشكل مؤشراً خطيراً على العملية التشريعية وعدم اكتراثها للمشاكل التي يعاني منها المجتمع.

الى جانب ذلك ان طريقة احتساب المقاعد وتوزيعها التي افرزها النظام الانتخابي في العراق اثرت بشكل مباشر على أداء المؤسسات السياسية والدستورية بشكل عام ومجلس النواب بشكل خاص، حيث نجد في نهاية كل دورة نيابية تسعى الأحزاب السياسية الى تغيير النظام الانتخابي بما يتلائم مع مصالحها ويضمن هيمنتها على أكثر عدد ممكن من المقاعد، هذا فضلاً عن الية احتساب المقاعد الشاغرة والتعويضية حيث ظلت الية احتساب هذه المقاعد مرتبطة بأمزجة رؤساء الكتل النيابية ورغباتهم، بالرغم من تقديم مقترحات قوانين تعالج ذلك الا ان هذه المقترحات تولد ميتة (لقاء اجراه الباحثان مع السيد عبد الرحمن اللويزي، في منزله يوم (2019/4/15))، وسبب في رفض تلك المقترحات يعزى لاستمرار هيمنة رؤساء الكتل النيابية على أعضاء المجلس لانهم اخذو يعطون هذه المقاعد ليس على أساس الكفاءة والنزاهة أو نسبة الأصوات التي يحصلون عليها؛ بل على مدى ولائه للكتلة ورئيسها وانصياعه لأوامرها.

وبناءً على كل ما تقدم يمكن القول ان تأثير النظام الانتخابي في أداء مؤسسات النظام السياسي خصوصاً مجلس النواب يتضح من خلال عدد الأحزاب داخله الذي حال دون حصول أي من الأحزاب مهما بلغ حجمه على الأغلبية المطلوبة التي تمكنه من تشكيل الحكومة وتمرير القوانين التي تخدم المصلحة العامة الامر الذي أدى الى ضرورة اللجوء الى الائتلاف مع الأحزاب الأخرى ذات الاوزان الصغيرة التي اخذت تسمى (ببيضة القبان)؛ وذلك بسبب اقتران تمرير تشكيل الحكومة والقوانين المهمة التي تخدم المصلحة العامة مرتبط بموافقتها وهذه الحقيقة جعلت الأحزاب ذات الاوزان الكبيرة تضطر الى مراعاة مصالح الأحزاب السياسية لكسب ودها في تمرير الحكومة والقوانين التي تخدم مصالحها دون الاهتمام بالمصالح العامة، وهذا يعد من اخطر المؤشرات على تلكؤ السياسية العامة وتعثرها.

ومن جانبنا نرى ان تخلص من هذه الحالة كان لابد من اتباع نظام انتخابي اكثر ملائمة لطبيعة المجتمع العراقي بالرغم من ان لكل نظام مزاياه وعيوبه الا اننا نفضل ان يتبع نظام الانتخاب بالأغلبية من خلال تقسيم كل محافظة الى دوائر صغيرة يكون عددها مساوياً لعدد المقاعد المخصصة لها اذ يتنافس فيها المرشحين الذين يسكنون هذا الدائرة بشكل فردي ويكون الفائز فيها من يحصل على اغلبية الأصوات، وبهذه الطريقة يمكن ضمان صعود المرشحين الكفؤين الذين تم انتخابهم من قبل ناخبين مناطقهم الذين يكونون على معرفة واحتكاك مباشر بهم، مما ينعكس ذلك حتماً على أداء مؤسسات النظام السياسي برمته ومن ثم على بنية المؤسسة التنفيذية (الحكومة)، وبهذه الطريقة سوف يجسد مجلس النواب الإرادة الحقيقية للناخبين كونهم سيصوتون الى من يعرفونه معرفة مباشرة بالاستناد الى كفاءته وخبرته ونزاهته، بذلك سوف تضمن الطابع المؤسساتي لسائر المؤسسات كونها سوف تنبثق من خلال مجلس نواب ممثلاً لأرادة الامة الحقيقية.

المطلب الثالث: التكامل المؤسساتي

من المشاكل الحقيقية التي افرزتها حالة انهيار مؤسسات الدولة بعد عام (2003) وجود فجوة إدارية وقانونية وسياسية وهو ما يسمى بـ (الفراغ المؤسساتي) الذي خلق الحساسية الاثنية والطائفية وانتشار حالة الفوضى السياسية والاجتماعية وهذا امر طبيعي يكون نتيجة لغياب المأسسة، لان الأخيرة في ابسط معانيها تمثل إحدى اهم اليات النظام السياسي في أداء وظائفه المتنوعة كما انها تساهم في تطويره على النحو الذي يكون فيه قادراً على تلبية متطلبات البيئة والمجتمع (أدهم: كمال حسين، 2009م، ص150-106).

وما يجدر الانتباه اليه ان النظام السياسي العراقي رغم مرور ما يقارب (16) عام على التغيير الديمقراطي ولا يزال يعاني من هشاشة بناء مؤسسات الدولة وضعف أدائها، ويمكن ان يرد ذلك الى الطفرة أو القفزة في بناءها التي اثرت بصورة سلبية على طبيعة السياسة العامة ومجمل القوانين التي تقترحها المؤسسة التنفيذية أو الذي يقرها مجلس النواب، لان النمو والتطور التدريجي يجعل المؤسسات اكثر توازناً واكثر مقاومة للصعوبات والتحديات التي تواجهها على العكس من سرعة الانتقال التي تجعل مؤسسات النظام السياسي اكثر هشاشة وعاجزة على مواجهة التحديات.

وهذا ما عانى منه النظام السياسي العراقي بعد عام (2003) وما زال يتحمل نتائجه التي اثرت بشكل سلبي ومباشر على طبيعة وأداء مؤسسات الدولة التي لم تفلح في صيانة قدراتها التنظيمية لضبط سلوك الافراد بما يجعلهم ينصاعون للقانون، والأكثر من ذلك اخذت هذه المؤسسات تجير لصالح الأحزاب السياسية أو الشخوص واصبح كل حزب أو مسؤول مؤسسة ينظر اليها على انها ملكاً له ولحزبه

بل اخذ ينظر الى ان منصبه ليس تكليفاً بل تشريفاً له الامر الذي نمى عندهم النظرة التسلطية في التعامل مع كافة شرائح المجتمع وكذلك في القرارات التي يتخذونها مما نعكس ذلك على تنفيذ السياسة العامة وجعلها وجردها من مضمونها.

ومثل هكذا ظاهرة تعد من أخطر العقبات التي تقف في طريق العملية التشريعية التي من شأنها ان تعالج مشاكل المجتمع لأنها تؤدي الى فقدان مؤسسات الدولة استقلاليتها اذ تصبح مجرد أداة في خدمة الزعيم أو الحاكم أو الحزب مما يؤدي الى تفريغ تلك المؤسسات من محتواها الدستوري والقانوني، فتصبح عندئذ مجرد هياكل بيد زعيم أو رئيس أو التيار الذي يسيطر عليها.

وعليه يمكن القول ان التكامل المؤسساتي يمثل مفاتيح التقدم والنجاح والتطور للنظام السياسي والدولة، وهذا يكون عن طريق وضع خطة شاملة ومتكاملة للاسترشاد بها على المدى القصير والمتوسط والبعيد، اذ تتضمن هذه الخطة اليات تكوين تلك المؤسسات وأليات عملها بشكل تدريجي من اجل تحقيق الانسجام وتعاضد بين مختلف اجزاءها مما ينعكس ذلك على أدائها بصورة إيجابية وكذلك على طبيعة وفحوى ما يتم اقراره من قوانين لان الانسجام وتنسيق في عمل مؤسسات الدولة يجعلها اكثر رشادة واكثر فائدة لعموم المجتمع، وكل ذلك يمكن ان يكون من خلال ما يلي:

1. الغاء المحاصصة السياسية والطائفية في توزيع المناصب بشكل عام والمؤسسة التشريعية بشكل خاص.
2. تشريع القوانين التي تهدف الى بناء المؤسسات وتكاملها مثل قانون مجلس الاتحاد ومحكمة الاتحادية.
3. إعادة النظر في القوانين التنظيمية التي تنظم سلوك موظفي الدولة ومسؤوليها.

المطلب الرابع: التكامل المؤسساتي

ولابد من الإشارة هنا ان ظاهرة الشخصنة للمؤسسات متجذرة في الثقافة السياسية العراقية نتيجة الموروث السياسي والاجتماعي المتجذر في الشخصية العراقية، وبسبب ذلك كان من أبرز العقبات التي تقف امام سيادة القانون هو تقديس الرموز السياسية أو الدينية التي أسهمت بشكل أو بأخر في شخصنة السلطة السياسية اذ اخذت الأحزاب والقوى السياسية تتبنى اسم رمز معين لتصول وتجول بمؤسسات الدولة(الجبوري: علي، 2010م، ص232-233)، والأكثر من ذلك ان هذه الظاهرة تجعل ذلك الرئيس أو الزعيم فوق القانون واسمى من الدستور على النحو الذي تسخر فيه كافة الجهود لدعم الوضع القائم، فيتم تشريع القوانين بما يخدم مصلحة الحزب ومن يدور بفلكه فتصبح القوانين فارغة من محتواها، وهذا ما عليه واقع السياسة العامة في العراق منذ التغيير والى لحظة كتابة هذه السطور.

ولأهمية هذه الظاهرة اجمع الباحثانون في ظاهرة الدولة، على خطورتها وعلى ضرورة ازالتها من خلال، اذ اعتبروا شخصنة المؤسسات وعدم احترام القوانين اقصى درجات الديكتاتورية بل انها تعد من أخطر العقبات التي تقف امام التحول الديمقراطي وسيادة القانون (مجاهدي: جلال، شخصنة الحكم والسلطة ورم من اورام الدولة، 2017/7/25)، وللتخلص من هذه الظاهرة يستدعي إعادة النظر في الكثير من القوانين والأنظمة السائدة من اجل إعادة سيادة القانون ويقتضي ذلك الى ردع الكثير من الأحزاب السياسية والشخصيات الذين تجاوزوا تلك القوانين بحثاً وراء مصالحهم الخاصة، وذلك من خلال تطبيق مبدأ (اضرب المستهزء يتعظ الجاهل) اي بمعنى تفعيل مبدأ الثواب والعقاب الذي يجزى فيه من يعمل بكفاءة ويعاقب من يسيء الى القانون وتطبيقه، والمقصود بضرب المستهزء هنا هو محاسبة كل

مسؤول يقف على هرم المؤسسة (السلطة) لكنة لا يلتزم بالقوانين التي تحكم تلك المؤسسات، وهذا يؤدي بطبيعة الحال الى خلق الضغينة في نفوس افراد المجتمع بسبب شعورهم ان القوانين أضحت تطبق على من لا سند له، لكن بتفعيل هذا المبدأ سيساعد وبشكل كبير على بناء المؤسسات والتزام القائمين عليها بالقوانين التي تحكمها.

فضلاً عن ان تفعيل مبدأ الثواب والعقاب يمكن ان يؤدي الى خلق الأرضية المناسبة لظهور المعارضة السياسية التي تساعد على التخلص من ظاهرة شخصنة المؤسسات وتجبر كل ذي مسؤولية على الالتزام بالقوانين، ذلك لان المعارضة السياسية تعد الأداة الأهم والابرز وضرورة ملحة لتصحيح مسار مؤسسات الدولة بشكل عامو ومجلس النواب بشكل خاص وتخليصها من حالة التلكؤ والاعوجاج في أدائها.

وعليه يمكن القول ان هذا التغيير والتطور المفاجئ في مؤسسات الدولة قادة الى خلق حالة من الفوضى وعدم الاستقرار وعدم الالتزام بالقانون حيث غيب الأخير لصالح المحاصصة الحزبية والطائفية، إذ اخذت الأحزاب السياسية تفصل القوانين على مقاساتها وبما يخدم مصالحها ومصالح الجهات التي تدعمها، وهذا الجانب وحده كفيل في تلكؤ وتعثر العملية التشريعية على النحو الذي يجعل منها سياسات طالحة وليس صالحة لخلق مزيد من الفوضى، لان الأخيرة تساعد تلك الأحزاب على السيطرة اكثر واكثر على مؤسسات الدولة وجعلها أداة بيدهم خدمة لمصالحهم على حساب المصلحة العامة.

المطلب الخامس: تأسيس معهد لصنع السياسة العامة[1]:

تستدعي مهمة صنع السياسة العامة الاسترشاد بمنهجية علمية مدروسة وقابلة للتنفيذ بفاعلية على الأرض، وهذا هو معيار التمييز بين الدول المتطورة والدول المتأخرة (الفاشلة) فالأولى تمكنت من تذليل بل واجتياز كل التحديات والعقبات والأزمات التي واجهتها - بدءاً بأزمة بناء الدولة مروراً بأزمة بناء الأمة وأزمة التوزيع وإنتهاءً بأزمة المشاركة- مما مهد السبيل أمامها لتحقيق الرفاهية لشعوبها، أما الأخيرة (الدول المتأخرة) فإنها بقيت على حالها، وربما تراجعت بفعل عدم تبني القائمين على إدارة مؤسساتها الدستورية والسياسية الرسمية وشبه الرسمية سياسة عامة واضحة المعالم.

من هنا تبرز أهمية الدور الذي لابد أن تضطلع به مراكز الأبحاث في صنع السياسة العامة، وهو السبيل الوحيد لتحقيق التنمية الشاملة والمستدامة، إذ لم تعد تلك المراكز مجرد مصدر للمعلومات التي يحتاجها صناع القرار، ولا يمكن أن يقتصر دورها على تقديم الاستشارات الفردية والشفوية وحينما

[1]اذ يضم هذا المعهد سبعة اقسام وهي كالاتي: (1. قسم الأرشيف: يتولى أرشفة جميع أنشطة المعهد من الوثائق والمشاريع والمقترحات والإصدارات والقرارات والمخاطبات الرسمية والمؤتمرات والندوات والورش والدورات، وذلك بغية توفير قاعدة بيانات شاملة وعامة يمكن الرجوع إليها والاستفادة منها كونها تعد أحد أهم أدوات البحث والتحليل. 2. وحدة استطلاعات الرأي العام. 3. قسم الدراسات المستقبلية ومهمته رسم المشاهد المستقبلية للظواهر والمشاكل والأزمات الاجتماعية والاقتصادية والخيارات الممكنة والمتاحة والحلول لكل مشهد. 4. قسم الدراسات الدولية ويتخصص بوضع الخطط والبرامج والسياسات للتعامل مع الدول العربية والإقليمية والدولية. 5. قسم التعليم المستمر ويتعهد بمهمة تنظيم الندوات والمحاضرات والورش والمؤتمرات والدورات. 6. قسم الإعلام والعلاقات العامة ويتولى مهمة متابعة إصدارات المركز ونشاطاته ونشرها إلكترونياً وورقياً،كما يتولى مهمة التنسيق والتواصل مع الجهات المعنية محلياً وخارجياً. 7. قسم صنع السياسة العامة والذي يضم الفروع المختلفة:الاجتماعية والنفسية والثقافية والسياحية والاقتصادية والقانونية والسياسية). للمزيد من الاطلاع حول أليات تشكيله ينظر: تأسيس معهد وطني اصنع السياسة العامة، مشروع تقدم به كل من: د. طه حميد العنبكي، وعلي عبود سوادي، الى مجلس الوزراء العراقي، 2018م.

يطلبها المعنيون، بل إنها تجري دراسات مستفيضة تعين صناع السياسة العامة على القيام بأدائهم لمهامهم التي رسمها الدستور لهم على الوجه الأمثل وبما يحقق العيش الكريم للمواطن ويعزز هيبة الدولة ومكانتها داخلياً وخارجياً، والأهم من كل ذلك تعمل تلك المراكز على تحديد الأُطر والأُسس الفكرية والفلسفية والاقتصادية والاجتماعية للنظام السياسي برمته.

وعلى ذلك تعد مهمة تأسيس معهد وطني معني بصنع السياسة العامة في العراق ضرورة حتمية، وذلك بحكم غياب الرؤية والقدرة لدى القائمين على إدارة مؤسسات الدولة في المرحلة الماضية – التي طالما عانت من خلل بنيوي صارخ - على صنع سياسة عامة واضحة المعالم، وقد تجلى ذلك في تردي الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والخدمية فضلاً عن تردي الأوضاع السياسية والأمنية مما أفضى إلى تعاظم خيبة الأمل وتفاقم حالة الإحباط في نفوس المواطنين العراقيين.

ويكون المعهد الوطني لصنع السياسة العامة مؤسسة رديفة لمؤسسات الدولة، تضع كل إمكاناتها في خدمة تلك المؤسسات والقائمين عليها، من خلال تقديم المشورة ورصد المشكلات والأزمات وتحليل أبعادها ومن ثم العمل على إيجاد حلول وخيارات متعددة بما يتناسب ومعطيات البيئتين الداخلية والخارجية التي يتفاعل معها النظام السياسي على وجه الجملة، ومن ثم وضع رؤية استشرافية لاستئصال أو منع قيام المشاكل والأزمات والتحديات المحتملة.

كما يتولى مهمة إعداد الأبحاث والدراسات العلمية التي تعرض التجارب الناجحة في النظم السياسية المعاصرة في إطار صنع السياسة العامة، مع إبراز مدى استفادة تلك النظم من الخبرات التي يمتلكها المتخصصون في هذا الإطار، فضلاً عن تنظيم دورات قصيرة ومتوسطة وطويلة الأجل ينخرط فيها أعضاء مجلس النواب والوزراء وكافة المسؤولين رفيعي المستوى في الدولة.

الخاتمـــــــــــــــــــــــــــة

جرت الأعراف ان يحمل مجلس النواب على الحكومة مسؤولية عدم التغيير في تشكيلاتها الوزارية عندما تخفق في أدائها ويعتقدون أن ذلك أحد أسباب التي تؤثر بشكل مباشر على الأداء الحكومي متناسين بذلك ان عملية تغيير الأداء الحكومي مرتبط ارتباطًا وثيقًا بتبديل أعضاءها أي بعبارة أخرى متوقف بشكل مباشر على تحسين أداء مجلس النواب والقيام بالمهام المناطة به على الوجه الامثل، والأخير يتوقف بشكل مباشر على محدودية التغيير في تركيبة مجلس النواب، إذ نجد ان المحاصصة السياسية والحزبية والطائفية والعرقية والمذهبية هي التي حددت مسار عمل المجلس خلال الدورات الأربعة محل الدراسة للمدة (2006 -2021)، وهذا الجمود في الكيفية التي ينتخب بها رئيس المجلس ونائبيه والكيفية التي توزع بها اللجان البرلمانية يشكل خطرًا كبيرًا على مستقبل المجتمع الدولة لاسيما أن المؤسسة التشريعية (مجلس النواب) هي التي تقوم بواجبات عدة تقف في مقدمتها التشريع والرقابة على أداء الحكومة.

وعليه أن أي خلل في أداء مجلس النواب يؤدي الى حالة من الفوضى التشريعية والأخيرة تنعكس بشكل مباشر على أداء سائر مؤسسات الدولة التي أخذت بعدًا واحدًا في التعثر وتلكؤ في أدائها، وعدم التنسيق فيما بينها من جهة وبينها وبين مجلس النواب من جهة أخرى وذلك بسبب انشغال كل قوى سياسية أو حزب سياسي بالقضايا الفرعية التي تخدم مصالحهم على حساب مصلحة الدولة والمجتمع، إذ أصبح

ليس بمقدور أي طرف أن يفهم ماذا يريد الطرف الآخر أو إلى ماذا يرمي الامر الذي جعل مجلس النواب يعيش الازدواجية وتخبط في أداء على وجه العموم وأداء التشريع على وجه الخصوص فالمتتبع لأداء مجلس النواب العراقي ان معظم القوانين التي تم أصدرها تعاني من النقص في الصياغة القانونية مما يدفع الجهات المختصة الى الطعن بها امام المحكمة الاتحادية العليا حتى ان بعض القوانين تم طعنها قبل ان تدخل حيز التنفيذ.

وبناءً على ما تقدم ان عدم التنسيق والتخبط يساهم بشكل مباشر في إضعاف مؤسسات الدولة على وجه العموم ومجلس النواب على وجه الخصوص، لاسيما ان الأخير المسؤول المباشر عن عملية مراقبة المؤسسات الأخرى وتقويم أدائها وتشريع القوانين التي تنظم عملها وتخبط مجلس النواب وضعف أدائه بهذه المهمة سوف يضعف اداء مؤسسات الدولة برمتها، ومن ثم نصل الى مؤسسات ذات كيان ضعيف ومترهل، بسبب ضعف أداء مجلس النواب.

المصادر

1. احمد: لقمان عثمان، عباس: الفاروق عبد الرحمن، تطور النظام الانتخابي في العراق (2005-2014)، مجلة جامعة تكريت، العدد (23)، 2014م، ص349
2. أدهم: كمال حسين، مفهوم المواطنة واليات تعزيزها، مجلة دراسات إقليمية، جامعة الموصل، العدد (13)، 2009م، ص150-106
3. الاسدي: د. ضياء عبد الله، توزيع المقاعد التعويضية الوطنية (نظرة قانونية)، صحيفة المثقف، العدد (1380)،2010/4/20.
4. البكري: ياسين سعد محمد، إشكالية الديمقراطية التوافقية وانعكاساتها على التجربة العراقية، مجلة المستنصرية للدراسات العربية والدولية، العدد (27)، 2009، ص71
5. تقرير المرصد النيابي، تقرير الفصلي للشهور (تموز، اب، ايلول)، مؤسسة مدارك، لدراسة اليات الرقي الفكري، بغداد، بلا، ص62
6. التقرير النهائي للمرصد النيابي، الدورة النيابية الثالثة (2014-2018)، مؤسسة مدارك لدراسة اليات الرقي الفكري، ص 13-15، على الرابط:
http://www.miqpm.com/new/OR_Details.php?ID=61
7. تقييم البعثة الدولية للانتخابات العراقية، التقرير النهائي لانتخابات 15 كانون الأول 2005 لمجلس النواب، بغداد، المفوضية العليا المستقلة للانتخابات، بلا، ص10-18.
8. جاسم: د. خيري عبد الرزاق، العملية السياسية في العراق ومشكلات الوصول الى دولة القانون، مجلد (33)، سلسلة كتب مركز العراق للدراسات، 2009م، ص16-18.
9. جاسم: عماد مؤيد، المواد الخلافية في الدستور العراقي والتنظيم السياسي للسلطة، مجلة دراسات اجتماعية، بيت الحكمة، العدد (33)، 2014م، ص105
10. الجبوري: علي، ترسيخ ظاهرة شخصنة السلطة في العملية السياسية في العراق بعد عام (2003)، مجلة العلوم السياسية، جامعة بغداد، العدد (41)، 2010م، ص232-233

11. الجنابي: ميثم، زمن الانحطاط وتاريخ البدائل، الامارات العربية المتحدة، دار الكتاب الجامعي، 2010م، ص213-214
12. حاكم: عصام، ظواهر غير قانونية في أداء مجلس النواب العراقي، ملتقى النبأ للحوار، 28/نيسان/2016، على الرابط: https://annabaa.org/arabic/rights/6161. 2023/7/20
13. حجازي: غادة عودة، خالد رجب علي شعبان، نحو تعزيز المشاركة السياسية للطالبات الجامعيات الفلسطينيات، مجلة العلوم السياسية، جامعة بغداد، العدد (46)، 2013م، ص11
14. حركة مشروعات ومقترحات القوانين داخل مجلس النواب العراقي، للدورة النيابية الأولى (2006-2010)، الدائرة البرلمانية، قسم المتابعة التشريعية.
15. حركة مشروعات ومقترحات القوانين داخل مجلس النواب العراقي، للدورة النيابية الثانية (2010-2014)، مجلس النواب العراقي، الدائرة البرلمانية، قسم المتابعة التشريعية.
16. حركة مشروعات ومقترحات القوانين داخل مجلس النواب العراقي، للدورة النيابية الثالثة (2014-2018)، مجلس النواب العراقي، الدائرة البرلمانية، قسم المتابعة التشريعية.
17. الحسيني: د. علاء إبراهيم محمود، الفشل الوظيفي في عمل مجلس النواب، 24/ كانون الثاني/ 2017، شبكة نبأ، على الرابط:https://annabaa.org/arabic/rights/9605
18. الحلو: مشتاق، وقفة مع أداء البرلمان العراقي وكتله النيابية، صحيفة العالم الجديد، 16/نيسان/2014، على الرابط:
https://al-aalem.com/news/6019
19. حنون: د. تغريد، فكرة الديمقراطية بين النشأة والتعزيز في العراق، مجلة العلوم السياسية، جامعة بغداد، العدد (36)، 2008م، ص210.
20. حنون: د. تغريد، ماهية الكيانات السياسية المشاركة في العملية التشريعية في العراق للفترة (2003-2010)، مجلة العلوم السياسية، جامعة بغداد، العدد (41)، 2010م، ص291.
21. الخيون: رشيد، ضد الطائفية (العراق جدل ما بعد نيسان 2003م)، بيروت، مدارك، الطبعة الثانية، 2011م، ص44.
22. الداوودي: غالب، المدخل الى علم القانون، عمان، دار وائل للنشر، 1992م، ص98
23. دفار: عادل حسن، ملخص تنفيذي للدورة النيابية الأولى (2006-2010)، دائرة البحوث والدراسات، مجلس النواب العراقي، ص2
24. دفار: عادل حسن، ملخص تنفيذي للدورة النيابية الثانية (2010-2014)، مجلس النواب العراقي، دائرة البحوث والدراسات، ص2
25. دفرجية: موريس، الأحزاب السياسية، ترجمة: علي مقلد وعبد الحسن سعد، بيروت، دار النهار للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، 1980م، ص330-331
26. الدليمي: د. حافظ علوان، مجلس النواب العراقي مقاربة بين الواقع والطموح (2005-2010)، مجلة السياسية والدولية، الجامعة المستنصرية، العدد (25)، 2014م، ص43
27. الركابي: د. هاتف المحسن، التنظيم الدستوري والعملية التشريعية في النظام الفيدرالي في العراق وفق دستور جمهورية العراق لسنة (2005)، بغداد، دار الأساتذة للنشر، 2016م، 349.

28. الركابي: هاتف المحسن، التنظيم الدستوري والعملية التشريعية في النظام الفيدرالي في العراق وفق دستور جمهورية العراق لسنة (2005)، بغداد، دار الأساتذة للنشر، 2016م.
29. الزبيدي: ليث عبد الحسن، محسن: د. زيد عدنان، الثقافة السياسية وبناء الوحدة الوطنية بين مؤشرات الأداء وعملية التقييم، مجلة قضايا سياسية، جامعة النهرين، العددان (35-36)، 2014م، ص74
30. السامرائي: محمود سالم، المواطنة والديمقراطية، مجلة دراسات إقليمية، مركز دراسات الإقليمية، جامعة الموصل، العدد (31)، 2009م، ص5
31. السويراوي: عبد الله، نظرة مستقبلية للبرلمان الجديد، الحوار المتمدن، العدد (3001)، 2010/5/11، على الرابط:
http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=214962&r2023/8/2
32. الشاوي: د. منذر، الاقتراع السياسي، بغداد، منشورات دار العدالة، 2001م، ص107.
33. صحيفة الصباح الجديد، عن صحيفة الصن تايمز البريطانية، مجلس النواب ما زال يحصد ثمار ما زرعه من بذور طائفية، ترجمة: سناء البديري، اب/ 2016، على الرابط:
https://newsabah.com/newspaper/94195
34. صديق: م.م. فلاح مصطفى، إسماعيل: كاروان اورحمان، دور النظام الانتخابي في تحقيق مبدأ شرعية السلطة السياسية (العراق نموذجاً) دراسة تحليلية، مجلة التنمية البشرية، كلية القانون والسياسة، جامعة سليمانية، العدد (40)، 2017م،
35. الطالقاني: علي، أداء مجلس النواب واليات تطويره، ملتقى النبأ للحوار، 31/أيار/2016، على الرابط:
https://annabaa.org/arabic/reports/6566
36. العاني: د. حسان شفيق، الانتخابات التشريعية وما بعدها، مجلة منار المستقبل، مركز المستقبل للدراسات والبحوث، بغداد، 2005م، ص36
37. عبد الرضا: اسعد طارش، المواطنة والمشاركة السياسية في العراق الجديد، مجلة العلوم السياسية، جامعة بغداد، العدد (41)، 2010م، ص409.
38. عبد الرؤوف مصطفى، آفاق الدور الإيراني في ضوء الانتخابات التشريعية العراقية 2018، مركز الدراسات والبحوث، 2018/5/23، على الرابط:
/https://rasanah-iiis.org
39. عبد الله: رؤى لؤي، الثقافة السياسية ودورها في تكوين الاتجاهات، المجلة السياسية والدولية، الجامعة المستنصرية، العددان (35-36)، 2017م، ص1131
40. عبدو: سعد واخرون، النظم الانتخابية، بيروت، منشورات دار الحلبي الحقوقية، 2005م، ص91
41. عجيل: عمار وكاع، المواطنة في العاق بعد عام 2003 دراسة في الأسباب والتحديات، مجلة تكريت للعلوم السياسية، جامعة تكريت، المجلد (3)، العدد (9)، السنة الثالثة، ص114.
42. عصام حاكم، ظاهرة إخلال النصاب القانوني لتعطيل تشريع القوانين، مركز المستقبل، 18/ شباط/2018، شبكة نبأ المعلوماتية، على الرابط:
https://annabaa.org/arabic/reports/14273

43. عطوان: خضير عباس، مستقبل ظاهرة العنف السياسي في العراق، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، العدد (330)، بيروت، 2006م، ص41
44. علي: أمنة محمد، اشكالية تجربة الديمقراطية التوافقية في العراق، مجلة المستنصرية للدراسات العربية والدولية، العدد (51)، 2015، ص108
45. العنبكي: د. طه حميد حسن، حق الانتخاب بين النصوص الدستورية والقانونية والممارسة الانتخابية، مجلة الحقوق، الجامعة المستنصرية، العدد (10)، 2010م، ص19-20.
46. العنبكي: طه حميد، نحو سياسة عامة راشدة في العراق، مجلة جامعة التنمية البشرية، السليمانية، المجلد (2)، العدد (4)، 2016م، ص61
47. الغزي: ناجي، ظاهرة الفساد مسبباتها وتحليلها واثارها على المجتمع، الحوار المتمدن، العدد (2515)، على الرابط:
http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=158307&r
48. الفقرة اولاً من المادة (1)، قانون تعديل قانون انتخابات رقم (16) لعام (2005)، رقم (26) لعام (2009)، جريدة الوقائع العراقية، العدد (4140)، 2009/12/28.
49. قانون انتخابات رقم (16) لعام (2005)، جريدة الوقائع العراقية، العدد (4010)، 2005/11/23، السنة السابعة والاربعون.
50. القصاب: عبد الوهاب، انتخابات مجلس النواب العراقي لعام (2014) التوقعات والافاق، قطر، المركز العربي للأبحاث، 2014م، ص8
51. لقاء اجراه الباحثان مع السيد عبد الرحمن اللويزي، نائب سابق في الدورة النيابية الثالثة (2014-2018)، في منزله يوم (2019/4/15)
52. المادة (11)، فقرة اولاً، ثانياً، ثالثاً، قانون انتخابات مجلس النواب العراقي رقم (45)، لعام (2013)
53. المادة (18)، فقرة، ثانياً، ثالثاً، النظام الداخلي لمجلس النواب لعام، بغداد، الدائرة الإعلامية، الطبعة السادسة، 2013م
54. المادة (44)، فقرة اولاً، ثانياً، قانون الأحزاب السياسية رقم (36) لعام 2015م، جريدة الوقائع العراقية، العدد (4383)، 12/ تشرين الأول/2015، السنة السابعة والخمسون.
55. ماهر القدرات، المظاهرات العراقية 2019 .. هل تكون بداية تحقّق المشروع الوطني وتجاوز نظام المُحاصصة الطائفي، مركز العربي للبحوث والدراسات، 2019/12/9، على الرابط:
http://www.acrseg.org/41431?msclkid
56. مجاهدي: جلال، شخصنة الحكم والسلطة ورم من اورام الدولة، الحوار المتمدن، مواضيع وابحاث سياسية، العدد (5443)، 2017/7/25، على الرابط:
http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=549617&r=0
57. مجلس النواب العراقي، القوانين المطلوب تشريعها دستورياً، دائرة البحوث، قسم الدراسات القانونية والصياغة التشريعية، ص1، على الرابط:
http://ar.parliament.iq/2018/10/13
58. مجلس النواب العراقي، محضر الجلسة الافتتاحية الاولى، الدورة النيابية الثانية (2010-2014)، الفصل التشريعي الاول، 2010/6/13.

59.مجلس النواب العراقي، محضر جلسة (الرابعة)، الدورة النيابية الثانية (201-2014)، الفصل التشريعي الاول، 2010/11/22
60.محاضر جلسات مجلس النواب العراقي، الدورة النيابية الثالثة (2014-2018)، موقع مجلس النواب العراقي، على الرابط: http://arb.parliament.iq/archive/category/
61.محاضر جلسات مجلس النواب العراقي، الدورة النيابية الرابعة (2018-2021)، موقع مجلس النواب العراقي، على الرابط:
/https://archive4.parliament.iq/ar/category
62.محضر الجلسة (السادسة) لمجلس النواب، الدورة التشريعية الثالثة، السنة التشريعية الأولى، الفصل التشريعي الأول، 2014/8/10
63.محظر الجلسة (الاولى) المفتوحة لمجلس النواب، الدورة النيابية الثالثة، السنة التشريعية الأولى، الفصل التشريعي الأول، 2014/7/15/13/1
64.محظر الجلسة الأولى (المفتوحة)، لمجلس النواب العراقي، الدورة النيابية الأولى (2006-2010)، 2006/4/22-3/16
65.المحكمة الاتحادية العليا، احكام وقرارات، العدد (55/ اتحادية)، 2010/10/24، على الرابط: https://www.iraqfsc.iq/krarat/1/2010/55_fed_2010.pdf
66.المحكمة الاتحادية العليا، احكام وقرارات، رقم 8/ اتحادية/ 2018 بتاريخ 21/ 1/ 2018". على الموقع الرسمي لها:
https://www.iraqfsc.iq/krarat//2018/_fed_2018.pdf
67.المحكمة الاتحادية العليا، احكام وقرارات، على الموقع الرسمي لها:
https://www.iraqfsc.iq/krarat/1/2016/3_fed_2016.pdf
68.محمد: لبيب شائف، دليل التدريبي للقادة الإداريين في السياسة العامة، صنعاء، مشروع استجابة الوكالة الامريكية للتنمية الدولية، 2012م، ص13-14.
69.محمد: محمد علي، أصول الاجتماع السياسي (السياسة والمجتمع في العالم الثالث)، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1990م، ص128
70.المرصد النيابي العراقي، الدورة النيابية الرابعة (2018-2021)، القوانين، موقع مدارك لرصد أداء مجلس النواب، على الرابط:
http://miqpm.com/2018/Legislations.php
71.المرصد النيابي العراقي، الدورة النيابية الرابعة (2018-2021)، موقع مدارك لرصد أداء مجلس النواب، على الرابط:
http://www.miqpm.com/2018/Sessions.php
72.المرصد النيابي العراقي، الدورة النيابية الرابعة (2018-2021)، موقع مدارك لرصد أداء مجلس النواب، على الرابط:
http://miqpm.com/2018/Documents.php
73.المرصد النيابي، الائتلافات السياسية، الدورة النيابية الثالثة (2014-2018)، على الرابط:
http://www.miqpm.com/new/Coalitions.php
74.المرصد النيابي، الدورة النيابية الرابعة، 2018-2022، على الرابط:
http://www.miqpm.com/2018/Committees.php

75. المرصد النيابي، تقرير شهر أيلول/ 2018، مؤسسة مدارك، على الرابط: http://www.miqpm.com/2018/OR_Details.php?ID

76. المفوضية العليا المستقلة للانتخابات، أسماء الائتلافات المصادق عليها لانتخابات 2014، على الرابط: http://www.ihec.iq/Attachment/ihecupload/2014/kayanat/etlaf20-4.pdf

77. المفوضية العليا المستقلة للانتخابات، أسماء وأرقام الكيانات السياسية المشاركة في الانتخابات، الموقع الرسمي، على الرابط: http://www.ihec.iq/Attachment/ihecupload/2014/kayanat/qoraa.jpg.pdf

78. المفوضية العليا المستقلة للانتخابات، الكيانات المشاركة في الانتخابات التشريعية (2010)، الموقع الرسمي للمفوضية، على الرابط: 5/9/2020/http://www.ihec.i

79. المفوضية العليا المستقلة للانتخابات، انتخابات مجلس النواب العراقي 2021، النتائج النهائية، على الرابط: https://ihec.iq/result2021

80. المفوضية العليا المستقلة للانتخابات، نظام توزيع المقاعد لانتخابات مجلس النواب رقم (21) لعام (2010)، 2010م، ص3

81. مكي: لقاء، الانتخابات العراقية تحديات الاستقرار ومخاطر التصعيد، الدوحة، مركز الجزيرة للدراسات، ١٣/ مايو/2018، ص3-4.

82. منشورات مجلس النواب العراقي، انجازات (2006)، بغداد، الدائرة الاعلامية لمجلس النواب.

83. منشورات مجلس النواب العراقي، انجازات (2007)، بغداد، الدائرة الإعلامية لمجلس النواب، 2008.

84. منشورات مجلس النواب العراقي، انجازات (2008)، بغداد، الدائرة الاعلامية لمجلس النواب، 2009.

85. منشورات مجلس النواب العراقي، انجازات (2009)، بغداد، الدائرة الاعلامية لمجلس النواب، 2010.

تشكيل نمو الطفل التوحدي عبر برنامج تحليل السلوك التطبيقي: الغايات وأخلاقيات التدخل

الباحث/ جمال بوراصي
طالب باحث بسلك الدكتوراه
مختبر البحث : الإنسان والمجتمعات والقيم
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ابن طفيل
jamal.bourassi@uit.ac.ma
الهاتف : 00212-667199992

البروفيسور/ مولاي التهامي باديدي
أستاذ التعليم العالي
مختبر البحث : الإنسان والمجتمعات والقيم
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية،جامعة ابن طفيل
badidimoulay.touhami @uit.ac.ma
الهاتف:00212-677512140

الملخص
تتطور العلوم الإنسانية بشكل مستمر في محاولة منها لتقديم إجابات عن الصعوبات التي يصادفها الانسان في حياته. فهي بذلك تهتم به كذات مفكرة قادرة على اتخاذ القرار بشكل مبني على الاختيار في مجتمع تحكمه ضوابط العيش المشترك. إن المهمة النبيلة التي تقوم بها العلوم الإنسانية بشكل عام وعلم النفس بشكل خاص من أجل مساعدة الإنسان على تحقيق الذات، تظل من أبرز أوجه النضج العلمي الذي حققته البشرية. ومن بين أشكال هذا النضج، نجد الاهتمام المتزايد بذوي الاحتياجات الخاصة باعتبارها حالات مختلفة تستدعي تكييفات على مستوى بينات المجتمع المادية والفكرية، وليس كحالات مرضية/باطولوجية تتطلب تنفيذ مفردات برامج علاجية يتم بناؤها من طرف تخصصات طبية وشبه طبية. تقدم العلوم المعرفية من خلال تفسيراتها لكيفية تشكل المعرفة لدى الأفراد، إمكانيات متعددة يمكن استثمارها في نهج أساليب تدخلية تقوم على فهم قدرات ذوي الاحتياجات الخاصة كمدخل يعزز تقدير الذات لديها، بخلاف التركيز على جوانب النقص لديها.
تعتبر المقاربة العلاجية التي تعتمد على تحليل السلوك التطبيقي (ABA) من أهم البرامج التدخلية المساعدة على التقليل من حدة اضطراب طيف التوحد في البلدان العربية. تقوم هذه المقاربة على استراتيجية تحليل السلوك(Schéma A-B-C) ، والتي تنطلق من البحث عن السابق (Antécédant) المؤثر في السلوك(Behavior) لفهم الاستجابة (Consequence) المحصل عليها بهدف تعديله. تم بناء هذا النموذج التحليلي انطلاقا من سلوكية سكينر (Burrhus Frederic Skinner) التي ترى على أن السلوكات والتصرفات قابلة للتعديل بعد فهمها وتحليلها وذلك باعتماد آليتي التعزيز والعقاب. من بين أهم الانتقادات الموجهة للمدرسة السلوكية أنها لا تهتم بالفرد كذات فاعلة قادرة على الاختيار والانتقاء للقيام بسلوكات مرغوب فيها تلبي احتياجاته وميولاته في شكل تجارب شخصية تميزه عن باقي الأفراد .
تروم هذه الورقة البحثيةمناقشة مدى أخلاقية مقاربة تحليل السلوك التطبيقي فيالتعامل مع الطفل التوحدي كذات غير فاعلة، سلبية وغير قادرة على اتخاذ القرار، وذلك من خلال المقارنة بين أهم التدخلات العلاجية المعتمدة دوليا وذلك عبر تحليل مضمونها وقياس مدى اهتمامها أو تغييبها للذات التوحدية كذات قادرة على التفاعل الإيجابي مع مكونات البيئة المحيطة .
الكلمات المفتاحية: العلوم المعرفية؛ تحليل السلوك التطبيقي؛ اضطراب طيف التوحد؛ البيئة؛ التجربة الشخصية .

Shaping the development of autistic children through an applied behavior analysis program: Goals and ethics of intervention

Researcher/Jamal Bourassi
Doctoral research student
Professor Moulay Touhami Badidi
Professor of higher education
Research Laboratory: Humans, Societies and Values
Faculty of Humanities and Social Sciences, Ibn Tofail University

Abstract

The human sciences are continually evolving in their attempt to provide answers to the difficulties that people face in their lives. They are concerned with man as a thinking individual capable of making decisions based on choice in a society governed by common standards of living. The noble task of the human sciences in general, and psychology, is to help man realize his full potential, and it remains one of humanity's most remarkable scientific achievements. One aspect of this maturity is the growing interest in people with special needs, who are seen as special cases requiring adaptations to the material and intellectual data of society, rather than as pathological cases requiring the implementation of therapeutic protocols devised by medical and paramedical specialists. The cognitive sciences, through their explanations of how knowledge is formed in individuals, offer multiple possibilities that can be exploited in an interventionist approach aimed at understanding the abilities of people with special needs as an entry point for boosting their self-esteem, over and above the focus on their deficits.

The therapeutic approach based on Applied Behavior Analysis (ABA) is one of the most critical intervention protocols for reducing the severity of autism spectrum disorders in Arab countries. This approach is based on the strategy of behavioural analysis (A-B-C schema), which seeks to identify the antecedent that influences behaviorto understand the resulting consequence and modify it. This analytical model was developed based onBurrhus Frederic Skinner's behaviourism, which considers that behaviour can be changed once it has been understood and analyzed using the mechanisms of reinforcement and punishment. Among the main criticisms levelled at the behaviourist school is its lack of interest in the individual as an actor capable of making choices and selecting desirable behaviours that meet his needs and preferences in the form of personal experiences that distinguish him from other individuals.

This article aims to discuss the ethics of the behavioural analysis approach applied in the treatment of the autistic child as a non-active, negative individual incapable of making decisions, by comparing it with the leading internationally

recognized therapeutic interventions, analyzing their content, and measuring their degree of interest in or neglect of the autistic identity as an actor capable of interacting positively with the elements of the surrounding environment.
Keywords: cognitive sciences, applied behavioural analysis, autism spectrum disorders, environment, subjective experience.

مقدمة

منذ أن وصف ليو كانر (1894-1981) سنة 1940 التوحد باعتباره اضطرابا نمائيا عصبيا له أعراض محددة يصعب مواجهتها علاجيا، أصبح من الممكن اليوم الحديث عن سبل علاجية تدخلية ذات طبيعة سلوكية أو معرفية أو هما معا .(Lucchelli & Maleval, 2018)فالعلوم المعرفية في وقتنا الراهن، أصبحت تهتم بالانحرافات التي يشهدها النمو لدى الفرد بشكل عام،كما تهتم أيضا بتلك التي يعرفها التعلم خلال هندسة التعلمات في المؤسسات التعليمية. عموما، لا تثير اضطرابات التعلم انتباه عموم الناس في معظم المجتمعات، غير أن اضطرابات النمو وما تظهره من صعوبات لدى الأفراد على مستوى التكيف مع البيئة المحيطة تطرح مشاكل لدى الأسر التي تأوي حالة من هذه الاضطرابات. من بين هذه الاضطرابات نجد اضطراب طيف التوحد الذي يشكل تحد للأسر وللمجتمع، وهذا الأمر يظهر خلال القيام بدورهما في التنشئة الاجتماعية التي تنطلق عادة من نقل أبسط أشكال التصرف المرتبطة بالأكل واللباس واللغة الاستقبالية والطلبات إلى التربية على القيم بمختلف مجالاتها ومستوياتها، ناهيك عن تنمية وتطوير الكفايات المعرفية والتواصلية الاجتماعية والوجدانية في شكل قدرات تمنح للفرد حدا أدنى من الاستقلالية في تدبير شؤونه اليومية.

تتطلب هذه الاضطرابات تدخلات علاجية تبنى على تشخيصات يقوم بها الأخصائيون بعد تسجيل مجموعة من الأعراض،والتي تعبر عادة عن انحراف النمو عن مساره المعهود أو الطبيعي (Amy, 2008).هذه التشخيصات الطبية أو شبه الطبية تتم من خلال تمرير عدة روائز تم إعدادها لقياس مدى حضور مهارات محددة أو غيابها بشكل كلي أو جزئي لدى الطفل. الحصول على معدلات أو درجات من خلال المؤشرات المتضمنة في هذه الروائز تمكن الأخصائي من تحديد شدة الاضطراب بدقة (خفيف، متوسط، عميق)، وهذا الأمر يتيح له إمكانية تحديد الأولويات التي يجب أخذها في الاعتبار خلال إعداد البرنامج العلاجي/التدخلي.

بعد تشخيص الحالة ذات اضطراب طيف التوحد وتحديد شدته، يتم اللجوء إلى تقنيات علاجية بمثابة أدوات وآليات يتسلح بها المتدخل للتقليل من حدة وشدة الاضطراب. وهنا تشكل طريقة تحليل السلوك التطبيقي (ABA) إحدى هذه الأدوات المساعدة على فهم السلوكات المراد تعديلها أو تشكيلها لدى الفرد الذي يظهر انحرافات سلوكية أو غياب سلوكات أساسية للتواصل والتكيف مع مكونات البيئة. فهي تقوم على رصد السلوك ثم تحليله عبر الخطاطة(ABC) ، أي لفهم السلوك (Behavior) يجب البحث في سوابق هذا السلوك (Antécédant) من أجل التحكم في نواتجه .(Conséquence) بهذا الشكل تركز هذه الطريقة على السلوك وليس على الطفل وتلخص مهارات الفرد التي تسمح له بتحقيق الذات والاندماج بيسر داخل المجتمع في سلوكات يجب تعديلها أو تشكيلها خلال سيرورة نمو الطفل .(Gilmer, 2016)

إشكالية الورقة البحثية

يمثل النمو في علم النفس جملة من التغيرات التي تطرأ على السيرورات الذهنية والجانب الحركي والعاطفي الوجداني (Saïas et al., 2010)، فالنمو يتميز بشموليته تتأثر فيه جوانبه ببعضها البعض. هذا الأمر يفرض بشكل أو بآخر التعامل معه بنوع من الوعي والحيطة، خصوصا عندما يتعلق الأمر بالقيام بتدخلات نبتغي من ورائها مساعدة الطفل ذي اضطراب طيف التوحد. إن إغراق الطفل في السلوكاتالنمطية/التكرارية ودخوله في نوبات من البكاء والصراخ كميكانيزمات دفاعية حيال شعوره بتهديد محتمل(« Détruire l’objet pour ne pas le perdre », 2017)، لا يحتاج إلى صرامة المعالج بقدر ما يحتاج إلى فهم الطفل كذات لها قدرات ومهارات يتفاعل من خلالها مع البيئة لمحيطة به. إناعتبار الطفل عنصرا ثانويا في سيرورة التدخل العلاجي يثير عدة تساؤلات على مستوى أخلاقيات التدخل، فتشكيل السلوك وفق نموذج ABA لا يأخذ في الاعتبار قدرات الطفل ورغباته أو ميولاته، فهو ينظر إلى السلوك التكراري/النمطي مثلا على أنه سلوك غير مرغوب فيه يجب الحد منه عبر تشكيل سلوكات جديدة أو تعديل أخرى لترقى إلى ما يرغب فيه المعالج. تم تشكيل هذه الطريقة انطلاقا من الإطار النظري لسلوكية سكينر التي تلخص كفايات وقدرات الأفراد في جملة من السلوكات التي يمكن تطويرها وترسيخها أو الحد منها وإطفاؤها عبر آليتي التعزيز والعقاب. غاية هذا النموذج هي تقديم مساعدات تكيفية تيسر اندماج الطفل التوحدي مع عناصر البيئة المحيطة، فهي تقوم بذلك إما عن طريق

تعديل سلوك "مضطرب" أو تشكيل سلوك "مرغوب".مقارنة مع طريقة TEACCH التي تستحضر الوظائف المعرفية وتعمل على تنميتها لدى الطفل التوحدي، فهل يمكن الجزم إذن بمحدودية طريقة ABAعلى مستوى غاية التدخل العلاجي المتمثل في تيسير اندماج الطفل التوحدي في بيئته؟

أهمية الورقة البحثية

تهتم السيكولوجيا الحديثة بالفرد كذات فاعلة غير سلبية لها ميولاتها ورغباتها وتعمل على تشكيل هويتها التي تتميز بها عن الآخر، وذلك من خلال تطوير مهارات تواصلية اجتماعية وقدرات معرفية وعاطفية وجدانية، لذلك تم الاهتمام بنماذج تدخلية تراعي هذه المهارات والقدرات وتأخذ في الاعتبار ذات الطفل كذات فاعلة يمكن مساعدته على تحقيق سيرورة نمو متوازنة مقارنة بأقرانه "الأسوياء ."

في هذه الورقة البحثية سنحاول مناقشة مدى أخلاقية المتدخل في بناء وتصريف البرامج العلاجية الخاصة باضطراب طيف التوحد التي تعتمد طريقةABA ، ثم سنتعرف على مميزات طريقة TEACCH على مستوى الاهتمام بالطفل التوحدي كذات لها قدرات يمكن تعزيزها خلال سيرورة التدخل العلاجي. كما تتجلى أهمية هذا البحث في القيام بمقارنة بين برنامجين تدخليين لفائدة الطفل التوحدي، حيث سنعمل على تقديم أسس كل منهما وتبرير الغايات المراد تحقيقها من وراء توظيف كل طريقة على حدة، هذا إلى جانب البحث في مدى أخلاقية توصيف البرنامج التدخلي الخاص بكل واحد منها. عموما يمكن تركيز أهمية هذا الورقة البحثيةفي كونهاتسعى إلى إثارة انتباه الباحث الأكاديمي في الدراسات النفسية إلى ضرورة القيام بالدراسات النقدية للبرامج العلاجية التدخلية، ثم الدعوة إلىفتح نقاش علمي حول دواعي تبني برامج علاجية تدخلية دون أخرى.

أهداف الورقة البحثية

إذا كانت غايات التدخل في مختلف النماذج العلاجية هي مصاحبة الطفل التوحدي نحو تحقيق نمو شمولي متوازن مساعد على الاندماج بيسر في المجتمع(Chamak, 2015)، فهذه الورقة البحثية تسير في اتجاه طرح تساؤلات حول مدى نجاعة اختيارات المتدخل في سيرورة الخدمات العلاجية لفائدة الطفل التوحدي. فالجزم بنجاعة برنامج علاجي تدخلي على حساب برنامج علاجي آخر لا يجب إرجاعه فقط إلى النتائج التي نحققها آنيا، بل يتطلب الأمر دراسة وقع النتائج المحصل عليها على المدى البعيد ومدى تحقيق شمولية النمو. من بين أهداف هذه الورقة البحثية إخراج اختيارات المتدخل في سيرورة العلاج النفسي إلى منطقة النقاش العلمي، وذلك من أجل إذكاء الوعي بهذه الاختيارات ودعوة الباحث في سيكولوجيا الإعاقة إلى الدراسة النقدية للبرامج العلاجية المعتمدة.

حدود الورقة البحثية

حدود هذه الورقة البحثية تتجلى في الاقتصار على المقارنة بين برنامجين تدخليين: أحدهما يقوم على تعديل السلوك والآخر يهتم بتنمية الوظائف المعرفية والسيرورة النمائية لدى الفرد، ويرجع ذلك إلى تعدد الطرق التدخلية الأخرى مثل طريقةDENVER و .BEIيرجع اختيارنا للطريقتينABA و TEACCH إلى كونها يستعملان بقوة في مجال تقديم الخدمات العلاجية لفائدة ذوي اضطراب طيف التوحد.(Wacjman, 2016)

المنهج المستخدم

إن سعينا وراء المقارنة بين طريقتين لبناء البرامج العلاجية التدخلية لفائدة ذوي اضطراب طيف التوحد، وذلك على مستوى الغايات منها ومناقشة أخلاقية التدخل من طرف المعالج النفسي، يفرض علينا وصف وتحليل الطريقتين معا، ومقارنتهما فيما يتعلق بالضوابط التي تؤطرهما وتؤسس لاختيارات المتدخلين في المراكز المتخصصة أو المؤسسات التعليمية التي توفر عروضا تربوية ذات طابع إدماجي ودمجي. هذا إلى جانب تفسير الاختلافات بينهما، مع تقييم مدى نجاعة اختيار طريقة دون أخرى في ظل ما تورفه كل منهما من إمكانات مساعدة على إكساب الطفل التوحدي حدا أدنى من الاستقلالية والكفايات التواصلية المساعدة على تحقيق التفاعلات الاجتماعية، والتي يتطلبها اندماج الفرد بيسر داخل مجتمع تحكمه إكراهات إثبات الذات. بهذا الشكل يوفر لنا المنهج الوصفي التحليلي إمكانية قراءة ومقارنة النموذجين معا، مع تفسير الاختلافات والقيام بتقييمات تنفتح عليها أبحاث علمية أخرى تتحقق من مدى جدوى هذه التفسيرات والتقييمات.

الدراسات السابقة

- الدراسة الأولى: قام بهذه الدراسة كل من Kevin Callahan وآخرون سنة 2010 من أجل المقارنة بين الطريقتين ABA و TEACCHباعتماد صدق المحك بالمقياس الاجتماعيIDEAL ، وتم نشر هذه الدراسة في المجلة الرقمية Springer Science AND Business Mediaحيث تم التوصل إلى كون أن الهوة الكبيرة التي يتم تسجيلها بين نتائج البحث العلمي والتطبيق الميداني لهذه النتائج راجع إلى غياب الطرق العلاجية الشاملة التي تحقق توازنا في النمو لدى ذوي اضطراب طيف التوحد. كما أن ضعف وهشاشة الفئة المستهدفة يؤدي إلى استمالتها بيسر إما إيديولوجيا أو من خلال افتتانها بقوة النتائج عبر اعتماد آليات التسويق الفعالة التي تجذب انتباه المستهلك (العاملين في مجال التدخل العلاجي لفائدة ذوي اضطراب طيف التوحد .(Callahan et al., 2010)(كما أشارت الدراسة إلى أنه ليس هناك دلالة إحصائية لاحترام النموذجين ABA) وTEACCHللشمولية التي يجب أن يحظى بها البرنامج العلاجي. بالإضافة إلى أن المدرسون الذين يشرفون على أقسام تضم قصورات "إعاقات" مختلفة ومنها اضطراب طيف التوحد، يميلون إلى اختيار نموذج TEACCH دون تبرير واضحلهذا الاختيار، هذا إلى جانب كونالمتدخلون الذين لم يتلقوا تكوينا متينا حول التوحد، يميلون إلى اختيار نموذج .ABA أشارت الدراسة إلى أن طريقة TEACCH تلح على ضرورة الفصل بين الإشراط الفاعل كتقنية يقوم عليها العلاج السلوكي، وأهداف التربية الخاصة التي تعمل على تصميم برنامج علاجي يقوم على تفريد الأنشطة المحققة للتفاعل الإيجابي بين الطفل والمعالج النفسي .
- الدراسة الثانية: قام بهذه الدراسة كل من مونيكا مازا (Monica Mazza) وآخرون سنة 2021 من أجل المقارنة بين ثلاث نماذج علاجية وهي ABA:وTEACCHو .BEIأنجزت الدراسة على عينة 94 مراهق ومراهقة31 (ABA: 37؛ TEACCH: 26) ؛ .(BEI والهدف منها هو دراسة مفعول اعتماد برنامج محدد على مستوى الوظائف التكيفية لدى المراهق التوحدي على المدى البعيد، حيث تبين أن البرامج الثلاث حققت نتائج جيدة على مستوى كفاية اللغة الاستقبالية وكفاية العمل بالقواعد الاجتماعية، في حين أوضحت النتائج على أن الكفاية التواصلية وكفاية إدارة الشؤون المنزلية كانت جيدة مع البرنامجين التدخليين TEACCH و BEIمقارنة بالبرنامج العلاجي ABA الذي أظهر فشلا واضحا في تطوير وتنمية هذه الكفايات .(Mazza et al., 2021)

متن الورقة البحثية

تقديم طريقة تحليل السلوك التطبيقي:ABA

التعريف:حسب الدليل التشخيصي والإحصائي للاضطرابات النفسيةDSM5 ، يعتبر اضطراب طيف التوحد اضطرابا للنمو، حيث يرتبط باضطرابات على مستوى التفاعلات والتواصل الاجتماعي، إلى جانب حضور السلوكات والاهتمامات النمطية والمتكررة .(Bonnet-Brilhault, 2017)فالتفاعل الاجتماعي كمهارة يتطلبها تكيف الفرد مع مكونات البيئة تظل غائبة لدى الطفل ذي اضطراب طيف التوحد، حيث لا يظهر اهتماما بالآخرين ويغير نظراته ويتجنب التواصل والاتصال البصري معهم. كما يعاني من فهم الرموز الاجتماعية من قبيل الإيماءات مثلا، إلى جانب ميوله نحو العزلة وعدم مشاركة الآخرين فيما يقوم به من أنشطة ترفيهية. تركز طريقة ABA على تقديم خدمات علاجية تهدف إلى التقليل من حدة وشدة حضور الأعراض السالفة الذكر،والتي تحول دون تكيف مرن مع الوسط الذي يعيش فيه الطفل التوحدي .

تعبر هذه الطريقة عن مجموعة من الاستراتيجيات المستمدة من مبادئ المدرسة السلوكية خصوصا مع الإشراط الفاعل للباحث سكينر، ويتم تطبيقها بشكل منهجي من أجل الارتقاء بالسلوكات ذات الأهمية الاجتماعية. تهدف هذه الطريقة إلى زيادة السلوكات الملائمة وترسيخها لدى الطفل التوحدي، ثم التقليل من السلوكات غير الملائمة والسير نحو إطفائها وتعلم واكتساب مهارات وسلوكات جديدة (Goussot et al., 2012).

تنطلق طريقة ABAمن فكرة القابلية للتعلم لجميع السلوكات المراد تشكيلها لدى الطفل، لذلك وضعت استراتيجية تقوم على تحليل السلوك وفق خطاطةABC ، بحيث يرمز الرمز A إلى سابق السلوك الذي يعتبر بمثابة مثير للسلوك، ويرمز الرمز B إلى السلوك موضوع التحليل والذي يشترط قابلية الملاحظة،

أما الرمز C فيشير إلى النتيجة. فرواد هذه الطريقة يؤكدون على أن تكرار الخطاطة سيؤدي بشكل حتمي إلى تعلم السلوك دون استحضار متغيرات أخرى مثل السياق والظروف التي يجري فيها التعلم بشكل عام. ومن أجل الاحتفاظ بالتعلمات التي تم تحقيقها، تقوم الطريقة بتوظيف آلية التعزيز، ومن أجل إطفائه توظف آلية العقاب .(Gilmer, 2016)يتوفر هذا النموذج على أشكال متعددة من التعزيز مثل الأكل والمعززات الترفيهية واللمسية والمعززات الاجتماعية من قبيل الابتسامة والدغدغة والتشجيع، فهذا النموذج يشترط تقديم المعزز بشكل فوري وآني ليكون لصيقا بالسلوك المراد تشكيله، كما يجب احترام مقدار وكمية لمعزز تفاديا لحدوث الإشباع. خلال سيرورة الخدمات العلاجية، تنادي طريقة ABA بضرورة تغيير وتنويع المعززات كل أسبوع وكلما أمكن ذلك، وذلك حفاظا على قوتها ودرجة تأثيرها في ترسيخ السلوكات المراد تعديلها أو تشكيلها لدى الطفل. وقصد نقل القوة المعززة من الأشياء إلى المعززات الاجتماعية، تنصح بربط المادية منها مع المعززات الاجتماعية المعنوية من قبيل التشجيع والدغدغة.

مهمة المعالج:يقوم المعالج بتطبيق اختبار التفضيلات خلال الجلسات العلاجية الأولى من أجل تحديد المعززات وترتيبها حسب الأفضلية لدى الطفل التوحدي. تم تنظيم هذاالاختبار في مجالات رئيسية: المعززات البصرية، المعززات السمعية، المعززات اللمسية والمعززات الحركية بالإضافة إلى معززات الأكل، يتم تقديم المعززات إما في بيئة منظمة يتحكم فيها المعالج أو في بيئة طبيعية تشبه المرافق المعتادة لدى الطفل. بعد تحديد المعززات التي يفضلها الطفل، يقوم المعالج بتوظيفها من أجل إجراء الاقتران معه، بحيث يعمل على تقوية جسور الثقة بينه وبين الطفل قصد الشروع في تنفيذ مفردات البرنامج العلاجي .(Bourgueil, 2018)فالقاعدة هنا تكمن في كون أن حصول الطفل على المعزز لن يتم إلا عبر المعالج. تجرى عملية الاقتران باتباع مجموعة من الخطوات التي يجب احترامها بنوع من الصرامة، بحيث يقوم المعالج في البداية بالتحكم في الوصول إلى المعززات التي لا يجب أن تكون في متناول الطفل، ثم خلق التحفيز عبر قيام المعالج بألعاب يستعمل فيها المعزز على نحو يثير اهتمام الطفل من أجل انتظار سلوك الاقتراب كشرط أساسي لتقديم المعزز بشكل آني وفوري ثم التفاعل مع الطفل بإيجابية عن طريق اللعب. ومن أجل تقوية هذا الاقتران والحفاظ على ديمومته يطلب من المعالج إعادته مرات عديدة.

من أجل الشروع في تنفيذ البرنامج العلاجي يجب على المعالج التأكد من مدى تعاون الطفل، ومن أجل تحقيق ذلك ينتقل إلى الاشتغال على الضبط الإرشادي التعليمي الذي ييسر فهم التعليمات وتنفيذها في إطار محكم ينتهي دائما بحصول الطفل على المعزز.

الانتقادات الموجهة لطريقة:ABA خلال النظر في الكتابات العلمية حول هذه الطريقة نجد على أن الباحثين يوجهون لها عددا من الانتقادات، والتي تتجلى في اهتمامها بمحو السلوكات وتعديلها دون أدنى اعتبار للذات الإنسانية. كما أن انطلاق المدرسة السلوكية من نتائج لتجارب تم إجراؤها على الحيوانات قصد تعميمها على الانسان يجعلها في مرمى سهام الانتقادات الموجهة إليها قصد الحفاظ على شروط الكرامة الإنسانية. كما تشير الأبحاث إلى أن محدودية الموارد البشرية المؤهلة للعمل بهذه الطريقة لا تساهم في توفير العدد الكافي من المعالجين داخل مراكز التربية الخاصة (Granger-Sarrazin, 2013). هذا بالإضافة إلى تسجيل تخوفات حول الصيغة الآلية للتعلمات والسلوكات في غياب تام لاستقلالية التفكير وأخذ المبادرة من طرف الطفل الذي يعاني من اضطراب طيف التوحد. كما أن تكثيف الأنشطة والإكثار من الساعات اليومية الخاصة بالعلاج قد يحول دون تطوير الكفايات التواصلية المرتبطة بالتفاعلات الاجتماعية في بيئة طبيعية تأخذ في الاعتبار عناصر السياق، وذلك بهدف إعطاء معنى للمهارات والقدرات التي يتم تطويرها. إن تأكيد هذا النموذج العلاجي على ضرورة انخراط الأسرة في السيرورة العلاجية قد لا يضمن النتائج الإيجابية دائما، حيث يلعب المستوى التعليمي للأسر متغيرا حاسما في نجاعة البرامج العلاجية التكميلية التي تكلف الأسر بتنفيذ مفرداتها، كما يمكن للتوجيهات المركبة /غير البسيطة أن تشكل عائقا أمام فهم الأسر لما ينبغي القيام به تحديدا، الأمر الذي يجعل من هذا النموذج صعب التطبيق داخل الأوساط الهشة. يطرح اعتماد هذا النموذج على خطاطة تحليل السلوك التطبيقي (ABC)صعوبات لدى الممارسين في مجال التدخل العلاجي، حيث يتطلب الأمر دقة عالية من التركيز

والانتباه من أجل التوظيف السليم لشبكة رصد سوابق السلوكات، وإعطاء معنى لها قصد تقديم تأويلات مناسبة لها، والتي من شأنها المساعدة على تحديد مكامن الخلل في السلوك المراد تعديله .

تقديم طريقة علاج وتعليم الأطفال ذوي اضطراب طيف التوحد أو صعوبات التواصلTEACCH

التعريف: تهتم هذه الطريقة بالتعليم المهيكل، حيث تستهدف النمو بشكل شمولي. تم تطوير طريقة TEACCHسنة1964 في الولايات المتحدة الأمريكية على يد إيريك شوبلر(1927-2008)، ولم تأخذ طابع الطريقة العلاجية لفائدة ذوي اضطراب طيف التوحد إلا بعد سنة 1972، حيث أصبحت تشكلنموذجا شاملا يهتم بالتشخيص وتكوين العاملين في المجال بالإضافة إلى البحث العلمي وتربية ذوي اضطراب طيف التوحد .(Amy, 2008)وفي سنة 1993 أسندت إدارة هذا البرنامج إلى كراي مسيبوف. ومن أجل إعمال هذه الطريقة، يجب التركيز إكلينيكيا على التوصيف الدقيق لاضطراب طيف التوحد مع الانتقاء الأمثل لبطاريات التشخيص المعتمدة، ثم بناء برنامج علاجي يستهدف القدرات والمهارات التكيفية من قبيل التواصل والتنشئة الاجتماعية والاستقلالية، إلى جانب إقحام الأسر في سيرورة العلاج كشركاء أساسيين في ذلك .(Mukau Ebwel & Roeyers, 2013)أما بخصوص التربية والتعليم، فهي تدعو إلى هيكلتهما عبر برمجة صارمة تأخذ في الاعتبار مجموعة من المدخلات اللازمة لتحقيق أهداف تكيفية. لذلك تعتبر هذه الطريقة مقاربة إيجابية لكونها تعترف بالطفل التوحدي كذات لها قدرات ومهارات تميزه عن الآخرين، فهي مقاربة نمائية لا تهتم بالسلوكات فقط، بل تتعدى ذلك إلى الاهتمام بالسيرورات المعرفية لدى الفرد .

التعليم المهيكل في طريقةTEACCH

التنظيم المادي: يتعلق الأمر بإنشاء أمكنة متناسقة ومنظمة، بحيث يتواجد الطفل التوحدي في فضاء محدود العناصر يسمح بفهم أفضل للأنشطة المراد الاشتغال عليها، بهذا الشكل يسمح بالتركيز بشكل أكبر لكونه يكون محدود المنبهات التي قد تشوش عليه وثير لديه الرغبة والميول نحو القيام بأنشطة غير التي تم التخطيط لها مسبقا. كما يتم استهداف استقلالية الطفل لجعلها ذات قصد معين حينما يتواجد أمام جملة من الاختيارات المتاحة .(Layeb, 2022)

تنظيم واستعمال الزمن: عادة ما يتم العمل بإيقاعين زمنيين مختلفين، أحدهما ينظم الاشتغال العام الذي يهم جميع المستفيدين داخل نفس الفضاء التربوي، وآخر خاص بكل حالة توحدية على حدة. ولتيسير التعامل معها، في الغالب ما يتم تشكيلها بالأشياء والصور، فهي تسمح للطفل التوحدي بتوقع النشاط الموالي وتوقع المدة الزمنية الخاصة بكل نشاط .(Liratni et al., 2014)

العمل الفردي (تفريد العمل): يراعى خلال العمل الفردي إطلاع الطفل التوحدي على طبيعة العمل الذي يجب القيام به، وعدد الأنشطة المبرمجة ثم النتائج المرتقب تحقيقها خلال الجلسات العلاجية .

التنظيم البصري:يتعلق الأمر بالوضوح البصري الذي تقتضيه الأنشطة المنظمة، بحيث تراعى طبيعة المعلومات والتعليمات التي يتم تقديمها من أجل تحقيق الفهم.

الأنشطة الاعتيادية (الروتين):يجب أن تكون منسجمة فيما بينها ومرنة تسمح بالانتقال من نشاط أو طقس اعتيادي إلى آخر بيسر، بحيث تتميز بدرجة من الصعوبة تمكن من تطوير القدرات وتنمية المهارات المساعدة على حل المشكلات المرتبطة بالتكيف. وتقترح طريقة TEACCH على الطفل اتباع مجموعة من القواعد من أجل التمتع بالأنشطة الترفيهية بعد الانتهاء من الأنشطة موضوع التدريب والتعليم .(Cappe et al., 2016)

طرق التعليم والتدريس: تتميز أساليب التعليم بكونها تقوم على وضوح التعليمات والتوجيهات بشكل يحقق الفهم لدى الطفل ذي اضطراب طيف التوحد .(Layeb, 2022)كما تمكن المساعدات الجسدية والصوتية والبصرية التي يقدمها المعالج الطفل على تحقيق الفهم والانخراط بإيجابية في الأنشطة، ونظرا لافتقار الطفل ذي اضطراب طيف التوحد إلى القدرات المرتبطة بالرضى عن النفس وتقدير مجهودات الآخرين، يطلب من المعالج تعزيز التعلمات التي يحققها الطفل تفاديا لانطفائها .

الانتقادات الموجهة لنموذج :TEACCH صنفته الهيئة العليا للصحة في فرنسا (HAS) في الدرجة الثالثة مقارنة بنماذج أخرى مثلABA ، حيث ترى على أنه لا يحقق المستوى المطلوب من الموثوقية والقابلية للأجرأة. في حين يرى الباحث رايموندمونينديز (RamónMenéndez) أن المعايير المعتمدة

في تصيف هذه النماذج العلاجية لا تستند إلى أسس علمية، بل هي مجرد مواقف أخلاقية تعبر عن المناخ الإيديولوجي العام الذي يسود داخل مجتمع معين، حيث يبرر وجهة نظره على أن تبني إيريكشوبلر لطريقة TEACCH تأتي في إطار ضرورة إشراك الأسر في السيرورات العلاجية، وذلك بهدف عدم تحميلهم مسؤولية إصابة الطفل بالتوحد كما تذهب إلى ذلك بعض الفرضيات التي تقر باحتمالية حضور الأسباب الوراثية، أو فرضيات التحليل النفسي التي ترجع أسباب اضطراب طيف التوحد إلى تدهور العلاقات الأسرية بين الوالدين.(Menendez, 2012)

عموما، توفر طريقةTEACCH مجموعة من الخدمات العلاجية الموجهة لمساعدة الأطفال ذوي اضطراب طيف التوحد وأسرهم من أجل تيسير اندماجهم في المجتمع وذلك عبر إكسابهم مهارات وقدرات تمكنهم من تحقيق ذلك. تلح هذه الطريقة على ضرورة العمل بتوجيهاتها مدى الحياة، فهي لا تجزم بانتهاء برنامج تدريبي معين بقدر ما تؤمن بسيرورة غير منقطعة من التداريب والتعليمات التي تمكن من تحصيل وترصيد المهارات والقدرات التي يتم تعلمها. تنطلق هذه الطريقة من فكرة مفادها أن تصميم وبناء البرامج العلاجية يجب أن يستثمر نقاط القوة والمهارات التي يمتلكها الطفل التوحدي قصد استهداف الاحتياجات التي تمكن من تحقيق الاستقلالية قدر الإمكان. بالرغم من كون أن جذور هذه الطريقة ترجع إلى مبادئ السلوكية، غير أنها تأخذ في الاعتبار خصوصيات الأفراد المستهدفين بالخدمات العلاجية، فهي لا ترجع اضطراب طيف التوحد إلى مشاكل على مستوى السلوكات فقط، بل تتعدى ذلك إلى ضرورة الاهتمام بالجوانب الإدراكية والفهم، لذلك فإن أغلب الاستراتيجيات التي توظفها الطريقة لا تنصب على السلوك مباشرة، بل تهتم بالأسباب الكامنة وراء ظهور هذا السلوك .

تدعو طريقة TEACCH إلى تفريد البرامج العلاجية وعدم توسيع دائرة استفادة مجموعة من المصابين من نفس الأنشطة ذات الطابع العلاجي، وذلك على اعتبار أنه رغم التقارب الذي قد يتم تسجيله خلال الجلسات التشخيصية، فإن الأسباب الكامنة وراء السلوكات المضطربة قد تكون متباينة ومتعددة. بهذا الشكل تكون الطريقة قادرة على استهداف مستويات معينة من صعوبات التواصل والتنظيم والفهم والتعميم والتفاعل مع الآخر، وذلك عبر نهج أساليب علاجية فردية وتفريدية، فهي مهيكلة بشكل شمولي تأخذ في الاعتبار مكونات وعناصر البيئة المحيطة، بمعنى آخر تكون سياقية تهتم بإدراج عناصر البيئة في سيرورة العلاج. إن التدريس المنظم الذي تقوم عليه الطريقة من خلال تنظيم البيئة المادية وضبط الجدولة الزمنية وسبل وأشكال العمل، تمكن المعالج من حصر التوقعات والرفع من مستوى الفعالية خلال التدخلات العلاجية .(Vallade, 2015)تستحضر الطريقة بذلك المهارات التي يتميز بها الأطفال ذوي اضطراب طيف التوحد وتسمح لهم باستعمالها بشكل مستقل يحقق تطورها وتنميتها داخل بيئة طبيعية تأخذ السياق بعين الاعتبار .

المناقشة

يعد موضوع علاج اضطراب طيف التوحد من المواضيع التي اهتم بها الباحثين في علم النفس منذ ما يقرب ستة عقود من الزمن، حيث كان ليو كانر يعتقد في البداية على أنه عبارة عن مجموعة من الأعراض التي تحضر لدى جميع المصابين به، وأن أمر التدخل العلاجي مستبعد جدا لكون أن المشكل له طابع نمائي لا يمكن اقتحامه. غير أن الاهتمام المتزايد بهذه الأعراض مكن الباحثين من وضع بعض الاستراتيجيات المساعدة على التقليل من حدة عدد من السلوكات المعيقة لاندماج الطفل مع الوسط الذي يحيط به.

بعد ذلك تم تطوير هذه الاستراتيجيات بشكل جدي، ليتم الانتقال إلى التفكير في إمكانية التكفل بالطفل ذي اضطراب طيف التوحد عبر برامج علاجية تستهدف تعديل وتشكيل السلوكات اللازمة للتكيف وتحقيق حد أدنى من الاندماج. أصبح مفهوم الاكتشاف والتعقب المبكرين يثيران اهتمام الباحثين على اعتبار أنهما يلعبان دورا مهما في نجاعة التدخل العلاجي، لذلك تؤكد الهيئة العليا للصحة في فرنسا مثلا على ضرورة التشخيص المبكر لاضطراب طيف التوحد من أجل التحكم في شدة ودرجة الاضطراب التي يظهرها هذا التشخيص.

بعد القيام بالتشخيص وتحديد شدة الاضطراب، يتم المرور إلى بناء وتصميم برامج علاجية تأخذ في الاعتبار الأولويات التي أبان عنها التشخيص. بناء هذه البرامج يستند إلى نماذج وطرق علاجية من قبيل

تحليل السلوك التطبيقي ABA أو طريقة علاج وتعليم الأطفال ذوي اضطراب طيف التوحد أو صعوبات التواصل TEACCHأو نماذج أخرى. فهذه النماذج تقدم للمعالج عددا من الاستراتيجيات التي يجب تطبيقها بنوع من الصرامة من أجل إكساب الطفل ذي اضطراب طيف التوحد مجموعة من القدرات والمهارات الكفيلة بتحقيق دمجه داخل بيئته على مدى الحياة، حيث تؤكد مونيكا مازا في الدراسة التي قامت بها رفقة زملائها على أن علاج التوحد يجب أن يستحضر وجود إمكانيات متعددة تقدمها النماذج العلاجية تتميز بالموثوقية والشمولية، ولا يجب الاقتصار على نموذج علاجي معين دون آخر (Mazza et al., 2021). تختلف هذه البرامج التدخلية على مستوى الأطر النظرية التي استمدت منها فلسفتها العلاجية، فطريقة ABA تستند إلى نتائج المدرسة السلوكية التي تعتبر أن السلوك قابل للتعلم او التعديل أو الإطفاء في حالة احترام مجموعة من القواعد الخاصة بتحليل السلوك وفهمه، كما أن تطبيقاتها العلاجية وإن كانت واعدة كما يذهب إلى ذلك أنصار هذا النموذج، إلا أنها غالبا ما لا تسمح بتطوير كفايات التعلم الأكاديمية .(Baron & Makdissi, 2018)في حين تستند طريقة TEACCH إلى نتائج الدراسات التي تهتم بالنمو والسيرورات التي ينهجها لبلوغ درجة من النضج المعرفي والحركي والعاطفي والعلائقي الاجتماعي.

عدم إجماع الباحثين في سيكولوجيا الإعاقة حول مفهوم التوحد أو اضطراب طيف التوحد، يرجع إلى اختلافات في التوصيفات التي تعطى بناء على ملاحظة مجموعة من الأعراض، أما التفسيرات فدائما ما يخشى هؤلاء الباحثين من تقديمها، لذلك لم يتم الحسم في وصف اضطراب طيف التوحد، فهل هو إعاقة أو مرض عقلي ذهني أم اضطراب نمائي عصبي؟ في حين يعرفه الباحث لورونمونترون (Laurent MOTTRON)والمجموعة التي يشرف عليها في مونتريال على أنه متغير إنساني، أو بتعبير آخر هو ذكاء مختلف .(Mottron, 2010)ويبرر الباحث لورونمونترون وجهة نظره بكون إلى أن النتائج التي يتحصل عليها الأطفال ذوي اضطراب طيف التوحد دائما ما ترتبط بنوع التشخيص الذي تم اعتماده، بحيث أن النتائج التي تم تسجيلها باستعمال روائز ويكسلر Wechslerمثلا تختلف عن النتائج التي تم تسجيلها باستعمال روائز رافن Ravenالخاصة بقياس الذكاء المرن. لذلك فالروائز المعتمدة في التشخيصات لا تتعدى كونها مجرد أدوات تم بناؤها لا تعكس بالضرورة واقع الاضطراب، فهي قابلة للانتقاد بنفس الشكل الذي تقبل به التعديل والتصويب.

يشكل الإيمان المفرط من طرف المعالج النفسيبالأدوات التشخيصية والنماذج والطرق العلاجية عائقا أمام مرونة الانتقال بين الاستراتيجيات المقترحة داخل هذه النماذج التدخلية، كما أن صرامة بعض الاستراتيجيات التي تقترحها بعض الطرائق مثل طريقة ABA لا تأخذ في الاعتبار اختلاف ذكاء الطفل المستهدف بالعلاج ولا تهتم بالسيرورات والنهج الذي يوظفه من أجل حل المشكلات التي تواجهه في حياته اليومية. إن الإقرار بنمطية الاستراتيجيات يحد من قبول اختلافات على مستوى التفكير ومعالجة المعلومات والتصرفات التي قد تظهر كميكانيزمات دفاعية تعبر عن رفض الطفل التوحدي لعناصر معينة داخل سياق محدد. في حين تتميز طريقة TEACCH بكونها تهتم بالنمو وتسعى إلى تيسير المهام التي تساهم في استكماله في أحسن الظروف، كما تراعي القدرات ونقاط القوة التي يتمتع بها الطفل التوحدي، بحيث تنطلق منها من أجل بلورة برامج تدخلية تستهدف توظيف وتنمية هذه القدرات من أجل تحقيق التكيف مع عناصر البيئة المحيطة به .

خاتمة

يعتبر الاطلاع على مجال الخدمات العلاجية المقدمة لفائدة الأطفال ذوي اضطراب طيف التوحد باختلاف طرقها ونهوجها، أحد المواضيع التي لا تثير اهتمام المعالج الذي تلقى تكوينا نظريا وتطبيقيا وفق نموذج علاجي معين، بحيث يؤدي الإغراق في التقنية وتملك المهارات المرتبطة بهذا النموذج أحد العوائق والموانع التي تحول دون تطوير الكفايات التدخلية لديه. فإيمانه المطلق بجدوى الاستراتيجيات التي يقدم عبرها خدماته تؤدي به إلى العمل بالصرامة المفرطة التي لا تراعي حدود قدرات المستهدف في العملية العلاجية. في حين أصبحت الموسوعية في مجال التدخل العلاجي أمرا مرغوبا تساعد المعالج على توسيع المدارك وتطوير المهارات والتحقق من مدى أخلاقية بعض الأساليب التي يتم الاشتغال بها معالتغييب التام لقدرات الطفل ذي اضطراب التوحد، إلى جانب عدم الوعي بالإمكانات التي تتيحها ظروف التدخلات

العلاجية وعدم الإلمام بما قد يتيحه سياق العمل من فرص النجاح في المهام الموكولة للطفل المستهدف بالعلاج النفسي.

الاقتراحات والتوصيات

إن كانت النتائج التي تحققها النماذج العلاجية سواء ذات الأساس السلوكي أو ذات الأساس النمائي المعرفي متقاربة على مستوى بعض القدرات والمهارات التكيفية، فإن الجزم بنجاعة بنموذج علاجي تدخلي معين وشموليته مقارنة بنموذج علاجي آخر لا يزال في حاجة إلى القيام بالمزيد من الدراسات العلمية، حيث أبانت دراسة Kevin Callahan السالفة الذكر حول اعتماد طريقة ABA أو طريقة TEACCHعن تباينات بين الممارسين على مستوى مجالات تعلمية محددة، غير أن أخلاقيات التدخل قد تكون متدنية مع اعتماد طريقة ABA مقارنة بطريقة .TEACCH لذلك نوصي الممارسين في مجال الخدمات العلاجية المقدمة لأطفال ذوي اضطراب طيف التوحد بضرورة :

- قيام الباحثين في سيكولوجيا الإعاقة بأبحاث علمية حول نجاعة البرامج العلاجية التدخلية؛
- الدراسة النقدية للبرامج العلاجية التدخلية المعمول بها حاليا من أجل تجويد الخدمات التي تقترحها؛
- الاطلاع على مختلف النماذج العلاجية من أجل بلورة تصور واضح حول المهام الموكولة إليه؛
- تنويع أساليب العمل وذلك من خلال توظيف استراتيجيات مختلفة مستمدة من نماذج علاجية مختلفة؛
- احترام الطفل ذي اضطراب طيف التوحد كذات إنسانية مختلفة تتمتع بقدرات وبذكاء مختلفين؛
- التكوين المستمر في مجال سيكولوجيا الإعاقة والاستفادة من نتائج أحدث البحوث العلمية؛
- الانتظام في مجموعات متخصصة في الخدمات العلاجية من أجل ترصيد ونقل التجارب الناجحة في مجال التدخلات العلاجية؛
- التفكير في وضع إطار مرجعي دولي ينظم ويؤطر عمل المتدخلين في الخدمات العلاجية المقدمة لفائدة الأطفال والمراهقين والراشدين ذوي اضطراب طيف التوحد، وذلك تفاديا للبس الذي يحدث أحيانا للمتدخل حول مدى أخلاقية وقانونية بعض الإجراءات التي توصي بها بعض النماذج العلاجية مثل ABAمثلا، بالإضافة إلى تمكين هؤلاء المتدخلين من أدوات علاجية مناسبة تيسر مهامهم (Mottron, 2010).
- المساعدة في إجراء بحوث علمية حول مدى نجاعة برامج تدريبية تستهدف تنمية وتطوير كفايات التكيف لدى الطفل ذي اضطراب طيف التوحد .

لائحة المراجع المعتمدة

1. Amy, M.-D. (2008). Comment comprendre et soigner la personne autiste. Perspectives Psy, 47.
2. Baron, M.-P., & Makdissi, H. (2018). L'intervention en lecture interactive pour favoriser le développement du discours narratif : Exemple d'intervention auprès d'une enfant concernée par le TSA. La nouvelle revue de l'adaptation et de la scolarisation, N° 83-84(3), 131. https://doi.org/10.3917/nresi.083.0131
3. Bonnet-Brilhault, F. (2017). L'autisme : Un trouble neurodéveloppemental précoce. Archives de Pédiatrie, 24(4), 384-390. https://doi.org/10.1016/j.arcped.2017.01.014
4. Bourgueil, O. (2018). L'accompagnement des personnes avec autisme grâce à l'Aba. Le Journal des psychologues, 353(1), 30. https://doi.org/10.3917/jdp.353.0030
5. Callahan, K., Shukla-Mehta, S., Magee, S., & Wie, M. (2010). ABA Versus TEACCH: The Case for Defining and Validating Comprehensive Treatment Models in Autism. Journal of Autism and Developmental Disorders, 40(1), 74-88. https://doi.org/10.1007/s10803-009-0834-0

6. Cappe, É., Smock, N., & Boujut, É. (2016). Scolarisation des enfants ayant un trouble du spectre de l'autisme et expérience des enseignants : Sentiment d'auto-efficacité, stress perçu et soutien social perçu. L'Évolution Psychiatrique, 81(1), 73-91. https://doi.org/10.1016/j.evopsy.2015.05.006
7. Chamak, B. (2015). Interventions en autisme : Évaluations et questionnement. Neuropsychiatrie de l'Enfance et de l'Adolescence, 63(5), 297-301. https://doi.org/10.1016/j.neurenf.2015.01.002
8. Détruire l'objet pour ne pas le perdre : (2017). Le Carnet PSY, N° 206(3), 30-34. https://doi.org/10.3917/lcp.206.0030
9. Gilmer, É. (2016). Succès et limites. L'école des parents, N° 619(2), 43. https://doi.org/10.3917/epar.619.0043
10. Goussot, T., Auxiette, C., & Chambres, P. (2012). Réussir la prise en charge des parents d'enfants autistes pour réussir la prise en charge de leur enfant. Annales Médico-psychologiques, revue psychiatrique, 170(7), 456-460. https://doi.org/10.1016/j.amp.2010.11.021
11. Granger-Sarrazin, C. (2013). La prise en charge des enfants autistes en France : L'expérience des familles. Laennec, 61(4), 26. https://doi.org/10.3917/lae.134.0026
12. Layeb, S. (2022). La perception de la transition architecturale chez l'enfant avec autisme. Revue française de pédagogie, 214, 53-69. https://doi.org/10.4000/rfp.11302
13. Liratni, M., Blanchet, C., & Pry, R. (2014). Intérêt des groupes d'entraînement aux habiletés sociales dans la prise en charge de l'autisme avec retard mental modéré. Archives de Pédiatrie, 21(1), 20-26. https://doi.org/10.1016/j.arcped.2013.10.021
14. Lucchelli, J. P., & Maleval, J.-C. (2018). Autisme : Convergences et divergences. Lecture de deux modalites de prise en charge. Information psychiatrique, 94.
15. Mazza, M., Pino, M. C., Vagnetti, R., Filocamo, A., Attanasio, M., Calvarese, A., & Valenti, M. (2021). Intensive intervention for adolescents with autism spectrum disorder : Comparison of three rehabilitation treatments. International Journal of Psychiatry in Clinical Practice, 25(1), 28-36. https://doi.org/10.1080/13651501.2020.1800042
16. Menendez, R. (2012). L'autisme : Vers une science au service de l'idéologie ? Psychanalyse, 24(2), 51. https://doi.org/10.3917/psy.024.0051
17. Mottron, L. (2010). Que fait-on de l'intelligence autistique ?: Enfance, N° 1(1), 45-57. https://doi.org/10.3917/enf1.101.0045
18. Mukau Ebwel, J., & Roeyers, H. (2013). Approche psychoéducative transculturelle en faveur des enfants avec autisme : Une étude clinique à Kinshasa, rdc :Enfances & Psy, N° 59(2), 182-192. https://doi.org/10.3917/ep.059.0182
19. Saïas, T., Tereno, S., Pintaux, E., Bouchouchi, A., Hoisnard, G., Simon-Vernier, E., Milliex, M., Legge, A., Désir, S., Glaude, C., Hauchecorne, A.,

Ménard, C., Thomas, A., Hok, V., Tissier, J., & Greacen, T. (2010). Le développement précoce de l'enfant : Évolutions et révolutions : Devenir, Vol. 22(2), 175-185. https://doi.org/10.3917/dev.102.0175
20. Vallade, F. (2015). Autisme : L'écran des évidences éducatives: Éducation et sociétés, n° 36(2), 35-49. https://doi.org/10.3917/es.036.0035
21. Wacjman, C. (2016). Le grand imbroglio de l'autisme : Quel diagnostic pour quelle prise en charge ? psychologie clinique, 42, 137-151. https://doi.org/10.1051/psyc/201642137

المنهج الاجتماعي بين المفاهيم والإشكاليات
(تحليل رواية حضرة المحترم أنموذجاً)

الدكتور عمر عبدالله العنبر
أستاذ مشارك
قسم اللغة العربية وآدابها/ كلية الآداب
جامعة الإسراء / الأردن
omar.al-anbar@iu.edu.jo
omaralanbar@yahoo.com
00962777774247

الدكتور خالد عبدالله العنبر
أستاذ مساعد
قسم اللغات/ الجامعة الأردنية/ فرع العقبة/ الأردن
khaled_alanbr@hotmail.com
00962777499362

الملخص
يُعدُّ المنهج الاجتماعي أحد أبرز المناهج النقدية في الساحة النقدية العربية؛ بسبب أدواتها المنهجية التحليلية التي تكشف تجليات النصوص الأدبية، ويقدم مفاهيم وأدوات تساعد فهمٍ عميق لخصوصية المجتمعات العربية ولكل منهج من المناهج النقدية إشكالياته، ويمكن للناقد أنْ يحدد الإشكاليات ليتجاوزها، وانطلاقاً من أنَّ الروايات والنصوص الأدبية يتم اختيار المنهج الذي يناسب تحليلها من خلال دراستها وبحثها وتحديد متطلبات تحليلها، ويظهر أنّ المنهج الاجتماعي الأنسب لتحليل رواية حضرة المحترم للروائي نجيب محفوظ، وتشكل هذه الرواية تعبيراً منظماً عن رؤية المجتمع وأحلامه وآماله وطموحاته، وللمنهج الاجتماعي إشكاليات يعرضها البحث ليتجاوزها، يهدف هذا البحث إلى الكشف عن خصوصية العلاقة بين النصوص الأدبية العربية والمجتمع العربي، وتتعدد تحولات المنهج الاجتماعي انطلاقاً من محاولات (ماركس، وفريدريك انجلز، ولوسيان غولدمن، وجورج لوكاتش) الذين كان لهم أكبر الأثر في تطور أدوات المنهج الاجتماعي.
الكلمات المفتاحية: المنهج الاجتماعي، الرواية العربية، رواية حضرة المحترم، المناهج النقدية الأدبية.

Social approach between concepts and problems Analysis of the story of the Honorable as a model

Dr. Omar Abdullah Al-Amber
Co-professor
Department of Arabic Language and Literature/College of Arts/Al-Isra University/Jordan

Dr. Khaled Abdullah Al-Anbar
Assistant Professor
Department of Languages / University of Jordan / Aqaba Branch / Jordan

Abstract:
The social curriculum is one of the most influential external critical approaches to Arab literary criticism. Because it reveals the peculiarity of the relationship between Arab literary texts and Arab society, and various transformations of the social curriculum stem from the attempts of (Marx, Frederick Engels, Lucian Goldman, and George Lukac) who had the greatest impact on the development of the social approach, and this research applies the social approach to the novel "Honorable One." "To Najeeb Mahfouz.

Keywords: Investment in human capital, Economic growth, Education expenditure, Autoregressive distributed lag.

التمهيد

يقسم هذا البحث إلى ثلاثة مباحث أولها مفاهيم المنهج الاجتماعي وأعلامه، وثانيها يوضح إجراءات المنهج الاجتماعي وخصائصه وإشكالياته، وثالثها تحليل رواية حضرة المحترم وفق المنهج الاجتماعي، ويعد المنهج الاجتماعي الأنسب لتحليل رواية حضرة المحترم ويمكن صياغة مشكلته في التساؤلات الآتية:

1- ما أهم مفاهيم المنهج الاجتماعي وإشكالياته؟

2- من هم أعلام المنهج الاجتماعي؟

3- ما الاستراتيجيات المناسبة لتطبيق المنهج الاجتماعي على رواية حضرة المحترم؟

فرضيات البحث:

1- إنَّ المنهج الاجتماعي يقدم مفاهيم وأدوات يمكن الإفادة منها في تحليل النصوص الأدبية العربية ولا سيما الروائية منها.

2- إنَّ للمنهج الاجتماعي إشكاليات يمكن معرفتها وتجاوزها.

3- تطبيق المنهج على رواية حضرة المحترم لنجيب محفوظ ناتج عمّا تتضمنه من مضامين اجتماعية.

أهمية البحث:

تصدر الأهمية العلمية لهذا البحث من المفاهيم والأدوات التي يعتمد عليها المنهج في التطبيق وتعدّ عملاً أدبياً يتمتع من المضامين الاجتماعية التي تعكس الواقع الاجتماعي بكل ما يحمله من إشكاليات رواية حضرة المحترم، ووعي إشكالية المنهج الاجتماعي وتجاوزها.

منهجية الدراسة:

أ- منهجية التحليل: يستخدم البحث المنهجية التحليلية للمنهج الاجتماعي بوصفه من أبرز المناهج النقدية الأدبية التحليلية.

ب- مصادر البيانات: تتوفر مصادر البيانات لهذا البحث في المصادر والمراجع المتعلقة بالمنهج الاجتماعي، إضافة إلى الكتب النقدية التي تصدت لتحليل رواية حضرة المحترم.

ج- حدود البحث: تتشكل حدود البحث في المنهج الاجتماعي بين مفاهيمه وإشكالياته، وتطبيقه على رواية حضرة المحترم لنجيب محفوظ.

الدراسات السابقة

1- نور الهدى، جلاب، (2015) المنهج الاجتماعي في النقد (نشأته وخصائصه)، جلاب نور الهدى، مجلة مركز دراسات الكوفة: مجلة فصلية محكمة، العدد (38)

2- شعلان، عبد الوهاب (2017) المنهج الاجتماعي وتحولاته من سلطة الأيدلوجيا إلى فضاء النص، عالم؟ لكتب الحديثة، الأردن، ط(1).

3- ماضي، شكري (2013) في نظرية الأدب، شكري عزيز ماضي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر: بيروت، ط(4).

4- ميرت، إتريك (1992)، مناهج النقد الأدبي، ترجمة: الظاهر أحمد مكي، مكتبة الأدب، القاهرة.

5- المنهج الاجتماعي في النقد العربي معاصر، نعيمة بولكعبيات، إشراف: عبد الله العشي، أطروحة دكتوراه في النقد الأدبي المعاصر: جامعة بائتة، الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية، 2015م.

6- فضيلة، قندوز (2017) مفهوم النص في النقد الأدبي المعاصر، جامعة أبي بكر بلقايد تلسان: الجزائر، 2017م.

7- ميرت، إترك (2008) النقد الأدبي، ترجمة. الطاهر أحمد مكي، مكتبة الآداب، القاهرة، 1991.

8- محفوظ، نجيب (2008) رواية حضرة المحترم، دار الشروق: مصر، ط3.

9- قسمية، منال (2017) المناهج النقدية الأدبية (قراءة في كتاب الفكر النقدي الأدبي المعاصر لحميد الحمداني)، منال بن قسمية، إشراف: بوزيد رحمون، جامعة محمد بوضيف.

المبحث الأول: مفاهيم المنهج الاجتماعي وأعلامه

يعتمد المنهج الاجتماعي على ربط الأعمال الأدبيّة بواقعها الاجتماعي لإظهار المضامين الاجتماعية التي تصدر عنها وينظر نقاد المنهج الاجتماعي للأعمال الأدبية على أنها مرايا لتصوير الواقع انطلاقاً من موقف المبدع وزاوية رؤيته.

يسعى المنهج الاجتماعي: "إلى تحليل الظواهر الاجتماعية وربط الأدب بالمجتمع، ولقد كان للماركسيين والفلسفة الوضعية والوجودية إسهامات كبيرة في تطور المنهج، فهو صيرورة دائمة للنظر إلى الإبداع الأدبي على أساس مجموعة من الظواهر السياسية والثقافية والتاريخية" (بن قسيمة، 2017، 58).

ونستطيع وصف العلاقة بين الأدب والمجتمع بأنَّها علاقة راسخة إذْ يمثل الأدب صوت المجتمع وصورته، إذْ تطلق المنهج الاجتماعي: "في دراسته للأدب من قناعات راسخة بأنَّ الأدب تعبير عن المجتمع، وأنَّه لا يوجد أدب دون وجود مجتمع ينبثق منه، وأنَّ الأديب ابن مجتمعه يتأثر بما يتأثر به أفراد

المجتمع من مؤثرات سلبية، واقتصادية، وفكرية وينعكس على صفحة إبداعه ما يسود مجتمعه من عادات وتقاليد وعقائد ونظم ومبادئ وأفكار، وهو يعبر عن هموم مجتمعه وآماله مثلما يعبر عن تجاربه وأحاسيسه، ولا يتوقف عند حدود تصوير الواقع كما هو بل يعبر عن رؤيته لإعادة تشكيل الواقع وصياغته" (بولكعيبات، 2015، 7). فالعلاقات الأدبية الاجتماعية توصف أنها تأثر وتأثير، فالأدب يصدر عن ثقافة مجتمع، ويعكس قضاياه، وأزماته.

وللمجتمعات العربية قضايا خاصة تميزها عن بقية المجتمعات من خلال الموقع، والموقف وزاوية الرؤية، التي تعكس واقعها وتطلعاتها، وربما يقدم لنا الأدب رسائل اجتماعية تُساعد في تقدم المجتمع، وتوضح مواطن الإشكاليات والتحديات، فالأدب يمثل مرآة تصور المجتمع.

وأمَّا آليات المنهج الاجتماعي فتقوم على: "الكشف عن الأبعاد الحقيقية للواقع في الأعمال الأدبية، وقد ظهر هذا المنهج عند الغرب أولاً ثم تأثر به العرب، ويتجلى ذلك من خلال أعمالهم الأدبية النشرية والشعرية، كما ينبغي التنبيه إلى أنَّ القول بهذه العلاقة بين الأدب والمجتمع لا يلغي خصوصية النص، واستقلاله النسبي عن إطاره الاجتماعي، إذْ يوجد أدب عظيم له علاقة ضئيلة بالمجتمع أو ليس له علاقة على الإطلاق، فليس الأدب الاجتماعي سوى أحد أنواع الأدب وليست له أهمية أساسية ما لم يتمسك بالنظرة القائلة: الأدب قبل كل شيء محاكاة للحياة كما هي وللحياة الاجتماعية بشكل خاص" (نور الهدى، 2015، 274). ويتم قياس نسبة إبداع الأعمال الأدبية من منظور المنهج الاجتماعي في ضوء صهر الذاتي بالوعي الجماعي ممّا يحقق توظيف التجارب الواقعية في استطلاع المستقبل ورسم معامله، وهذا الوعي هو القادر على تشكيل رؤية العالم.

ويمكن تقديم المنهج الاجتماعي بوصفه أحد أبرز المناهج السياقية في النقد الأدبي من خلال جهود أعلامه:

أولاً: "كارل ماركس Karl. Marx (1818 – 1983): مؤسس الفلسفة الماركسية المادية التي: "أصبحت على يديه النظرية الاجتماعية نظرية متكاملة، ورؤية فلسفية للأدب والتطور الاجتماعي" (سلمى، 2017، 67). وربما تختلف مسميات المنهج الاجتماعي باختلاف منظريه وأعلامه، ومن أسماء المنهج الاجتماعي: المنهج الواقعي، المنهج الماركسي، المنهج المادي التاريخي، المنهج الأيويولجي، النقد الجماهيري... (نور الهدى، 2015، 261).

والملاحظ أنَّ نشأة المنهج الاجتماعي ماركسية تنظر للمجتمع من خلال طبقاته التي تقارب الرؤية الاجتماعية للأدب، إذْ تؤدي إلى مناهج ذات علاقة بالمجتمع من خلال فلسفة يعتمدها أعلام البنيوية، وتلاحظ البدايات الغربية للمنهج الاجتماعي، إذْ تحدد بدايته الأولى من خلال الثورة الماركسية، وتسعى الماركسية إلى: "تفسير الأدب بالعلاقات الاجتماعية، وصراع الطبقات محتم ومبرمج من أجل نظرية للبنى الفوقية: أيّ إعادة التفكير في الأدب والثقافة، كما هي الحال بالنسبة إلى القانون، والسياسة، والأفكار،

والأيديولوجيا، وعدّهما نتائج وأدوات سلطة في المقام الأخير اقتصادية – اجتماعية (بييربارربيريس، 155).

فتقسيم المجتمع إلى طبقات اجتماعية يعني أنَّ الأدب يمثل طبقة اجتماعية معينة، ويظهر علاقات الطبقة الاجتماعية التي يمثلها الأدب مع طبقات اجتماعية أخرى، فالماركسية تظهر أنَّ: الأدب يسير وفق القوانين الاجتماعية الطبقية، ويظهر أثر المنهج الاجتماعي بالماركسية من خلال مسميات أهمها: "النقد الواقعي أو الاجتماعي أو الماركسي واحياناً اليساري، وجميعها تشير إلى النقد الذي ينظر إلى الأدب على أنَّه نتاج طبيعي للسياق الواقعي، والفكري، ويتعامل معه من منطلقات ومفاهيم، يستمدها غالباً من الفكر الماركسي... (بييربارربيريس، 155).

ويتطور الفكر الماركسي على يدّ كلود دوشيه (Claude Duchet) الذي يتجاوز الرؤية الاجتماعية العامة إلى رؤية جديدة يمثله: "(مجتمع الرواي) الذي يتحدث عنه كلود دوشيه، وهو مجتمع ينتجه النص ولا يعكس النزعة العلمية وجدلها، بل يمثل رؤية اجتماعية الساذجة والمبسطة ليدرس نصا قوامه الآثار un texte d'effets يسمى النص أو يضمر وقائع يجب تحديد هويتها" (بييرباريريس، 155)، فالنصوص الأدبية لها مجتمعاتها الخاصة التي تتبع من أحداثها ومجرياتها.

ثانياً: فريدرك أنجلز Fridirich. Engels (1892 – 1929): "اتضحت معه ملامح المنهج الاجتماعي، إذ دعا في رسالته، وأعماله التراجيدية إلى ضرورة تعدد وجهات النظر المتناقضة في الرواية عند تصوير الوسط الاجتماعي بين الطبقتين الارستقراطية، والبروليتارية" (سلمى، 2017، 67). وهذا يدل على تأثير الماركسية الكبير في سيرة المنهج الاجتماعي، وأن (فريدريك أنجلز) الذي لا تختلف رؤيته عن الماركسية، إذ يظهر التوافق في رؤية الأعمال الأدبية من خلال الطبقات الاجتماعية، وتقسيمها إلى ارستقراطية (علية المجتمع) وبروليتارية (الطبقة المتدنية من المجتمع) وربما يؤكد تعدد أعلام المنهج الاجتماعي، وموارد حيوية المنهج الاجتماعية وفاعليته.

ثالثاً: غولدمان Lucien. Godman (1913 – 1970): "رائد البنيوية التكوينية، وهي امتداد لهذا النهج، إذ أصبحت دراسة الواقع تمكن الباحث من اكتشاف طموحات الإنسان، وأفكاره، ومشاعره في معرفته بذاته ومجتمعه (سلمى، 2017، 67).

وأما (لوسيان غولدمن) فهو مطور المنهج البنيوي اللغوي الذي أغلق النصوص الأدبية على الجوانب الداخلية، فوصلت البنيوية إلى أزمة كادت أنْ تنهي مسيرتها، فجاء (لوسيان جولدمن) ذو التوجهات الماركسية وقدَّم منهجاً بنائياً اجتماعياً (تكوينياً) يعيد إنتاج البنيوية من خلال فتح آفاق البنائية على المجتمع من خلال خمسة أبعاد: أولها (الفهم)، ويقصد به بيان تجليات: "البنية الداخلية للعمل الأدبي" (شعلان، 2017، 59 – 65) فغولدمن زاوج بين الجانبين الداخلي والخارجي في دراسة النصوص الأدبية،

ويضيف (جولدمن) عنصرين جديدين إلى الفهم والتفسير، وهما التماسك والانسجام، إذْ لا: "يمكن تحديد دلالة النص إلا بوضعه في إطار كلي منسجم" (شعلان، 2017، 59 – 65)، والطبقة الاجتماعية يمكنها: "الكشف عن الرؤيا للعالم بوصفها وسيطاً بين العمل الأدبي والواقع (شعلان، 2017، 59 – 65). فالبنيوية الاجتماعية (التكوينية) تقدم أدوات أهمها: (الفهم، التفسير، التماسك، الانسجام، رؤية العالم)، إذ تشكل هذه الأدوات منطلقات يعتمد عليها المنهج الاجتماعي في دراسة النصوص الأدبية وبإظهار أبعادها وبيان رؤيتها للواقع والعالم.

رابعاً: جورج لوكاتش J. Luchacs (1885 – 1971): "فيلسوف الواقعية الأكبر في النصف الثاني من القرن العشرين طور نظرية الانعكاس في النظرية الماركسية" (سلمى، 2017، 67). إذ تستند نظرية الانعكاس إلى الفلسفة الواقعية المادية: في تفسيرها الأدب، نشأة، وماهية، ووظيفة، وهذه الفلسفة التي ترى أنَّ الوجود الاجتماعي أسبق في الظهور من وجود الوعي، وتفترض إنَّ أشكال الوجود الاجتماعي هي التي تحدد أشكال الوعي" (ماضي، 83) فالأدب مرآة تنعكس المجتمعات من خلالها، والمنهج الاجتماعي هو وسيلة التواصل بين الأدب والحياة إذ يملك البيان عن مدى الترابط بين الذاتي والجماعي في صياغة الرؤية الاستشراقية.

وتؤكد نظرية الانعكاس أنَّ البنية العليا والدنيا للأدب تمثل: "جزءًا من المذهب الفكري لكل طبقة من طبقات المجتمع، ويبيّن دور كل قوة من القوى الاجتماعية التي لها دور إيجابي في المجتمع، فالمنهج الاجتماعي يدرس تأثر الجماعة في القيمة الجمالية، ويعلي من قيمة الكاتب" (قسمية، 13).

فالبنية العليا والدنيا من منطلقات نظرية الانعكاس التي تقسم المجتمع إلى طبقات، فالمجتمع ينعكس في الأدب من خلال تأثير القيمة الجمالية للأدب، وتأتي منطلقات النقد الاجتماعي على النحو الآتي:

1. التعامل مع الأدب بوصفه نظاماً اجتماعياً، وليس مجرد نسق تعبيري قائم بذاته كما يذهب البنيويون.

2. يظهر جدلية علاقة التأثر والتأثير بين العمل الأدبي، والواقع الاجتماعي، والحضاري وليس مجرد انعكاس كما تذهب الماركسية.

3. إقامة توازن بين الذاتي والموضوعي في النظر إلى الظاهرة الأدبية" (سواعدي، 2015، 13). فنظرية الانعكاس تبيّن العلاقة بين المجتمع والنصوص الأدبية.

ويلاحظ أنّ لكل علم من أعلام المنهج الاجتماعي رؤيته ومنهجه الخاص في دراسة الأدب، ويمكن أن يقدم المنهج الاجتماعي الأدب من خلال ثلاثة مجتمعات" (مكي، 117 – 118)، على النحو الآتي:

أولاً: المجتمع الواقعي، إن ظهر الكاتب، وأنتج عمله.

ثانياً: المجتمع الذي ينعكس مثالياً في نطاق العمل نفسه.

وأخيراً: قد يكون عبارة عن أدب العادات، سياسياً أو هاجياً، أو أخلاقياً، أو خطة إصلاح اجتماعي.

فمفاهيم المنهج الاجتماعي شهدت تطوراً وتنوعاً ممّا يجعل تطبيقه على النصوص الأدبية، ولاسيما الروائية يشكل نهجاً فريداً إذْ يستخدم مبادئ علم الاجتماع، ويوظفها في تحليل الأدب.

المبحث الثاني: إجراءات المنهج الاجتماعي وخصائصه وإشكالياته

إنَّ إجراءات المنهج الاجتماعي تقوم على التفاعل بين أدوات المنهج الاجتماعي، والنصوص الأدبية، فالمنهج الاجتماعي: "صياغة تعبيرية سوسيولوجية للعلاقات الاجتماعية المتفاعلة والمتداخلة" (العشي، 2015، 37). فموقف الأديب: "يشترك مع أفراد طبقته الاجتماعية في التجربة التي يعبر عنها، ويشاركه فيها أفراد آخرون، ومحتوى عمله ينهض على ملاحظة التصرف الإنساني، والعمل نفسه ينعكس في ضمير القراء الاجتماعي" (فضيلة، 2017، 29، مكي، 1991، 120).

فالتحولات الاجتماعية تعيد إنتاج الموقف، والموقع، وزاوية الرؤية للنصوص الأدبية انطلاقاً من وجهة طبقة اجتماعية محددة، والنصوص الأدبية تمثل اجتهادات فردية ناجحة تظهر علاقتها بالمجتمع، وأساس التفاعل الاجتماعي اللغة، ومن أهم منطلقات المنهج الاجتماعي:

1. تتكون الحياة الاجتماعية من بنيتين: بنية دنيا، وبنية عليا، ويقصد بالبنية العليا النظام السياسي والثقافي، وهذه البنية عادة نتاج البنية الدنيا في المجتمع، وهي تحدد العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والفكرية في المجتمع.

2. إن: "الأدب ينتمي إلى البنية العليا التي تمثل جزءًا من المذهب الفكري لكل طبقة من طبقات المجتمع، وتعد قوة من القوى الاجتماعية التي لها دور إيجابي في المجتمع.

3. ربط الأدب بالمجتمع والنظر إليه على أنَّه لسان المجتمع، فالأدب صورة العصر، والمجتمع، والأعمال الأدبية، وثائق تاريخية واجتماعية" (سواعدي، 2015، 13)

4. يفهم الأدب فهماً مادياً فكل ظاهرة من ظواهره هي ظاهرة مادية تحتها ظروف اقتصادية تدفع إلى الكفاح من أجل الحياة.

5. المنهج الاجتماعي يدرس تأثير الجماعة في القيمة الجمالية، ويعلي من قيمة الكاتب، ويرى عمله شق جيداً من أعراف المجتمع.

فالأديب يوظف اللغة لتقديم منظومته الاجتماعية، وهذا يعني:" أنَّ العلاقة بين الأديب والواقع الاجتماعي ليست علاقة من جانب واحد بل هي علاقة جدلية، فالأديب يصور الحياة الاجتماعية في بيئته، والأدب هو ثمرة إعادة بناء عناصر الواقع بلغة جديدة هي لغة التعبير" (نور الهدى، 2015، 259)، ولاشك في أنَّ النصوص الأدبية تخاطب المجتمعات التي تتنوع قضاياها ومنطلقاتها، فبعض النصوص الأدبية تخاطب فئة خاصة من المجتمعات، وبعض النصوص تخاطب جميع فئات المجتمع، وأمَّا عن خصائص المنهج الاجتماعي فهي" (نور الهدى، 2015، 272):

- لا يعلمنا النقد الاجتماعي قراءة النصوص فقط بل يعيننا، ويفتح أعيننا على قراءة حياتنا، وعلاقاتنا بالعالم من حولنا.
- لم يعد في خضم هذا المنهج المعنى هو الموجود فقط أو المحصور في النصوص، وإنما جعل مكاناً للقارئ من خلال إبراز ذاته الاجتماعية.
- هو منهج محفوظ النص من التلاشي، والتحول إلى مجرد إضافة لسلطة معرفية أخرى.
- القراءة النقدية الاجتماعية قراءة للمسيرة، والتقدم بوصفها حاملة التغييرات الإيجابية.

وتصدر خصائص المنهج الاجتماعي عن علاقات الأدب بالمجتمع: "فالمنهج الاجتماعي يشترك في تحقيق مبدأ التواصل مع المنظومة الحياتية التكاملية فيبقى دائماً هو التعبير الأسمى عن المجتمع والحافظ الأمين لتحركاته، وترصداته لذلك جاء من أجل إبانة العلاقة الجوهرية بين الحياة الاجتماعية والإبداع الأدبي" (بن قسمية، 2017، 58).

والمجتمعات تتغير من عصر إلى عصر، فيجب على الأدب مواكبة التغيرات الاجتماعية ليكون معبراً عن صوت المجتمعات ولاسيما العربية التي تعيش أزمات تشكل خصوصية المجتمعات العربية، فلا بد من أنْ يمثل الأدب المرجعية التي تمثل المجتمعات العربية، فالأدب ربما يمثل حافزاً للإنسان ليبوح بقضاياه وإشكالياته من خلال الجنس الأدبية المناسب، وربما يشكل الأدب طريقة لتقديم الصراع المجتمعي:" وأمَّا المنطلقات الأساسية التي قام عليها النقد السوسيولوجي فهي بإيجاز" (سواعدي، 2015، 13):

1. التعامل مع الأدب بوصفه نظاماً اجتماعياً، وليس مجرد نسق تعبيري قائم بذاته كما يذهب البنيويون.

2. جدلية علاقة التأثر والتأثير بين العمل الأدبي، والواقع الاجتماعي، والحضاري، وليس مجرد انعكاس كما تذهب الماركسية.

3. إقامة توازن بين الذاتي والموضوعي في النظر إلى الدافعية الأدبية" (سواعدي، 2015، 13).

فالتوازن بين الذاتي والموضوعي يعني أنَّ الأدب يؤثر ويتأثر بالواقع الاجتماعي، وربما يوصف نظام الأدب بأنَّه جزء من الأنظمة الاجتماعية.

وأمَّا أهم إشكاليات المنهج الاجتماعي فهي:

1) اتهام المناهج الخارجية (السياقية) ببعدها عن النصوص الأدبية، وملاحظة تقارب المناهج الداخلية من النصوص الأدبية، ويرجع سبب هذه المواقف السلبية اعتبار مقاربات المناهج السياقية خارجة عن النص الأدبي إلى علوم مثل: علم الاجتماع أو علم النفس أو السياسية أو الاقتصاد، فلا بدَّ من توظيف المنهج المناسب لخدمة النص الأدبي من أجل توضيح المعاني القابعة خلف كلماته، ولكن المنهج البنيوي التكويني تغلب عليه هذه الإشكالية من خلال دمجه العناصر الداخلية بالخارجية: "وهذا أكبر دليل على أنَّ

النص الأدبي أصبح سلعة تباع وتشتري، وليس فناً يصل إلى ذوي الذوق الفني والجمالي، وهذا راجع إلى التقسيمات الاجتماعية التي كانت في المجتمع" (فضيلة، 2017، 30).

2) يركز المنهج الاجتماعي على النصوص الأدبية النثرية: "كالقصص والمسرحيات، ويركز الناقد على شخصية البطل" (بن قسمية، 13). وربما يمثل هذا التركيز مأخذاً على المنهج الاجتماعي، إذْ تهتم بعض المنهجيات الاجتماعية بالطبقة الاجتماعية فلكل علم من أعلام المنهج الاجتماعي فلسفته في تطوير المنهج الاجتماعي، إذ لا يمكن أنْ يحسم معنى النص الأدبي من خلال دراسة علاقاته الاجتماعية، فالظواهر الأدبية أشد تعقيداً وتشابكاً، فلا: "لا يمكن أنْ تحسم بالولاء لسلطة النص أو سلطة القراءة فقط، فالظاهر الأدبية محكومة بمجموعة كبيرة من السلطات والقوى التي تتحكم في إنتاجها وانتشارها" (الزبيدي، 1999، 51).

3) إنَّ من جوانب القصور في المنهج الاجتماعي عدم قدرته على: الكشف عن الخواص النوعية للأعمال الأدبية، أنَّه يكتفي برصد الظواهر، ولا يتعمق في تفسيرها" (سواعدي، 2015، 13). وسيطرة الجوانب المادية في هذا المنهج ممّا عجل بزوال حرية الأديب.

المبحث الثالث ـ تحليل رواية حضرة المحترم وفق المنهج الاجتماعي

ـ غلاف الرواية:

إنَّ غلاف رواية (حضرة المحترم) يظهر أول معلمٍ من الرواية الاجتماعية من خلال كتابة اسم (نجيب) بخط كبير ذهبي اللون هو أكبر الخطوط على غلاف الرواية، وجاء عنوان الرواية بخط أبيض صغير الحجم مقارنة بحجم اسم (نجيب محفوظ) في أعلى الرواية وذلك، لأنَّ اسم نجيب محفوظ الأبرز عربياً في حقل الرواية لما له من أثر اجتماعي وتسويقي على القارئ، ويظهر في أدنى الغلاف يرتدي طربوشاً أحمر ووجه ملون بلون زيتي، وربما يدُّل الطربوش على شخصية الموظف الحكومي الذي يتميز بلبس الطربوش وهذه دلالة اجتماعية، فشخصية الرواية الرئيسية (عثمان بيومي) موظف حكومي، وكانت الوظيفة الحكومية أفضل الوظائف وقتها، وصدرت الرواية عن دار الشروق في طبعتها الثالثة في سنة.

ـ البنية الاجتماعية الثانية (بداية الرواية):

بدأت الرواية بلا أرقام أو أبواب أو فصول وكانت البداية بحدث دخول الموظفين الجدد على حضرة المحترم – وهو لقب للمدير العام- ومنهم الشخصية الرئيسية في الرواية الذي نظر إلى المؤهلات العلمية للمعينين في الوظيفة الحكومية فكلهم من حملة البكلوريا، إلا اثنين من حملة الشهادة المتوسطة، وطلب منهم المدير العام – حضرة المحترم- تحقيق الاجتهاد والاستقامة في العمل، ونظر حضرة المحترم إلى الشخصية الرئيسية – التي لم يُذكر اسمها - وقال له : لِمَ لم تكمل تعليمك مع أنَّ معدلك في البكالوريا (ممتاز) فصمت مع أنه يعلم الجواب.

ثانياً: يبدأ الفصل الثاني برقم (2) وهو استلام عثمان بيومي الفعلي للوظيفة في الأرشيف، ويكشف عن اسم الشخصية الرئيسية في الرواية، وهي: (عثمان بيومي)، إذْ قدمه صاحب السعادة – سكرتير المدير العام – إلى رئيسه الجديد في الوظيفة (سعفان افندي بسيوني)، الذي قال له: أهلاً ... أهلاً... الحياة يمكن تلخيصها في كلمتين، استقبال ثم توديع..." (محفوظ، 2008، 8)، وهناك طريق السعادة، وأما الساقطون في وسط الطريق فلا حصر لهم، إنَّ النظام الفلكي لا يطبق على البشر ولا سيّما الموظفون... والزمن يسكن بين يديه كطفل وديع ولكن لا يمكن التنبؤ بعده، إنَّه يشتعل، هذا كل ما هنالك، ويخيل إليه أنَّ النار المتقدة في صدره هي التي تضئ النجوم في أفلاكها. ونحن أسرار لا يطلع على خباياها إلا خالقها، ويظهر أنَّ (سعفان افندي بسيوني) يقدم تفسيراً اجتماعياً للحياة من خلال رؤيته أنَّ الحياة استقبال ووداع، والساقطون على الطريق لا حصر لهم، وهكذا يمثل تفسير (سعفان افندي بسيوني) قيمة الواقعية الاجتماعية وتفسيره للحياة.

-البنية الاجتماعية الثالثة:

تبدأ بحديثه عن أسرته الفقيرة، إذ كان والده سائق كارو (كارو) وأما والدته فكانت: "عاملة كادحة، تكدّ بصبر النمل، ودأبه سعياً وراء القرش، وتسند به زوجها، وترمم عشها من خلال عملها: دلالة... ماشطة... خاطبة، ماتت أمه، وهي تعمل" (محفوظ، 2008، 11) وكل هذه أعمال تمارسها لتقدر حقها.

وماذا كان بالأمس؟ أراد أبوه أنْ يجعل منه سواق (كارو) مثله؛ ولكن شيخ الكتاب، قال له:

- يا عم بيومي توكل على الله، وأدخل الولد المدرسة الابتدائية...

فذهل الرجل، وتساءل:

- ألم يحفظ من القرآن ما يقيم به الصلاة؟

فقال الشيخ:

- الولد ذكي وعاقل، وربما رأيته يوماً من رجال الحكومة، وقهقه عم بيومي غير مصدق، فقال الشيخ:

- عليك بمدارس الأوقاف فربما قبل بالمجان.

وتردد عم بيومي زمناً ثم تمت المعجزة، ونجح عثمان في المدرسة نجاحاً مذهلاً حتى حصل على الابتدائية، تميز عن أقرانه الحفاة من أبناء الحارة، ورأى بعينيه الحادتين أول شرارة مقدسة تنطلق من فؤاده النابض، وأيقن أنَّ الله يبارك خطاه، ويفتح له أبواب اللانهاية، والتحق بالمدرسة الثانوية بالمجان كذلك فحقق من النجاح ما لم يصدقه أحد في حارة الحسيني، ومرض عم بيومي مرض الوفاة، وابنه في السنة الثانية، فندم الرجل على ما "فعله" بابنه، وقال له:

- ها أنا ذا أتركك تلميذاً لا حول له، فمن يسوق الكارو؟ ومن يحفظ البيت؟

وفاضت روح الرجل، وهو حزين، وضاعفت الأم نشاطها مؤملة أنْ يجعل الله من ابنها كبيراً من الأكابر، أليس الله بقادر على كل شيء! ولولا وفاة الأم بغير توقع لأكمل عثمان تعليمه في المدارس العليا، وقد اشتدت لذلك حسرته، وضاعف من حدتها اكتمال وعيه بطموحه وبأحلامه المقدسة. ومقدسة عنده أيضاً ذكرى والديه" (محفوظ، 2008، 12). فالطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها (عثمان بيومي) هي الدنيا من المجتمع وذلك وفق تصنيف المنهج الاجتماعي.

فالإشكاليات الاجتماعية التي يمرّ بها (عثمان بيومي) من وفاة والده، ووالدته، ولا أخوة لديه، والوحدة التي يعيشها، لم تمنعه من أنْ تكون لديه حياة منظمة يراجعها يومياً، وضع شعاراً للعمل، والحياة يراجعه يومياً وهو شعار اجتماعي للعمل والحياة:

1. القيام بالواجب بدقة وأمانة.

2. دراسة اللائحة المالية لوظيفته التي يشار إليها كأنها كتاب مقدس.

3. الدرس للحصول على شهادة عليا ضمن الطلبة الذين يعملون من منازلهم، وذلك لتحقيق التقدم الوظيفي.

4. دراسة خاصة للغتين الإنجليزية والفرنسية إضافة إلى العربية.

5. التزود بالثقافة العامة، ولا سيما الثقافة المقيدة للموظف.

6. الإعلان بكل وسيلة مهذبة عن تديني، وخلقي، واجتهادي في عملي.

7. العمل على كسب ثقة الرؤساء، ومحبتهم.

8. الاستفادة من الفرص المفيدة مع الاحتفاظ بالكرامة مثل مساعدة أدبية تقدم لذى شأن، صداقة مفيدة، زواج موفق من شأنه تمهيد الطريق للتقدم"(محفوظ، 2008، 12). وذلك كله من أجل تحقيق مكانة وظيفية اجتماعية.

ويلاحظ أنَّ هذه الشعارات الاجتماعية تمثل ضمان التفوق الاجتماعي، ويؤكد في نهاية هذه البنية أنّ طريقه في هذه الحياة: "بداية لا بأس بها، وطريقَ بلا نهاية..." (محفوظ، 2008، 14).

-البنية الاجتماعية الرابعة:

تبدأ بحبه لفتاة اسمها (سيدة) تسكن حارتهم، وكانت زميلته في الكتاب وسعدت سعادة غامرة، لأنَّه أصبح موظفاً في الحكومة – أفندي- وعاطفة الحب متبادلة بينهما، ويشعران بسعادة بحبهما، ولكن عثمان بيومي يشعر أنه ما زال صغيراً على الزواج، فالطموحات ما تزال أمامه عريضة مع أنَّه يحبها، ومازال ينقصه مزيد من التعليم، ويقول لسيدة (فتاة أحبها عثمان) أنْ أربعة أعوام تلزمه ليكمل تعليمه، وهو يدرك لهفتها على كلمة يطيب بها الفؤاد ويسعد، ويعلم أنَّ سعادته لن تقل عن سعادتها بحال إنْ لم تزد، إنه هذه الفتاة كما تحبه ولا غنى له عنها، ولكنْ يخاف، فعليه أنْ يفكر ألف مرة، وليراجع ورقة العمل المريرة، ليتأمل طويلاً الحياة التي تقف أمامه مرحبة ومتحدية معاً" (محفوظ، 2008، 16). ويظهر في الرواية صراع اجتماعي بين رغبة عثمان بيومي في التفوق واستكمال دراسته وحاجته للزواج، ويظهر أن تفسيره وفهم الاجتماعي يقوده إلى تفصيل مزيد من التفوق الوظيفي على حاجته.

ويختم هذا البنية قائلاً:" تجربة الحياة عظيمة جليلة، ولكنها مرهقة" (محفوظ، 2008، 17). فيجتمع عنده الفقر والنظرة الاجتماعية المتشائمة، وهذه الرؤية للعلم تحقق الانسجام والتماسك في الحدثين الروائي والاجتماعي.

-البنية الاجتماعية الخامسة:

يزور (عثمان بيومي) المقبرة ليقرأ الفاتحة على القبرين الضائعين لوالده، ووالدته بسبب كثرة القبور، وأخذ يتذكر لحظات موت والده ووالدته: "الملمات بلا معنى ولا سبب، ووجد ذات مساء ميتاً، إذْ يجلس على الفروة فلم يدر أحد كيف حضره الموت؟ ولا كيف تلقاه هو؟ وأما أمه فكانت مينتها أدعى للدهشة،

كانت تغسل فانطوت على نفسها حتى تقوست، وراحت تصرخ من شدة الألم، وجاءت سيارة الإسعاف فحملتها إلى قصر العيني – اسم الشخص - وتقرر إجراء جراحة في الأعور قتلت في أثنائها" (محفوظ، 2008، 18 - 19).

فالفقر والبؤس اللذين كانا في حياته إذ ضاع قبر والديه، وتذكر الوظيفة الجديدة التي تمثل نقلة نوعية في حياته، ويؤكد أنَّ العمل في الحكومية واجب مقدس يستطيع من خلاله تحقيق ذاته وطموحاته، وقبل مغادرته المقبرة طلب من والدته أنْ تدعو له، وتظهر في هذه البنية الاجتماعية علاقة التأثر بالماضي القاسي الذي عاشه عثمان بيومي.

وفي البنية الاجتماعية السادسة:

يتابع (عثمان بيومي) تعليمه المنزلي بجدّ واجتهاد حتى يصل إلى مرحلة عدم نوم الليل إلا اقله بسبب حبه للعلم، ولم يقف عند هذا بل حاول أن يكتب الشعر إذ يظهر أن الشعر كان وما زال خير وسيلة للتقرب من الكبراء، والتألق في الحفلات الرسمية، وإنّه لخسران فادح أنْ يفشل في نظمه؛ ولكنَّه على أيّ حال خير طريق لإتقان النثر، والخطابة لا تقل عن الشعر في النجاح المنشود، والأسلوب الجزل مطلوب، قلبه يحدثه بذلك" (محفوظ، 2008، 18 - 19).

ولا شك في أنَّ عثمان بيومي يحاول جمع أسباب النجاح الاجتماعي مثل محاولة إتقان عدد من اللغات ومحاولة كتابة الشعر وحفظ التعليمات والأنظمة والقوانين.

ويواصل (عثمان بيومي) البحث بأسلوب جاد وفعال عن كل وسائل النجاح الاجتماعي، ويحاول أنْ يتقن لغتين الإنجليزية، والفرنسية، وحفظ التعليمات، والقوانين، والأنظمة.

وهناك جانب آخر من حياة (عثمان بيومي) تمثل في حبه لسيدة التي تُعدُ شطراً جميلاً من حياته يمنعه عنها الطموح، ولكنَّه انساق مع أحد زملائه في طريق البغاء مع باغيتين من البغايا، وأعقب هذه الفعلة الندم، الدائم، والصلاة.

وكان سياسة عثمان بيومي التقرب والإذعان إلى كل أوامر مديره (سعفان بسيوني) وأصبح يضاعف جهوده في التقرب إليه؛ لأنَّه الموظف الوحيد في المحفوظات الذي يحمل شهادة البكالوريا خوفاً من غيرته منه، ويتفق (عثمان بيومي) مع سعفان بسيوني في الآراء السياسية المعارضة للنظام السياسي المصري مع أنَّه ليس معارضاً، ولكن هذه الاتفاق سرَّ (سعفان بسيوني) سروراً شديداً.

-البنية الاجتماعية السابعة:

تتوطد العلاقة في البنية الاجتماعية السابعة بين سعفان بسيوني وعثمان بيومي إذْ يدعوه لتناول العشاء في بيته، وهذه من ملامح تطور العلاقة الاجتماعية بينهما، واستماع الغناء من حفل زفاف في قرب شرفة منزل عثمان بيومي، ويؤمن سعفان بسيوني بأن الادخار وسيلة مهمة من وسائل جهاده الطويل، وشعيره

من شعائر دينه، وأمان ضد الخوف في عالم مخيف، ولكن لا بّد ممّا ليس من بدّ، وسيرد الدعوة بأحسن منها، وسيتم ذلك في مطعم لا في حجرته المكتظة بالكتب" (محفوظ، 2008، 26).

ويظهر أنَّ شخصية (سعفان بيومي) تميل إلى الخبرة الاجتماعية، وتمتلك ثوابت سياسية، وتمتلك رؤية واضحة ومحددة للعالم وتشير هذه العزيمة إلى علاقة راسخة مع عثمان بيومي.

ثامناً: (دعوة سعفان بسيوني من قبل عثمان بيومي إلى مطعم فاخر)، وجاءت هذه الدعوة إلى مطعم فاخر اسمه (الكاشف) من أجل رد الدعوة الأولى: وذلك قبل مضي الشهر، إذْ دعا الرجل للعشاء في مطعم الكاشف، تناولا سمكا شهياً وحليا بمهلبية، وكان الكهل (سعفان بسيوني) من السعادة في غاية وخيل إليه أنه يتوقع نزول ملاك السعادة والرحمة (محفوظ، 2008، 26).

وهذه الدعوة فتحت عليه باباً للزواج، إذْ أراد (سعفان بسيوني) أنْ يزوج ابنته التي أكملت الابتدائية لعثمان بيومي لولا أنْ استدرك ذلك بكذبة قائلاً: "في عنقي صغار وأرامل، ما أنا إلا ثور معصوب العينين يدور في ساقية" (محفوظ، 2008، 28).

وبعد هذه الكذبة التي تحول بين زواج (عثمان بيومي) من ابنة (سعفان بسيوني) تلاشت البهجة من الجلسة، وسيطر الحزن على الجلسة، وأصابت حالة الحزن كليهما، واستمرت حالة الحزن الأسى مع (عثمان بيومي) ووصل إلى نتيجة تريحه في النهاية هي: "حتى أخطاء الإنسان يجب أنْ تكون مقدسة" (محفوظ، 2008، 28).

-البنية الاجتماعية التاسعة:

(أم حسني تجدُ لعثمان بيومي عروساً) وتبدأ (أم حسني) جارة عثمان بيومي التي يشبه شكلها شكل والدته المتوفية، بتنبيهه إلى عريس جاء يخطب الفتاة التي يحبها (سيدة): "فاجتاحه حزن وذهول كأنَ ذلك لم يكن متوقعاً" (محفوظ، 2008، 29). وأشار إلى أنّه يعلم أنَّ زواج سيدة: "آت لا ريب فيه، لا يحاول دفعه، ولا أمل له في منعه كالموت" (محفوظ، 2008، 29). وهذا يّدل على إجراء عثمان بيومي على تحقيقه مكانة اجتماعية وتأجيل الزواج بسبب سيطرة الطموح عليه.

واقترحت (أم حسني) عليه حلاً سريعاً في الذهاب وخطبة (سيدة) له؛ ولكنَّه رفض لشدة تعلقها، واستمرت حالة الحزن، وذهب يمشي لعله يخفف ما يشعر به من ألم، وينهي هذه البنية، بقوله: "يا للخسارة يا سيدة" (محفوظ، 2008، 31). فالطلب الاجتماعي وهو الزواج يغيب عن ذهن (عثمان بيومي) ولكن جارته (أم حسني) تحاول تذكيره بهذا دائماً، ولكن الطموحات الاجتماعية أقوى وتنتصر دائماً على رغبته في الزواج.

-البنية الاجتماعية العاشرة:

يظهر في البينة الاجتماعية العشارة التميز الاجتماعي والوظيفي عند عثمان بيومي، ويرجع سبب هذا التميز إلى تطبيقه شعار العمل والحياة المذكور آنفاً لديه.

(تميز عثمان) بيومي في عمله، إذْ يشهد (سعفان بسيوني) بجدارة (عثمان بيومي) الذي يعمل عمله، ويقوم بعمل المتأخرين، ويكون أول المصلين وإمامهم، وهذا كان يتعرض معاقرته للنبيذ في بعض ليالي الشتاء الباردة، والحجرة التي يسكنها كانت قذرة باردة لا حب فيها، ومع نهاية هذه البنية تزف سيدة لعريسها، وبعدها تصيبه حالة من الصراخ والجنون والضحك ويشعر بوحدة غريبة، وفي ليلة زواج سيدة لم يستطع أنْ يذاكر، لأنه لم يتوقع أن يكون مخطئاً في تفصيل التميز الاجتماعي والوظيفي على حبه لسيدة.

البنية الاجتماعية الحادية عشرة:

يأتي الفصل الحادي عشر بكتاب رسمي يرسله (عثمان بيومي) إلى حضرة المحترم يبلغه بحصوله على (ليسانس حقوق) من منازله استكمالاً لمتطلبات الموظف، وسيعرض هذا الكتاب الرسمي على كثرٍ من موظفي المؤسسة ليعلم به الجميع، ويشيرُ عثمان بيومي إلى أنَّه أصبح يمتلك سلاح العلم، وتغيب عنه أسلحته أو الأسرة الكبيرة أو الانتماء الحزبي.

ويرشحه (سعفان بسيوني) للحصول على الدرجة السابعة بعد أنْ شغرت الدرجة، وذلك بعد سنوات سبعٍ من تعينه في الوظيفة الحكومية، وانتظر الدرجة طويلاً، وأثناء العمل على الدرجة كلفه (سعفان بسيوني) سراً بالعمل مع فريق إعداد الموازنة الذي يضم المدير العام، ومدراء الأقسام، وتقرب لمدير الإدارة، واسمه حمزة السيوفي الذي كتب عنه بيانات الموازنة، ثم قدم له ملاحظات على بيانات الموازنة، وأظهر عثمان بيومي قدرات متميزة من حفظ الأنظمة، والقوانين، وتطبيقها على الموازنة، ويزف عليه (حمزة السيوفي) مدير الإدارة خبر ترقيته إلى الدرجة السابعة.

واستطاع عثمان بيومي أنْ يكسب ثقة حمزة السيوفي- مدير الإدارة – بسرعة إذْ اكتشف أنَّ (عثمان بيومي) يتقن اللغة الإنجليزية، والترجمة إضافة إلى إتقانه كتابة بيان الموازنة الذي قرأه (حمزة السيوفي) على مدير الإدارة، وبعدها صدر قرار بنقل عثمان بيومي من المحفوظات إلى إدارة الميزانية.

-البنية الاجتماعية الثانية عشرة:

(علاقته بقدرية) تبدأ هذه البنية بمشهد وداعي بين (عثمان بيومي) و(سعفان بسيوني) لتركه المحفوظات، وانتقاله إلى الموازنة، وتظهر علامات حبّ الادخار على (عثمان بيومي)؛ فالمال هو مفتاح الأحلام، ومهر العروس، ويظهر أنَّ الزواج من امرأة من أسرة مرموقة هو سبيل للوصول إلى منصب، فهذا ما فعل المدير العام، والوكيل الأول للإدارة، فالزواج سبيل للوصول إلى المناصب التي تتقاسمها العائلات الكبيرة، وطريق الوصول إلى المنصب لا يحتاج إلى مظاهرات أو أحزاب بل زواج من عائلة كبيرة،

تُسهم في صنع القرار السياسي، وتنسب بوضعه في مكان مرموق، و(عثمان بيومي) يتخذ كل الأسلحة من أجل التقدم الوظيفي. فالمجتمع الروائي يقارب الواقع ورؤية العالم عند عثمان بيومي إذ يبدأ أو ينتهي من خلال الوطنية الحكومية التي تمثل كل حياته.

وفي هذه الأثناء اعتاد (عثمان بيومي) أنْ يقوم بزيارة لقدرية، وهي امرأة تمارس البغاء منذ سنوات، وتعرفُ عليها من خلال صديقه الموظف في قسم المحفوظات، وتمثل قدرية هروباً مقبولاً من علاقته بسيدة التي انتهت بزواج سيدة من شخص آخر، وكان عثمان بيومي حريصاً كل الحرص على سرية علاقته بقدرية حفاظاً على سمعته، واستقامته في الوظيفة، و لاشك أنَّ علاقته بقدرية استمرت سنوات طويلة.

-البنية الاجتماعية الثالثة عشرة:

(الترجمة) أعلنت الوزارة – التي يعمل بها- أنها بحاجة لمترجم، فقدم للإعلان (عثمان بيومي) فتم تعينه مترجماً في مكتب (حمزة السيوفي) إضافة إلى عمله في دائرة الموازنة، ووظيفة المترجم راتبها ضخم مقارنة براتب (عثمان بيومي)؛ ولكنَّها تخرجه من الكادر العام بحسب القوانين وخروجه من الكادر العام أكبر مشكلة يمكن أنْ تواجه عثمان بيومي؛ لأنَّ كل طموح حياته يكمن في الوظيفة الحكومية، واقترح حلاً لهذه الإشكالية بأنْ توكل إليه مهمة الترجمة مقابل ترقيته للدرجة السادسة فأجاب حمزة السيوفي أنَّ هذا القرار يحتاج إلى استشارة الإدارة القانونية، وهذا الحل يوفر مبلغاً للميزانية:

"وتقررت ترقيته إلى الدرجة السادسة بمرتب قدره خمسة وعشرون جنيها، وعلى الرغم من تضحيته بعشرة جنيهات، فإنَّه فاز بترقية ما كان يبلغها قبل سنوات وسنوات، فضلاً عن الأهمية التي اختص بها بعمله المزدوج، وتمتع بسعادة قصيرة كالعادة، ولم يعرف السعادة إلا خطفاً مثل لقاءات الطريق العابرة، وعاد يقيس الطريق الطويلة ويئن تحت وطأة لا نهائيتها، ما جدوى الدرجة السادسة؟ وهو يوشك أنْ يلج مرحلة جديدة من العمر! وقبله سعفان بسيوني" (محفوظ، 2008، 45).

فتقدمه في السن يقتل من فرص زواجه ويحول بينه وبين المنجز الذي يحلم به، وكان عثمان بيومي طموحاً، ويحلم أنْ يكون مديراً عاماً، ويغلب عليه الجدّ في حياته والعمل الدائم الدؤوب، وسمع أنَّ ابن مدير دائرة حمزة السيوفي يعاني من ضعف في اللغات، فذهب إليه وأعطاه دروساً بلا مقابل مالي من والده، وتعمقت العلاقة بين حمزة السيوفي وعثمان بيومي، إذْ أصبح يتردد على بيته من أجل إعطاء ابنه دروس اللغات.

ويوجه (عثمان بيومي) فكرة الزواج لخدمة مصلحته فيبحث بأنَّ عن زوجة أثناء تدريس ابن حمزة السيوفي؛ لعله يتزوج إحدى بنات حمزة السيوفي، ولكنَّه يفاجئ بأنَّ حمزة السيوفي لا توجد لديه بنات، فكل

همه أنْ يتزوج بفتاة من عائلة تحقق له الطموح الوظيفي، فزواجه من امرأة تمثله في المستوى الاجتماعي لا يشكل إلا مزيداً من الفقر فتفسير الزواج ينبع من رؤيته للعالم والتركيز على الوظيفة الحكومية.

-البنية الاجتماعية الرابعة عشرة:

(أم حسني كعادتها تعرض عليه عروساً جديدة) وتأتي أم حسني لتطمئن على عثمان بيومي، وتعرض عليه عروساً في منتصف العمر، وأرملة تمتلك بيتاً، وضربت أم حسني موعداً ليراها؛ ولكنه أعجب بها إعجاباً غريزياً، وتحدث معها في بيت (أم حسني) حديثاً مختصراً ثم انتظر خروجها، وشعر أنها مثل: قدرية صيداً سهلاً، وطلب منها الذهاب معه إلى غرفته؛ ولكنَّها رفضت مسرعة.

-البنية الاجتماعية الخامسة عشر:

(لاحظ عثمان بيومي) أنَّ رصيده المالي يزيد، ودخله يتحسن، ويستحق علاوة، ويعجب المدير العام بترجمته مع أنه لا يعرف اسمه فيقول عنه المترجم المعنوي، ومازال عثمان بيومي قلقاً على مستقبله، وما يقلقه طموحه الذي يجمح به لتجاوز الدرجة الوظيفية السادسة نحو الأولى، وهو يخاف أنْ يمضي العمر قبل الوصول إلى غايته.

وتأتي (أم حسني) لعثمان بيومي، وتطب منه أنْ يلقي السلام على سيدة وأمها – حبيبته الأولى التي تزوجت -ويدخل، ويسلم ويعلم أنّ (سيدة) تغيرت نحو الأسواء فأصبحت تتمتع بنوع من البلادة والبدانة، وكأنها (قدرية)، وذهب بريق عينيها، وهما ينظران إليه، فسلم، وجلس قليلاً ثم ذهب، ربما عَلِمَ بعد هذا السلام أنّ (سيدة) لم تعدْ هي نفسها التي أحبها، فالحياة الاجتماعية تتحول والمجتمع يتغير وهو ثابت على أحلامه وطموحاته.

وبعدها يلتقي (عثمان بيومي) بسعفان بسيوني ليودعه بعد وصوله إلى سن التقاعد، إذْ جاء من باب المجاملة، ولو تَرِكَ الأمر إليه لما جاء لتوديعه، ويشعر (عثمان بيومي) بحالة من الجحود لأفضال (سعفان بيومي) عليه، ويظن أنَّ هذا هو اللقاء الأخير مع سعفان بيومي، وتمت ترقية (عثمان بيومي) إلى الدرجة الخامسة في الشهر نفسه، واحتل مكان (سعفان بيومي) رئيساً للمحفوظات، وهذا تقدم متميز في الوظيفة الحكومية.

-البنية الاجتماعية السادسة عشرة:

(المنصب الجديد مدير المحفوظات) يُفْتَحُ هذا المنصب باب المدير العام صاحب السعادة، إذْ يُعْرِضُ مدير المحفوظات على المدير العام الخطابات المهمة يومياً، ويبدأ بالدخول على مكتب صاحب السعادة ووصفه مكتبه وهيئته وهيبته، وبدأ حمزة السيوفي – مدير الإدارة – يتراجع في حياته؛ لأنَّه بدا ينسج شباكه حول المدير العام، وأضحى (عثمان بيومي) يشعر بشدة حبه للسلطة أكثر من أي شيء آخر، وجاءت الفرص ليكسب حب المدير العام الذي حصل على نيشان النيل فكتب عثمان بيومي مقالة في مدح (بهجت نور)

المدير العام، وبدأ يحدث عثمان بيومي نفسه بالزواج فهو محتاج لأنيس. ويمكن أن يلاحظ عدم التوازن في شخصية عثمان بيومي فالعمل هو أساس حياته، ويغفل الزواج علماً أن الزواج حاجة اجتماعية أساسية وأما أساليبه الاجتماعية فهي واحدة لم تتغير إذْ لا يدع فرص في التقرب للمسؤولين مهما كانت.

-البينة الاجتماعية السابعة عشرة:

(يدعو أم حسني لتبحث له عن عروس) إذْ يبحث عن عروس من أسرة كريمة، وتكون من بنات الأعيان أو كبار الموظفين أو أصحاب السلطة، ولم تعثر أم حسني على المواصفات المطلوبة لعروس (عثمان بيومي) المرجوة، واستعانة بخاطب في الحلمية من أجل تحقيق مواصفات العروس، وفي أثناء ذلك مرض مدير الإدارة (حمزة السيوفي)، وذهب إليه عثمان بيومي لزيارته تكفل في أنْ يتم عمله في الموازنة كما علمه بإخلاص، ويتطلب علم الموازنة الذي يقوم بها عثمان بيومي نيابة عن (حمزة السويفي) لقاءات مع صاحب السعادة الذي أَلِفَ عثمان بيومي، وأصبحت الجلسات بينهما تمتد لساعات، واقترح صاحب السعادة رفع درجة مدير المحفوظات إلى الرابعة.

-البنية الاجتماعية الثامنة عشرة:

(موت سعفان بسيوني) صدفة، ودون سابق ترتيب يأتي سعفان بسيوني ليطلب من عثمان بيومي ثلاثة جنيهات للعلاج؛ ولكنه عثمان بيومي يدعي أنه لا يملك هذه الجنيهات مع أنه يمتلك؛ لأنَّه بخيل، وبعد أيام مات (سعفان بسيوني)، وهذا يدّل على فهم مادي للمجتمع وتغليبه المصلحة الذاتية على الجوانب الإنسانية.

-البنية الاجتماعية التاسعة عشرة:

(أم حسني تَجدُ عروساً تعمل ناظرة لعثمان بيومي) لقد اختارت (أم حسني) ناظرة مدرسة مضى من عمرها خمسة وثلاثون سنة، ولم تتزوج سابقاً؛ ولن تكلفه في زواجها مليماً واحداً؛ ولكنَّه متردد وكأنَّه لا يحب الزواج.

-البنية الاجتماعية العشرون:

(موظفة جديدة جميلة في المحفوظات اسمها أنيسة إبراهيم) دخلت على عثمان بيومي في المحفوظات، ولاحظ جمالها، وعرف أنها الموظفة الجديدة فسألها عن مؤهلها العلمي، فقالت البكالوريا علمي فسألها: لماذا لم تكملي تعليمك فقالت ظروف منعتني من تكملة تعليمي، وحولها لقسم الوارد من المحفوظات.

ودار حديث عنك مع بعض الزملاء، تساءلنا بحيرة كيف تعيش؟ قلنا إنك لا تظهر في طريق أو مقهى أو حفل، فأين تقضى وقتك؟ وقالوا إنَّه غير متزوج، فلماذا يعيش؟ وقالوا: إنَّه لا يهتم لشيء مما يهتم به الناس، فماذا يهمه حقاً في الدنيا؟! (محفوظ، 2008، 73).

وبدأ عثمان بيومي يلحظ الشيب يغزو رأسه؛ وأنَّه قد كبر في السن.

-البنية الاجتماعية الحادية والعشرون:

(حوار مع حمز السيوفي، ولقاء أول مع الناظرة أصيلة هانم في بيت أم حسني) يدخل عثمان بيومي في حوار مع حمزة السيوفي في حوار عن السعادة، ويرى حمزة السيوفي أنَّ السعادة غاية الإنسان، وأمَّا عثمان بيومي فيرى أنَّ غاية الإنسان تكمن في الطريق المقدس، وهو طريق المجد، وأثناء الحوار قال حمزة السويف لعثمان بيومي أذَّ صاحب السعادة سينقل فخفق قلبه وأصابه الجزع؛ لأنَّ كسب ثقة صاحب السعادة أخذ زمناً طويلاً من عمر عثمان بيومي.

ويلتقي عثمان بيومي بأصيلة هانم ناظرة المدرسة في بيت أم حسني لقاء تعارف من أجل الزواج، وتعاوده أثناء اللقاء صورة قديرة الباغية التي تشبه في مخيلته صورة أصيلة هانم الناظرة، وبدأت أصيلة تطلب منه أنْ يساعدها في تحصيل قطعت أرض لها نزعت ملكيتها لتتواصل العلاقة، ولكن عثمان بيومي استأذن وقام قبل أنْ يتم قهوته، وقبل أنْ تقول أم حسني المثل الشعبي الذي تحفظه.

-البنية الاجتماعية الثانية والعشرون:

(هدية من أنيسة رمضان) تدخل أنيسة رمضان إلى حجرة عثمان بيومي لتقدم له هدية بمناسبة عيد ميلاده، ورأى منها ما يشجعه على التقدم بمزيد من التقارب في العلاقة، وأمّا الموظفة الجديدة في المحفوظات أنيسة رمضان فبدأت تطوير علاقته.

-البنية الاجتماعية الثالثة والعشرون:

(اللقاء الأول بأنسية رمضان خارج دائرة المحفوظات) كان عثمان بيومي يسعى إلى ديمومة العلاقة بأنسية رمضان، ويرفض اللقاء بها إلا في الأماكن التي لا ترقبها العيون حفاظاً على استقامته، وسمعته الطيبة في دائرة المحفوظات، وللقاء كان في حديقة بعيدة ويصف عثمان بيومي اللقاء بأنَّه جميلٌ وفاتنٌ، وصرحت (أنيسة رمضان) بإعجابها الشديد بعثمان بيومي، ولكنَّه لم يطلب يدها للزواج مع أنَّها تعدُّ فرصة مميزة بالنسبة له؛ لانَّ ملامح الشيب بدأت تجبهه.

-البنية الاجتماعية الرابعة والعشرون:

(الناظرة أصلية حجازي هانم تطلب رؤيته من أجل الأرض التي أخذت الحكومة مليكتها منها) وبدأ بأسلوب غير متوقع، وجريء ينظر إلى الناظرة أصيلة. ولكنَّه إعجاب بلا زواج، لأنّ فكرة الزواج غير واردة بالنسبة لعثمان بيومي – مع أنها لا تبدو مستحيلة في كل أحداث الرواية السابقة-وهو يؤكد إعجابه بها؛ ولكنه أعزب أبدي. وهذا التغير؛ لأنه يعلم أنَّ أصيلة جمزاوي لا تناسبه.

-البنية الاجتماعية الخامسة والعشرون:

(الشعر الأبيض يغزو عثمان بيومي) يلاحظ أثر مرور الزمن على شعره، وهذا بالنسبة إليه بلوغ للأجل المحتم، ويوكد أنَّ قدرية التي تحترف مهنة البغاء ماتزال رفيقة العمر، وعلاقته (بأنيسة رمضان) الجديدة

في المحفوظات تتوطد، وعلاقة متقطعة من خلال لقاءات عابرة مع أصلية حجازي الناظرة لتطمئن على قطعة أرضها التي استملكتها الحكومة، ويلاحظ أنّه لا يميل إلى أصيلة حجازي؛ ولكنَّه يميل إلى أنسية رمضان.

-البنية الاجتماعية السادسة والعشرون:

(أصيلة حجازي ناظرة المدرسة تزور عثمان بيومي في شقته) وَجَدَ عثمان بيومي أصيلة حجازي ناظرة المدرسة بلا موعد سابق على باب مكتبه، ورحب بها ثم لعنها في داخله، ولم يكن عثمان بيومي يحب أنْ تزوره؛ لأنه رمز للاستقامة في وظيفته، وبعدها وبلا موعد سابق تأتي إلى شقة عثمان بيومي بحجة أنَّها لم تجد أم حسني الخطابة، وعندما دخلت شقته تمكن منها، وربما تكثر الانجرافات في حياة (عثمان بيومي) ويعود ذلك إلى عدم زواجه.

-البنية الاجتماعية السابعة والعشرون:

(حبُ عثمان بيومي لأنسية رمضان موظفة المحفوظات) يعترفُ عثمان بيومي لأول مرة أنَّ حبه لأنسية رمضان أقوى حب يعصف به إذْ تفوق على حبه لسيدة، ولكنَّ عثمان بيومي قرر ألاّ يتزوج إلا إذا أصبح صاحب السعادة، (المدير العام) وهذا حلم جديد لعثمان بيومي، وإذا تزوج الآن فلا شيء غير المتاعب والهوم والفقر، ويأتي أحد الموظفين ليقول لعثمان بيومي إني أحب (أنيسة رمضان)، وأعلم ما بينكما من لقاءات خارج الوظيفة، ويخاف (عثمان بيومي) على مركزه كمدير للمحفوظات.

-البنية الاجتماعية الثامنة والعشرون:

(عثمان بيومي يلتقي بأنسية خارج الوظيفة) طَلَبَ (عثمان بيومي) لقاء أنيسة خارج الوظيفة، وعنده حب شديد لأنيسة وخوف شديد من زواجه بأنيسة، و لاشك أنَّ شخصية (عثمان بيومي) تحمل في طياتها الخوف والشجاعة، القوة والضعف، والحب والخداع حتي أضحى (عثمان بيومي) نفسه لا يعرف نفسه.

- البنية الاجتماعية التاسعة والعشرون:

(خطبة أنيسة رمضان) بدأت البنية التاسعة والعشرون بخبر خطبة (أنيسة رمضان) على (حسين جمال الذاب) الذي طُلَبَ من عثمان بيومي أنْ يفتح له طريق الزواج بها، ويقول بعد هذا الخبر الصعب: "استطيع الآن أنْ أحزن على الحب الضائع ببال رائق لا تعكره المخاوف، وأستطيع أنْ أنهل من العذاب حتى استنفذه وأتحرر منه، وإني بذلك لخبير"(محفوظ، 2008، 102).

علماً أنَّ (أنيسة رمضان) كانت تحب عثمان بيومي حباً صادقاً؛ ولكنَّ طموحه للقب صاحب السعاد، وخوفه من الزواج، وتبعاته من فقر وعيال حالا دون زواجه من أنيسة رمضان.

ويصاب حمزة السيوفي – وكيل الإدارة الثاني- بأزمة صحية شديدة تمنعه من الدوام في الوظيفة، وتقارير الطبيب تؤكد أنَّ حمزة السيفي لن يعود إلى الوظيفة ثانية، ويدرك الآن (عثمان بيومي) أنِهم

يتساقطون واحداً تلوا الآخر، وأحيل (حمزة السيوفي) إلى التقاعد وجاء عثمان بيومي بدلاً له في منصب وكيل الإدارة الثاني، وكل الموظفين يشهدون باستقامة، وقدرة، وكفاءة عثمان بيومي، وتمت ترقيته إلى الدرجة الثالثة، ولكنه أقرب المقربين لصاحب السعادة، وأمَّا الوكيل الأول واسمه (بهجت نور) فهو باتفاق المدير العام، وعثمان بيومي جاهل وضعيف.

وأما علاقته بقدرية التي تمتهن البغاء فهي مستمرة لم تنقطع، والوحيدة التي تقد على إخراجه من وحدته، وأصبحت هذه العلاقة السرية جزءاً أساسياً من حياته.

البنية الاجتماعية الثلاثون

(مرض، وعرج، وخرف يصيب جارته الخاطبة أم حسني) لقد ظهرت علامات كبر السن على (أم حسني) الخطابة التي اعتزلت مهمتها، ويلاحظ أنَّ حارته الفقرية تتغير وتتطور يدخلها الماء والكهرباء والراديو حتى ملابس أهل الحارة بدأت بالتغير، وهو ما يزال في الدرجة الثالثة، وهو ينظر للوظيفة بأنها: "الوظيفة في تاريخ مصر مؤسسة مقدمة كالمعبد، والموظف أقدم موظف في تاريخ الحضارة، إنْ يكن المثل الأعلى في البلدان الأخرى محارباً أو سياسياً أو تاجراً أو رجل صناعة أو بحاراً، فهو في مصر الموظف، وإن أول تعاليم أخلاقية حفظها التاريخ كانت وصايا من أب موظف متقاعد إلى ابن موظف ناشئ" (محفوظ، 2008، 108).

فهو يقدس الوظيفة التي تمثل أمله وطموح؛ لأنَّه قصر حياته عليها، وتحدث مفاجأة جديدة هي موت الوكيل الأول (إسماعيل فائق) الذي يعد الحساب الختامي للموازنة، وتوقع (عثمان بيومي) أنْ يتقدم في منصبه؛ ولكنه فوجئ بتعيين مدير إدارة جديد من وزارة المواصلات فخابت جميع توقعاته.

البنية الاجتماعية الحادية والثلاثون:

(شمت الموظفون بعثمان بيومي بعد تعيين مديرٍ جديد عليه مع أنه يستحق هذا المنصب) سادت حالة من الشماتة بين موظفي المؤسسة لتعينه مديراً جديداً، واعتذر منه صاحب السعادة؛ لأنه لم يستطع مساعدته في الحصول على الوظيفة الشاغرة، علماً أنه خير مَنْ يستحقها، والمدير الجديد المعين، واسمه (عبدالله وجدي) في الأربعين من العمر، وسيبقى مديراً عليه إلى أنْ يحال (عثمان بيومي) إلى التقاعد، وهذه تحطيم كلي وشاملٌ لجميع أحلامه، وبدأ يستعرض مسيرة حياته التي ضاعت منها ولا سيما المدة الزمنية الصالحة للحب والزواج، وقد أفنى عمره في خدمة المؤسسة؛ ولكن لا نتيجة، وما: أشد حاجته إلى شريكة، وعاطفة صادقة، إلى مشاركة أمينة، إلى دفء البيت، إلى الذرية، إلى علاقة إنسانية، وإلى قلب ويد ولسان، إلى ملجأ من العذاب، إلى درع ضد الموت، إلى منفذ من الضياع، إلى محراب مناسب للإيمان، إلى محطة راحة من الأحلام الخرقاء، إلى هدنة مع الحرص والحرمان والوحشة" (محفوظ، 2008، 113). فالإحساس بالوحدة والاختلاف عن المجتمع يجعله يشعر بخيبة الأمل والحسرة على ما فاته.

وبدأ يبحث عن عروس فلم يجد إلا موظفة تصغره بالسن واسمها (إحسان إبراهيم) فسألها أهي مخطوبة؟ فأجابت: نعم، وقال لها: لا أجد في أصابعك خاتماً؟ قالت: أنا في حكم المخطوبة، فطلب، من الموظفة (إحسان إبراهيم) أنْ تجد له عروساً، وقال لها:

- هل أطمع في أن تدليني على عروس؟

فتفكرت في ارتباك، ثم قالت في حذر:

- جميع من أعرف من قريبات، وصديقات يقاربنني في السن فهن لا يلقن بك!
- يا لها من ترجمة مهذبة لـ "لا تليق بهن"، وتمادى من شدة يأسه" (محفوظ، 2008، 114)، وربما ما وصل به إلى هذه النقطة من الضعف الاجتماعي عدم تفكيره بالزواج في سن مبكرة.

ويلاحظ شغفه، وبحثه عن زوجة حتى وصل إلى مغازلت النساء في الطرقات والحفلات، ولا زوجة في الأفق والسبب واحد وهو تقدمه في السن، وكان كثيراً يعود إلى قدرية التي تمارس البغاء، وطلب عثمان بيومي من قدرية الزواج، وتم ذلك في صباح اليوم التالي، وهذا يدّل على تحول جذري في شخصية عثمان بيومي بعدما وصل إلى سن كبير، إذ يحاول الزواج دون فائدة.

الثاني الثلاثون: ذهلت قدرية ليتزوجها من عثمان بيومي الذي تزوجها في الحال وقد كان سكراناً عند عقد قرانه بها والشاهدين هما القوادين اللذين يعملان عند قدرية، ولابد من أنْ يعترف بجنونه ووصف قدرية:

"ولعله من الإنصاف أنْ يعترف -بأنَّه مجنون – كهلة نصف سوداء في ضخامة بقرة مكتنزة تحمل فوق كاهلها نصف قرن من الابتذال والفحش، هكذا تحققت الأمنية التي تاق إلى تحقيقها بجنون، فأصبح زوجاً، كما أصبحت قدرية – رفيقة شبابه – زوجه له، ترى ماذا فعل بنفسه؟! وقال: على أن أبدأ حياة جديدة ... (محفوظ، 2008، 119).

واستأجر شقة جديدة في منطقة جيدة، وأثثها أثاثاً مقبولاً، وطلب من قدرية الحجاب وغير سياسته في التعامل مع النقود، وأصبح يميل للاستمتاع بطيبات الحياة، وعاش مع قدرية حياة نظيفة مرتبة، وتعدل وضعه الديني حتى اشترى مقبرة له ليحفظ عظمه من الضياع كما حصل مع والده ووالدته، ويبدو عليه الاطمئنان وشيء من السعادة بما حققه مع معرفة (عثمان بيومي) بأنَّ قدرية ليست الزوجة المناسبة له.

البنية الاجتماعية الثانية والثلاثون:

(الترقية إلى المدير الإداري) ويصبح عثمان بيومي المدير الإداري بعد ترقية (بهجت نور)، إلى رتبة المدير العام، إذ أصبح المدير العام وزيراً، وعثمان بيومي أكثر خبرة إدارية من المدير العام (بهجت نور)، وقرر في وظيفته الجديدة التعاون التام، وتغطية ضعف بهجت نور.

وحياة (عثمان بيومي) لم تعدْ كما كانت فقدرية تفرط في شرب الخمر، ولا أمل لها في ولد أو بنت نجتبيه، وحاورها حتى ذهب إلى مصحة نفسية عصبية لمعالجة إدمان شرب الخمر، وتم تعافيها تماماً، وازدادت

بدانة على بداتتها فأصبحت في حال يرثى لها، وبدأ يفكر عثمان بيومي في تغير حياته الأسرية والملاحظ أن زوجة بقدرية هو معادلة علاج خطأ مخطأ وغسان بيومي هو المتضرر من هذه الأخطاء.

البنية الاجتماعية الثالثة والثلاثون:

يُحسُ عثمان بيومي بالروتين في وظيفته اليومية، وزوجته قدرية عادت لشرب الخمر، وتعاطي الأفيون، وفي عماله كمدير إداري أصبح عثمان بيومي يبحث عن سكرتيرة، فطلب من مدير المستخدمين تعيين أي سكرتيرة، فاختار مدير المستخدمين (راضية عبد الخالق) الحاصلة على ليسانس آداب من قسم التاريخ لتكون سكرتيرة للمدير الإداري عثمان بيومي، ومع مرور الوقت أزادت تعلق عثمان بيومي (براضية عبد الخالق) سكرتيرته، وعلاقته بها تسير في طريق غير معروف.

البنية الاجتماعية الرابعة والثلاثون:

(علامات الكبر تلاحق عثمان بيومي) والمدير العام ثابت في مكانه، ولا معجزات: "أين تقع المعجزة هذه المرة؟! وها هو ذا لم يبق من السواد في رأسه إلا شعيرات معدودات، وقد ضعف بصره فاستعان بنظارة، وفقد جهازه الهضمي نشاطه المعهود فعرف العقاقير لأول مرة في حياته، وعلاوة احديداب لطول انكبابه على المكاتب ولعدم مزاولته أي نوع من أنواع الرياضة. وكان يقول لنفسه": (محفوظ، 2008، 133).

ويزداد تعلقها يوماً بعد يوم براضة عبد الخالق سكرتيرته التي يقضي معها ساعة كل يوم لعرض البريد، وبدأ الغرل بينهما دون مقدمات، وبدأ يصارحها (عثمان بيومي) بكبر سنه، وأنه متزوج وصارحها بحبه لها، وباركت هذا الحب، وذهب يُطْلُبُ يد (راضية عبد الخالق) من عمتها التي طلبت تطليق زوجته الأولى فرفض؛ لأنها مريضة، وثم تفاهم مع عمتها، وبعد مضي شهر تزوج (عثمان بيومي) سكرتيرته راضية عبد الخالق وأمسى يعيش في بيت عمتها يأتيها بعد الدوام في الوظيفة إلى منتصف الليل ثم يعود إلى بيته مع زوجته قديرة، ويصف (عثمان بيومي) الحياة بأنها: "إن الحياة لم تخلق إلا لتكون مسرحاً للعجائب تحت العناية الإلهية" (محفوظ، 2008، 139). فرؤيته للعالم تتحول دائماً فالمجتمع متغير منقوع.

البنية الاجتماعية الخامسة والثلاثون:

(عثمان بيومي يهتم بملابسه وصحته) حثت راضية عبد الخالق (عثمان بيومي) بالاهتمام بملابس وصحته وحالة قدرية – زوجته الأولى- النفسية والصحية تتدهور، وإذ لا يصارحها بزواج (براضية عبد الخالق) سكرتيرته، ويحثّ تغير وظيفي إذ يعين الوكيل الأول وكيلاً خارجياً، ويذهب عثمان بيومي لتهنئته، ويتمنى أنْ يحل في منصبه، ولكن هناك:

"اعتداء على النظام أستحقها عمل دنئ فيه اعتداء صارخ على النظام الأخلاقي للدولة" (محفوظ، 2008، 144). من خلال الواسطة التي تعين من لا يستحق في منصب المسؤولية الوظيفية للدولة، ويُشيرُ لراضية عبد الخالق بضرورة إعلان زواجهما، ومصرحة زوجته قدرية بزواجه.

البنية الاجتماعية السادسة والثلاثون:

(مرض يقعد عثمان بيومي لمدة شهر) أراد عثمان بيومي أنْ يبلغ زوجته قدرية بزواج من راضية عبد الخالق، ولكنه أحس بثقل في صدر وشحوب في وجهه، واستدعوا له الطبيب، وأمره بالجلوس في البيت لمدة شهر حفاظاً على صحته، وفي مرضه تذكر مرض (حمزة السيوفي) و(سعفان بسيومي) وكيف كان الموظفون يهرعون إليهم؟ وهذا ما حصل معه فعلاً فقد جاءه الموظفون لزيارته، وجاءت زوجته الأولى قدرية لتزوره في بيت زوجته الثانية (راضية عبد الخالق)، وكانت حكيمة لطيفة على غير عادتها، وتمت له السعادة، والولد، والدرجة الوظيفية، وغادرت. وهذا كسر توقع للبنية الاجتماعية التي رسمتها الرواية لشخصية (قدرية).

البنية الاجتماعية السابعة والثلاثون:

(زيارات الموظفين لعثمان بيومي في بيته) وتتحول غرفة نوم عثمان بيومي دون سابقة إنذار إلى صالة استقبال للموظفين، والسعاة، والفرشين؛ ولكن لم يزه وكيل الوزارة وعذره ضعيف، وغير مقبول، ويحس عثمان بيومي بقرب شفاءه؛ فيقوم من سريره بعد طول رقاد ليستمع إلى حديث يجري بين زوجته راضية وعمتها التي تصف زواجها من عثمان بيومي بأنه (طمع، وجريمة).

وبعد استماعه الحوار عاد إلى سريره، ودخل في أزمة جديدة، وسرعان ما شفي منها، ولكنَّ لم يعد يعرفُ متى سيقوم مجدداً، وزاره لأول مرة بهجت نور الوكيل الأول للوزرة، وابتسم الرجل، والآخر يرنو إليه بإعياء وذهول، ثم قال:

- صدر اليوم قرار ترقيتك إلى وظيفة المدير العام.

واستمر ينظر إليه، ولكن ببلاهة، فقال الرجل:

- انتصر الحق، والعدل، ولو بعد حين.

وذهب الرجل مخالفاً وراءه فردوساً من المشاعر، كأنما كان رسول رحمة من الغيب، وتلقى التهاني من راضية وعمتها وهو مغمض العينين. وعادوه شعور بفقدان الثقة في المكان. وسمعها، وهي تقول:

كم أنني سعيدة.

وتذوق في هدوء نجاحه، إنه صاحب السعادة، مالك الحجرة الزرقاء، مرجع الفتاوى والأوامر الإدارية، وملهم التوجيهات الرشيدة للإدارة الحكيمة وقضاء مصالح العباد، وعبد من عباد الله القادرين على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وقال لنفسه (محفوظ، 2008، 154):

وتمضِ الأيام وهو مريض بعيد عن الحياة، وينقل إلى المستشفى ليخفف الأحمال عن زوجته راضية، ويستمر مرضه، ولن يعد يهتم بحلمية إنجاب الذرية والعودة إلى مكتب المدير العام: وما يحز في نفسه أنَّ كل شيء يمضي سبيله دون مبالاة به.

التعيين والترقي والإحالة إلى المعاش، الحب والزواج وحتى الطلاق، صراعات السياسة وشعارتها المحمومة، تعاقب الليل والنهار.

وها هي ذي نداءات الباعة تنذر باقتراب الشتاء، ولعله من محاسن الصدف أنّ القبر الجديد قد حاز رضاه تحت ضوء الشمس (محفوظ، 2008، 156).

فعثمان بيومي نموذج اجتماعي حقيقي للمصري الملتزم بطموحات الوظيفة، وأما رواية حضرة المحترم انعكاس للعلاقات الاجتماعية، والطموحات التي تمثل المجتمع المصري بل تمثل طبقة من المجتمع المصري، وهي طبقة الموظفين، ومن أهم القضايا التي يمكن أن نشير إليها في الرواية وفق المنهج الاجتماعي:

أولاً: (تحديد الطبقة الاجتماعية) التي تناولتها الرواية: وهي طبقة الموظفين المصريين الذين يعملون في الوظيفة الحكومية، وتحديداً الموظف الطموح الذي يسعى للوصول إلى رتبة إدارية أعلى، وتدور أغلب أحداث الرواية حول شخصية (عثمان بيومي)، ويبذل كل شيء للوصول لما أراده من تقدم في الوظيفة الحكومية، فالطبقة الاجتماعية ثابتة في الرواية، وهذا يدل على وضوح الرؤية الاجتماعية للرواية وما تمثله.

ثانياً: الحارة المصرية التي تمثل الطبقة الكادحة متجسدة في شخصية (عثمان بيومي) وهو جزء من الحارة، إذْ يمثل جميع قضايا هذه الطبقة الاجتماعية وإشكالياتها وتطورها.

ثالثاً: نهاية أحداث الرواية سوداوية تصدر عن مرض وخوف يعانيه عثمان بيومي مع تحقيق طموحه الإداري في الوصول إلى منصب المدير العام؛ ولكنه لم يستطيع بسبب المرض أن يلتحق بوظيفته الجديدة.

رابعاً: شخصيات رواية حضرة المحترم تظهر أنماط الشخصية الاجتماعية؛ لأنها تعكس ثنائية الخير والشر.

خامساً: الواقعية من أهم عناصر المنهج الاجتماعي، فالرواية تقدم الدافعية الاجتماعية لشخصيات الاجتماعية بامتياز فكل شخصيات الرواية تمثل الواقعية، وأحداث الرواية تمثل الواقع الاجتماعي وتسهم تحولات شخصية عثمان بيومي في تعديل أهدافها من خلال العمل الدائم لتحقيق المستقبل الذي يطمح إليهِ إذ تتمحور أهدافه على نفسه وأحلامه.

سادساً: البنية المهنية على الرواية طموح بيومي في الوصول إلى مدير عام من خلال العمل الدائم، وقد اعتمد في مسيرته على إرادة الانتصار وحتمية تحقيق الهدف في بلوغ أعلى المراتب الحكومية، وقد جسد طموح بيومي الذاتي الهم الجماعي للطبقة الكادحة في سعيها لتحقيق أهدافها وشق طريقها في الوظائف الحكومية على الرغم من شدة المعاناة.

سابعاً: إن رواية حضرة المحترم ترتبط ارتباط وثيقاً بحياة الناس في الطبقة الكادحة، ولكن نهاية شخصية عثمان بيومي الهزيمة بسبب اختزال طموحه في الجانب الإداري، وربما لا تستحق شخصية (عثمان بيومي) تعاطفاً اجتماعياً، لأنها ترى في المنصب الإداري الوظيفي وسيلة تحقيق السعادة.

ثامناً: تمثل رواية حضرة المحترم الحركة الاجتماعية الدائمة المتطورة التي للنشاط المتطور للقوى الاجتماعية المتناقضة.

الخاتمة

البحث بعنوان (المنهج الاجتماعي بين المفاهيم والإشكاليات تحليل رواية حضرة المحترم أنموذجاً) وقد تناول هذا البحث ثلاثة مباحث، وبعد الانتهاء توصل البحث إلى النتائج الآتية:

1-يظهر أن المنهج الاجتماعي يمثل العديد من التحولات والتطورات النقدية انطلاقاً من: (ماركس، فريد ريك انجلو، ولوسيمان غولدمن، وجورج لوكانتش) ليقدم كلٌ منهم أدوات جديدة تخدم النصوص الأدبية ولاسيما الروائية منها.

2- تقسيم المجتمع إلى طبقات، وقد اعتمدت الرواية على جملة من الإستراتيجيات منها: الفهم والتفسير والتماسك والانسجام، وتحديد رؤية العالم، والبحث عن علاقات التأثير والتأثر بين الأدب والمجتمع والتوازن بين الذاتي والموضوعي والبحث عن خصوصية المجتمعات من أهم الأدوات التي تم عرضها وتطبيقها في هذا البحث على رواية حضرة المحترم.

3- وتبيّن أنّ هذه الرواية ترتبط بحركة المجتمع المصري ولا سيما الطبقة الكادحة منه، إذ تشكل رؤية للعالم من خلال الوظيفة الحكومية التي جسدتها شخصية (غسان بيومي) فالحارة المصرية وإشكالياتها وتجلياتها حاضرة في رواية حضرة المحترم التي تمثل نموذجاً روائياً يظهر خصوصية الرواية العربية التي تعبر عن صورة المجتمعات العربية.

التوصيات: بناءً على النتائج التي تم التوصل إليها توصي الدراسة الآتي:

1- التوسع في تحليل الرواية العربية بوصفها أنموذجاً يمثل خصوصية المجتمعات العربية بإشكالياتها وتجلياتها وتجاربها النوعية التي تكشف تفردها.

2- دراسة الرواية العربية من خلال الجهود النقدية المنهجية المتمثلة بالمناهج النقدية من خلال المطالب المنهجية للنصوص الأدبية للمنهج المناسب لمضامينها.

3- العناية بأدب نجيب محفوظ بوصفه أنموذجاً يصلح للتطبيقات النقدية المنهجية، إذْ يمكن الكشف عن مزيد من الإبداعات الأدبية من خلال المناهج النقدية.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً- المراجع بالعربية

- بن قسمية، منال (2017)، المناهج النقدية الأدبية (قراءة في كتاب الفكر النقدي الأدبي المعاصر لحميد الحمداني)، إشراف: بوزيد رحمون، جامعة محمد بوضيف.
- بولكعبيات، نعيمة (2015)، المنهج الاجتماعي في النقد العربي معاصر، إشراف: عبد الله العشي، أطروحة لنيل درجة الدكتوراه في النقد الأدبي المعاصر: جامعة باتنة، الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية.
- بييربارابيريس، مدخل إلى مناهج النقد الأدبي (النقد الاجتماعي)، ترجمة: رضوان ظاظا، مراجعة: المنصف الشفوفي، عالم المعرفة: الكويت، العدد221.
- تريك اندرسون ميرت، مناهد النقد الأدبي، ترجمة: الظاهر أحمد مكي، مكتبة الأدب، القاهرة.
- خرشوش، خيرة (2014)، آليات البنيوية التكوينية من خلال كتاب ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب لمحمد بنيس، ومنال زناتي رسالة ماجستير في جامعة الجيلالي بو نعامة بخمس مليانة.
- الزبيدي، مرشد (1999)، اتجاهات نقد الشعر العربي في العراق(دراسة الجهود النقدية المنشورة في الصحافة العربية بين 1985- 1990)، منشورات اتحاد الكتاب العرب: سوريا.
- سلمى، ابن أحمد (2017)، التجربة النقدية عند وجدان الصايغ، إشراف: طيبي حرة، رسالة ماجستير، جامعة أبو بكر بلقايد: الجمهورية الجزائرية الديموقراطية.
- سواعدي، مريم (2015)، قراءة واصفة في المشروع النقدي لعبد المالك مرتاض، إشراف: توازن عبد القادر، رسالة ماجستير، جامعة حسيبة علي الشلف، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية.
- شعلان، عبد الوهاب، (2017)، المنهج الاجتماعي وتحولاته من سلطة الأيدلوجيا إلى فضاء النص، علم لكتب الحديثة، الأردن، ط(1).
- فضيلة، قندوز (1991)، مفهوم النص في النقد الأدبي المعاصر، رسالة ماجستير، إشراف محمد ملياني، جامعة أبي بكر بلقايد تلسان: الجزائر، 2017م، ص 29، نقلاً عن: إتريك أدرسون إموت: النقد الأدبي، ت. الطاهر أحمد مكي، مكتبة الآداب، القاهرة.
- فضيلة، قندوز (2017)، مفهوم النص في النقد الأدبي المعاصر، رسالة ماجستير، إشراف: محمد ملياني، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان: الجزائر.

- في نظرية الأدب، شكري عزيز ماضي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر: بيروت، ط(4)، ص 83
- محفوظ، نجيب (200)، رواية حضرة المحترم، دار الشروق: مصر، ط3.
- نور الهدى، جلاب (2015)، المنهج الاجتماعي في النقد (نشأته وخصائص)، مجلة مركز دراسات الكوفة: مجلة فصلية محكمة، العدد (38).

تصورات أعضاء هيئة التدريس في الجامعات الحكومية الأردنية نحو التعليم عن بعد

د. سامرة أحمد المومني
الجمعية الأردنية للتربية الاجتماعية والوطنية
التربية والتعليمة-الأردن
Sm.mommani@yahoo.com
00962776436988

الملخص

أثرت الظروف الوبائية التي مر بها العالم وخاصة- جائحة كورونا- على جميع النظم الحياتية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والصحية والتعليمية، وتأثرت معظم الجامعات والمعاهد والمدارس في العالم، فقد تعطل فيها التعليم الوجاهي وأستبدل بالتعليم عن بعد بسبب جائحة كورونا، وكان الأردن من بين هذه الدول التي واجهت هذا التحدي بعناصرها، العملية التعليمية وهي: عضو هيئة التدريس، والطالب، وأولياء الأمور.

هدفت هذه الدراسة للتعرف على تصورات أعضاء هيئة التدريس في الجامعات الحكومية الأردنية نحو التعليم عن بعد، وللتتعرف على محاسن ومساوئ التعلم عن بعد في العملية التعليمية عند أعضاء هيئة التدريس في الجامعات الأردنية في ظل جائحة كورونا، والكشف عن مدى تقبل المجتمع للنمط التعليمي الجديد(التعلم عن بعد، وللتعرف على إمكانية اعتماد التعليم عن بعد في الحالات الطارئة والظروف الجوية الصعبة. ولتحقيق أهداف الدراسة استخدمت الباحثة المنهج النوعي (دراسة حالة) من خلال إعداد أداة المقابلة التي تتكون من ثلاثة أسئلة رئيسة وهي: ما محاسن التعليم عن بعد ومساوئه؟ هل الزمن كفيل بإحداث تغيير في تقبل المجتمع للنمط التعليمي الجديد(التعليم عن بعد)؟ هل سيكون التعليم عن بعد بديلا للتعليم الوجاهي في الحالات الطارئة والظروف الجوية الصعبة؟

هذا وقد وبلغت عينة الدراسة من (16) عضو هيئة تدريس من الجامعات الحكومية الأردنية، وهي جامعة الحسين بن طلال، وجامعة العلوم والتكنولوجيا، وجامعة اليرموك، والجامعة الأردنية. . وقد أظهرت نتائج الدراسة أن: من محاسن التعليم عن بعد أنه يساعد الطلبة على التعلم الذاتي، والإعتماد على النفس، والإحساس بروح المسؤولية، ويوفر الجهد الضائع لعضو هيئة التدريس والطالب، ويخفف من المصروف اليومي لكليهما، ومن مساوئه انعدام وجود بيئة دراسية تفاعلية، وإمكانية حدوث الغش أكبر مما يقع داخل القاعات الجامعية، بالإضافة إلى مشاكل ضعف شبكة الإنترنت وانقطاعها أثناء المحاضرة الالكترونية، وأظهرت النتائج أيضا أن المجتمع بدأ يتقبل هذا النمط التعليمي(التعليم عن بعد)، وأن هذ النمط التعليمي من الممكن أن يصبح بديلا عن التعلم الوجاهي في الحالات الطارئة والأحوال الجوية الصعبة في المستقبل. وفي ضوء النتائج أوصت الباحثة مجموعة من التوصيات.

الكلمات المفتاحية: التعليم عن بعد، أعضاء هيئة التدريس، الجامعات الحكومية.

Perceptions of faculty members in Jordanian public universities towards distance education

Dr.. Samera Ahmed Al-Moumani
Jordanian Association for Social and National Education
Education-Jordan

Abstract:

The epidemiological conditions that the world went through, especially - the coronavirus pandemic - affected all life, political, economic, social, health and educational systems, and most universities, institutes and schools in the world were affected, as face-to-face education was disrupted and replaced by distance education due to the Corona pandemic, and Jordan was among these countries that I faced this challenge with its elements, the educational process, namely: the faculty member, the student, and the parents.

The importance of this study stems from the importance of education, and the continuity of the educational process despite all the difficult circumstances that any society is going through, and given the epidemiological conditions that the entire world has gone through, all countries in which the Corona epidemic has spread should reconsider the educational policies and patterns used in education, Whether in schools or universities, and due to the need to adapt to the epidemiological situation, it was necessary to move from face-to-face education in student education to e-learning or distance education to ensure the continuation of the educational process on the one hand, and to ensure the safety and health of all individuals participating in the educational process, including students, teachers and parents.

This study aimed to identify the perceptions of faculty members in Jordanian public universities towards distance education, to identify the advantages and disadvantages of distance learning in the educational process among faculty members in Jordanian universities in light of the coronavirus pandemic, and to reveal the extent to which society accepts the new educational style (learning remotely, and to learn about the possibility of adopting distance education in emergencies and difficult weather conditions. To achieve the objectives of the study, the researcher used the qualitative approach (case study) by preparing an interview tool that consists of three main questions: What are the advantages and disadvantages of distance education? Can bring about a change in society's acceptance of the new educational style (distance education) Will distance education be an alternative to face-to-face education in emergencies and difficult weather conditions?

The study sample consisted of (16) faculty members from Jordanian public universities, namely Al-Hussein Bin Talal University, the University of Science and Technology, and Yarmouk University.

Keywords: distance education, faculty members, public universities

الإطار النظري

تطور التعليم عن بعد عبر التاريخ

لم يبدأ التعليم عن بعد في العصر الحديث، بل يمتد لأكثر من مئتي عام، وكانت البداية عام 1729 على يد (Calep Philips) حيث كان يقدم دروسا أسبوعية في صحيفة (بوسطن جازيت)، ثم استخدمت جامعة بنسلفانيا قي تقديم عدد من المقررات عبر جهاز الراديو عام 1922، ثم قامت جامعة ستانفورد بتقديم مقررات لطلبة الهندسة عبر التلفاز1968 وفي عام 1982 دخل الكمبيوتر المجال التعليمي، وفي عام 1999 بدأ ظهور أنظمة إدارة التعلم(LMS) لكنها كانت مغلقة لا تخدم جميع المتعلمين، وفي عام 2002 أطلق معهد ماساتشوستش للتقنية (2000) مقرر مجاني يستفيد منه (65) مليون في العديد من الدول، ثم أكاديمية خان عام 2008 يخدم (71) مليون مستخدم. (مركز الملك سلمان للإغاثة والأعمال الإنسانية، 2020)

مفهوم التعليم عن بعد

تعددت التعريفات حول مفهوم التعلم عن بعد ومنها:

عرف هولمبرغ (Holmberg, 1995) التعليم عن بعد مصطلح:" يشمل كافة أساليب الدراسة وكل المراحل التعليمية التي لا تمتع بالإشراف المباشروالمستمر من قبل معلمين، يحضرون مع طلابهم داخل قاعات الدراسة التقليدية، ولكن تخضع عملية التعليم لتخطيط وتنظيم وتوجيه من قبل مؤسسة تعليمية وأعضاء هيئة التدريس".

والتعليم عن بعد هو" نظام تعليمي يقوم على فكرة إيصال المادة التعليمية إلى الطالب عبر وسائط اتصالات تقنية، بحيث يكون المتعلم بعيدا ومنفصلا عن المشرف"(المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم،2005).

وعرفه غرينبرغ (Greenberg,1998,p.36) بأنه" خبرة تدريسبة تعليمية مخططة تستخدم مجموعة واسعة من التقنيات للوصول إلى المتعلمين في مناطق بعيدة، مع تصميم الخبرة بحيث تشجع تفاعل المتعلمين".

وعرفه كل من زابو وشوارتز (Szabo&Schwartz,2004) على أنه "عملية تعليمية تعلمية تستخدم فيه الأجهزة الإلكترونية لتقديم التعليم للمتعلميمن المنفصلين جغرافيا".

أهمية التعليم عن بعد

للتعلم عن بعد أهمية كبيرة في الوقت الحالي تنبثق من أهمية التعليم بشكل عام، ويزداد الطلب على التعلم عن بعد نظرا لتزايد أعداد السكان وازدياد أعداد الطلبة المنتسبين للجامعات والمعاهد، وتغير الأوضاع الاقتصادية والسياسية والصحية في مختلف أقطار العالم، ، ولما يمنحه من فرصة أكبر للطلبة للإلتحاق بالدراسة الجامعية بما يلائم حاجاتهم وظروفهم وأوقاتهم وأماكن سكنهم، وتعدد مصادر التعليم وطرق واستراتيجيات التدريس المستخدمة في التعليم عن بعد وعدم الإكتفاء بالكتاب أو المنهاج الجامعي والتدريس المباشر أو التلقين، ونشر(مركز الملك سلمان للإغاثة، 2020) أن أهمية التعلم عن بعد كما أجمع الباحثون والمتخصصون في الحقل التربوي تتمثل في:

- فرص التعلم: إتاحة الفرصة التعليمية لكل المتعلمين.
- أصبح التعليم عن بعد تحديا في ظل التقدم السريع والانفجار المعرفي والتقني المتلاحق.
- المرونة: إذ يتيح التعلم وفق الظروف التعليمية الملائمة والمناسبة لحاجات وظروف وأوقات المتعلمين، وتحقيق استمرارية التعلم.
- الفاعلية: أثبتت البحوث التي أجريت على هذا النظام أنه يوازي أو يفوق نظام التعليم التقليدي، وخصوصا عند استخدام تقنيات التعلم عن بعد والوسائط المتعددة بكفاءة، وانعكاس هذه الإيجابية على المحتوى التعليمي.
- الإبتكار: تقديم المناهج والمواد الدراسية للمتعلمين بطرق مبتكرة وتفاعلية.
- استقلالية المتعلم: تنظيم موضوعات المنهج وأساليب التقويم حسب قدرات المتعلمين.
- المقدرة: يتميز هذا التعليم بأنه لا يكلف مبالغ مالية كبيرة .
- تعزيز المهارات الحياتية والتركيز على مهارات القرن الحادي والعشرين.

أهداف التعليم عن بعد

للتعليم عن بعد مجموعة من الأهداف، منها التغلب على عاملي المكان والزمان ،وخفض الكلفة المادية المرتفعة نتيجة الالتحاق بالمقاعد الدراسية بالجامعات والمعاهد، و استمرار عملية التعليم في الظروف الوبائية والمناخية التي قد تحد أو تعرقل سير العملية التعليمية كما حصل عام 2020 عندما انتشر وباء كورونا، وتطوير المهارات الحاسوبية ومهارات الإتصال والتواصل والمهارات الوظيفية وغيرها الكثير ، وجاء عند (زيتون،2005) أن من أهداف التعليم عن بعد ما يأتي:

- رفع المستويات الثقافية والعلمية والفكرية في المجتمع للمحرومين منه.
- التغلب على مشكلة نقص الموظفين والمؤهلين في العملية التعليمية.

- تحفيز الطلبة على الدراسة وتشجعيهم عليها بتخطي العوائق الجغرافية.
- وضع مصادر تعليمية بين يدي المتعلم، مما يؤدي إلى تضييق فجوة الفروق بين المتعلمين.
- استخدام الوسائل التكنولوجية الحديثة في تقييم الطالب لوجود أدوات تقوم بتقييم الطالب بناء على الاختبارات التي قام باجتيازها.

فوائد التعلم عن بعد

للتعلم عن بعد فوائد متعددة تعود بالنفع على الطالب والمعلم وأولياء الأمور وقد ذكر الرسول،2020 فوائد كثيرة للتعلم عن بعد منها :

- تنمية حس المسؤولية و شعور المساواة عند الطلبة .
- سهولة الوصول والتواصل مع عضو هيئة التدريس أو المعلم في أوقات العمل الرسمية وخارج أوقات العمل.
- إمكانية أكبر في تقديم محتوى ومضمون متنوع بإستخدام طرق واستراتيجيات مختلفة..
- يقدم للمعلمين أدوات متنوعة ومختلفة لتقييم الطلبة، وتحليل العلامات نتائج الاختبارات ،كما يسهل التواصل مع أولياء الأمور أو الهيئة الإدارية فيما يخص ملفات وسجلات الطلبة.

مبررات اللجوء إلى لتعليم عن بعد

يتم اللجوء إلى التعليم عن بعد والتعليم الإلكتروني في كثير من الحالات والأسباب، في حالات الأوبئة المعدية، كما حصل عام 2020 عندما انتشر مرض كوفيد-19في كافة أنحاء العالم، وفي حالات الجفاف وارتفاع درجات الحرارة والأمطار، وقد يتم اللجوء إليه في ارتفاع أعداد الطلبة الملتحقين بالجامعات والمعاهد من مناطق عدة، وقد تكون المبررات اللجوء للتعلم عن بعد كما بينها أولوغبينغا وزملاؤه (Olugbenga et al,200) مثل:

- ازدياد حاجة اقتصاديات الدول؛ لرفع الجدوى الاقتصادية للتعليم العالي عبر خفض تكلفة نفقاته، والحصول على مخرجات بذات المستوى والنوعية في التعليم التقليدي.
- الحاجة لإعادة تأهيل الكوادر البشرية لتسيير التنمية الاقتصادية في تلك البلدان، من خلال توفير فرص تعليم عال تستوعبهم كمتعلمين منتظمين رغم بعدهم عن المؤسسات التعليمية، وصعوبة انتقال الممتعلمين إليها أو تركهم لأعما لهم.

- الحاجة إلى إدماج كافة أفراد المجتمع في عملية التنمية المستدامة عبر تقديم خدمات تعليمية للمجتمع، بإعطاء الكبار والنساء والمتسربين سابقا فرصة مواصلة تعليمهم الجامعي.
- تزايد أعداد السكان، وبالتالي زيادة أعداد الطلبة الملتحقين بالجامعات مما يتطلب توفير تعليم ذي جودة عالية، وقليل التكلفة دون الحاجة لإلحاق جميع الطلبة بمقاعد الدراسة (الصريع، 2007).

مساوئ التعلم عن بعد

كما للتعلم عن بعد العديد من الفوائد والإيجابيات، فإن له أيضا العديد من المساوىء والسلبيات، مثل عدم وجود بيئة تفاعلية ومحدودية التواصل أثناء الحصة الإلكترونية، والتركيز على المادة النظرية وصعوبة التطبيق أحيانا ، بالإضافة إلى ميل الطالب للعزلة الاجتماعية فترة التعليم عن بعد،و افتقار بعض الطلبة للمهارات الحاسوبية ومهارات البحث عن المعرفة عبر الإنترنت . ومساوىء وسلبيات عديدة منها:

- تقليل فرص التفاعل الاجتماعي بين المعلم والمتعلم ، و قد يقلل أيضا من التفاعل العلمي حيث يمنعه أو يقلل زيارت المتعلم للمكتبات العلمية ، وقد يعطي التعلم عن بعد للمتعلم فرصة أكبر للغش والسرقات الأدبية وانتهاك حقوق الملكية الفكرية (عامر والموسوي،2010)
- إبتعاد صانعي القرارات والتربويين عن تبني مثل هذ النوع من التعليم لأسباب كثيرة، قد تكون معرفية وفنية وتقنية وإدارية.
- يرافق التعليم عن بعد تغير في صفات وخصائص المعلم، والطالب، والقاعة الصفية، والموادالدراسية،
- ونظم التعليم واسترتيجيات التدريس (Fallow,2007).

المشكلات التي تواجه برامج التعلم عن بعد

هناك العديد من المشكلات التي تواجه تطبيق برامج التعليم عن بعد منها ما يتعلق بأعضاء الهيئة التدريسية، ومنها ما يتعلق بالطلبة، ومنها مايتعلق بالجامعات والمعاهد، وفيما يلي توضيحا لأهم المشكلات التي تواجه برامج التعلم عن بعد :

- **المشكلات المتعلقة بأعضاء الهيئة التدريسية**

قام Blanch المشار إليه في المغربي(2009) بتحليل معوقات تبني لأعضاء هيئة التدريس التعلم عن بعد، وقد توصل للنتائج الآتية:

1- قلة الوعي لدى الجامعات بالفوائد العامة لبرامج التعلم عن بعد.

2-عدم وجدود حوافز تشجع أعضاء هيئة التدريس على المشاركة الفاعلة في برامج التعلم عن بعد.

3-عدم وجود مساحة زمنية لتجربة هذا النوع من التعليم، حيث لا يوجد إلزام لأعضاء الهيئة التدريسية لتغير أسلوبهم وتطبيق هذا النوع من التعليم.

4-إحساس أعضاء هيئة التدريس بأن هذا النوع من التعليم لم يتكامل بعد في خطط وبرامج الجامعات

5-يقوم المعلمون بوجه عام بتدريس مناهج التعلم عن بعد وفقا لاستعدادهم وليس وفقا لخبراتهم.

6-معظم المستشارين الأكاديميين ورؤساء الأقسام لا يهتمون بتحفيز الطلبة على استخدام وسائل غيرمطبوعة(Medui&Sytyanarayana,2015)

- **المشكلات المتعلقة بالطلبة**

هناك العديد من المشكلات والصعوبات التي تواجه طلبة الجامعات والمعاهد والكليات أثناء عملية التعلم عن بعد ومنها:

1- صعوبات ومشكلات فنية وتقنية

2-قلة توفر التغذية الراجعة من قبل أعضاء هيئة التدريس والمحاضرين..

3-عدم وضوح الأرشادات والتوجيهات في الواجبات والمشاريع الجامعية.

4-الصعوبات التي يتعرض لها الطلبة عند الإجراءات الإدارية:، مثل عملية التسجيل ، ودفع الرسوم، أو الحصول على العلامات.

5-نقص الإرشاد للمتعلمين وافتقارهم للدافعية من أجل التعلم (All Maliki,2010)

6-افتقار هذه البرامج لأسلوب التفاعل والاتصال المباشر بين المعلم والطالب (علي،2012).

المشكلات المتعلقة بالجامعات

تعاني الجامعات والمعاهد والكليات وحتى المدارس من مشكلات عديدة أثناء تطبيق برامج التعلم عن بعد والتعلم الإلكتروني، منها ما يتعلق بالمناهج وطرق التدريس، ومنها مايتعلق بالكنولوجيا والتقنية المسخدمة أثناء التدريس والإتصال والتواصل مع الطلبة، ومنها ما يتعلق بالمحاضرين والمعلمين، ومنها مايتعلق بالإمتحانات وعمليات تقييم الطلبة. وبين (الكسجي،2011) أبرز هذه المشكلات ومنها:_

1- تطبيق برامج التعلم عن بعد في غياب تقييم الحاجات.
2- رداءة تصميم المناهج.
3- التكنولوجيا الضعيفة وعدم القدرة على استخدامها بالشكل الصحيح.
4- ندرة الكفاءات في مجالات إعداد المواد التعليمية بأسلوب التعليم عن بعد.
5- ينظر للتعلم عن بعد بعين الشك والريبة من كثير من وزارات التعليم العالي وهيئات الإعتراف بالجامعات والوزارات الأخرى، هذا بدوره يقف حائلا في سبيل تصميم وتطوير تلك البرامج.

الدراسات السابقة

أجريت العديد من الدراسات المحلية والعربية والأجنبية حول موضوع التعليم عن بعد على مستوى المدارس والكليات والجامعات، إلا أن الدراسات حول موضوع التعليم عن بعد ولا سيما في ظل جائحة كورونا جاءت قليلة.

الدراسات المحلية والعربية

أجرى مقدادي(2020) دراسة هدفت للكشف عن تصورات طلبة المرحلة الثانوية في المدارس الحكومية في الأردن في ظل أزمة كورونا ومستجداتها، وللتعرف على دلالة الفروق في تصورات طلبة المرحلة الثانوية عن استخدام التعليم عن بعد في الأردن وفقا لمتغير الجنس، تم تطبيق الدراسة في الفصل الثاني2020، وقد استخدم المنهج الوصفي المسحي ـ تكون مجتمع الدراسة من طلبة المرحلة الثانوية في المدارس الحكومية في لواء قصبة اربد، وتكونت عينة الدراسة من (167) طالبا وطالبة، وتوصلت الدراسة إلى النتائج الآتية : هناك أثرا إيجابيا لاستخدام التعليم عن بعد في ضوء أزمة كورونا في مدارس تربية إربد، وبدرجة كبيرة جدا، وعدم وجود فروق في تقديرات العينة على متوسطات الأداة ككل وفقا لمتغير الجنس(ذكور، إناث).

أجرت المحمادي (2018) دراسة هدفت للتعرف على درجة استفادة الطالب بجامعة الملك عبد العزيز بمدينة جدة ، من استخدام نظام التعليم الإلكتروني(EMES) والتحديات التي تواجه الطلبة فيه،

اتبع الباحث في دراسته المنهج الوصفي، وتكونت عينة الدراسة من (570) طالبا، ومن (115) عضوا من أعضاء هيئة التدريس، وتوصل الباحث إلى النتائج الآتية : بلغ المتوسط العام لدرجة استفادة الطالب من نظام التعليم الإلكتروني (EMES) بدرجة متوسطة(3.86)، بلغ متوسط العام لدرجة التحديات التي يواجهها الطالب من استخدام النظام التعليم الإلكتروني(1.6) بدرجة معوق محتمل.

أجرى الحسن (2014) دراسة هدفت للتعرف على مدى إسهام تكنولوجيا التعليم بمفهومها الشامل المعاصر في برامج التعلم عن بعد، نفذ دراسته في الجامعات السودانية بنمطيها الأحادي المختلط حيث استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي، وصمم استبانة ووزعها على (152) مفحوصا، وأظهرت دراسته النتائج ما يأتي: إن برامج التعلم عن بعد في الجامعات السودانية التي تأخذ النظام المختلط حيال توظيف تكنولوجيا التعليم عن بعد، تمتاز بالضعف من حيث توصيل المعلومة للمتعلم في مكان وجوده، وتفاعله معها، وأظهرت أيضا أن المواد الورقية هي السائدة ، فالتقنيات التعليمية المستخدمة في عملية التعلم عن بعد والتعلم الإلكتروني لم تدمج بعد في التدريس، ولم تصبح جزءا من منظومة المحتوى.

أجرت عقل (2014) دراسة هدفت للتعرف على اتجاهات أعضاء هيئة التدريس في الجامعات الأردنية الحكومية، نحو التعلم عن بعد وعلاقتها ببعض المتغيرات، واستخدم الباحث في دراسته المنهج الوصفي المسحي، بلغ مجتمع الهيئة(1315) عضو هيئة تدريس في الجامعات الأردنية، وبلغت عينة الدراسة (298) عضوا، تم اختيارهم عن طريق العينة العشوائية ، واستخدمت الباحثة الاستبانة وقسمتها إلى أربعة أجزاء اشتملت على (55) فقرة، وتوصلت الدراسة إلى أن : إتجاهات أعضاء هيئة التدريس في الجامعات الأردنية الحكومية نحو التعلم عن بعد، كانت إيجابية متوسطة، وعدم وجود فروق ذات دلالة احصائية عند مستوى الدلالة (a= 0.05) تعزى لمتغير الرتبة الأكاديمية ، وتبين أيضا وجود معيقات تحد من إمكانية تطبيق التعلم عن بعد الحكومية بدرجة متوسطة حسب رأي أعضاء هيئة التدريس، وكان من أهم المعيقات أنه يتم تفضيل أصحاب العمل لخريجي التعلم التقليدي عن التعلم بعد، وعدم وعي أفراد المجتمع بهذا النظام وأنه يناسب بعض التخصصات، وأنه يوجد غموض في فلسفة التعلم عن بعد وأهدافه لدى موظفي ومدرسي الجامعات التقليدية، وأنه يفتقر للخبراء والمتخصصين في عملية وإنتاج مواد التعلم عن بعد.

أجرت حسين(2011) دراسة هدفت إلى الكشف عن تصورات أعضاء هيئة التدريس في جامعة اليرموك، لإمكانية تطبيق نظام التعلم عن بعد، والمعيقات التي تعترض سبل تطبيق هذا النظام في الجامعة. ولتحقيق هدف الدراسة تم تصميم استبانة مكونة من (79) فقرة، توزعت على ستة مجالات

وهي: (التصورات، والإمكانات، ووفرة المواد والأجهزة، والبنية التحتية، الجانب النفسي، والجانب الإجتماعي)، وتكونت عينة الدراسة من (320) عضو هيئة تدريس، و(29) إدرايا من الإداريين في جامعة اليرموك، وتوصلت الدراسة إلى أن النتيجة الآتية: توجد إمكانية لتطبيق نظام التعليم عن بعد في جامعة اليرموك وبدرجة كبيرة عند مجالات الدراسة والأداة ككل، ماعدا المجال الثالث ووفرة المواد والأجهزة جاء بدرجة متوسطة.

الدراسات الأجنبية

أجرت (Yilmaz,2017) دراسة هدفت للتعرف على وجهة نظر المحاضرين بشأن عملية تقييم النجاح الأكاديمي وأداء الطلبة في برامج التعلم عن بعد في الجامعات الحكومية التركية، واستخدم الباحث في دراسته البحثين(النوعي والكمي) حيث قامت الباحثة بإعداد استبانة لجمع المعلومات في البحث الكمي، وإعدادة أداة المقابلة وإجراء مقابلات معمقة بجمع البيانات في البحث النوعي ، وبلغت عينة الدراسة (46) محاضرا يعملون في التعلم عن بعد عبر الإنترنت في جامعات حكومية. وبينت النتائج ما يأتي: إن المحاضرين لا يثقون بالإمتحانات التي تجري عن بعد، وأن الإمتحانات التقليدية غير كافية في تقييم نجاح وأداء الطلبة، وأوصت البحثة باستخدام تقنيات التقييم البديلة في التعلم عن بعد.

قام كل من (Selim&Yildiz,2015) بدراسة هدفت لتحليل انتقال التجارب التعليمية من التعلم النظامي إلى التعلم عن بعد في تركيا، واستخدما المنهج النوعي في دراستهما، وتكونت عينة الدراسة من (12) من الذين حضروا الدورات الرسمية ودورات التعليم عن بعد، وقد عقد الباحثان مقابلات معهم، وأظهرت نتائج تلك المقابلات: أن المواد التعليمية المستخدمة في التعليم الرسمي والتعليم عن بعد هي نفسها، وأشار أعضاء هيئة التدريس أن البنية التحتية والإمكانات التقنية ليست كافية لإستخدام مواد تعليمية مختلفة،وأظهرت نتائج الدراسة أيضا أن أعضاء هيئة التدريس يستخدمون التكنولوجيا دون تغيير وجهة نظرهم التربوية، وهذا السبب الذي يحول دون استخدام مواد تعليمية مختلفة.

وأجرى كل من (Satyanarayana&Meduri,2015) دراسة هدفت للتعرف على تكنولوجيا المعلومات والإتصالات المستخدمة في التعلم المفتوح والتعلم عن بعد، وتقييم أثر التكنولوجيا على التعلم عن بعد في جامعة (براو) في الهند، حيث استخدم الباحثان المنهج الوصفي المسحي في دراستهما، وتكونت عينة الدراسة من (148) من الطلبة الخريجين، و(33) عضوا من أعضاء هيئة التدريس، و(115) مستشارا أكاديميا. وبينت النتائج ما يأتي: ضعف استخدام تكنولوجيا المعلومات من قبل الطلبة، و أن هناك نقصا في المعدات في الجامعة، وأن الدورات التدريبية المقدمة للأكاديميين والمتعلمين والموظفين قليلة.

التعقيب على الدراسات السابقة

- استخدمت بعض الدراسات السابقة موضوع التعليم عن بعد في الجامعات مثل دراسة: الحسن(2014)؛ عقل (2014)؛ حسين (2011).
- استخدمت بعض الدراسات موضوع التعليم عن بعد في المدارس مثل دراسة: مقدادي(2020).
- استخدمت بعض الدراسات المنهج الوصفي مثل دراسة مقدادي(2020)؛ المحمادي(2018)؛ الحسن(2014)؛ عقل (2014)؛ حسين (2011)؛ Satyanarayana&Meduri,2015
- استخدمت بعض الدراسات المنهج النوعي مثل دراسة (Selim&Yildiz,2015)، (Yilmaz,2017)
- استخدمت بعض الدراسات المنهج المزدوج(الكمي، والنوعي) مثل دراسة (Yilmaz,2017)

أوجه التشابه

- تشابهت الدراسة الحالية مع دراسة مقدادي(2020) حيث أنها تناولت موضوع التعلم عن بعد في ظل جائحة كورونا.
- تشابهت الدراسة الحالية مع دراسة كل من (Selim&Yildiz,2015)، (Yilmaz,2017) في منهج الدراسة وهو : المنهج النوعي(المقابلة)
- تشابهت نتائج الدراسة الحالية مع بعض النتائج مثل: Yilmaz(2017) في أن الإمتحانات التقليدية غير كافية في تقييم وإنجاح الطلبة.

أوجه الاختلاف مع الدراسات السابقة

- تختلف هذه الدراسة عن الدراسات السابقة أنها تناولت موضوع التعلم عن بعد في الجامعات الأردنية الحكومية في ظل جائحة كورونا.
- تختلف هذه الدراسة عن الدراسات السابقة في بعض النتائج التي توصلت إليها.

منهج الدراسة

استخدمت الباحثة المنهج النوعي (دراسة الحالة)، عن طريق إجراء مقابلات معمقة مع أعضاء هيئة التدريس في الجامعات الأردنية الحكومية للفصل الدراسي الأول من العام 2021/2020.

مجتمع الدراسة

تكون مجتمع الدراسة من جميع أعضاء هيئة التدريس في الجامعات الحكومية في الأردن للعام الدراسي 2021/2020.

عينة الدراسة

تكونت عينة الدراسة من (16) عضو هيئة تدريس في الجامعات الحكومية الأردنية(الحسين بن طلال، العلوم والتكنولوجيا ، واليرموك، والجامعة الأردنية) للعام الدراسي 2021/2020.

أداة الدراسة (المقابلة)

قامت الباحثة بإعداد أسئلة المقابلة وحرصت أن تكون الأسئلة متكاملة وشاملة لموضوع الدراسة، وبلغ عددها ثلاثة أسئلة رئيسة.

صدق الأداة وموضوعتها

للتأكد من صدق آداة المقابلة، تم عرضها على مجموعة من المختصيين في عدد من الجامعات الأردنية؛ واتفق المحكمون على مناسبة الأسئلة لموضوع الدراسة.

ثبات الأداة:

للتأكد من ثبات الأداة استخدمت الباحثة استراتيجيتين من استراتيجيات ثبات منهج البحث النوعي:

مستخلص المعلومات: وهو باحثة محايدة قامت بتحليل المقابلات، واستخراج أهم الأفكار الواردة فيها، وتم عقد مقارنة بين النتائج التي توصلت إليها الباحثة من خلال استخدام معادلة (هولستي) للثبات بلغت نسبة الإتفاق80%.

السجل الميداني: وهو سجل زمني يوضح تاريخ المقابلات مع المشاركين في الدراسة(أعضاء هيئة التدريس) ، حيث تم عقد المقابلات بطرق مختلفة منها: مقابلات افتراضية ومنها عبر البريد الإلكتروني، ومنها طريق الهاتف الخلوي والتسجيل الصوتي. والملحق (أ) يوضح تاريخ عقد المقابلات.

نتائج الدراسة

السؤال الأول: ما محاسن التعليم عن بعد ومساوئه؟

أجاب عنه معظم المشاركون في الدراسة وكانت محاسن التعليم من وجهة نظرهم كما يلي:

- يساعد التعلم عن بعد الطالب على التعلم الذاتي والإعتماد على النفس والإحساس بروح المسؤولية.
- التخفيف من المصروف اليومي للطالب وعضو هيئة التدريس
- توفير الجهد الضائع للطالب وعضو هيئة التدريس.
- يفيد التعلم عن بعد في استقطاب الأعداد الكبيرة من الطلبة
- - يساعد التعلم عن بعد كل من الطالب والمدرس على تطوير مهاراته وقدراته العلمية والبحثية والتكنولوجية.
- - يوفر التعلم عن بعد استمرار للعمية التعليمية في الحالات الطارئة، والظروف الجوية الصعبة.

مساوئ التعلم عن بعد

- انعدام وجود بيئة دراسية تفاعلية.
- إمكانية الغش في الامتحانات الالكترونية أكبر بكثير من الغش داخل القاعات الدراسية.
- التزام الطلبة في التعلم الالكتروني أو التعلم عن بعد أقل منه في التعليم الوجاهي.
- عدم مراعاة خصوصية الأوقات والأحوال لدى عضو هيئة التدريس.
- التركيز على الإمتحانات فقط لتقييم الطلبة.

نتائج السؤال الثاني:هل الزمن كفيل بإحداث تغيير في تقبل المجتمع للنمط التعليمي الجديد(التعلم عن بعد)؟

أجاب أغلب المشاركين في الدراسة:

- إن الزمن كفيل بإحداث تغيير في تقبل المجتمع للنمط التعليمي (التعلم عن بعد).

نتائج السؤال الثالث : هل سيكون التعليم عن بعد بديلا للتعيلم الوجاهي في الحالات الطارئة والظروف الجوية الصعبة؟

أجاب أغلب المشاركين في الدراسة على

- نعم، من الممكن أن يكون التعليم عن بعد بديلا عن التعليم الوجاهي في الحالات الطارئة والظروف الجوية الصعبة في المستقبل.

التوصيات

1- إعادة النظر في آلية جديدة لتقييم الطلبة في التعليم عن بعد، كإعتماد الأبحاث والمشاريع العلمية بديلا عن الإمتحانات.

2- اعتماد التعليم عن بعد في الحالات الطارئة كانتشار الأوبئة المعدية، أو الظروف الجوية كالإرتفاع أو الإنخفاض الكبيرفي درجات الحرارة، والثلوج والأمطار، وحالات الجفاف والغبار.

3- التوجه إلى جعل المساقات الإجبارية العامة ذات الأعداد الكبيرة من الطلبة إلى مساقات إلكترونية وتدريسها عن بعد.

4- توفير الإنترنت المجاني للطلبة والمدرسين.

5- التطوير المستمر للبنى التحتية الخاصة بالتكنولوجيا باستمرار.

6- إجراء المزيد من البحوث والدراسات حول هذا النوع من التعليم(التعليم عن بعد) وكيفية الاستفادة منه على نطاق أكبر في السنوات القادمة.

المراجع باللغة العربية

- الحجايا، محمد نائل(2010). واقع التعليم الالكتروني في الجامعات الأردنية.ورقة علمية مقدمة للمؤتمرالدولي الثالث حول التعلم الالكتروني بعنوان" دور التعلم الالكترون يفي تعزيز مجتمعات المعرفة" في الفترة 6-8/ 4،مركز زين للتعلم الإلكتروني، البحرين.
- الحسن، عصام إدريس كمتور.(2014). مدى إسهام تكنولوجيا التعليم في برامج التعلم عن بعد المتبعة بالجامعات السودانية. *مجلة دراسات تربوية*،(3)، 118-158.
- حسين، ثناء .(2011). تصورات أعضاء الهيئة التدريسية والإداريين في جامعة اليرموك نحو إمكانية تطبيق نظام التعلم عن بعد والمعوقات التي تواجه ذلك. **رسالة ماجستير غير منشورة** ، جامعة اليرموك، اربد، الأردن.
- الرسول، أشرف شوقي. (2020). **أبناؤنا والتعلم عن بعد**. استرجع في الثامن والعشرين من كانون أول من المصدر الالكتروني -https://www.new educ.com/%D8%A3%D8%A8%D9%86%D8%A7%D8%A4%D9%86%D8%A7-%D9%88-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%B9%D9%84%D9%8A%D9%85-%D8%B9%D9%86-%D8%A8%D8%B9%D8%AF
- حسن، حسين زيتون.(2005) **.رؤية جديدة في التعلم_التعلم الإلكتروني-المفهوم0 القضايا- التطبيق- التقويم**،الرياض: الدار الصوتية للتربية.

- طالب الصريع، التعليم المفتوح والتعلم عن بعد والتشريعات العربية،الإصدار السابع، إصدارات الشبكة العربية للتعليم المفتوح، 2007.

- عامر، طلال والموسري،علي شرف.(2010). معايير الأنماط الأخلاقية لاستخدام الحاسوب والانترنت من قبل أعضاء هيئة التدريس في مؤسسات التعليم العالي العربية. *مجلة كلية التربية*، جامعة بنها، مصر،21 (84)، 179-226.

- علي، عواطف.(2012). استخدام تكنولوجيا المعلومات في التعليم عن بعد. جامعة الخرطوم،1، 1-54.

- الكسجي، فلسطين.(2011). **الجودة في التعلم عن بعد**.عمان، دار أسامة للنشر والتوزيع.
- عقل، كوثر رزق يوس.(2014). اتجاهات أعضاء هيئة التدريس في الجامعات الأردنية الحكومية نحو التعلم عن بعد وعلاقته ببعض المتغيرات، **رسالة ماجستير** ، كلية الدراسات العليا،الجامعة الأردنية، الأردن.
- عوض، منير.(2015). " الإتجاه نحو تكنولوجيا التعليم عن بعد وعلاقته ببعض المتغيرات لدى طلبة الدراسات العليا في الجامعات الفلسطينية، *مجلة جامعة الأقصى*، 19، 219-256.

- المحمادي، غدير.(2018). تقويم واقع استخدام نظام التعليم الإلكتروني(EMES) في برنامج التعليم عن بعد بجامعة الملك عبدالله بن عبد العزيزمن وجهة نظر الطلاب . *مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية*، جامعة بابل ،(39).
- مقدادي، محمد أحمد .(2020). تصورات طلبة المرحلة الثانويةو في المدارس 0الحكومية في الأردن لإستخدام التعليم عن بعد في ظل أزمة كورونا ومستجداتها". *المجلة العربية للنشر العلمي*. (1) ، ص 96-114.
- مركز الملك سلمان للإغاثة والأعمال الإنسانية. (2020). التعلم عن بعد، مفهومه، أدواته واستراتيجياته. دليل لصانعي السياسات في التعليم الأكاديمي والمهني والتقني. منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم.
- المغربي، أحمد.(2009). **التعليم عن بعد**. القاهرة: دار الأكاديمية للعلوم.

- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.(2005). **الإستراتيجية العربية للتعلم عن بعد**.تونس: إدارة التربية.
- الهمامي، حمد بن يوسف وإبراهيم، حجازي.(2020). التعلم عن بعد، مفهومه، أدواته واستراتيجياته، دليل لصانعي السياسات في التعليم الأكاديمي والمهني والتقني. منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم.

المراجع باللغة الأجنبية:

1. Greenberg, G. (1998). Distance Education Techhnologies:Best Practices for K-12 SETTINGS. IEEE Technology and Society Mazaine .Vol(14).no(1),p 99-110
2. Holmberg,B. (1995). The Evoluation of the Character and Practice of Distansce Education. open Leaqrning.10,44-47.
3. Falowo, R.O(2007). Factors lmpeding imployment‌ation of web-Based Distance Learning.*AACE Journa*l,vol(15),No(3),p315-338
4. Meduri, E., Satyanarayana,P. (2015), Use of information and communication technologies in Indians first open university Experience and Perception of Learners and Learn
5. Satyanarayana,P. Meduri,E. (2015). "Use of information and communication technologies in Indians first open university". Experience and perception of leaners and learn support providers"Turkish Online Journal of Distance Education,16, 1302-6488
6. Yildis,M. Selim, Y. (2015). "A qualitative study on transferring the experience of using technology from formal education to distance education "Turkish Online Journal of Distance Education ,16, 1302- 6488

7. Yilmaz, R. (2017).Problems experienced in evaluating success and performance education:A case study"*Turkish Onlin Journal of Distance Education*,18.1302-6488.

الملحق(أ)

قائمة بأعضاء هيئة التدريس المشاركين في الدراسة

الرقم	الإسم	الجامعة	تاريخ عقد المقابلة
-11	د سلطان القرعان	الحسين بن طلال	2020/12/25
-2	د.عفاف أبو سرحان	الحسين بن طلال	2020/12/25
-3	د. محمد نعيمات	الحسين بن طلال	2020/12/26
-4	د. لانا كريشان	الحسين بن طلال	2020/12/31
-5	أ.د خالد العطيات	الحسين بن طلال	2021/1/1
-6	د. سرحان الطوالبة	الحسين بن طلال	2021/1/1
-7	د. محمد الجازي	الحسين بن طلال	2021/1/2
-8	د. حسين الشقيرات	الحسين بن طلال	2021/1/2
-9	أ.د حسن البكور	الحسين بن طلال	2021/1/3
-10	د. مخلد معايعة	العلوم والتكنولوجيا	2021/1/4
-11	د. محمد الوديان	العلوم والتكنولوجيا	2021/1/5
-12	أ.د فداء المومني	العلوم والتكنولوجيا	2021/1/10
-13	أ.د سمية الشوابكة	الجامعة الأردنية	2021/1/12
-14	د. محمد العلاونة	جامعة اليرموك	2021/1/15
-15	أ.د خالد بني خالد	جامعة اليرموك	2021/1/15
-16	د. لؤي خويلة	جامعة اليرموك	2021/1/17

دور التوظيف الخاطئ لتكنولوجيا الذكاء الاصطناعي والتعليم عن بعد في تشويه المشهد التربوي المعاصر

الدكتور لولوه عمر العبد
الجمهورية العربية السورية كلية التربية- جامعة دمشق.
lulwa.alabed2022@damascusuniversity.edu.sy
00963998259682

الملخص:
تتضح مشكلة البحث في أن المتعلمين في الميدان التّعليمي يحاولون الاستفادة من هذه الإمكانيات والقدرات الهائلة للذكاء الاصطناعي في حل المهام والواجبات المعقدة التي قد يجد المتعلمون صعوبة بالغة في حلها، ولكن بأسلوب بدأ يشكل تهديداً لمصداقية العمل التّعليمي، تنبع أهمية البحث بالدرجة الأولى في التنويه إلى خطر حقيقي يستهدف المشهد التربوي المعاصر وهو الاعتماد على الآلة وإلغاء دور الإنسان، ولذلك هدف هذا البحث إلى تعرف واقع استخدام تطبيقات الذكاء الاصطناعي والتّعليم عن بعد في العملية التّعليمية المعاصرة، وتعرف دور الذكاء الاصطناعي والتعلم عن بعد في تشويه المشهد التربوي المعاصر، وأخيراً تقديم توصيات ومقترحات لحل لمشكلة، استخدم البحث المنهج الوصفي، حيث تم توزيع استبانة على عينة من طلبة الجامعات بلغ عددهم (84) طالباً وطالبة، وتم جمع البيانات ومعالجتها من خلال الوسائل الإحصائية المناسبة كالمتوسطات الحسابية، والانحرافات المعيارية، ولقد تبين في نتائج الدراسة أندرجة استخدام تطبيقات الذكاء الاصطناعي والتعليم عن بعد في العملية التعليمية المعاصرة كانت متوسطة، بينما كان دور الذكاء الاصطناعي والتعلم عن بعد في تطوير التعليم المعاصر مرتفعاً، في حين كان دور الذكاء الاصطناعي والتعلم عن بعد في تطوير التعليم المعاصر منخفضاً

الكلمات المفتاحية: التوظيف التّعليمي، التكنولوجيا، الذكاء الاصطناعي، التّعليم عن بعد، التّعليم المعاصر.

The role of incorrect employment of artificial intelligence technology and distance education In distorting the contemporary educational scene

Dr. Lulwa Omar Al-Abd
Syrian Arab Republic, Faculty of Education,
Damascus University

Abstract
The research problem is about the Learners in the educational field are trying to take advantage of these enormous capabilities and capabilities of artificial intelligence in solving complex tasks and assignments that learners may find very difficult to solve. but in a way that has begun to pose a threat to the credibility of educational work. Contemporary, which depends on magic and the abolition of the human role, notes this research aims to know the reality of the use of artificial intelligence applications and its education after the contemporary educational method, and to know the role of artificial intelligence and its learning after in the contemporary educational survey process, and to provide recommendations and proposals to solve a problem, The descriptive approach was used, where a questionnaire was distributed to a sample of university students, numbering (84) male and female students, and the data was collected and processed through appropriate statistical means such as arithmetic averages and standard deviations. The results of the study showed that the degree of use of artificial intelligence applications and distance learning in the contemporary educational process was moderate, while the role of artificial intelligence and distance learning in developing contemporary education was high, while the role of artificial intelligence and distance learning in developing contemporary education was low.
Keywords: Educational Employment, Technology, Artificial Intelligence, Distance Education, Contemporary Education.

مقدمة البحث:

من الجلي أنّ تقنيات الذّكاء الاصطناعي أثرت على الحياة بشكلً كبير، وعلى الرّغم من أن هذا التّأثير كان متفاوتاً من مجال لآخر، إلا أنّ هناك تغيرات جذرية قد فرضت على نمط الحياة وأساليب التّكييف مع المعطيات التي أفرزتها الثّورة الصّناعية، ولعل الأنظمة التّربوية والتّعليمية نالت النّصيب الأكبر في حجم التّأثر بهذا التّطور، وذلك بسبب الشّغف التّكنولوجي الذي سيطر على الأجيال الحالية، مما يجعل أساليب تعليمهم في الوقت الحالي بحاجة إلى تطوير مستمر، ولقد زاد الاهتمام في تقنيات التّعليم عن بعد، وأصبح العمل أكثر جدية من أجل تطويره وتحسين خدماته، ولاسيما في الأوقات التي لا يسمح للمتعلمين فيها متابعة تعليمهم لأسباب متعددة. فالذكاء الاصطناعي يتيح العديد من الأدوات التي يمكن أن تستخدم في التّعليم لتوفر الوقت والجهد، بينما يتيح التّعليم عن بعد مواجهة التحديات الخاصة في التّعليم الصفي.

لقد ساعدت هذه الابتكارات التقنية بتطوير التّعليم المعاصر، وإحداث نقلة نوعية في طبيعة الأهداف والمخرجات التّعليمية، خاصة وأنّ معايير الجودة في مؤسسات التعليم قد تحولت بشكل جذري وفقاً للمعطيات الجديدة التي أنتجتها الابتكارات التقنية، مما تتطلب اهتماماً متزايداً في برامج التّعليم في مختلف المراحل الدراسية، وذلك بهدف الإفادة من تقنيات الذكاء الاصطناعي والتّعليم عن بعد في تطوير الخبرات التّعليمية والحصول على مخرجات قادرة على التكيف الصحيح مع هذه التقنيات، وقادرة على تجنب المشكلات المستقبلية التي قد يسببها انتشار هذه التكنولوجيا دون ضوابط أو قوانين ناظمة للعمل، ولا سيما أن معظم الدول بدأت بوضع خطط مستقبلية من أجل الإفادة من التكنولوجيا، فلقد وضعت الكويت خطة التنمية الوطنية لرؤية الكويت 2035 من أجل الإفادة من التكنولوجيا في إعداد رأس مال بشري إبداعي من خلال توفير بنى تحتية متطورة (باطوح والمناور، 2020، ص38)، وأيضاً في الاتجاه ذاته تضع المملكة العربية السعودية عدة ركائز لرؤيتها للمملكة في 2030، وذلك من خلال تغير ديناميكيات التدريس وتوسيع قطاعات التّعليم (اليامي، 2018، ص32)، كما أطلقت مصر خطة استراتيجية طويلة المدى، تسعى لتوفير متطلبات التحول الرقمي في رؤية مصر 2030(محمد، 2023، ص51)، ولقد أطلقت وكالة الأخبار السورية عن إعلان سورية لاستراتيجية التحول الرقمي الممتدة حتى عام 2030، وضرورة تجهيز الكوادر التي ستساعد في تحقيق تلك الرؤيا (الوكالة العربية السورية للأنباء، 2022).

وأمام هذه الخطط المستقبلية لابد من الانتباه إلى أن عدم وضع قوانين صارمة عند تفعيل هذه الاستراتيجيات والخطط المستقبلية، والاكتفاء بالفوائد دون أن نلقي بالاً للعواقب الوخيمة التي قد تفرزها هذه التقنيات في تشويه المشهد التربوي المعاصر، ونوعية المخرجات التّعليمية في الوقت الحالي أو في المستقبل، سيؤثر سلباً على التعليم المعاصر بكلّ أبعاده، وهذا ما دفع الباحثة إلى دراسة دور التوظيف الخاطئ لتكنولوجيا الذكاء الاصطناعي والتّعليم عن بعد في تشويه المشهد التربوي المعاصر.

مشكلة البحث:

إن عملية التّعليم بعناصرها المختلفة تعد حجر الأساس في تحقيق النّهضة العلمية لأي مجتمع، ولذا فإن الاهتمام بتطوير هذه العملية وتحسين كفاءة مخرجاتها يعد مطلباً وطنياً في كل بلدان العالم، ويتوجب علينا البحث المستمر عن كلّ ما يمكن الإفادة منه في النّهوض في التّعليم وجعله أكثر كفاءة وفاعلية من خلال الاستفادة من التّطور في المجال التقني والعلمي، الذي فرض نفسه بشكل كبير في كافة مجالات الحياة.

ومع ظهور الاتجاهات الحديثة نحو التحول الرقمي، والإفادة من التكنولوجيا في التّعليم، كان لابد من تعرف أثر استخدام التقنيات والابتكارات الحديثة على ميدان التّعليم والمخرجات النوعية التي نسعى جاهدين لتطوير مكتسباتها ومستواها العلمي، حيث أن جميع المؤسسات التّعليمية دون استثناء تهدف إلى إعداد أجيال قويّة علمياً متمكنة من العلم والمعرفة، وتهتم بإعداد المتعلمين وتزويدهمبالمعارف النظرية والمهارات العلمية التي تمكنهم من التعلم بكفاءة عالية، وهنا لابد من التنويه على أن الدّور الأهم للمؤسسات التّعليمية يكمن في مساعدة المتعلمين على استخدام التكنولوجيا بشكل واعٍ ومدروس، من خلال إعداد متعلم قادر على إدراك المفاهيم التكنولوجية المبتكرة، ولديه المستوى المطلوب من الوعي التكنولوجي الذي يمكنه من التكيف مع ما ظهر مؤخراً من تقنيات تعليمية حديثة، ولا سيما في ظل انتشار التّعليم عن بعد ومنافسته للتعليم التقليدي في كثير من الظروف، كما أن الذكاء الاصطناعي وأدواته المختلفة قدم إمكانيات فريدة في تحسين المستوى التّعليمي وتطوير الأداء في جميع المؤسسات التّعليمية.

فقد بدأ المتعلمون فعلياً في الاستفادة من الإمكانيات والقدرات الهائلة للذكاء الاصطناعي في حل المهام والواجبات المعقدة التي قد يجد المتعلمون صعوبة بالغة في حلها، وهذا ما أكدته كلاً من دراسة (عمار وماطوسي، 2022)، ودراسة (العتل وأخرون، 2020)، إلا أن بعض المتعلمين قد حاولوا استخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي والتّعليم عن بعد بأسلوب بدأ يشكل تهديداً لمصداقية العمل التّعليمي، فهناك بعض الممارسات غير الواعية التي بدأت في الإساءة لموضوعية التّعليم وتحقيق الأهداف والغايات السامية التي يسعى إلى تحقيقها، خاصة وأن هذا الاستخدام متاح دون وجود أي ضوابط أو قواعد أو قوانين تحكم توظيف هذه التقنيات في التّعليم، وتقنن استخدامها بما يطور القدرات العقلية للمتعلم وعمليات التفكير لديه، وهذا ما نوهت عليه دراستريبر (Rieber, 2017) التي بينت أن المتعلمين يستخدمون تقنيات الذكاء الاصطناعي والتّعليم عن بعد في الانتحال الالكتروني والتزوير، وأيضاً دراسة أوليفيا وزملاؤها (Olivia, et.al, 2019) التي بينت أن المتعلمون يلجؤون إلى الغش الالكتروني من خلال ترجمة النصوص وسرقتها دون الاستشهاد بمصادرها، كما أن يستخدمون أدوات الذكاء الاصطناعي في إتمام أعمالهم الأكاديمية، ومن جانب آخر نجد أن مخرجات التّعليم عن بعد قد تفتقر إلى بعض المهارات والخبرات، ولا سيما انعدام البيئة الاجتماعية الحقيقية، إضافة إلى عدم حصول المتعلم على التقييم المستمر

كما هو الحال في التّعليم الواقعي، مما يقلل من أهمية وجودة المخرجات التّعليمية في التّعليم المعاصر وهذا ما نوهت إليه دراسةمحمد وكانيت (Muhammad &Kainat, 2020)، وبذلك تتحدد **مشكلة البحث:** بالسؤال الرئيسي: ما دور التوظيف الخاطئ لتكنولوجيا الذكاء الاصطناعي والتّعليم عن بعد في تشويه المشهد التربوي المعاصر.

يتفرع عنه الأسئلة التالية:

- ما واقع استخدام تطبيقات الذكاء الاصطناعي والتّعليم عن بعد في العملية التّعليمية المعاصرة.
- ما دور الذكاء الاصطناعي والتعلم عن بعد في تطوير التّعليم المعاصر.
- ما دور التوظيف الخاطئ للذكاء الاصطناعي والتعلم عن بعد في تشويه المشهد التربوي المعاصر فيما يتعلق (بالغش الالكتروني، الانتحال الالكتروني، نوعية المخرجات، السمعة العلمية للجامعات).

أهمية البحث:تنبع أهمية البحث الحالي في:

- التنويه إلى خطر حقيقي يستهدف المشهد التربوي المعاصر وهو الاعتماد على الآلة وإلغاء دور الإنسان.
- التقليل من قيمة المخرجات التّعليمية في العصر الحالي نتيجة بعض الممارسات الخاطئة.
- قد يلفت البحث الانتباه إلى نشر الوعي حول قيم النزاهة الأكاديمية وأصول احترام الملكية الفكرية.
- من المؤمل أن يتم التركيز على الجانب الأدائي عند اعتماد تقنيات التعليم عن بعد والذكاء الاصطناعي

أهداف البحث:حاول البحث تحقيق الأهداف التالية:

- دراسةواقع استخدام تطبيقات الذكاء الاصطناعي والتّعليم عن بعد في العملية التّعليمية المعاصرة.
- تعرف دور الذكاء الاصطناعي والتعلم عن بعد في تطوير التّعليم المعاصر.
- تعرف دور التوظيف الخاطئ للذكاء الاصطناعي والتعلم عن بعد في تشويه المشهد التربوي المعاصر فيما يتعلق (بالغش الالكتروني، الانتحال الالكتروني، نوعية المخرجات، السمعة العلمية للجامعات).

حدود البحث:يقع البحث ضمن الحدود التالية:

1. **الحدود الموضوعية:** دور التوظيف الخاطئ للذكاء الاصطناعي والتعلم عن بعد في تشويه المشهد التربوي المعاصر.

2. **الحدود المكانية:** الجامعات السورية.
3. **الجدود الزمانية:** تم تطبيق هذا البحث خلال شهري أيار ونيسان من العام 2023.
4. **الحدود البشرية:** تم تطبيق البحث على عينة من طلاب الجامعات السورية، وقد بلغ عددهم (84) طالباً وطالبة. وقد تم سحب العينة بالطريقة العشوائية الطبقية, وتكونت من (84) طالب وطالبة, والجدول الآتي يوضح توصيف خصائص أفراد العينة:

الجدول (1): توصيف خصائص أفراد العينة:

المتغير	المستويات	العدد
الجنس	ذكور	39
	إناث	45
التخصص	نظري	55
	تطبيقي	29
نوع الجامعة	تقليدية	43
	افتراضية	41
العدد الكلي		**84**

فروض البحث: اختبرت الفرضيات الآتية عند مستوى الدلالة (0.05):

1. لا يوجد فرق ذو دلالة إحصائية بين متوسطي إجابات الطلاب حول واقع استخدام تطبيقات الذكاء الاصطناعي والتعليم عن بعد في العملية التعليمية المعاصرة وفقاً لمتغيرات (الجنس، نوع الجامعة، التخصص).
2. لا يوجد فرق ذو دلالة إحصائية بين متوسطي إجابات الطلاب حول دور التوظيف الخاطئ للذكاء الاصطناعي والتعلم عن بعد في تشويه المشهد التربوي فيما يتعلق (بالغش الالكتروني، الانتحال الالكتروني، نوعية المخرجات، السمعة العلمية للجامعات) وفقاً لمتغيرات (الجنس، نوع الجامعة، التخصص).
3. لا يوجد فرق ذو دلالة إحصائية بين متوسطي إجابات الطلاب حول دور التوظيف الخاطئ للذكاء الاصطناعي والتعلم عن بعد في تشويه المشهد التربوي المعاصر فيما يتعلق (بالغش الالكتروني، الانتحال الالكتروني، نوعية المخرجات، السمعة العلمية للجامعات) وفقاً لمتغيرات (الجنس، نوع الجامعة، التخصص).

الدراسات السابقة:

كانت الدراسات السابقة المتعلقة بموضوع البحث قليلة بعض الشيء، وقد حاولت الباحثة جمع بعض الدراسات التي وجدتها قريبة من موضوع بحثها قدر الإمكان، وقد تم ترتيب الدراسات من الأحدث وحتى الأقدم وفق التالي:

1- دراسة جيدليسوزملاؤه (Gaidelys, et.al, 2023) والتي هدفت إلى تعرف أثر التعليم عن بعد على تنظيم التعليم، طبقت الدراسة على تلاميذ المدرسة البالغ عددهم (500) تلميذ، واستخدم المنهج الكمي، وتم استخدام الملاحظات ونتائج الاختبارات، وبينت الدراسة أن نتائج التعليم تدهورت بشكل كبير، إلا أن الجوانب الإيجابية للتعليم عن بعد وكانت العوامل الإيجابية للتعلم عن بعد التي تؤثر على عملية التعلم وبالتالي نتائج التعلم هي البيئة المريحة، وإمكانية استخدام مجموعة متنوعة من الوسائل التعليمية المتاحة في المنزل، وإمكانية الاطلاع على سجلات الدروس في وقت مناسب للتلاميذ.

2- دراسة (جوابرة، 2021) التي هدفت إلىلتعليم الإلكتروني وتأثيره على مخرجات التعليم في ظل جائحة كورنا الجامعات الفلسطينية بغزة أنموذجاً، وطبقت على عدد من المتعلمين بلغ عددهم (88)، أما منهج الدراسة فكان منهجاً وصفياً، واستخدمت الدراسة الاستبيان كأداة للدراسة، جاءت الدرجة الكلية لمجال سلبيات التعليم الالكتروني مرتفعة ومجال ايجابيات التعلم الالكتروني ومجال مخرجات التعلم الالكتروني متوسطة، وأيضا كشفت النتائج عن عدم وجود فروق ذات دلالة احصائية تعزى لمتغيرات الجنس، والكلية ، والمرحلة الجامعية في مجالي الايجابيات والمخرجات ، أما في مجال السلبيات فهناك فروق ذات دلالة احصائية تعزى لمتغير المرحلة الجامعية. كما كشفت الدراسة أيضاً عن وجود فروق دالة إحصائياً تعزى لمتغير الجامعة.

3- دراسة(الزيني والصادق، 2020) التي هدفت إلى تجربة التعلم الالكتروني والتقييم عبر الأنترنت أثناء جائحة كورونا (COVID-19) في كلية الطب بجامعة القصيم في المملكة العربية السعودية، وتأثير التعلم الالكتروني وتقييمه على أداء الطلاب وأعضاء هيئة التدريس، طبقت الدراسة على مجموعة من الطلاب بلغ عدهم (794)، وتم اعتماد المنهج الوصفي، حيث استخدم الاستبيان كأداة للدراسة، وبينت النتائج أن التعليم الالكتروني طور من أداء الطلاب وأعضاء الهيئة التدريسية ولا سيما في الجانب التكنولوجي.

4- دراسة (كريم، 2020) هدفت إلى الغش الإلكتروني وتأثيره على مستوى التعليم من وجهة نظر تدريسي الجامعة، طبقت الدراسة على (180) مدرساً، استخدم المنهج الوصفي، وطبقت الاستبانة كأداة للدراسة، وبينت النتائج أن الغش الالكتروني يقلل من قيمة التعليم.

5- دراسة (مراد وجوهر، 2019) هدفت إلى تعرف على التحديات التي تواجه استخدام نظم كشف الانتحال العلمي في البحوث التربوية و ذلك من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس بكلية التربية بجامعة دمياط، طبقت الدراسة على أعضاء هيئة التدريس في الكلية وبلغ عددهم (56) مدرساً، استخدم المنهج الوصفي والاستبيان أداة للدراسة، وبينت الدراسة أنه من الصعب كشف عمليات الانتحال العلمي في البحوث التربوية نتيجة لبعض التحديات ومن أهمها عدم وجود مكتبة الكترونية شاملة لجميع البحوث التربوية ، و كذلك عدم قدرة النظم الالكترونية على كشف الانتحال الفكري.

التعقيب على الدراسات السابقة: تنوعت أهداف الدراسات السابقة، ولكن معظمها اعتمدت المنهج الوصفي لتتشابه بذلك مع البحث الحالي، أيضاً معظم الدراسات طبقت الاستبانة كأداة للدراسة وهي تتفق مع أداة البحث الحالي، أما عينة الدراسة في الدراسات السابقة تنوعت بين المعلمين والمتعلمين، وهنا ركز هذا البحث على المتعلمين ولا سيما طلاب الجامعات. ويتميز البحث الحالي عن الدراسات السابقة في الأهداف والمحاور التي ركز عليها حيث لم تطرح هذه المحاور في دراسات سابقة.

أدوات البحث:تتمثل أداة البحث في استبانة لتحديد دور التوظيف الخاطئ لتكنولوجيا الذكاء الاصطناعي والتعليم عن بعد في تشويه المشهد التربوي المعاصر، وقد تم إعداد الاستبانة وفق الآتي:

1- **تحديد الهدف من الاستبانة:**تم إعداد الاستبانة من أجل تحديد دور التوظيف الخاطئ لتكنولوجيا الذكاء الاصطناعي والتعليم عن بعد في تشويه المشهد التربوي المعاصر.

2- **تحديد مصادر إعداد الاستبانة:**تم تصميم الاستبانة استناداً إلى بعض الدراسات السابقة ذات الصلة كدراسة (الزيني والصادق، 2020) ودراسة (كريم، 2020) ودراسة (مراد وجوهر، 2019).

3- **تصميم الصورة الأولية للاستبانة:**اشتملت الصورة الأولية للاستبانة على ثلاثة محاور يندرج تحتها (40) بنداً فرعياً, وقد تم التحقق من صدقها وثباتها وفق الآتي:

أولاً: صدق الاستبانة: تم حساب صدق الاستبانة من خلال:

-صدق المحتوى: تم التأكد من صدق الاستبانة بطريقة صدق المحتوى من خلال عرضها على مجموعة من المحكمين في تخصص والمناهج وطرائق التدريس, وتقنيات التعليم , بغية تحديد مدى مناسبة الاستبانة لتحقيق الهدف من البحث, وارتباط كل بند بالمحور الذي أدرج تحته, وكان أبرز التعديلات:تحويل العبارات إلى جمل فعلية، اختصار بعض البنود، وفصلها إلى بنود متفرقة

- **صدق الاتساق الداخلي:** تم التحقق من صدق الاتساق الداخلي للاستبانة من خلال تطبيقها على عينة استطلاعية تكونت من (30) طالباً وطالبة من خارج عينة الدراسة, ثم حساب معامل ارتباط بيرسون بين درجة كل عبارة من عبارات الاستبانة والدرجة الكلية للمحور الذي تنتمي إليه باستخدام برنامج spss, والجدول الآتي يوضح النتائج:

الجدول (2): درجة ارتباط العبارات بالدرجة الكلية للمحور الذي تنتمي إليه

المحور الأول		المحور الثاني		المحور الثالث							
الرقم	معامل الارتباط	الرقم	معامل الارتباط	الرقم	معامل الارتباط	الرقم	معامل الارتباط	الرقم	معامل الارتباط	الرقم	معامل الارتباط
1	**0.63	7	**0.75	14	**0.72	20	**0.78	29	**0.75	35	**0.61
2	**0.75	8	**0.76	15	**0.63	21	**0.57	30	**0.71	36	**0.73
3	**0.71	9	**0.67	16	**0.77	22	**0.61	31	**0.62	37	**0.62
4	**0.59	10	**0.70	17	**0.64	23	**0.72	32	**0.73	38	**0.80
5	**0.65	11	**0.69	18	**0.72	24	**0.65	33	**0.62	39	**0.72
6	**0.63	12	**0.62	19	**0.68	25	**0.63	34	**0.73	40	**0.69
		13	**0.77			26	**0.74				
						27	**0.62				
						28	**0.73				

يتضح من الجدول السابق أن قيمة معامل ارتباط بيرسون بين كل عبارة من عبارات الاستبانة والدرجة الكلية للمحور الذي تنتمي إليه تتراوح ما بين (0.57 و0.80)وهي جميعها دالة عند مستوى دلالة 0.01, مما يشير إلى صدق الاتساق الداخلي للاستبانة.

كما تم حساب معامل الارتباط بيرسون بين درجات عبارات أبعاد المحور الثالث والدرجة الكلية للبعد الذي تنتمي إليه, والجدول الآتي يوضح النتائج:

الجدول (3): درجة ارتباط عبارات أبعاد المحور الثالث والدرجة الكلية للبعد الذي تنتمي إليه:

المحور الثالث							
البعد الأول		البعد الثاني		البعد الثالث		البعد الرابع	
الرقم	معامل الارتباط	الرقم	معامل الارتباط	الرقم	معامل الارتباط	الرقم	معامل الارتباط

14	**0.82	20	**0.68	29	**0.65	35	**0.66
15	**0.65	21	**0.79	30	**0.81	36	**0.69
16	**0.83	22	**0.71	31	**0.64	37	**0.68
17	**0.66	23	**0.64	32	**0.71	38	**0.73
18	**0.73	24	**0.69	33	**0.61	39	**0.68
19	**0.59	25	**0.71	34	**0.72	40	**0.61
		26	**0.76				
		27	**0.65				
		28	**0.73				

يتضح من الجدول السابق أن قيمة معامل ارتباط بيرسون بين كل عبارة من عبارات الأبعاد والدرجة الكلية للبعد الذي تنتمي إليه تتراوح ما بين (0.59 و0.83) وهي جميعها دالة عند مستوى دلالة 0.01, مما يؤكد صدق الاتساق الداخلي للاستبانة, كما تم حساب معامل ارتباط كل بعد من الأبعاد الأربعة بالدرجة الكلية للمحور الثالث, والجدول الآتي يوضح النتائج:

الجدول (4): درجة ارتباط كل بعد من أبعاد المحور الثالث بالدرجة الكلية للمحور:

الأبعاد	معامل الارتباط
البعد الأول	**0.85
البعد الثاني	**0.87
البعد الثالث	**0.84
البعد الرابع	**0.88

يتضح من الجدول السابق أن قيم معامل ارتباط بيرسون بين كل بعد من أبعاد المحور الثالث والدرجة الكلية للمحور دالة عند مستوى دلالة 0.01, مما يؤكد صدق الاتساق الداخلي للاستبانة.

2. ثبات الاستبانة:

-معامل ألفا كرو نباخ: للتأكد من ثبات الاستبانة تم استخدم معامل ألفا كرو نباخ لكل محور من محاور الاستبانة وللاستبانة ككل, وكانت النتائج على النحو الآتي:

الجدول (5): معاملات ثبات الاستبانة باستخدام معامل ألفا كرو نباخ

المحاور		عدد المفردات	معامل الثبات بطريقة ألفاكرونباخ
المحور الأول		6	0.81
المحور الثاني		7	0.82
المحور الثالث	البعد الأول	6	0.85
	البعد الثاني	9	0.83
	البعد الثالث	6	0.82
	البعد الرابع	6	0.86
	المحور ككل	27	0.88
الاستبانة ككل		40	0.92

يتضح من الجدول السابق أن معاملات ثبات الاستبانة ككل والمحاور الثلاثة عالية ودالة إحصائياً بطريقة ألفا كرونباخ, وهو مؤشر إلى إمكانية ثبات النتائج التي سيتم التوصل إليها من خلال الاستبانة.

-طريقة التجزئة النصفية:

تم استخدام درجات العينة الاستطلاعية لحساب ثبات الاستبانة بطريقة التجزئة النصفية, حيث تم تقسيم عبارات الاستبانة إلى قسمين متكافئين (عبارات فردية وعبارات زوجية), وتم حساب معامل الارتباط بين النصفين, وكانت النتائج على النحو الآتي:

الجدول (6): معامل الثبات بطريقة التجزئة النصفية

المحاور		عدد المفردات	معامل الثبات بطريقة التجزئة النصفية
المحور الأول		6	0.80
المحور الثاني		7	0.83
المحور الثالث	البعد الأول	6	0.83
	البعد الثاني	9	0.82
	البعد الثالث	6	0.79
	البعد الرابع	6	0.84
	المحور ككل	27	0.87
الاستبانة ككل		40	0.91

يتضح من الجدول السابق أن معاملات ثبات الاستبانة ككل, والمحاور الثلاثة عالية ودالة إحصائياً بطريقة التجزئة النصفية, وهو مؤشر آخر إلى ثبات النتائج التي سيتم التوصل إليها من خلال الاستبانة.

-طريقة الإعادة: تم حساب معامل ثبات الاستبانة بطريقة الإعادة من خلال إعادة تطبيقها على أفراد العينة الاستطلاعية ذاتهم (30 طالب وطالبة) بعد مرور 15 يوماً على التطبيق الأول, ثم حساب معامل الارتباط بيرسون بين درجات أفراد العينة في التطبيقين الأول والثاني, وكانت النتائج على النحو الآتي:

الجدول (7): معاملات ثبات الاستبانة بطريقة الإعادة

المحاور	عدد المفردات	معامل الثبات بطريقة الإعادة
المحور الأول	6	0.91

المحور الثاني		7	0.89
المحور الثالث	البعد الأول	6	0.88
	البعد الثاني	9	0.87
	البعد الثالث	6	0.92
	البعد الرابع	6	0.89
	المحور ككل	27	0.93
الاستبانة ككل		40	0.95

يتضح من الجدول السابق أن معامل ثبات الاستبانة ككل, والمحاور الثلاثة للاستبانة بطريقة الإعادة مرتفعة جداً, مما يطمئن الباحثة إلى صلاحية تطبيق الاستبانة على عينة الدراسة.

1- الصورة النهائية للاستبانة:

قامت الباحثة بترتيب فقرات الاستبانة بصورتها النهائية وأصبحت جاهزة للاستخدام بعد إجراء التعديلات عليها تبعاً لملاحظات المحكمين, حيث أصبحت تتألف من (3) محاور رئيسية يندرج تحتها (40) بنداً فرعياً, وقد تم الاعتماد على مستويات مقياس ليكرت الخماسي في هذه الاستبانة (كبيرة بشدة-كبيرة- متوسطة- ضعيفة- ضعيفة بشدة) الملحق (1) والجدول الآتي يوضح توزع المؤشرات على محاور الاستبانة:

الجدول (8): توزع المؤشرات على محاور الاستبانة:

المحاور	عدد البنود	رقم البنود
المحور الأول	6	6-1
المحور الثاني	7	13-7

المحور الثالث	البعد الأول	6	19-14
	البعد الثاني	9	28-20
	البعد الثالث	6	34-29
	البعد الرابع	6	40-35
	المحور ككل	27	40-14
الاستبانة ككل		40	40-1

منهج البحث:

تم استخدام المنهج الوصفي الذي يهتم بوصف الظواهر وملاحظتها بطريقة علمية بهدف الوصول إلى تفسيرات منطقية ذات دلائل وبراهين منطقية، ويمكن تعريف المنهج الوصفي بأنه: أسلوب علمي قائم على دراسة الظاهر وجمع المعلومات المهمة والضرورية عنها، وصف الظواهر بشكل دقيق وتقديم التفسيرات العلمية بما ينسجم مع المعطيات الفعلية الظاهرة (إبراهيم، 2017، ص93).

متن البحث: يتناول البحث في متنه النقاط التالية:

1- **مفهوم الذكاء الاصطناعي والتعليم عن بعد:** يشير هذان المفهومان إلى مفرزات التقانة والتكنولوجيا، حيث أن كلاهما من معطيات عصر التطور التكنولوجي والمعرفي، ولكل منهما خصائصه المميزة، ولعل التعليم عن بعد يشير إلى نمط من أنماط التعليم بينما يدل مفهوم الذكاء الاصطناعي إلى التقانات المطبقة في هذا النوع من التعليم وفي غيره من الميادين والمجالات، فالذكاء الاصطناعي تقنية تسعى إلى محاكاة السلوك البشري والتصرف بما يشبه البشر، يمكن تعريف الذكاء الاصطناعي) بأنه: من أهم تطبيقات علم الحاسوب التي تعمل على أداء المهام التي تحاكي العقل البشري مثل القدرة على التفكير والتعلم وحل المشكلات (المالكي، 2022، ص95). بينما يشير مفهوم التعليم عن بعد إلى: التعليم المستند إلى التكنولوجيا الحديثة بهدف تقديم المعلومات بأساليب علمية تفاعلية تحقق المتعة والفائدة لجميع المتعلمين، وبما يساعد على تحفيز التفكير والابداع (العواشة، 2021، ص23).

تتضح العلاقة بين تطبيقات الذكاء الاصطناعي والتعليم عن بعد في أن التعليم في عصرنا الحالي يرتبط بكل التطبيقات التي توفرها برمجيات الذكاء الاصطناعي كالبيئات التقنية المميزة والتي تستطيع معالجة كم كبير من المعلومات خلال

وقت قصير، وتشخيص تعلم الطلاب وتحديد نقاط القوة والضعف، وتقديم تعلم يناسب كل المتعلمين، وهناك العديد من الخدمات التي يمكن للذكاء الاصطناعي تقديمها في خدمة التعليم عن بعد وتجويد هذا النوع من التعلم.

2- **فوائد تطبيقات الذكاء الاصطناعي في التعليم عن بعد:**تتضح هذه الفائدة في كون الذكاء الاصطناعي يعمل على زيادة المتعة والجاذبية في التعليم، كما أن أدوات وتطبيقات الذكاء الاصطناعي تعمل على تقديم مناهج تعليمية متجددة يسهل تطويرها والتعديل عليها مما يساهم في تحسين أهداف التعلم تماشياً مع المعطيات الطارئة، أيضاً تتيح تكنولوجيا الذكاء الاصطناعي تعليماً أكثر فاعلية وتفاعلية، فالمتعلم يشارك ويحاور ويبحث ويعطي الأوامر، ويختبر الأفكار التي تظهر في ذهنه بشكل مباشر، وهذا الأمر يطور من قدراته العقلية ومهارات التفكير لديه، ويشجعه على الابداع والابتكار (Schleicher, 2015, 78).

أي أن الذكاء الاصطناعي يساهم بشكل كبير في تطوير التعليم عن بعد وتلافي مشكلات التعليم الصفي التقليدي، ككثرة أعداد الطلبة والازدحام داخل الصفوف، من خلال خلق تجربة تعليمية فريدة لكل متعلم ووفقاً لخصائصه المختلفة.

3- **تطبيقات الذكاء الاصطناعي في التعليم عن بعد:** تتعدد أدوات الذكاء الاصطناعي ومن أهم الأدوات التي يمكن توظيفها في تحسين التعليم عن بعد ما يلي:

- النظم الخبيرة: وهي نظم تضم كميات كبيرة من المعلومات التي يمكن توظيفها في حل العديد من المشكلات المعقدة.
- روبوتات الدردشة: وهي تطبيقات تفاعلية تقدم المساعدة للمتعلمين وتجيب عن كل أسئلتهم. (شحاتة، 2022، ص 209- 210)
- الترجمة: ترجمة المئات من البحوث والمقالات في وقت قليل.
- صناعة محتوى تعليمي بعناصر تفاعلية مميزة ومشاركته مع الآخرين.
- البحث في قواعد البيانات والمعلومات بسرعة وفعالية وإعطاء نتائج دقيقة إلى حد ما.
- إنشاء الاختبارات وتقديم التقييم الفوري للمتعلم (شلتوت، 2023، ص56).

وكل هذه التطبيقات ذات فائدة كبيرة في تحسين المستوى التعليمي وزيادة المهارات التقنية للمعلمين والمتعلمين، كما أنها تتيح التركيز على تطوير القدرات العقلية وتنظيم البنى العقلية عند المتعلم، والتخطيط لأنشطة تعليمية أكثر أهمية من الواجبات التقليدية.

4- **سلبيات الذكاء الاصطناعي والتعليم عن بعد**: على الرغم من ضرورة الاهتمام بالذكاء الاصطناعي والتعليم عن بعد إلا أن الاعتماد بشكل دائم على هذه التقنيات وعدم الموازنة بين أساليب التعليم المباشرة والالكترونية، وتنظيم مواقف تعليمية حقيقية بعيداً عن الآلات والأجهزة الذكية، يتم فيها اختبار المتعلم ودرجة اتقانه لما اكتسبه من خبرات

ومهارات معرفية، فإن ذلك سيؤثر حتماً على جودة التعليم ونوعية مخرجاته، ويؤدي إلى الكثير من المشكلات من أهمها:

- يصبح التعليم تجربة بعيدة عن التفاعل الإنساني والتواصل الاجتماعي الحقيقي بين المعلمين والمتعلمين.
- كثرة أساليب الانتحال والتزوير والغش الالكتروني نتيجة الاعتماد على تقنيات الذكاء الاصطناعي والتعليم عن بعد.
- انخفاض مستوى المخرجات الأكاديمية والعلمية في المؤسسات التعليمية، والاقتصار على مهارات تقنية مطورة بعيداً عن الجوانب المعرفية الأخرى كالتحليل والتفسير وإجراء العمليات الحسابية بدون الآلات.
- التكاليف الكبيرة لصيانة الأجهزة وتأمين الأدوات الضرورية للتعليم.
- تهديد السمعة العلمية للجامعات والمؤسسات التعليمية نتيجة تدني مستوى مخرجاتها التعليمية، وانخفاض معدل النزاهة الأكاديمية واحترام حقوق الملكية الفكرية بين أعضائها.

وأخيراً لا بد من الانتباه إلى هذه الأمور والعمل على تقديم تعليم متوازن، مع وضع الضوابط والقوانين الصارمة لمن يقوم بالاحتيال أو الغش بكافة الأساليب، أيضاً لا بد من توعية المتعلمين إلى كيفية الإفادة الواعية من تكنولوجيا الذكاء الاصطناعي دون الانغماس فيها والاعتماد عليها بشكل كلي.

خاتمة البحث: وتشمل النتائج والمقترحات والتوصيات

أولا: الإجابة عن أسئلة البحث:

للإجابة عن سؤال البحث الرئيس الذي ينص على: **ما دور التوظيف الخاطئ لتكنولوجيا الذكاء الاصطناعي والتعليم عن بعد في تشويه المشهد التربوي المعاصر؟**

تمت الإجابة عن الأسئلة الفرعية الآتية:

السؤال الأول: ما واقع استخدام تطبيقات الذكاء الاصطناعي والتعليم عن بعد في العملية التعليمية المعاصرة؟

للإجابة عن هذا السؤال تم استخراج المتوسط الحسابي والانحراف المعياري والرتبة لإجابات الطلاب على كل عبارة من عبارات المحور الأول, ثم إعطاء تقييم لكل عبارة بناءً على متوسطها الحسابي, وكانت النتائج على النحو الآتي:

الجدول (9): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والرتب والتقييم لإجابات الطلاب على كل عبارة من عبارات محور واقع استخدام تطبيقات الذكاء الاصطناعي والتعليم عن بعد في العملية التعليمية المعاصرة:

العبارة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الرتبة	التقييم

1	تستخدم الجامعات أدوات الذكاء الاصطناعي في التعليم	2.77	0.44	2	متوسط
2	تدعم المناهج الجامعية عملية توظيف الذكاء الاصطناعي والتعليم عن بعد في التعليم	2.45	0.45	5	منخفض
3	يلجأ طلاب الجامعات إلى أدوات الذكاء الاصطناعي في أداء المهام الجامعية التي يكلفون بها.	2.74	0.53	4	متوسط
4	تتضمن المقررات الجامعية معلومات عن أهمية الذكاء الاصطناعي والتعليم عن بعد.	4.16	0.54	1	مرتفع
5	يجد الطلاب الجامعيون صعوبة في استخدام أدوات الذكاء الاصطناعي في التعليم.	2.36	0.71	6	منخفض
6	يمتلك أعضاء الهيئة التدريسية الكفاءات المتعلقة بتوظيف الذكاء الاصطناعي والتعليم عن بعد	2.76	0.63	3	متوسط
المحور ككل		2.87	0.97	....	متوسط

يتضح من الجدول السابق أن متوسط المحور ككل (2.87) بانحراف معياري (0.97) وهو يقع ضمن المستوى الثالث الذي يشير إلى التقييم المتوسط, كما أن عبارة (تتضمن المقررات الجامعية معلومات عن أهمية الذكاء الاصطناعي والتعليم عن بعد) جاءت في المرتبة الأولى بمتوسط (4.16) وانحراف معياري (0.54), وهي تقع ضمن المستوى الرابع الذي يشير إلى التقييم المرتفع, وفي المرتبة الأخيرة جاءت عبارة (يجد الطلاب الجامعيون صعوبة في استخدام أدوات الذكاء الاصطناعي في التعليم) بمتوسط حسابي (2.36) وانحراف معياري (0.71) وهي تقع ضمن المستوى الثاني الذي يشير إلى التقييم المنخفض.

وقد يعود ذلك إلى ضعف توفر الأدوات والأجهزة والمعدات التي تحتاجها الجامعات لتوظيف تقنيات الذكاء الاصطناعي والتعليم عن بعد فيها, بالإضافة إلى قلة خبرة بعض العاملين في الجامعات من أعضاء هيئة تدريسية وإداريين في طريقة استخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي والتعليم عن بعد والاستفادة من ميزاتها في تحقيق أهداف العملية التعليمية لدى طلاب الجامعات بسبب ضعف تدريبهم على استخدامها وتوظيفها, عدا عن ضيق وقت المحاضرات وعدم توفر شبكة

انترنت ثابتة وسريعة في الجامعات, كما يمكن أن يعود حصول عبارة (تتضمن المقررات الجامعية معلومات عن أهمية الذكاء الاصطناعي والتعليم عن بعد) على المرتبة الأولى إلى وعي القائمين على وضع المقررات الجامعية بأهمية اكساب الطلاب معلومات تزيد من وعيهم بأهمية استخدام وتوظيف الذكاء الاصطناعي لتطوير معارفهم ومداركهم وتعميق اطلاعهم في مجال تخصصهم خاصة بعد التطورات التكنولوجية التي طرأت في الآونة الأخيرة وفرضت استخدام التكنولوجيا في جميع ميادين الحياة اليومية, كما تفسر الباحثة حصول عبارة (يجد الطلاب الجامعيون صعوبة في استخدام أدوات الذكاء الاصطناعي في التعليم) على المرتبة الأخيرة بضعف تدريبهم عملياً في الجامعات على طرائق استخدام هذه الأدوات وسبل الاستفادة منها في اكتساب المعارف والخبرات المتعلقة بمجال تخصصهم.

السؤال الثاني: ما دور الذكاء الاصطناعي والتعلم عن بعد في تطوير التعليم المعاصر؟

للإجابة عن هذا السؤال تم استخراج المتوسط الحسابي والانحراف المعياري والرتبة لإجابات الطلاب على كل عبارة من عبارات المحور الثاني, ثم إعطاء تقييم لكل عبارة بناءً على متوسطها الحسابي, وكانت النتائج على النحو الآتي:

الجدول (10): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والرتب والتقييم لإجابات الطلاب على كل عبارة من عبارات محور دور الذكاء الاصطناعي والتعلم عن بعد في تطوير التعليم المعاصر:

	العبارة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الرتبة	التقييم
1	يعد التعليم عن بعد فرصة حقيقية لتعليم الطلاب الذين يصعب عليهم الالتحاق بالجامعات	4.44	0.4	1	مرتفع جداً
2	تجعل تطبيقات الذكاء الاصطناعي والتعليم عن بعد التعليم أكثر جاذبية ومتعة	4.12	0.42	2	مرتفع
3	يتيح الذكاء الاصطناعي توفير الوقت والجهد في العملية التعليمية	3.68	0.51	5	مرتفع
4	تمكن أدوات الذكاء الاصطناعي والتعليم عن بعد جميع أطراف العملية التعليمية من المرور بخبرات جديدة وفريدة	3.76	0.55	4	مرتفع
5	تساعد أدوات الذكاء الاصطناعي والتعليم عن	3.65	0.77	6	مرتفع

	بعد الجامعات من افتتاح مخابر تقنية مجهزة بكافة الوسائل اللازمة لتطبيق دمج التكنولوجيا في التعليم				
6	يعزز التعلم عن بعد والذكاء الاصطناعي من الكفاءة التكنولوجية لدى الطلاب	4.02	0.68	3	مرتفع
7	يعزز التعلم عن بعد والذكاء الاصطناعي القدرة التنافسية للجامعات في سياق تطوير التعليم المعاصر	3.42	0.36	7	مرتفع
المحور ككل		3.87	0.88		مرتفع

يتضح من الجدول السابق متوسط المحور ككل (3.87) بانحراف معياري (0.88) وهو يقع ضمن المستوى الرابع الذي يشير إلى التقييم المرتفع, كما أن عبارة (يعد التعليم عن بعد فرصة حقيقية لتعليم الطلاب الذين يصعب عليهم الالتحاق بالجامعات) جاءت في المرتبة الأولى بمتوسط (4.44) وانحراف معياري (0.4), وهي تقع ضمن المستوى الخامس الذي يشير إلى التقييم المرتفع جداً, وفي المرتبة الأخيرة جاءت عبارة (يعزز التعلم عن بعد والذكاء الاصطناعي القدرة التنافسية للجامعات في سياق تطوير التعليم المعاصر)بمتوسط حسابي (3.42) وانحراف معياري (0.36) وهي تقع ضمن المستوى الرابع الذي يشير إلى التقييم المرتفع.

وقد يعود ذلك إلى وعي طلاب الجامعات بأهمية التعليم عن بعد والذكاء الاصطناعي الذي يوفر الكثير من التقنيات والتطبيقات التي تجعل المعرفة متاحة للجميع, كما أنها تعزز تعلم الطلاب وتكسبهم معلومات ومهارات إضافية تزيد من خبراتهم في مجال تخصصهم, بالإضافة إلى أنها تناسب روح العصر وتتماشى مع التطورات التكنولوجية الطارئة في العالم, و توفر الوقت والجهد الذي كان يبذله الطالب للبحث عن المعلومة بشكل تقليدي, بالإضافة إلى توفير عنصري المتعة والتشويق إلى العملية التعليمية, وهذا ما جعل طلاب الجامعات يرون أن للذكاء الاصطناعي والتعلم عن بعد دور كبير في تطوير التعليم المعاصر, كما يمكن أن يعود حصول عبارة (يعد التعليم عن بعد فرصة حقيقية لتعليم الطلاب الذين يصعب عليهم الالتحاق بالجامعات) على المرتبة الأولى إلى الظروف الصعبة التي يمر بها كثير من الطلاب الجامعيين والتي تجبرهم على التغيب عن الجامعة وعدم حضور المحاضرات فتمثل تقنيات التعليم عن بعد بديلاً مناسباً ورخيص التكلفة لتعويض ما فاتهم واللحاق بزملائهم, كما تفسر الباحثة حصول عبارة (يعزز التعلم عن بعد والذكاء الاصطناعي القدرة التنافسية للجامعات في سياق تطوير التعليم المعاصر) على المرتبة الأخيرة إلى تركيز الاهتمام

الجامعات على رفع المستوى العلمي والأكاديمي لطلابها والاستفادة من تقنيات الذكاء الاصطناعي والتعلم عن بعد في ذلك بشكل أكبر من تركيزها على تعزيز قدرتها التنافسية مع الجامعات الأخرى.

السؤال الثالث: ما دور التوظيف الخاطئ لتكنولوجيا الذكاء الاصطناعي والتعلم عن بعد في تشويه المشهد التربوي المعاصر فيما يتعلق (بالغش الالكتروني، الانتحال الالكتروني، نوعية المخرجات، السمعة العلمية للجامعات)؟

تمت الإجابة على هذا السؤال من خلال استخراج المتوسط الحسابي والانحراف المعياري والرتبة لإجابات الطلاب على الأبعاد الأربعة المتضمنة في المحور, وكانت النتائج على النحو الآتي:

الجدول (11): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والرتب والتقييم لأبعاد المحور الثالث:

الأبعاد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الرتبة	التقييم
الغش الالكتروني	2.24	0.98	2	منخفض
الانتحال الالكتروني	2.14	1.03	3	منخفض
نوعية المخرجات	2.9	1.11	1	متوسط
السمعة العلمية للجامعات	1.66	1.21	4	منخفض جداً
المحور ككل	2.23	2.33	...	منخفض

يتضح من الجدول السابق أن دور التوظيف الخاطئ لتكنولوجيا الذكاء الاصطناعي والتعلم عن بعد في تشويه المشهد التربوي المعاصرجاء بدرجة منخفضة, إذ بلغ متوسط إجابات الطلاب على المحور ككل (2.23) بانحراف معياري (2.33) وهو يقع ضمن المستوى الثاني الذي يشير إلى التقييم المنخفض.

وقد جاء بعد (نوعية المخرجات) في المرتبة الأولى بمتوسط حسابي (2.9) وانحراف معياري (1.11) وهو يقع ضمن المستوى الثالث الذي يشير إلى التقييم المتوسط, ثم يأتي بعد (الغش الالكتروني) في المرتبة الثانية بمتوسط حسابي (2.24) وانحراف معياري (0.98) وهو يقع ضمن المستوى الثاني الذي يشير إلى التقييم المنخفض, ثم محور (الانتحال الالكتروني) في المرتبة الثالثة بمتوسط حسابي (2.14) وانحراف معياري (1.03) وهو يقع ضمن المستوى الثاني الذي يشير إلى التقييم المنخفض أيضاً, ثم محور (السمعة العلمية للجامعات) في المرتبة الرابعة بمتوسط حسابي (1.66) وانحراف معياري (1.21) وهو يقع أيضاً ضمن المستوى الأول الذي يشير إلى التقييم المنخفض جداً.

ويمكن تفسير أن دور التوظيف الخاطئ لتكنولوجيا الذكاء الاصطناعي والتعلم عن بعد في تشويه المشهد التربوي المعاصرجاء بدرجة منخفضة باتباع الجامعات التي تستخدم تقنيات الذكاء الاصطناعي والتعليم عن بعد إجراءات وتعليمات صارمة في هذا الخصوص يجعل استخدام هذه التقنيات إيجابياً يدعم العملية التعليمية في الجامعة ويساعد على تحقيق أهدافها, كما يمكن تفسير حصول محور(نوعية المخرجات) على المرتبة الأولى حاجة بعض التخصصات وجود مادي للطالب من أجل تدريبه واكسابه الخبرات والمهارات العملية في مجال تخصصه وهذا ما تفتقده تقنيات الذكاء الاصطناعي والتعليم عن بعد مما يؤثر على نوعية المخرجات.

أما حصول محور(السمعة العلمية للجامعات) على المرتبة الأخيرة فقد يعود ذلك إلى أن توظيف تكنولوجيا الذكاء الاصطناعي والتعليم عن بعد لا يسبب أي انتهاك للنزاهة أو الأمانة في العملية التعليمية التي تتم في الجامعات وخصوصاً بعد تطبيق ضوابط واضحة تمنع حصول أي غش أو تلاعب في العملية التعليمية وتحافظ على السمعة العلمية للجامعات.

-بالنسبة للبعد الأول (الغش الالكتروني):

تم استخراج المتوسط الحسابي والانحراف المعياري والرتبة لإجابات الطلاب على كل عبارة من عبارات بعد الغش الالكتروني, ثم إعطاء تقييم لكل عبارة بناءً على متوسطها الحسابي, وكانت النتائج على النحو الآتي:

الجدول (12): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والرتب والتقييم لإجابات الطلاب على كل عبارة من عبارات بعد (الغش الالكتروني):

	العبارة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الرتبة	التقييم
1	يعتمد المتعلم على الأجهزة الذكية بما يخالف اللوائح والقوانين الجامعية من أجل النجاح في الامتحان	1.91	0.52	3	منخفض
2	يعتمد المتعلم على أدوات الذكاء الاصطناعي من أجل الحصول على مؤهل علمي بطريقة غير شرعية	1.21	0.49	6	منخفض جداً
3	يصعب كشف عملية الغش الالكتروني عند	2.55	0.68	2	منخفض

	استخدام أدوات الذكاء الاصطناعي والتعليم عن بعد				
4	يعتمد الطلاب على شبكة الأنترنت في الإجابة عن الأسئلة الموجهة له في الامتحان	1.68	0.56	5	منخفض جداً
5	يمكن سرقة أسئلة الامتحان بالاعتماد على أدوات الذكاء الاصطناعي	1.78	0.71	4	منخفض جداً
6	تحتاج الجامعات عند اعتماد نظام التعلم عن بعد إلى قوانين وضوابط تمنع عملية الغش الالكتروني	4.33	0.56	1	مرتفع جداً

يتضح من الجدول السابق أن عبارة (تحتاج الجامعات عند اعتماد نظام التعلم عن بعد إلى قوانين وضوابط تمنع عملية الغش الالكتروني) جاءت في المرتبة الأولى بمتوسط (4.33) وانحراف معياري (0.4), وهي تقع ضمن المستوى الخامس الذي يشير إلى التقييم المرتفع جداً, وفي المرتبة الأخيرة جاءت عبارة (يعتمد المتعلم على أدوات الذكاء الاصطناعي من أجل الحصول على مؤهل علمي بطريقة غير شرعية)بمتوسط حسابي (1.21) وانحراف معياري (0.49) وهي تقع ضمن المستوى الأول الذي يشير إلى التقييم المنخفض جداً.

وقد يعود حصول عبارة (تحتاج الجامعات عند اعتماد نظام التعلم عن بعد إلى قوانين وضوابط تمنع عملية الغش الالكتروني) على المرتبة الأولى إلى الحاجة الماسة للجامعات التي تعتمد على الذكاء الاصطناعي إلى قوانين تحميها من عمليات التهكير والتلاعب بالبيانات والعلامات من أجل الحفاظ على نزاهة العملية التعليمية وضمان أمانها, كما تفسر الباحثة حصول عبارة (يعتمد المتعلم على أدوات الذكاء الاصطناعي من أجل الحصول على مؤهل علمي بطريقة غير شرعية) على المرتبة الأخيرة بأن الشهادة التي يحصل عليها الطالب من الجامعات التي تعتمد على تكنولوجيا الذكاء الاصطناعي والتعليم عن بعد هي شهادة علمية معترف بها داخل الجمهورية العربية السورية وخارجها.

-بالنسبة للبعد الثاني (الانتحال الالكتروني):

تم استخراج المتوسط الحسابي والانحراف المعياري والرتبة لإجابات الطلاب على كل عبارة من عبارات بعد الانتحال الالكتروني, ثم إعطاء تقييم لكل عبارة بناءً على متوسطها الحسابي, وكانت النتائج على النحو الآتي:

الجدول (13): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والرتب والتقييم لإجابات الطلاب على كل عبارة من عبارات بعد (الانتحال الالكتروني):

	العبارة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الرتبة	التقييم
1	يتعرض طلاب الجامعات إلى التلاعب بالبيانات والتزوير	1.99	0.37	6	منخفض
2	تتعرض حسابات الطلاب الإلكترونية إلى التهكير والهجوم الالكتروني.	2.74	0.56	3	متوسط
3	يتعرض طلاب الجامعات القائمة على التعلم عن بعد إلى الاختلاس والنصب الالكتروني من قبل الجامعات.	1.22	0.52	9	منخفض جداً
4	يسهل اختراق الخصوصية والبيانات الخاصة بالطالب في التعليم عن بعد	2.25	0.47	5	منخفض
5	يمكن لأي طالب انتحال شخصية طالب آخر وتقديم الامتحانات عنه	1.72	0.63	7	منخفض جداً
6	يمكن لأي طالب انتحال صفة غيره داخل الفصل الدراسي الافتراضي	2.54	0.71	4	منخفض
7	تعتمد عملية التعليم على التخمين الالكتروني أكثر من الحل المنطقي للأسئلة	2.75	0.72	2	متوسط
8	تتيح أدوات الذكاء الاصطناعي اقتباس اعمال وأفكار الآخرين دون الإشارة إليهم	2.76	0.46	1	متوسط
9	يمكن لأي متعلم تغيير المعلومات الخاصة به أو تضليل بياناته لاجتياز اختبارات الجامعات	1.33	0.69	8	منخفض جداً

	في التعليم عن بعد				

يتضح من الجدول السابق أن عبارة (تتيح أدوات الذكاء الاصطناعي اقتباس اعمال وأفكار الآخرين دون الإشارة إليهم) جاءت في المرتبة الأولى بمتوسط (2.76) وانحراف معياري (0.46), وهي تقع ضمن المستوى الثالث الذي يشير إلى التقييم المتوسط, وفي المرتبة الأخيرة جاءت عبارة (يتعرض طلاب الجامعات القائمة على التعلم عن بعد إلى الاختلاس والنصب الالكتروني من قبل الجامعات)بمتوسط حسابي (1.22) وانحراف معياري (0.52) وهي تقع ضمن المستوى الأول الذي يشير إلى التقييم المنخفض جداً.

وقد يعود حصول عبارة (تتيح أدوات الذكاء الاصطناعي اقتباس أعمال وأفكار الآخرين دون الإشارة إليهم) على المرتبة الأولى إلى أن أدوات الذكاء الاصطناعي تتيح نشر أعمال وأفكار الأشخاص على شبكة الانترنت ووصولها إلى الجميع, مما يؤدي إلى عدم التزام بعض الطلاب بالدقة العلمية والأمانة أثناء الاقتباس من هذه الأعمال وعدم نسب الأفكار لأصحابها, كما تفسر الباحثة حصول عبارة (يتعرض طلاب الجامعات القائمة على التعلم عن بعد إلى الاختلاس والنصب الالكتروني من قبل الجامعات) على المرتبة الأخيرة بأن الجامعات القائمة على التعلم عن بعد تخضع لقوانين محددة وتتبع أنظمة صارمة تمنع أي عملية اختلاس أو نصب الكتروني.

-بالنسبة للبعد الثالث (نوعية المخرجات):

تم استخراج المتوسط الحسابي والانحراف المعياري والرتبة لإجابات الطلاب على كل عبارة من عبارات بعد نوعية المخرجات, ثم إعطاء تقييم لكل عبارة بناءً على متوسطها الحسابي, وكانت النتائج على النحو الآتي:

الجدول (14): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والرتب والتقييم لإجابات الطلاب على كل عبارة من عبارات بعد (نوعية المخرجات):

	العبارة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الرتبة	التقييم
1	يهدد الذكاء الاصطناعي والتعليم عن بعد المهارات الاجتماعية.	1.61	0.43	6	منخفض جداً
2	تتصف مخرجات التعليم عن بعد بقلة الكفاءة	2.44	0.36	4	منخفض
3	يفتقر خريجو التعليم القائم على الذكاء الاصطناعي والتعليم عن بعد إلى المهارات	1.89	0.41	5	منخفض

	الأدائية.				
4	يعتبر خريجو الجامعات التي تعتمد على توظيف الذكاء الاصطناعي أكثر مهارة في المجال التقني	3.87	0.71	1	مرتفع
5	يمتلك خريجو الجامعات التي تعتمد على توظيف الذكاء الاصطناعي مهارات ومعارف لا تقل قيمتها عن خريجي الجامعات الحقيقية	3.85	0.63	2	مرتفع
6	يحتاج خريجو التعليم عن بعد إلى الكفاءة العملية وربط التعليم بالحياة الحقيقية	3.74	0.62	3	مرتفع

يتضح من الجدول السابق أن عبارة (يعتبر خريجو الجامعات التي تعتمد على توظيف الذكاء الاصطناعي أكثر مهارة في المجال التقني) جاءت في المرتبة الأولى بمتوسط (3.87) وانحراف معياري (0.71), وهي تقع ضمن المستوى الرابع الذي يشير إلى التقييم المرتفع, وفي المرتبة الأخيرة جاءت عبارة (يهدد الذكاء الاصطناعي والتعليم عن بعد المهارات الاجتماعية)بمتوسط حسابي (1.61) وانحراف معياري (0.43) وهي تقع ضمن المستوى الأول الذي يشير إلى التقييم المنخفض جداً.

وقد يعود حصول عبارة (يعتبر خريجو الجامعات التي تعتمد على توظيف الذكاء الاصطناعي أكثر مهارة في المجال التقني) على المرتبة الأولى إلى أن خريجو الجامعات التي تعتمد على توظيف الذكاء الاصطناعي أكثر احتكاكاً واستخداماً للتقنيات الحديثة التي تتطلبها العملية التعليمية في هذه الجامعات مما يساعد على تنمية مهاراتهم التقنية والتكنولوجية, كما تفسر الباحثة حصول عبارة (يهدد الذكاء الاصطناعي والتعليم عن بعد المهارات الاجتماعية) على المرتبة الأخيرة باكتساب الطلاب الذين يدرسون في الجامعات القائمة على التعليم عن بعد الكثير من الأصدقاء والزملاء من أماكن متباعدة مما يساعد على زيادة دائرة معارفهم من الأشخاص وزيادة تواصلهم معهم مما يعزز مهاراتهم الاجتماعية.

-بالنسبة للبعد الرابع (السمعة العلمية للجامعات):

تم استخراج المتوسط الحسابي والانحراف المعياري والرتبة لإجابات الطلاب على كل عبارة من عبارات بعد السمعة العلمية للجامعات, ثم إعطاء تقييم لكل عبارة بناءً على متوسطها الحسابي, وكانت النتائج على النحو الآتي:

الجدول (15): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والرتب والتقييم لإجابات الطلاب على كل عبارة من عبارات بعد (السمعة العلمية للجامعات):

	العبارة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الرتبة	التقييم
1	تؤدي أدوات الذكاء الاصطناعي والتعليم عن بعد إلى تدني تصنيف الجامعات علمياً.	1.42	0.4	3	منخفض جداً
2	يتيح الاعتماد الكبير على أدوات الذكاء الاصطناعي إلى قلة الأمانة العلمية في البحوث الجامعية	1.32	0.42	5	منخفض جداً
3	يمكن توظيف أدوات الذكاء الاصطناعي في الإساءة إلى رموز الجامعات والقضاء على السمعة العلمية لها	2.96	0.51	1	متوسط
4	يعد توظيف أدوات الذكاء الاصطناعي من أشكال انتهاك النزاهة الأكاديمية.	1.25	0.55	6	منخفض جداً
5	تكون الشهادة العلمية في الجامعات التقليدية أكثر قيمة من الشهادات في الجامعات التي تعتمد على الذكاء الاصطناعي والتعليم عن بعد	1.36	0.77	4	منخفض جداً
6	يعد التعليم المعتمد على الذكاء الاصطناعي والتعليم عن بعد أقل مصداقية من التعليم الحقيقي.	1.68	0.68	2	منخفض جداً

يتضح من الجدول السابق أن عبارة (يمكن توظيف أدوات الذكاء الاصطناعي في الإساءة إلى رموز الجامعات والقضاء على السمعة العلمية لها) جاءت في المرتبة الأولى بمتوسط (2.96) وانحراف معياري (0.51), وهي تقع ضمن المستوى الثالث الذي يشير إلى التقييم المتوسط, وفي المرتبة الأخيرة جاءت عبارة (يعد توظيف أدوات الذكاء

الاصطناعي من أشكال انتهاك النزاهة الأكاديمية) بمتوسط حسابي (1.25) وانحراف معياري (0.55) وهي تقع ضمن المستوى الأول الذي يشير إلى التقييم المنخفض جداً.

وقد يعود حصول عبارة (يمكن توظيف أدوات الذكاء الاصطناعي في الإساءة إلى رموز الجامعات والقضاء على السمعة العلمية لها) على المرتبة الأولى إلى سهولة إنشاء حسابات مزيفة على هذه الأدوات ومحاولة بعض الطلاب تشويه سمعة رموز الجامعات وتحقيق أهداف وغايات شخصية من خلالها, كما تفسر الباحثة حصول عبارة (يعد توظيف أدوات الذكاء الاصطناعي من أشكال انتهاك النزاهة الأكاديمية) على المرتبة الأخيرة بأن توظيف أدوات الذكاء الصناعي بشكل إيجابي وصحيح في الجامعات يعزز من تعلم الطلاب ويدفع العملية التعليمية قدماً إلى الأمام وبشكل لا يؤثر على النزاهة الأكاديمية للجامعات.

ثانياً: التحقق من صحة فرضيات البحث:

1- الفرضية الأولى: **لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (0.05) بين متوسطات إجابات الطلاب حول واقع استخدام تطبيقات الذكاء الاصطناعي والتعليم عن بعد في العملية التعليمية المعاصرة وفقاً لمتغيرات (الجنس، نوع الجامعة، التخصص).**

لاختبار صحة هذه الفرضية تم استخدام اختبار T-test لمجموعتين مستقلتين (باستخدام برنامج SPSS), وذلك للتحقق من دلالة الفروق بين متوسطات إجابات الطلاب حول واقع استخدام تطبيقات الذكاء الاصطناعي والتعليم عن بعد في العملية التعليمية المعاصرة تبعاً لمتغيرات (الجنس، نوع الجامعة، التخصص), وكانت النتائج ما يأتي:

الجدول (16): نتائج اختبارT-test لإجابات الطلاب حول واقع استخدام تطبيقات الذكاء الاصطناعي والتعليم عن بعد في العملية التعليمية المعاصرة تبعاً لمتغيرات (الجنس، نوع الجامعة، التخصص):

المتغير	المستويات	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	قيمة (t)	قيمة الدالة sig	القرار
الجنس	ذكور	39	15.65	3.61	82	1.12	0.53	غير دال
	إناث	45	15.12	4.12				
نوع الجامعة	افتراضية	41	22.23	3.71	82	15.25	0.00	دال
	تقليدية	43	13.24	3.74				
التخصص	نظري	55	14.89	5.32	82	2.31	0.08	غير دال

	تطبيقي	29	15.61	2.85				

يتضح من الجدول السابق:

-بالنسبة لمتغير الجنس: يتبين أن قيمة الدالة (t)= (1.12), وقيمة الدالة الإحصائية (sig) = (0.53) وهي أكبر من مستوى الدلالة (0.05) مما يعني عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات إجابات الطلاب حول واقع استخدام تطبيقات الذكاء الاصطناعي والتعليم عن بعد في العملية التعليمية المعاصرة تبعاً لمتغير الجنس.

-بالنسبة لمتغير نوع الجامعة: يتبين أن قيمة الدالة (t)= (15.25), وقيمة الدالة الإحصائية (sig) = (0.00) وهي أصغر من مستوى الدلالة (0.05) مما يعني وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات إجابات الطلاب حول واقع استخدام تطبيقات الذكاء الاصطناعي والتعليم عن بعد في العملية التعليمية المعاصرة تبعاً لمتغير نوع لجامعة ولصالح طلاب الجامعة الافتراضية.

-بالنسبة لمتغير التخصص: يتبين أن قيمة الدالة (t)= (2.31), وقيمة الدالة الإحصائية (sig) = (0.08) وهي أكبر من مستوى الدلالة (0.05) مما يعني عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات إجابات الطلاب حول واقع استخدام تطبيقات الذكاء الاصطناعي والتعليم عن بعد في العملية التعليمية المعاصرة تبعاً لمتغير التخصص.

وتفسر الباحثة وجود فروق بين متوسطات إجابات الطلاب حول واقع استخدام تطبيقات الذكاء الاصطناعي والتعليم عن بعد في العملية التعليمية المعاصرة تبعاً لمتغير نوع الجامعة لصالح طلاب الجامعة الافتراضية بسبب تأسيس نظام الجامعات الافتراضية على تقنيات وأجهزة التعلم عن بعد والاعتماد على هذه التقنيات بشكل مطلق في العملية التعليمة على عكس الجامعات التقليدية التي يتوقف استخدام هذه التقنيات فيها على جهود الكادر التدريسي والإداري واجتهادهم الشخصي, كما يمكن تفسير عدم وجود فروق بين متوسطات إجابات الطلاب حول واقع استخدام تطبيقات الذكاء الاصطناعي والتعليم عن بعد في العملية التعليمية المعاصرة تبعاً لمتغير الجنس إلى أن الطلاب من الذكور والاناث في الجامعة التقليدية, والطلاب من الذكور والاناث في الجامعة الافتراضية لديهم ذات النظام التعليمي الجامعي ويمرّون بذات الخبرات ويستخدمون ذات الأدوات مما جعل إجاباتهم متقاربة في هذا الموضوع, كما يمكن تفسير عدم وجود فروق بين متوسطات إجابات الطلاب حول واقع استخدام تطبيقات الذكاء الاصطناعي والتعليم عن بعد في العملية التعليمية المعاصرة تبعاً لمتغير التخصص إلى أن الطلاب من ذوي التخصصات النظرية والتطبيقية في الجامعة الافتراضية يتبعون لنظام الجامعة التي سجلوا فيها ويستخدمون الأدوات والتقنيات التي تفرضها هذه لجامعة والأمر ذاته بالنسبة للطلاب من ذوي التخصصات النظرية والتطبيقية في الجامعة التقليدية مما جعل إجاباتهم متقاربة في هذا الموضوع.

2- الفرضية الثانية: **لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (0.05) بين متوسطات إجابات الطلاب حول دور الذكاء الاصطناعي والتعلم عن بعد في تطوير التعليم المعاصر المعاصرة وفقاً لمتغيرات (الجنس، نوع الجامعة، التخصص).**

لاختبار صحة هذه الفرضية تم استخدام اختبار T-test لمجموعتين مستقلتين (باستخدام برنامج SPSS), وذلك للتحقق من دلالة الفروق بين متوسطات إجابات الطلاب حول دور الذكاء الاصطناعي والتعلم عن بعد في تطوير التعليم المعاصر المعاصرة تبعاً لمتغيرات (الجنس، نوع الجامعة، التخصص), وكانت النتائج ما يأتي:

الجدول (17): نتائج اختبارT-test لإجابات الطلاب حول دور الذكاء الاصطناعي والتعلم عن بعد في تطوير التعليم المعاصر المعاصرة تبعاً لمتغيرات (الجنس، نوع الجامعة، التخصص):

المتغير	المستويات	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	قيمة (t)	قيمة الدالة sig	القرار
الجنس	ذكور	39	30.65	2.95	82	0.89	0.72	غير دال
	إناث	45	30.12	3.56				
نوع الجامعة	افتراضية	41	31.23	5.32	82	2.63	0.09	غير دال
	تقليدية	43	29.24	4.45				
التخصص	نظري	55	30.89	3.12	82	0.94	0.68	غير دال
	تطبيقي	29	30.61	3.22				

يتضح من الجدول السابق:

-بالنسبة لمتغير الجنس: يتبين أن قيمة الدالة (t)= (0.89), وقيمة الدالة الإحصائية (sig) = (0.72) وهي أكبر من مستوى الدلالة (0.05) مما يعني عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات إجابات الطلاب حول دور الذكاء الاصطناعي والتعلم عن بعد في تطوير التعليم المعاصر المعاصرة تبعاً لمتغير الجنس.

-بالنسبة لمتغير نوع الجامعة: يتبين أن قيمة الدالة (t)= (2.63), وقيمة الدالة الإحصائية (sig) = (0.09) وهي أكبر من مستوى الدلالة (0.05) مما يعني عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات إجابات الطلاب حول دور الذكاء الاصطناعي والتعلم عن بعد في تطوير التعليم المعاصر المعاصرة تبعاً لمتغير نوع لجامعة.

-بالنسبة لمتغير التخصص: يتبين أن قيمة الدالة (t)= (0.94), وقيمة الدالة الإحصائية (sig) = (0.68) وهي أكبر من مستوى الدلالة (0.05) مما يعني عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات إجابات الطلاب حول دور الذكاء الاصطناعي والتعلم عن بعد في تطوير التعليم المعاصر المعاصرة تبعاً لمتغيرالتخصص.

وتفسر الباحثة النتائج السابقة بوعي طلاب الجامعات بأهمية استخدام وتوظيف تكنولوجيا الذكاء الاصطناعي في تعزيز تعلمهم وتطوير مهاراتهم وخبراتهم بغض النظر عن جنسهم أو تخصصهم أو نوع جامعتهم.

3- الفرضية الثالثة:**لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (0.05) بين متوسطات إجابات الطلاب حول** دور التوظيف الخاطئ لتكنولوجيا الذكاء الاصطناعي والتعلم عن بعد في تشويه المشهد التربوي وفقاً لمتغيرات (الجنس، نوع الجامعة، التخصص).

لاختبار صحة هذه الفرضية تم استخدام اختبار T-test لمجموعتين مستقلتين (باستخدام برنامج SPSS), وذلك للتحقق من دلالة الفروق بين متوسطات إجابات الطلاب حول دور التوظيف الخاطئ لتكنولوجيا الذكاء الاصطناعي والتعلم عن بعد في تشويه المشهد التربوي تبعاً لمتغيرات (الجنس، نوع الجامعة، التخصص), وكانت النتائج ما يأتي:

الجدول (18): نتائج اختبارT-test لإجابات الطلاب حول دور التوظيف الخاطئ لتكنولوجيا الذكاء الاصطناعي والتعلم عن بعد في تشويه المشهد التربوي تبعاً لمتغيرات (الجنس، نوع الجامعة، التخصص):

المتغير	المستويات	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	قيمة (t)	قيمة الدالة sig	القرار
الجنس	ذكور	39	35.34	3.65	82	2.65	0.23	غير دال
	إناث	45	36.02	4.32				
نوع الجامعة	افتراضية	41	37.23	1.69	82	2.48	0.32	غير دال
	تقليدية	43	36.85	3.98				
التخصص	نظري	55	35.63	2.65	82	1.98	0.26	غير دال
	تطبيقي	29	34.78	4.62				

يتضح من الجدول السابق:

-بالنسبة لمتغير الجنس: يتبين أن قيمة الدالة (t)= (2.65), وقيمة الدالة الإحصائية (sig) = (0.23) وهي أكبر من مستوى الدلالة (0.05) مما يعني عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات إجابات الطلاب حول دور التوظيف الخاطئ لتكنولوجيا الذكاء الاصطناعي والتعلم عن بعد في تشويه المشهد التربوي تبعاً لمتغير الجنس.

-بالنسبة لمتغير نوع الجامعة: يتبين أن قيمة الدالة (t)= (2.48), وقيمة الدالة الإحصائية (sig) = (0.32) وهي أكبر من مستوى الدلالة (0.05) مما يعني عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات إجابات الطلاب حول دور التوظيف الخاطئ لتكنولوجيا الذكاء الاصطناعي والتعلم عن بعد في تشويه المشهد التربوي تبعاً لمتغير نوع لجامعة.

-بالنسبة لمتغير التخصص: يتبين أن قيمة الدالة (t)= (1.98), وقيمة الدالة الإحصائية (sig) = (0.26) وهي أكبر من مستوى الدلالة (0.05) مما يعني عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات إجابات الطلاب حول دور التوظيف الخاطئ لتكنولوجيا الذكاء الاصطناعي والتعلم عن بعد في تشويه المشهد التربوي تبعاً لمتغيرالتخصص.

وتفسر الباحثة النتائج السابقة بأن طلاب الجامعات بغض النظر عن جنسهم أو تخصصهم أو نوع جامعتهم يدركون أن التوظيف الخاطئ لتكنولوجيا الذكاء الاصطناعي والتعليم عن بعد من قبل البعض لا يؤدي أبداً إلى تشويه المشهد التربوي أو التقليل من مصداقية ونزاهة الجامعات التي تعتمد على هذه التقنيات ومخرجاتها التعليمية, إذ تعتمد هذه الجامعات أنظمة وقوانين صارمة تعزز من موضوعيتها وتضمن سلامة العملية التعليمية التي تتم داخلها.

التوصيات والمقترحات:

- ضرورة وضع قوانين صارمة من قبل الجامعات والمؤسسات التّعليمية فيما يخص توظيف تقنيات الذكاء الاصطناعي في التّعليم، وفرض عقوبات تأديبية لكل من يتجاوز الحدود المسموحة.
- أن يتم إنشاء مراكز خاصة بالتّعليم عن بعد في جميع دول العالم، يقوم المتعلم فيها بزيارة المركز والخضوع لتقييم عملي على أرض الواقع في المجال التّعليمي الذي يدرسه، من أجل التأكد من كفاءته العلمية والأكاديمية، وأن يكون هذا التقييم شرطاً لتخرجه من الجامعة.
- أن تشكل لجنة علمية مختصة بالكشف عن التجاوزات الالكترونية والغش الإلكتروني والسرقة العلمية باستخدام أدوات الذكاء الاصطناعي.
- أن يتم افتتاح مخابر تقنية مجهزة بأدوات التّعليم عن بعد وأدوات الذكاء الاصطناعي في الجامعات التقليدية وتدريب المتعلمين على استخدامها في ضوء الحدود المسموحة.
- أن يتم تدريب أعضاء الهيئة التدريسية والتّعليمية والطلاب الجامعيين على استخدام هذه التقنيات بدلاً من التلقي العشوائي لها.

المراجع:

- إبراهيم، إسماعيل(2017) مناهج البحوث الإعلامية، المنهل للنشر والتوزيع، عمان.
- باطوح، محمد عمر،والمناور، فيصل حمد (2020) التخطيط التنموي بدولة الكويت" التحديات وسبل مواجهتها"،
- جوابرة، ريم (2021). التعليم الإلكتروني وتأثيره على مخرجات التعليم في ظل جائحة كورنا (الجامعات الفلسطينية بغزة أنموذجاً)، المجلة العلمية للتكنولوجيا وعلوم الإعاقة، 3(3)، ص21- 49

- الزيني، أحمد، والصادق، أحمد (2020) إلى تجربة التعلم الالكتروني والتقييم عبر الأنترنت أثناء جائحة كورونا (COVID-19) في كلية الطب بجامعة القصيم، مجلة جامعة طيبة الطبية، العلوم,15(6), 456-462.
- شحاتة، نشوى (2022) توظيف تطبيقات الذكاء الاصطناعي في العملية التعليمية، المجلة العلمية المحكمة للجمعية المصرية للكمبيوتر التعليمي، 10(2)، ص 209- 210
- شلتوت، محمد(2023) .تطبيقات الذكاء الاصطناعي في التعليم، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، المملكة العربية السعودية. ص 56
- العتل، محمد حمد؛ العنزي، إبراهيم غازيٍ؛ العجمي، عبد الرحمن(2020) دور الذكاء الاصطناعي (AI) في التعليم من وجهة نظر طلبة كلية التربية الأساسية بدولة الكويت، مجلة الدراسات والبحوث التربوية، 1(1)، ص30- 64
- عمار، إسماعيل؛ وماطوسي، هندة (2022). دور الذكاء الاصطناعي في تحسين جودة مخرجات التعلم: المنصات الرقمية أنموذجاً، مقالة منشورة في كلية جدة العالمية، 7 ديسمبر 2022، تم الاسترجاع من الموقع: https://www.jicollege.edu.sa/
- العواشة، مروان (2021) أثر التعليم عن بعد و التعليم التقليدي على التحصيل الأكاديمي عندطلبة الصفوف الثلاثالأولى في مدارس العاصمة عمان من وجههنظر المعلمين و أولياء الأمور، مجلة كلية التربية جامعة عين شمس، 1(45)، 23
- كريم، نوفل عباس (2020). الغش الإلكتروني وتأثيره على مستوى التعليم من وجهة نظر تدريسي الجامعة، مجلة أكاديمية شمال أوربا المحكمة للدراسات والبحوث، 2(8)، ص70- 94.
- المالكي، فواز (2022) دور تطبيقات الذكاء الاصطناعي في تعزيز الاستراتيجيات التعليمية في التعليم، مجلة العلوم التربوية والنفسية، 7(5)، ص95
- محمد، محمد جمال صالح (2023) معوقات ومتطلبات التحول الرقمي بالجامعات المصرية في إطار رؤية مصر 2030 من وجهة نظر القيادات الأكاديمية، العلوم الاجتماعية والإنسانية، 4(2)، ص51.
- مراد، حسام؛ وجوهر، علي (2019). تحديات استخدام نظم كشف الانتحال العلمي في البحوث التربوية بجامعة دمياط من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس، المجلة التربوية لكلية التربية، تم الاسترجاع من: https://www.researchgate.net/publication
- الوكالة العربية السورية للأنباء (2022). بمشاركة سورية.. قمة تحويل التعليم في نيويورك في السادس عشر من أيلول الجاري، 2022/9/14.
- اليامي، هادية (2018). رؤية مستقبلية لتطوير التعلم في المملكة العربية السعودية في ضوء رؤية المملكة 2030، مجلة العلوم التربوية والنفسية، 2(26)، ص32

المراجع الأجنبية:

- Gaidelys, V; Rūta, C &Cibulskas,G. (2023) An Assessment of the Impact of Distance Learning on Pupils' Performance, Educ, 13(1), 3; https://doi.org/10.3390/educsci13010003
- Muhammad, A& .Kainat, A. (2020). Learning Amid The COVID-19 Pandemic: Students' Perspectives .Pakistan. Journal of Pedagogical Sociology and Psychology
- Olivia. D. N; Casanovas. M; Capdevila. Y (2019). Academic Writing and the Internet: Cyber-Plagiarism amongst University Students. Journal of New Approaches in Educational Research, 1(8), p. 112-125.
- Rieber. C (2017). Using Electronic Plagiarism Tools To Teach University Students To Avoid Plagiarism, Plagiarism across Europe and Beyond 2017—Conference Proceedings, pp. 93–105.
- Schleicher, A (2015). Schools for 21stcentury learners: Strong leaders ,confident teachers, innovativeapproaches, International summit on theteaching profession. Paris: OECDPublishing.. p78

ملحق(1)

الاستبانة

تحية طيبة وبعد، في إطار إعداد دراسة بعنوان: **دور التوظيف الخاطئ لتكنولوجيا الذكاء الاصطناعي والتعليم عن بعد في تشويه المشهد التربوي المعاصر"**، نرجو منك التكرم بالإجابة عن بنود الاستبيان، علماً أن إجاباتك ستستخدم لأغراض البحث العلمي فقط.

وشكراً لتعاونك.....

للاطلاع:

- **الذكاء الاصطناعي**: بأنه أحد العلوم المتفرعة عن علم الحاسوب، وهو العلم المعني بجعل الحواسيب تقوم بمهام مشابهة وبشكل تقريبي لعمليات الذكاء البشرية كالتعلم والاستنباط، واتخاذ القرارات. (الفاخري، 2018، 119).

- **التعليم عن بعد:** قديم التعليم أو التدريب من خلال الوسائل التعليمية الإلكترونية ويشمل ذلك الأقمار الصناعية والفيديو والأشرطة المسجلة وبرامج الحاسبات الآلية والنظم والوسائط التكنولوجية والتعليمية المتعددة بالإضافة إلى الوسائل الأخرى للتعلم عن بعد (المسهلي، 2015، 131).

أولاً: الرجاء تعبئة البيانات التالية:

- **الجنس.** *ذكر *أنثى
- التخصص. نظري (أداب- تربية) تطبيقي (رياضيات، علوم)
- **نوع الجامعة.** *افتراضية *تقليدية

ثانياً: الرجاء الإجابة عن بنود الاستبانة من خلال وضع إشارة * في الحقل الذي يعبر رأيك الشخصي:

العبارات	الدرجة				
	ضعيفة بشدة	ضعيفة	متوسطة	كبيرة	كبيرة بشدة
المحور الأول: واقع استخدام تطبيقات الذكاء الاصطناعي والتعليم عن بعد في العملية التعليمية المعاصرة					
1. تستخدم الجامعات أدوات الذكاء الاصطناعي في التعليم					
2. تدعم المناهج الجامعية عملية توظيف الذكاء الاصطناعي والتعليم عن بعد في التعليم					
3. يلجأ طلاب الجامعات إلى أدوات الذكاء الاصطناعي في أداء المهام الجامعية التي يكلفون بها.					
4. تتضمن المقررات الجامعية معلومات عن أهمية الذكاء الاصطناعي والتعليم عن بعد.					
5. يجد الطلاب الجامعيون صعوبة في استخدام أدوات الذكاء الاصطناعي في التعليم.					
6. يمتلك أعضاء الهيئة التدريسية الكفاءات المتعلقة بتوظيف الذكاء الاصطناعي والتعليم عن بعد					
المحور الثاني: دور الذكاء الاصطناعي والتعلم عن بعد في تطوير التعليم المعاصر					
7. يعد التعليم عن بعد فرصة حقيقية لتعليم الطلاب الذين يصعب عليهم الالتحاق بالجامعات					
8. تجعل تطبيقات الذكاء الاصطناعي والتعليم عن بعد التعليم أكثر جاذبية ومتعة					
9. يتيح الذكاء الاصطناعي توفير الوقت والجهد في العملية التعليمية					
10. تمكن أدوات الذكاء الاصطناعي والتعليم عن بعد جميع أطراف العملية التعليمية من المرور بخبرات جديدة وفريدة					
11. تساعد أدوات الذكاء الاصطناعي والتعليم عن بعد الجامعات من افتتاح مخابر تقنية مجهزة بكافة الوسائل اللازمة لتطبيق دمج التكنولوجيا في التعليم					

12.يعزز التعلم عن بعد والذكاء الاصطناعي من الكفاءة التكنولوجية لدى الطلاب					
13.يعزز التعلم عن بعد والذكاء الاصطناعي القدرة التنافسية للجامعات في سياق تطوير التعليم المعاصر					
المحور الثالث: دور التوظيف الخاطئ للذكاء الاصطناعي والتعلم عن بعد في تشويه المشهد التربوي المعاصر					
البعد الأول: الغش الإلكتروني					
14.يعتمد المتعلم على الأجهزة الذكية بما يخالف اللوائح والقوانين الجامعية من أجل النجاح في الامتحان					
15.يعتمد المتعلم على أدوات الذكاء الاصطناعي من أجل الحصول على مؤهل علمي بطريقة غير شرعية					
16.يصعب كشف عملية الغش الالكتروني عند استخدام أدوات الذكاء الاصطناعي والتعليم عن بعد					
17.يعتمد الطلاب على شبكة الأنترنت في الإجابة عن الأسئلة الموجهة له في الامتحان					
18.يمكن سرقة أسئلة الامتحان بالاعتماد على أدوات الذكاء الاصطناعي					
19.تحتاج الجامعات عند اعتماد نظام التعلم عن بعد إلى قوانين وضوابط تمنع عملية الغش الالكتروني					
البعد الثاني: الانتحال الإلكتروني					
20.يتعرض طلاب الجامعات إلى التلاعب بالبيانات والتزوير					
21.تتعرض حسابات الطلاب الإلكترونية إلى التهكير والهجوم الالكتروني.					
22.يتعرض طلاب الجامعات القائمة على التعلم عن بعد إلى الاختلاس والنصب الالكتروني من قبل الجامعات.					
23.يسهل اختراق الخصوصية والبيانات الخاصة بالطالب في التعليم عن بعد					
24.يمكن لأي طالب انتحال شخصية طالب آخر وتقديم الامتحانات عنه					
25.يمكن لأي طالب انتحال صفة غيره داخل الفصل الدراسي الافتراضي					
26.تعتمد عملية التعليم على التخمين الالكتروني أكثر من					

الحل المنطقي للأسئلة					
27.تتيح أدوات الذكاء الاصطناعي اقتباس اعمال وأفكار الآخرين دون الإشارة إليهم					
28.يمكن لأي متعلم تغيير المعلومات الخاصة به أو تضليل بياناته لاجتياز اختبارات الجامعات في التعليم عن بعد					
البعد الثالث: نوعية المخرجات					
29.يهدد الذكاء الاصطناعي والتعليم عن بعد المهارات الاجتماعية.					
30.تتصف مخرجات التعليم عن بعد بقلة الكفاءة					
31.يفتقر خريجو التعليم القائم على الذكاء الاصطناعي والتعليم عن بعد إلى المهارات الأدائية.					
32.يعتبر خريجو الجامعات التي تعتمد على توظيف الذكاء الاصطناعي أكثر مهارة في المجال التقني					
33.يمتلك خريجو الجامعات مهارات ومعارف لا تقل قيمتها عن خريجي الجامعات الحقيقية					
34.يحتاج خريجو التعليم عن بعد إلى الكفاءة العملية وربط التعليم بالحياة الحقيقية					
البعد الرابع: السمعة العلمية للجامعات					
35.تؤدي أدوات الذكاء الاصطناعي والتعليم عن بعد إلى تدني تصنيف الجامعات علمياً.					
36.يتيح الاعتماد الكبير على أدوات الذكاء الاصطناعي إلى قلة الأمانة العلمية في البحوث الجامعية					
37.يمكن توظيف أدوات الذكاء الاصطناعي في الإساءة إلى رموز الجامعات والقضاء على السمعة العلمية لها					
38.يعد توظيف أدوات الذكاء الاصطناعي من أشكال انتهاك النزاهة الأكاديمية.					
39.تكون الشهادة العلمية في الجامعات التقليدية أكثر قيمة من الشهادات في الجامعات التي تعتمد على الذكاء الاصطناعي والتعليم عن بعد					
40.يعتمد التعليم المعتمد على الذكاء الاصطناعي والتعليم عن بعد أقل مصداقية من التعليم الحقيقي.					

اضرار المخدرات أسبابها ونتائجها وعلاجها

م. د. مريم مجيد عبد الله
وزارة التربية- مديرية تربية بغداد الكرخ الثالثة
ثانوية غانم حمودات- العراق
Maryam 71majeed@gmail.com
009647505957529

أ. م. د. عبد الهادي محمود الزيدي
جامعة بغداد / كلية العلوم الإسلامية
العراق
abdulhadialzaidi@yahoo.com
009647806003539

الملخص

تكمن مشكلة بحث ((اضرار المخدرات أسبابها ونتائجها وعلاجها)) في تسليط الضوء على أضرار المخدرات، كونها مشكلة عالمية، ذات اثر بالغ الخطورة على المجتمعات التي أبتلية به لضررها الفادح من الناحية الصحية، والاجتماعية والاقتصادية؛ للخطر الحقيقي الذي يتسبب في المدمن من تحطيم نفسه بانحطاط كرامته، وهدم وتفكك لأسرته التي يعيلها او تعيله، كون المدمن عالة على أسرته، وباختياره للإدمان فهو يعد عنصراً غير منتج أو فعال في المجتمع لذا جاء هذا البحث ليبين مفهوم الإدمان، واسبابه، واضراره وطرق علاجه.

Drug damage causes, consequences and treatment

Dr. Maryam Majeed Abdullah
Ministry of Education, Directorate of Education of Baghdad Al-Karkh3 / Ghanem Hamoudat High School for Distinguished Students
Dr. Abdul Hadi Mahmoud al-Zaidi
University of Baghdad / College of Islamic Sciences

Abstract
The research problem ((Drug damage causes, consequences and treatment)) lies in shedding light on the harms of drugs, as it is a global problem, with a very serious impact on the societies that have been afflicted by it due to its severe harm in terms of health, social and economic. The real danger that causes the addict to destroy himself by the degradation of his dignity, and the demolition and disintegration of the family that he or she supports, The addict being dependent on his family, and choosing addiction is considered an unproductive or effective element in society, so this research came to explain the concept of addiction, its causes, damages and methods of treatment.

المقدمة

الحمد لله العلي العظيم الذي علمنا وهدانا والصلاة والسلام على سيد الخلق اجمعينﷺ واله وسلم تسليماً كثيراً وبعد...

مشكلة البحث:

انتشار تعاطي المخدرات، التي تؤثر على سلوك الفرد وعدم القدرة على التحكم في تصرفاته ولهذا الامر خطر كبير لأنه؛ يجعل متعاطيه يفقد عقله، ويتحول من أنسان الى حيوان بجسد انسان، والآثار الجانبية التي تسببها تصرفات متعاطي المخدرات على المجتمع من حولهم.

أهمية البحث:

تأتي أهمية بحث ((**اضرار المخدرات أسبابها ونتائجها وعلاجها**)) لمحاولة لرفع القدرات العلمية، والمعرفية، والأخلاقية، والمهارية، للشباب بشكل خاص، والمجتمع بشكل عام للابتعاد عن التورط في تعاطي المخدرات وحمايتهم من خطورتها، بزيادة الوعي لديهم من اضرار ما يستجد في الوقت الحالي بالابتعاد عن التقليد الاعمى الوافد الى مجتمعنا الإسلامي من الأفكار الغريبة بتسليط الضوء على الأسباب التي تؤدي الى الادمان الذي يتسبب في مشاكل جسدية، ونفسية كبيرة تصل به الى فقد حياته.

هدف البحث:

يهدف البحث الى هدفين:

الهدف الأول: التعرف على أسباب زيادة تعاطي المخدرات.

الهدف الثاني: محاولة الوصول الى حلول جذرية تقلل، وتقضي على تعاطي المخدرات.

حدود البحث ومجتمع الدراسة:

يقتصر البحث الحالي على مجتمع توضيح مشكلة تعاطي المخدرات بالعراق بشكل خاص والذي يمثل عينة البحث.

منهجية البحث:

اعتمد الباحثان في هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي من حيث وصف الظاهرة ثم البحث في الاسباب والنتائج.

الدراسات السابقة:

لم تكن دراستنا هذه الأولى لبحث هذا الموضوع، ولكن لأهميتها قمنا بدراسة الموضوع مع مراجعة الدراستين السابقتين:

- الإدمان على المخدرات والمؤثرات العقلية، أ. د. محمد حمدي حجاز. جامعة دمشق- كلية التربية- قسم علم النفس وأكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية في الرياض، مجلة الفكر الشرطي -المجلد الثاني عشر- العدد(45) سنة2003.
  ملخص الدراسة: الذي يؤكد في دراسته على أن السلوك البشري المتأثر بالعوامل الثقافية، والاجتماعية هو من ابرز أسباب السلوك الإدماني. كما أكد في نفس الدراسة على أن التربية بطريقة محددة، والصفات الوراثية، والصفات الشخصية، والثقافية هي من أبرز أسباب الإدمان على المخدرات والمؤثرات العقلية.
- الإدمان على الخمر والمخدرات، أ. د. مكي دردوس. كلية الحقوق جامعة منتوري. عدد18. ديسمبر.2002. قسطنطينية-الجزائر.
  ملخص الدراسة: الذي يؤكد في دراسته على أن الإدمان سلوك مكتسب يمكن للفرد أن يتجنبه، كما أكد في نفس الدراسة على أن البطالة أهم أسباب الإدمان.

خطة البحث: شمل البحث على مقدمة وثلاثة مباحث، فكان المبحث الاول: في ماهية المخدرات من النواحي كافة، وتناول المبحث الثاني أضرار المخدرات، وكان المبحث الثالث: دراسة عملية من خلال

استبانة أظهرت أضرار وأسباب تعاطي المخدرات وتحليل نتائجها ببرنامج اكسل، وأنهينا البحث بخاتمة شملت خلاصة ما توصلنا اليه بشكل نتائج وتوصيات، وحاولنا الالمام بالموضوع عن طريق البحث الموسع بالمعلومة الصحيحة.
الكلمات المفتاحية: مفهوم المخدرات، الحكم الشرعي للمخدر، اضرار المخدر، أسباب الإدمان المخدر، نتائج ادمان المخدر.

المبحث الأول

مفهوم المخدرات واسبابها وحكم الشريعة الإسلامية

المطلب الأول: المعنى اللغوي والاصطلاحي لمفهوم المخِدرات.

أولاً: المخِدرات لغة استترت، والخادر: المتحير، والخادر والخدور من الدواب وغيرها: المتخلف الذي لم يلحق، وقد خدر. وخدرت الظبية خدرا: تخلفت عن القطيع مثل خذلت، والخدور من الظباء والإبل: المتخلفة عن القطيع، ومن هنا استعملت كلمة مخدرات على أساس أنها مواد تستر العقل وتغيبه، وأن لفظة (المخِدرات) مشتقة من المخْدر أي مستْر يَمّد للجارية في ناحية البيت(ابن منظور،1994،ص.233/4).

والمخَدر: تشير الى الظلمة، والخدرة: حالكة الظلام، ومنه صفة المخادر: وتعني الكسلان، ويمكن أن يكون المخِدر دواء أو شراباً، ويصاحبه فتور وكسل ينتاب شاربه، وكلمة خدارت: جمع مخّدر خدوُر، وأخدر فهو خادر ومخدر إذا كان في خدره وهو بيته وقد تقدم قريبا، والعرين الأسد، أي وأخدر العرين الأسد ويعني به بيته: ستره وواراه فهو مخدر، على صيغة اسم المفعول، أي قد أخدره العرين ومخدر على صيغة.(الزيدي،2001،ص.334/6).

ثانياً: المخدرات اصطلاحاً: مفردها مخدر وهي كل مادة تسبب فقد الوعي بدرجات مختلفة كالبنج، والافيون، والحشيش وغيره.(معلوف،1960،ص.377).وهي مسكرة أو مفترة، بعضها طبيعية وبعضها الآخر مواد مستحضرة كيميائياَ، تؤثر على العقل بنسب متفاوتة، وتعاطيها يسبب الإدمان، ويؤدي الى تسمم في الجهاز العصبي، وبهذا تسبب ضرراً للفرد وللمجتمع، ويحظر التعامل بها أو زراعتها، أو صناعتها خارج نطاق القانون، ومما لا يخالف شريعتنا الإسلامية الغراء.

ونجد في هذا التعريف نوع من الاحاطة والشمول لكي يكون تعريفا ناجحا وعلميا، ومع ذلك وربما لخطورة موضوع المخدرات نفسه حاولت جهات عدة تعريفها من زاويتها، وسنحاول هنا المرور على بعضها لزيادة المعرفة بالموضوع.

اما مفهوم المخِدرات من الجانب الاجتماعي: فتشمل أي مادة طبيعية أو صناعية أو كيميائية يحتمل إنها تقود الى الاعتياد ومن ثم الادمان، أو قد تسبب نوعاً من الخمول والكسل والاسترخاء، أو عكس ذلك من فرط حركة غريب أ وانتباه غير عادي أو ربما هلوسة، واذا امتنع عنها، فقد يكون ذلك سبباً لبروز علامات مرضية نفسية وجسدية كبيرة ومؤثرة على الفرد والمجتمع. كما تعرف أيضا: بكونها مواد تقود متعاطيها، الى السلوك الغريب والشاذ، ولذلك ينظر اليها أنها مواد مشتتة للعقل، مسببة سلوكا شاذاً .(فريدة،2009،ص.148).

وفي المفهوم القانوني ينظر اليها: المخدرات كل ما يسبب الاعتياد والادمان، وتؤذي جهاز الإنسان العصبي وهي ممنوعة قانونياً، من التداول والزراعة، أو حتى إدراجها في الصناعة في غير ما حدده

القانون، وقد ورد في المادة 20 من القانون الجزائري حول الوقاية من المخدرات وكل ما يؤثر على العقل، بحظر تعاطيه وتداوله بصورة غير مشروعة، وذلك لسنة 1961، المعدل وبموجب بروتوكول 1972".

كما حددت **وعرفت الاتفاقيات الدولية المخدرات، للدلالة على خطورتها**، انها كل ما يتسبب في التخدير، سواء كانت مواده طبيعية أم صناعية، وهي مراقبة دولياً تبعاً لاتفاقية سنة 1961، وقد تكرر التأكيد عليها في سنة 1971 كذلك.

وهناك أيضا تعريف محدد من الجانب الطبي للمخدرات: إذ يقصد بها المواد الطبيعية أو المصنعة المسؤولة بإيقاع تبدل في النشاط الذهني، وتكون مؤثرة على الجسم ووظائفه الطبيعية، وهي نوعان، الأول: المخدرات الجائزة وهي الأدوية المتوفرة في الصيدليات لغرض العلاج، والثاني: المخدرات غير الجائزة أو الممنوعة، وتكون على صورة نبات طبيعي مثل الحشيش أو ما يسمى بالقنب الهندي، أو قد تكون مصنعة، وهي التي تسبب الإدمان. فهذه المواد: نباتية كانت أم كيمياوية أم سوى ذلك، تكون ذات صيغة معينة، تجعل الانسان مدمناً، من غير اختياره، يستثنى من ذلك من يتناولها لأغراض التداوي، وذلك يحدث في بعض الأمراض، ويكون التعامل معها وفق متابعة طبية دقيقة، بحيث لا تسبب ضررا على من يتناولها في الجوانب النفسية أو الصحية أو الاجتماعية.(أبو جناح،2000،ص.30).

وبهذا يتبين ان المخدرات مواد طبيعية أو مصنعة ذات خواص بيو كيميائية تحمل امكانية التأثير على أعصاب ودماغ الإنسان، مما ينتج عنه اضطرابات جسدية وعقلية ونفسية لكل من يتناولها.

المطلب الثاني: أسباب تعاطي المخدرات وادمانها.

تعددت اسباب تعاطي المخدرات والإدمان عليها الى عدة أسباب ولعل ابرز هذه الأسباب هي :

1. الأسباب النفسية التي تدفع الفرد إلى تعاطي المخدرات بسبب؛ تعلقها بتكوينه الشخصي فالاضطراب العاطفي يؤسس للاضطرابات النفسية وعلى أثرها يتحقق الاستعداد النفسي لتعاطي المخدرات لكون الدافع النفسي يتأثر ويؤثر بمصادر السلوك فهو يمثل انعكاس لتدخل العوامل البيئية والشخصية فيكون عاملاً رئيساً لتعاطي المخدرات والمؤثرات العقلية.(رشيد،1993،ص.29).
2. التفكك الأسري وانشغال الوالدين عن الأبناء، وعدم وجود الرقابة والتوجيه الذي يؤثر على عدم استقرار الاسرة، مجالسة أو مصاحبة رفاق السوء ما يدفع الفرد الى تعاطي المخدرات(زهران،1974،ص.111).
3. الجهل والأمية من أهم أسباب الإدمان على المخدرات فالفرد المتعلم في الهيئات التعليمية التربوية يكون محصناً من تعاطي المخدرات لأداركه بمخاطرها.(غانم،2005،ص. 33).
4. الأسباب الاقتصادية كالبطالة التي تدفع الافراد لتعاطي المخدرات والإدمان عليها هرباً من المشاكل والضغط النفسي الذي يتعرضون له بالإضافة لسوء استخدام أوقات الفراغ. (شفيق،1990،ص.86).
5. الجهل بأخطار استعمال المخدر، وضعف الوازع الديني، والتنشئة الاجتماعية غير السليمة، والثراء الفاحش والتبذير دون حساب. (د.ن.(2015).مكافحة المخدرات والإدمان موقع: https://www.moh.gov.sa- أخر تعديل19 /جمادى الثانية/ 1436هـ، تاريخ الاسترجاع: 2023/5/3).
6. التطور والتكنولوجية الحديثة انعكست على المجالات الاجتماعية للأفراد حيث أصبح من الممكن جداً عبر وسائل الاتصالات الحديثة المتنوعة اختصار الزمن والمسافات للتواصل في كل مكان من دول العالم.(جابر، 2001، ص218). فصاحبتها سلبيات كثيرة وشكلت سبباً في تفشي بعض الجرائم ومنها تعاطي المخدرات وذلك؛ لسهولة ترويج تعاطي المخدرات عن طريق وسائل الاتصالات الحديثة بالإنترنت والهواتف النقالة(زيد،1988، ص66).

عوامل وراثية (جينية): بمجرد البدء بتناول المواد التي تسبب الإدمان، قد يتطور مرض الإدمان بسبب الصفات الموروثة (الجينية)، والتي تكون سبب في تأخير أو تسريع بالمرض.(أبو جناح،2000،ص.42).

7. المطلب الثالث: الحكم الشرعي للمخدرات.

تنظر الشريعة الاسلامية لموضوع المخدرات على أنها محرمة لأنها؛ مفسدة للعقل فالعقل بهذه الأهمية، فقد حرم الله عز وجل جميع مهلكات ومفسدات العقل البشري، مهما تكن من مطعومات أو مشروبات، وفي مقدمة المحرمات في الإسلام: شرب الخمر، وقد أكدت سنة النبي -ﷺ- تحريم الخمور والمسكرات، مثل: الحشيش أو الأفيون أو الكوكايين، وكذلك كل ما يسكر أو يفتر قوة الإنسان، لكونها تتسبب في غياب العقل وتشتيته.

وحرمة الشريعة الإسلامية كل ما يذهب بالعقول ولأن مجتمع الجاهلية كان يرفض كل شيء يأمره بترك العادات التي تربى عليها كالنهي عن شرب الخمر فقد جاء حكم التحريم به بالتدريج ولم يأتي دفعة واحدة حتى يتقبلوا الامر فجاء قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ}(النساء: 43).

وجه الدلالة: كان المسلمون يشربون الخمر حتى وقت الصلاة ثم يدعون شربها، فيأتون الصلاة وهم يعلمون ما يقولون (الطبري،2001،ص. 659/8). حتى جاء التحريم التام وفق ترتيب المنهج فنزل قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ}(سورة المائدة: 90-91).

وجه الدلالة: أن الخمر يزيل العقل، وإذا زال العقل استولت الشهوة والغضب، وعند استيلائهما تحصل المنازعة بين الأصحاب، وقد يؤدي ذلك إلى الضرب والقتل والمشافهة بالفحش، فيورث ذلك العداوة والبغضاء.(الرازي،2000ص. 423/12).

وتعد هذه مرحلة وسطى، بين التحذير من الخمر؛ لكون إثمها أكبر من نفعها وبين التحريم القطعي؛ وكانت مهمة هذه المرحلة: هي منع ظاهرة الشراب، أو محاربة الإدمان، عن طريق تحريم الشراب بقرب أوقات الصلاة. وعلوم أن أوقاتها موزعة على ساعات اليوم، وبينها ساعات لا تتسع لمعاقرة المسكرات، وهذه النقطة قد لا يرضي المدمن، ثم ستكون هناك صعوبة في التخلص من السكر، لكي يعلموا ما يقولون أثناء الصلاة، إضافة الى أن للشراب غالباً مواعيد هي صباحاً ومساء، وهذه الأوقات تقع فيها أوقات الصلاة المكتوبة، مما يضع المسلم أمام إختبار واضح: فإما الصلاة وإما الشراب: إما طاعة الله وإما معصيته، والمسلم يعلم جيداً، إنه لن يكون مسلماً من غير أداء الصلاة التي هي ركن الدين الأساس.(أيوب،واخرون،2015،ص343/10). كما أكدت السنة النبوية على حكم تحريم الخمر فعَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قَالَ: ((كُلُّ شَرَابٍ أَسْكَرَ فَهُوَ حَرَامٌ)).(البخاري،2002، ص58/1). وبما ورد في صحيح مسلم، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((كُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ، وَكُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ)).(مسلم، 1955،ص1587/3). إذ يؤكد الحديث الشريف: إن كل ما خالط عقل الانسان ومنعه من العبادة والتفكر والعمل وممارسة واجبه في الحياة، فهو محرم لا ينبغي تعاطيه.

المبحث الثاني

أضرار المخدرات ونتائجها على المدمن

أكدت دراسة علمية طبقت في مناطق عدة من العالم، سنة 2017، وروّجت لها مجلة (عالمنا في بيانات) الصادرة باللغة الإنجليزية عام 2019، إن تعاطي المسكرات والمخدرات والإدمان على الكحول يؤدي إلى وفاة ما يقرب من (350) ألف شخص كل عام، كما أن ذيوع ونشر المخدرات هو من المسببات الرئيسة المؤدية إلى الموت في الكثير من دول العالم، فمثلا: في عام (2017) كان عدد الوفيات السنوية الناتجة عن تعاطي المخدرات في الولايات المتحدة، أكثر من عدد الوفيات في حوادث السير.(العقلة، احسان.(2022). بحث عن المخدرات. موقع: https://mawdoo3.com أخر تحديث 9/ يناير/ 2022، تاريخ الاسترجاع 2023/7/1) .

وسنعرض هنا أهم الاضرار التي تسببها المخدرات في مختلف الجوانب:

المطلب الأول: الأضرار الصحية للمخدرات.

تنتج عن ادمان المخدرات بشكل عام على المتعاطي لها اضرار جسيمة ولعل من أبرز هذه الاضرار.(العمري،2021،ص40وما بعدها).

1/ **اضطرابات القلب:** مما يتسبب بارتفاع ضغط الدم، وقد ينتج عن ذلك تمزق الشرايين والموت المفاجئ.

2/**الإصابة بالتهابات في المخ:** إذ يحدث تآكل الملايين من الخلايا العصبية المكونة للمخ، فينتج عنه حالة الهلوسة المربكة للفكر والبصر والسمع، وربما ضعف أو مسخ الذاكرة نهائيا.

3/**اضطرابات الجهاز الهضمي:** وتؤدي الى منع الشهية للطعام، مما يتسبب في نقص في الوزن.

4/ **زيادة نسبة السموم في الجسم:** وينتج عنها الإصابة بتليف الكبد، فالأفيون مثلاً: يحلل خلايا الكبد ويصيبها بالتليف وارتفاع مستوى السكر.

5/**ضعف جهاز المناعة:** وينتج عنه ظاهرة التعب والنحول وفقدان التوازن لدى المصاب، يرافقه صداع مزمن، وكذلك طنين الأذنين، واحتقان العينين.

6/ **أضرارا بالغة للمرأة الحامل والنشاط الجنسي:** فقد يتسبب في فقر الدم، والإصابة بمرض السكر واضطراب القلب وضعف الكبد، والتهاب الرئتين وإصابة الأجنة بعيوب خلقية، أو شكل مقلوب للطفل، ونقص في النمو وربما تمر المرأة بحالة إجهاض.

7/**الإصابة بالصرع:** ثبت علمياً إمكانية تعرض المدمن على المخدرات، لمرض الصرع في حالة إمتناعه فجأة عن تناول المخدرات، بعد أقل من عشرة أيام من وقف تعاطيها.

8/**تهيج للأغشية المخاطية:** بحصول التهاب في الشعب الهوائية، وبروز التحسس الرئوي المزمن، وربما الإصابة بالتدرن الناتج عن ترسب المواد الكربونية في القصبات الهوائية.

9/ التهابات مزمنة في المعدة: وهو يؤدي الى خلل في عملية الهضم، ويتسبب في حصول التهاب في غدة البنكرياس التي تنتج هرمون الأنسولين وهو يوازن مستوى سكر الدم، ومما ينتج عن ذلك أيضاً: ظاهرة الانتفاخ والتخمة، المرتبط بزيادة الغازات الناتجة عن تقلبات الجهاز الهضمي وسوء الهضم، وقد يتطور الى الإصابة بالإسهال أو الإمساك.

10/**الاصابة بالسرطان:** تعد المخدرات من المسببات المؤكدة للإصابة بأخطر أنواع السرطان، وأشرسها.

المطلب الثاني: أضرار المخدرات على الجهاز العصبي والنفسي والعقلي:

أولاً: أضرار المخدرات على الجهاز العصبي:

تؤثر المخدرات بشدة على أجهزة الجسم بشكل عام، ويتأثر الجهاز العصبي للجسم أكثر من غيره في هذا المجال، لأنه المستهدف الرئيس من مواصلة الإدمان، والجهاز العصبي يؤثر على بقية أعضاء الجسم ووظائفه، لكونه الجهاز المسيطر على أجهزة الجسم الأخرى، فعند تناول المدمن للمخدرات، يحدث خللاً قوياً في عمل الجهاز العصبي، يعقبه كسل واضطراب في أداء المخ، وهي حالة ناتجة عن ما تسببه المخدرات من اضطراب في المادة الكيميائية المكلفة بتوصيل الاشعارات العصبية، ثم يحدث بطء في بقية وظائف الدماغ، ثم ضعف في قدرتها على حفظ بالمعلومات، وهي كذلك تصيب الأداء الحركي للجسم بالوهن، وظهور الشعور الوهمي بالسعادة المفرطة الذي يربك وظائف الجسم بشكل مؤكد. .(فريدة،2009،ص148).

ثانياً: أضرار المخدرات النفسية والعقلية:

وأبرزها هي: (السيد،1986،ص15).

1/الشعور المزمن بالخوف والقلق، وكذلك وجود اضطرابات واضحة في وظائف الجسم.

2/ ظهور خلل واضح في طريقة عمل المخ، وقد ينتج عنها تغيرات معينة في تركيبة المخ بشكل عام، وقد تتطور الحالة الى ميل المدمن الى الانتحار.

3/ ظهور اصابات واضطرابات فيما يسمى بالإدراك الحسي، وخصوصاً في حاستي السمع والبصر.

4/من الممكن تعرض المدمن الى حصول خلل لديه في الأبعاد الزمنية والمكانية وتقدير الأحجام، فيتجه الزمن عنده للبطء، ويشعر بميل المسافات للطول، وتتجه الأحجام عنده للتضخم.

5/بروز حالة مرضية ترتبط بصعوبة وبطء التفكير، مع زيادة القلق والتوتر والشعور بالضيق وعدم الاستقرار.

6/التهيج العصبي غير المبرر، مصحوباً بمزاج صعب، والتوتر والانفعال الدائم والحساسية الكبيرة تجاه الكثير من الأشياء.

7/الميل الى إهمال العناية بالمظهر الشخصي، وتناقص القدرة على العمل، وصعوبة الاستمرار فيه.

المطلب الثالث : نتائج أضرار المخدرات الاجتماعية والاقتصادية

أولاً: من أبرز الأضرار الإجتماعية التي يسببها الإدمان، هي: (العمري،2021،ص50).

1/ معلوم أن المخدرات تسلب الميزة الإنسانية لمتعاطيها، وتقلل من مكانته وتجعل منه أقرب الى معيشة البهائم، يفشل في إدارة الأسرة، وتسيير أحوالها بصورة رشيدة.

2/ يبتعد المدمن عن أجواء أسرته، ثم بقية شرائح المجتمع، ولهذا تتفكك علاقته مع محيطه من أسرة وأصدقاء.

3/ ظاهرة التوتر والعصبية وسوء مزاج المدمن تكون واضحة، فينتج عن ذلك خلافات ومشاكل بين أفراد الأسرة، بسبب سلوكه المرفوض.

4/ ميل المدمن بدرجة كبيرة الى الانحراف والرذيلة والمعصية، فتعدّ صفات الكذب والغش والزنا والإهمال وغيرها من سمات شخصيته، وكذلك انتشار الجرائم المختلفة بين المدمنين.

5/يمتاز المدمن بمخالفة القوانين ومعارضة عادات وتقاليد الناس، بسبب ميله الى تحقيق نزواته الشيطانية التي تراوده وتضغط عليه.

6/ يلاحظ كثرة حوادث المرور في الشوارع بسبب المدمنين، لقلة تركيزهم وفقدانهم الوعي.

7/ ومن الأضرار الكبيرة: إهدار أموال الدولة التي تنفق في محاربة المخدرات، بملاحقتها وإنشاء المشافي المختصة بمعالجة حالات الإدمان، وإهمال بناء المرافق والمؤسسات التي تخدم المجتمع كالمستشفيات والمدارس والخدمات العامة.

ثانياً: ابرز أضرار المخدرات الاقتصادية:

1/ من أضرارها الواضحة: هدر المال الخاص والعام واتلاف موارد الأسرة وممتلكاتها.

2/ تفشي المرض وانتشار الكسل والفتور بين متعاطي المخدرات، مما يتسبب بانعدام الانتاج ويلحق الضرر بمصالح المجتمع الاقتصادية.

3/ معلوم أن الإدمان يستنزف أموال الدولة ويهدر الموارد الاقتصادية، فيفرض على الدولة مهمات جديدة تتعلق برعاية هؤلاء المدمنين، وإقامة مستشفيات، وملاحقة المروجين لتلك المواد المخدرة المحظورة، وغير ذلك من النفقات التي تخصصها الدولة لمعالجة هذه الظاهرة.

4/ (إذا كانت الأموال التي تنفقها الدول في مجال الخدمات والإنتاج والتنمية تعود بالنفع عليها، فإن الأموال التي تنفق في مجال تجارة المخدرات وتعاطيها تعتبر أموالاً ضائعة لا تعود بالنفع على الفرد والمجتمع، بل يعد إنفاقها مزيداً من الخسائر والتدهور والانهيار الاقتصادي).(الرماني، زيد بن محمد.(2017/7/10). *الواقع وآفاق المواجهة*. تم استرجاعها في 2023/7/6 من الموقع الالكتروني.

5/ تعاني البلدان التي تزرع فيها المخدرات، من خسائر اقتصادية كبيرة، أولها عدم الاستفادة من هذه الأراضي التي لو زرعت بالمحاصيل الزراعية لكانت ذات فائدة أكبر، ويستفيد منها المجتمع.

6/ تخسر البلدان التي تهرب اليها المخدرات، نفقات كبيرة وأموال طائلة في تهريب المواد المخدرة وفي خزنها وتوزيعها على المدمنين والمتعاطين.(ضوء،2020،ص.47).

المطلب الرابع: نتائج أضرار المخدرات على المجتمع والشباب.

واجهت البلاد الإسلامية التي أحتلها المستعمرون فساداً كبيراً من ذلك، منها: محاربة المحتلين لدينهم علناً، وسلب عقولهم، وسرقة ثروات بلدانهم، ومنها: اشاعة الانحراف والشذوذ كالإدمان على الخمر والمخدرات ، والرذيلة، والقمار، وباتوا يستدرجونهم حتى خرجوا عن استقامة الإسلام، ثم تسلّم المنحرفون قيادة الرذيلة في البلدان الاسلامية، وانتشروا فيها للتأثير على الأجيال الناشئة. وقد نشروا تعاطي المخدرات ونشرها بين الناس، متجاهلين رفض القانون الدولي العام لها، وانه يحرّم التعامل وتجارتها. وقد كان بعض هؤلاء من الدخلاء على المجتمع الاسلامي، يقومون بتهريب المخدرات إلى البلدان المحتلة، ثم يشاركون عصابات الجريمة في أرباح تجارتها الشاذة، ويشجعون سرّاً على تناولها وإدمانها، بهدف سرقة الأموال الحرام من جانب، وتحطيم رغبة وروح المقاومة في نفوس مدمنيها من

جانب آخر، بوأد القوى والنشاطات التي تدفع الإنسان إلى الكفاح وطلب الخلاص من ذل الاستعباد.(الميداني،2000،ص427).

ويتجه معظم مدمني المخدرات في العالم، إلى الحصول على المال اللازم لاقتناء المخدرات، بطرق ملتوية مختلفة إن تطلب الأمر، متجاهلين القيم الاجتماعية وأعراف المجتمع، لهذا ينبغي على الحكومات المجتمع كله، القيام بمهمة مواجهة انتشار المخدرات، والقيام بحملات توعية متنوعة للتنبيه والتحذير من خطورة المخدرات على الفرد والمجتمع بشكل عام، عن طريق: إقامة محاضرات دينية، وتنظيم نشاطات ثقافية ورياضية عامة، في مؤسسات المجتمع المختلفة كالمدارس والمؤسسات والجامعات، وكذلك استثمار أماكن تجمعات الشباب لنشر التوعية بخطورة المخدرات، فالشباب ثروة كل أمة وأمل مستقبلها المنشود. (السيد،1986،ص23).

المبحث الثالث

الدراسة العملية للأضرار المخدرات

بعد عرضٍ لكل عناصر الموضوع من مفهوم المخدرات واسبابها واضرارها ونتائجها قمنا بدراسة تؤيد بحثنا من خلال عمل استبانة استطلاعية على عينة عشوائية بطرح عدد من الأسئلة حول أسباب الإدمان على المخدرات بشكل استبانة مفتوحة وكان عدد الردود 75 رداً كما هو مواضح بالشكل(1).

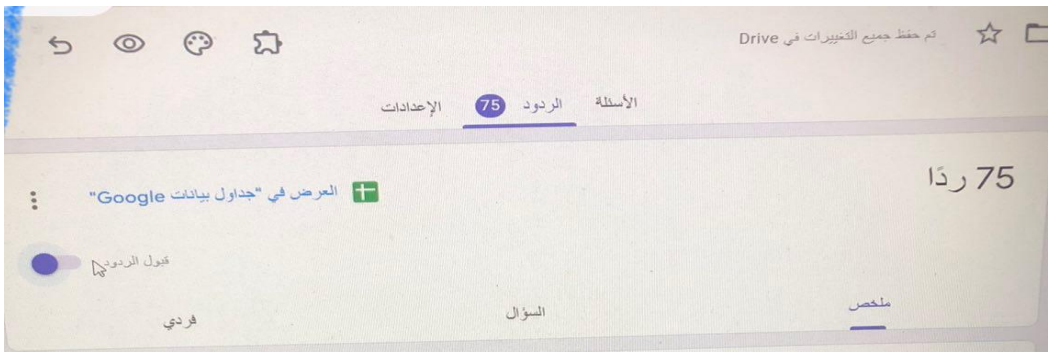

الشكل رقم (1) يمثل الردود في الاستبانة العشوائية.

ثم أستخلصنا من هذه الأجوبة عدد منها وقدمنه بشكل أسئلة في استبانة مغلقة وكان عدد الردود 60 رداً كما هو مواضح بالشكل(2).

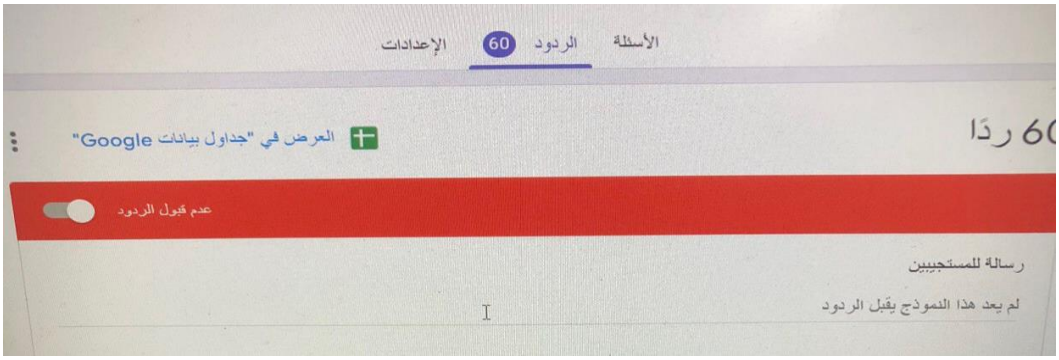

الشكل رقم (2) يمثل الردود في الاستبانة المغلقة.

ثم قسمنا الأسئلة على اربع محاور وهي: المحور النفسي، والمحور الاسري، والمحور الاجتماعي، والمحور الديني.

البنود	ك/ دائما	النسبة %	ك/ أحياناً	النسبة %	ك/ أبدا لا	النسبة %
عندما أشعر بألم أخذ مسكن بدون استشارة طبيب.	15	2.5	11	18.3	34	56.6
عندما يعرض عليه مسكن وأنا أشعر بصداع أخذه مباشرةً.	13	21.6	14	23.3	33	55
عند الشعور بتحسن لاستعمال نوع معين من الدواء استمر عليها.	11	18.3	9	15	40	66.6
عدم معرفة المتعاطي للمخدرات بأضرارها سبب في ادمانه.	21	35	13	21.6	26	43.3
مجموع التكرار	**60**	-	**47**	-	**133**	-

جدول رقم (1) المحور النفسي

البنود	ك/دائما	النسبة %	ك/ أحياناً	النسبة %	ك/ أبدا لا	النسبة %
يلجأ البعض الى تعاطي المخدرات بسبب سوء معاملة الاسرة لهم.	14	23.3	6	10	40	66.6
زيادة مشاكل الاسرة من ابرز أسباب الإدمان.	24	40	34	56.6	2	3.3
تدني المستوى الثقافي للأسرة سبب في ادمان افرادها.	23	38.3	27	45	10	16.6
ادمان أحد الابوين يورث الإدمان لأبناه.	13	21.6	44	73.3	3	5
مجموع التكرار	**74**	-	**111**	-	**55**	-

جدول رقم (2) المحور الاسري

جدول رقم (3) المحور الاجتماعي

البنود	ك/ دائما	النسبة %	ك/ أحياناً	النسبة %	ك/ أبدا لا	النسبة %
اختلاط المسلم بغيره من الأديان الأخرى سبب في الادمان.	3	5	25	41.6	32	53.3
جهل المتعاطي للمخدرات بحرمتها في الشريعة الإسلامية.	18	30	33	55	9	15
توقف أولي الامر عن تقديم النصيحة سبب في الادمان.	15	25	4	6.6	41	68.3
أعتقد بأن المسكرات في الشريعة الإسلامية تعد من الكبائر.	47	78.3	5	8.3	8	13.3
مجموع التكرار	**83**	-	**67**	-	**90**	-

جدول رقم (4) المحور الديني

عرض النتائج وتفسيرها مناقشتها.

تم استخراج النتائج النهائية من خلال تقسيم أسئلة الاستبانة الى محاور وأظهرت نتائج المقياس كما موضح بالجدول رقم(5) إجابات أفراد العينة كاملة، بعد ترتيبها بحسب خيارات الاجابة (دائماً، احياناً، أبداً لا) في المحاور الأربع فاحتل المحور الديني بتكرار(دائماً) المرتبة الاول من اراء المجيبين على الاستفتاء بعدد 83 وبنسبة33%، وتلاه المحور الاسري بعدد 74 وبنسبة 29% ثم جاء في المرتبة الثالثة المحور النفسي بعدد60 وبنسبة24% وجاء في المرتبة الأخيرة لنفس التكرار المحور الاجتماعي بعدد36 وبنسبة14%، اما من حيث الاجابة بتكرار (أحياناً) فقد جاء في المرتبة الأولى المحور الاسري بعدد111 وبنسبة 36%، ثم تلاه المحور الاجتماعي بعدد81 وبنسبة26 % أما إجابة المحور الديني فقد جاءت بعدد67 وبنسبة 22% في حين جاء المحور النفسي بعدد 47 وبنسبة 15% ومن حيث الاجابة ب (أبداً لا) فقد جاء هذا الاخير بالمرتبة الأول بعدد133 وبنسبة 33% ثم تلاه المحور الاجتماعي بفرق يسير بعدد123 وبنسبة 31%، في حين جاء المحور الديني بعدد90 وبنسبة22%، في حين تراجع الى المرتبة الاخيرة المحور الاسري لنفس التكرار بعدد55 وبنسبة14% وقد تم توضيح النتائج في جدول رقم (5) وأسئلة الاستبانة لكل محور في جدول خاص بالإضافة الى الجدول الرئيسي الذي يضم كل المحاور جدول رقم (6) وقد تمت الإفادة بالنسبة لطريقة التقسيم الى محاور من بحث منشور في مؤتمر قدمناه سابقاً(عبدالله، 2023، ص. 337).

جدول رقم (5) يمثل نتائج إجابات المحاور

المحور	ك/دائما	النسبة %	ك/ أحياناً	النسبة%	ك/ أبدا لا	النسبة %	مجموع
المحور النفسي	60	24%	47	15%	133	33%	**240**
المحور الاسري	74	29%	111	36%	55	14%	**240**
المحورالاجتماعي	36	14%	81	26%	123	31%	**240**
المحور الديني	83	33%	67	22%	90	22%	**240**
مجموع التكرار	253	**100**	**306**	**100**	**401**	**100**	**960**

بعد تطبيق مقياس مفهوم المخدرات اشارت البيانات الإحصائية بعد تحليلها الى نتائج الدراسة ومعالجتها ببرنامج أكسل بتباين المحاور والشكل أدناه يمثل مخطط توضيحي لنتائج اثر المحاور في الادمان اللون الأزرق يمثل المحور النفسي، واللون البرتقالي يمثل المحور الاسري، واللون الرمادي يمثل المحور الاجتماعي، واللون الأصفر يمثل المحور الديني.

شكل رقم (3) مخطط يمثل اثر المحاور في تعاطي المخدرات

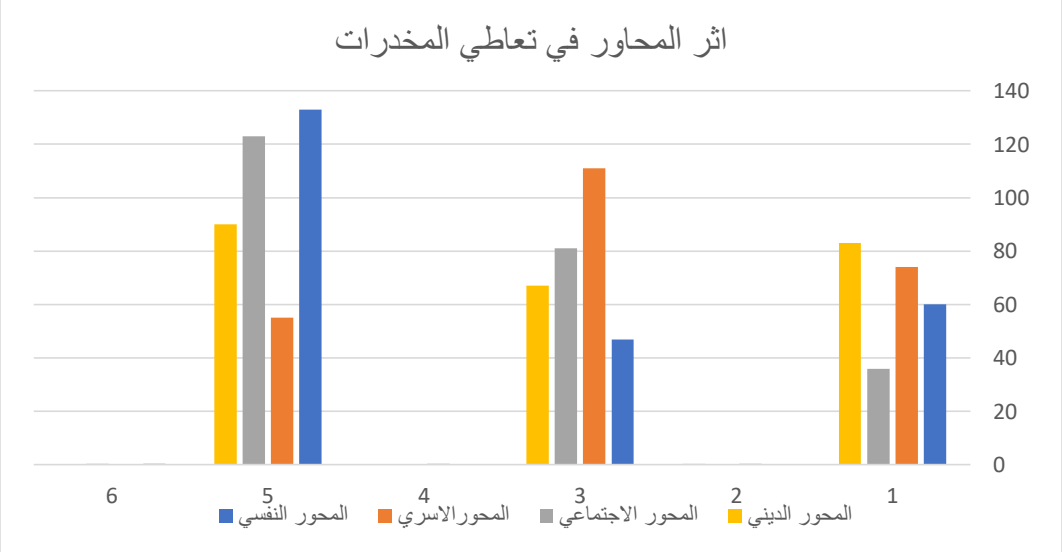

تحليل النتائج	المحور النفسي	المحور الاسري	المحور الاجتماعي	المحور الديني
الوسيط	60	74	81	83
الوسط الحسابي	80	80	80	80
الانحراف المعياري	46.35	32.31	43.50	11.78
الحد الادنى	47	55	36	67
الحد الاعلى	133	111	123	90

جدول رقم (7) يمثل نتائج المحاور

بنود الإدمان على المخدرات جدول رقم (8)

ت	البنود	دائماً	أحياناً	أبداً لا
1	عندما أشعر بألم أخذ مسكن بدون استشارة طبيب.	15	11	34
2	عندما يعرض عليه مسكن وأنا أشعر بصداع أخذه مباشرةً.	13	14	33
3	عند الشعور بتحسن لاستعمال نوع معين من الدواء استمر عليها.	11	9	40
4	عدم معرفة المتعاطي للمخدرات بأضرارها سبب في ادمانه.	21	13	26
5	يلجأ البعض الى تعاطي المخدرات بسبب سوء معاملة الاسرة لهم.	14	6	40
6	زيادة مشاكل الاسرة من ابرز أسباب الإدمان.	24	34	2
7	تدني المستوى الثقافي للأسرة سبب في ادمان افرادها.	23	27	10

8	ادمان أحد الابوين يورث الإدمان لأبناه.	13	44	3
9	السكائر الالكترونية من مظاهر التطور في المجتمع.	9	17	34
10	أعتقد بأهمية وفائدة المنشطات لتوفرها في الأسواق.	3	25	32
11	استخدم المعسل بالنركيلة ذات النكهات المختلفة لرخصه سعره.	6	17	37
12	سبب الإدمان على(المخدرات) هو سهولة الحصول عليها.	18	22	20
13	اختلاط المسلم بغيره من الأديان الأخرى سبب في الادمان.	3	25	32
14	جهل المتعاطي للمخدرات بحرمتها في الشريعة الإسلامية.	18	33	9
15	توقف أولي الامر عن تقديم النصيحة سبب في الادمان.	15	4	41
16	أعتقد بأن المسكرات في الشريعة الإسلامية من الكبائر.	47	5	8

الخاتمة: نتائج البحث و المقترحات والتوصيات:

نتائج البحث

1. المخدرات: هي كل ما يطلق عليها مادة مسكرة أو مفترة، طبيعية في وجودها أو مستحضرة بطرق كيمائية، وتخلف تأثيراً سلبياً على العقل، وتعاطيها يسبب الإدمان، وينتج عن ذلك تسمم في الجهاز العصبي، فتضر الفرد والمجتمع.
2. تقرر الشريعة الاسلامية بشأن المخدرات: أنها محرمة لكونها مفسدة للعقل، وقد حرم الله عز وجل كل ما يضره أو يعطله عن عمله.
3. تسبب المخدرات ارتفاعاً في ضغط الدم، وقد يؤدي ذلك الى تلف كبير الشرايين أو ربما الموت المفاجئ.
4. تعاطي المخدرات ينتج عنه الإصابة بالتهابات مختلفة في المخ، مثل تلف الملايين من الخلايا العصبية المكونة للمخ، ثم يتطور الأمر إلى الشعور المدمن بالهلوسة المؤثرة على فكره وسمعه وبصره وبقية وظائف الجسم.
5. تحّطم المخدرات مكانة الإنسان، وتقلل من قيمته في المجتمع، وتوصله الى درجة البهائم، فيفشل في توجيه أسرته وأبنائه الى الطريق المستقيم.
6. أظهرت الدراسة الميدانية من خلال الجداول المرفقة: أن عدم استقرار الحالة النفسية لها دور مهم في دفع متعاطي المخدرات الى ذلك، وأن الوازع الديني مهم جداً في معالجة الظاهرة.

أما أبرز المقترحات والتوصيات التي جاء بها البحث فهي:

1. التحدث مع أفراد الاسرة وخاصة الأطفال حول أخطار استعمال الادوية دون استشارة الطبيب وتوضيح خطورة تعاطي المواد المخدرة.

2 ـ يجب على الآباء والأمهات الذين ادمنوا المخدرات والكحول أن يتجنبوا التعاطي اماما ابنائهم ليكونوا قدوة حسنة لهم، كما أن أولاد الذين يتعاطون المواد المخدرة أكثر عرضة للإدمان من غيرهم.

3. تنبيه الأبناء عن عدم تناول أي شيء خارج البيت من شخص لا يعرفونه أو لا يثقون به ودعمهم وتشجيعهم لمقاومة ذلك.

4 ـ التأكيد على العلاقة المستقرة بين الآباء وبين أبنائهم تقلل من أخطار استخدامهم للمخدرات.

5. توجيه علماء الدين بالسير باتجاهين: الاتجاه الأول نحو من لم يتعاطى عن طريق زرع الوازع الديني داخل نفوس الابناء وتوضيح حرمة استخدام المواد المخدرة التي تفقد الانسان عقله، وكرامته، وتخرجه عن شعوره. والثاني: إلقاء محاضرات في الاقسام الاصلاحية، لتوعية نزلاهم حول حرمة الإدمان، ومخاطرها وتأثيرها على الصحة.
6. التوعية الشاملة لكل أفراد المجتمع من الأحداث، والشباب بجميع وسائل الإعلام المختلفة لحثهم على تجنب آفة الإدمان.

7. إنشاء المراكز الإصلاح والتأهيلية لعلاج المدمنين والتفريق بين المتعاطين وبين تجار المخدرات بزجهم سوية لما لهذا الامر من أضرار على المتعاطي، والخوف من عدم التماثل للشفاء لمجاورتهم.

8. فرض الرقابة المشددة على الحدود لضمن عدم تهريب المخدرات داخل البلد وبيعها في الأسواق، ومراقبة الأماكن العامة ك المدارس، والجامعات، والمقاهي والأحياء التي يتعاطى فيها المخدرات.

9. فتح المراكز والنوادي المجانية للشباب لممارسة الأنشطة الرياضية، والثقافية، والترفيهية، والاجتماعية، والدينية وتشجيعهم على ارتيادها لممارسة هوايتهم عن طريق تقديم الهدايا من خلال الأنشطة التي تقدمها بدخولهم المسابقة والفوز بها.

10. كما أدعو وزارة التربية والتعليم بتكليف جميع دوائرها بحث باحثيهم على زيادة تكثيف عمل البحوث والدراسات حول مشكلة المخدرات، ومحاولة إيجاد الحلول الجذرية بتعاون جميع الأطراف أبتدأ من الاسرة، الدولة، والمجتمع للتخلص من هذه المشكلة الهدامة وللمحافظة على أولادنا.

المصادر

- القران الكريم

1. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي الأنصاري.(1994). *لسان العرب*.(ط.3). بيروت: دار صادر.
2. ابو جناح، رجب محمد. (2000). المخدرات آفة العصر. ليبيا: دار الجماهير.
3. أيوب، أحمد بن سليمان. وآخرون.(2015). *موسوعة محاسن الإسلام ورد شبهات اللئام*.(ط.1). إشراف: د. سليمان الدريع. د. مكان. دار إيلاف الدولية.
4. البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي.(2002). *صحيح البخاري*.(د. ط). دمشق: دار ابن كثير.
5. جابر، حسن محمد.(2001). *المقاصد الكلية والاجتهاد المعاصر للمخدرات* .(د. ط). بيروت: دار الحوار.
6. د. ضو، خالد.(2020، كانون الأول). التكيف الفقهي والقانوني لتعاطي المخدرات والاتجار بها. *مجلة المفكر للدراسات القانونية والسياسية*.المجلد3،(4)، 34-53.
7. الرازي، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي.(2000). *مفاتيح الغيب*.(ط.3). بيروت: دار إحياء التراث العربي.
8. رشد، سهير.(1993). *الأقراص المنومة والمهدئات*.(د. ط). بيروت: الدار العربية للعلوم.
9. الرماني، زيد بن محمد.(2017/7/10). إدمان *المخدرات، لواقع وآفاق المواجهة*. تاريخ الزيارة 2023/7/6 موقع الالوكة: https://www.alukah.net .

10.الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق.(2001). *تاج العروس من جواهر القاموس*.(د. ط). الكويت: وزارة الارشاد.

11.زهران، حامد عبد السلام.(1974). *الصحة النفسية والعلاج النفسي*.(د. ط). القاهرة: عالم الكتب.
12.زيد، محمد.(1988). *آفة المخدرات وكيفية معالجتها*.(د. ط).بيروت: دار الأندلس.
13.السيد، حسين كامل.(1986).*احذروا المخدرات*.(د. ط). مصر: وزارة الاوقاف.

14.شفيق، محمد.(1990). *التنمية والمشكلات الاجتماعية*.(د. ط). الإسكندرية: محمد المكتب الجامعي الحديث.
15.الطبري، محمد بن جرير.(2001). *تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن*.(ط.1) تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركيز. د. مكان: دار هجر.
16.عبدالله، مريم مجيد.(2022). *تدني التعليم في العراق (أسباب ومعالجات)*.(ط.1). بحث منشور في مؤتمر "نحو استراتيجية وطنية شاملة لمحو الامية في العراق"(17- 2022/10/18. العراق: مؤسسة دار صادق الثقافية.
17.العقلة، احسان.(2022). بحث عن المخدرات. موقع: https://mawdoo3.com أخر تحديث 9/ يناير/ 2022، تاريخ الاسترجاع 2023/7/1) .
18.العمري، د. عبد الكريم.(2021). *الاضرار الناجمة عن تعاطي المسكرات والمخدرات*.(د. ط). السعودية: دار المآثر.

19.غانم، محمد حسن.(2005). *الإدمان*.(د. ط). القاهرة: دار غريب للطباعة.
20.فريدة، قماز.(2009). *عوامل الخطر والوقاية من تعاطي الشباب للمخدرات* .(د. ط). رسالة ماجستير، الجزائر: جامعة منتوري. قسطنطينة.
21.مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري.(1955). *صحيح مسلم*.(د. ط). تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.
22.معلوف، لويس.(1960). قاموس المنجد في اللغة والادب. بيروت: المطبعة الكاثوليكية.
23.الميداني، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة.(2000). *أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها: التبشير- الاستِشراق- الاستعمار، دراسة وتحليل وتوجيه(ودراسة منهجية شاملة للغزو الفكري)*.(ط.8). دمشق: دار القلم.
24.د.ن.(2015).مكافحة المخدرات والإدمان موقع: https://www.moh.gov.sa- أخر تعديل 19/جمادى الثانية/ 1436هـ، تاريخ الاسترجاع: 2023/5/3.

الجريمة البيئية وبعد التنمية المستدامة

مونة جنيح
دكتورة في الحقوق
أستاذة زائرة بجامعة عبد المالك السعدي- كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية - تطوان - المملكة المغربية
jiniah.mouna@gmail.com
+212668836281

الملخص:

استشعر المجتمع الدولي بمخاطر الجريمة البيئية وعواقبها خاصة بعد أن شهد وقوع العديد من الحوادث والجرائم البيئية المفجعة، التي كشفت عن عجز وقصور النظم القانونية التقليدية في ضوء التغيرات والتطورات الحاصلة في المجال البيئي، نظرا لاختلاف وتنوع وسائل ارتكاب الجرائم المضرة بالبيئة وتعدد مرتكبيها بصورة معقدة. لذلك سيتناول هذا البحث ماهية الجريمة البيئية كبعد من أبعاد التنمية المستدامة والحماية المخصصة لها من خلال الجهود الدولية المبذولة والمتجلية في إبرام الاتفاقيات والمعاهدات والمؤتمرات الدولية التي تعنى بحماية البيئة بمختلف عناصرها "البرية والبحرية والجوية"؛ ووضع نصوص قانونية للحد من انتشار ها بشكل يساهم في محاولة إيجاد حلول للتصدي للتحديات والاعتداءات التي تقع على البيئة، بهدف إعادة التوازن البيئي لها ووضع حلول تكفل حماية أفضل لها.

الكلمات المفتاحية: حماية البيئية، التنمية المستدامة، الاليات، الرهانات، المجتمع البيئي...

"Environmental crime and after sustainable development"

Dr MOUNA JNIAH
Doctor of Laws
Visiting professor at Abdelmalek Al-Saadi University
College of Legal and Economic Sciences
And social - Tetouan
The Kingdom of Morocco

Abstract:
The international community has felt the dangers and consequences of environmental crime, especially after experiencing many tragic environmental incidents and crimes, which have revealed the deficit of traditional legal systems due to environmental changes and the development of diverse means of committing crimes that are harmful to the environment and the complex multiplicity of perpetrators. This research will therefore examine what environmental crime is as one of the dimensions of sustainable development and protection allocated to it through international efforts initiated and demonstrated in the conclusion of international conventions, treaties and conferences dealing with the protection of the environment in its various components, "land, sea and air"; The development of legal texts to reduce it and contributes in finding solutions to address environmental challenges and abuses, to restore environmental balance and develop solutions that better protect it.
Keywords: environmental protection, sustainable development, machinery, bets, environmental community...
.

مقدمة:

تختلف مظاهر الإجرام البيئي وتتعدد الانتهاكات والتجاوزات الواقعة على البيئة في ظل غياب الوعي البيئي وعدم مواكبة التشريعات البيئية لمخاطر التلوث البيئي المتفاوتة الخطورة.، لذلك تطرح مسألة الخوض في موضوع "الجريمة البيئية وبعد التنمية المستدامة" الكثير من النقاشات القانونية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية، خاصة أمام الثورة التكنولوجية والعولمة المتطورة والنمو السريع في العمران والتزايد المستمر في السكان، بالإضافة الى المخلفات الصناعية وارتفاع كميات الملوثات نهيك عن الجرائم التي يقترفها الأفراد في حق البيئة الهوائية أو المائية أو الترابية...،مما يشكل تهديدا لاستقرار أمن المجتمع ومخالفة قواعده ونظمه القانونية ومعيقا للبعد البيئي للتنمية المستدامة Sustainable development»«والتي تمثل حلقة وصل بين الاقتصاد والبيئة والمجتمع باعتبارها حق أساسي من حقوق الإنسان.

ووفقا لهذا أصبحت البيئة تستأثر اهتمام الدول والشعوب بمختلف انتماءاتها وموقعها في الخريطة الدولية، وعقب ادراك المجتمع الدولي للآثار السلبية لتلوث البيئة والتي تؤثر على الصحة العامةوالحياة البرية (الفيل عدنان، 2012، صفحة 20)أبرمت الاتفاقيات والمعاهدات الدولية والإقليمية وتم اصدار تشريعات ومقتضيات داخلية للدول، وانعكس هذا الاهتمام على مختلف المستويات الدولية والإقليمية والمحلية للحد من مخاطر الإجرام البيئي والتلوث ومواجهة المخاطر الراهنة، فعملت كل دولة في نطاق سيادتها الإقليمية على اصدار القوانين الجنائية الخاصة بها لحماية البيئة، كماارتبطت البيئة بمفهوم التنمية المستدامة من أجل الحفاظعلى قاعدة الموارد المادية والبيولوجية وعلم النظم الإيكولوجية والنهوض بها(الدلالي الشحي هشام بن عيسى بن عبد الله، 2017، صفحة 30.)، فتظهر علاقة البيئة مع كل من العنصر الاقتصادي والاجتماعي وبالتالي على استمرارية نوعية الحياة(Robeyns I, 2007, p. 30).

ويسعى البعد البيئي للتنمية المستدامة للحفاظ على البيئة من خلال وضع برنامج تعاوني لدعم التربية البيئة وتطويرها، وتشجيع التنمية المستدامة من خلال الاشتغال على القضايا البيئية والتعاون الدولي ووضع خطط سريعة وفعالة للحد من الجرائم البيئية، وتحقيق نوعية أفضل للسكان وتعزيز وعيهم بالمشكلات البيئية القائمة من خلال إعداد وتنفيذ برامج ومشاريع التنمية المستدامة المرتكزة على التنوع البيولوجي والمحيطات والغابات والثروات والموارد المكتشفة، ومعالجة التحديات المتعلقة بها بحلول سنة 2030،الا أن مخاطر الجرائم البيئية واثارها في العصر الحديث تتزايد بشكل مستمر ما استدعى ضرورة وقف الانتهاكات والجرائم الضارة بالبيئة للحفاظ على الموارد المادية والطبيعية وتحقيق التنمية المرجوة في بعدها البيئي، وذلك عن طريقاتخاذ الإجراءات القانونية والوقائية لمحاربة الجريمة البيئية وتحقيق نمو اقتصادي واجتماعي يتلائم مع قدرات البيئة من أجل تحقيق رهان التنمية المستدامة، الذي يشكل هدفا

رئيسيا سعت الى تحقيقه جل القوانين المؤطرة للبيئة نظرا لما لها من أهمية في حياة الإنسان ولدى باقي الكائنات الحية.

مشكلة البحث: لا جدال في أن الحق في بيئة سليمة ومتوازنة يعد مصلحة مجتمعية غير أن هذه الدراسةتثيرعدة إشكاليات أبرزها: ما هو الأساس القانوني المؤطر للجريمة البيئية؟ وما هي سبل تحقيق التنمية المستدامة في ظل المعيقات والتحديات التي تواجه البيئة؟وإلى أي حد استطاعت الجهود الدولية والوطنية التصدي للإجرام البيئي وتحقيق التنمية المستدامة؟

أهمية البحث:تزايد الاهتمام بموضوع البيئة على المستوى العالمي والوطني على حد سواء من أجل ضمان تحقيق الاستدامة البيئية ومدى احترام الضوابط والمعايير الدولية التي أرستها الاتفاقيات الدولية، وبذلك تنبع أهمية البحث في كونه يسلط الضوء على الجريمة البيئية وبعد التنمية المستدامة والتيأصبحت محل نقاش واسع في المحافل الدولية، لكونها تعالج قضية ذات أولوية تتعلق بالحياة البشرية ومقومات وجودها باعتبارها من المصالح الضرورية المستوجبة الحماية من جهة ولكونها من الجرائم التي تستدعي التعاون الدولي لمواجهتها من جهة ثانية، بالإضافة إلى أنه سيبرز مدى ضرورة الاهتمام بالمشكلات البيئية تحقيقا للتنمية المستدامة وحماية البيئة من المخاطر.

أهداف البحث:يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء علىالحماية البيئة في ظل التنمية المستدامة، وذلك من خلال إرساء المقتضيات الدولية والقواعد الجنائية على حد سواء في التشريعات الدولية والوطنية المختصة بحماية البيئية من المخاطر والجرائم التي تطالها، بالإضافة إلى تحديد ماهية الجريمة البيئية وخصائصها للتوصل إلى إقرار حماية فعالة للبيئية، وذلك في اطار محاولة الإحاطة بأشكال التعاون الدولي والوطني لمكافحة الجريمة البيئية من قبل الدول وتحقيق ما يعرف بالاستدامة البيئية، كما يهدف البحث أيضا إلى اقتراح بعض المقترحات الملائمة في ضوء ما توصل اليه.

حدود البحث: تكمن حدود البحث في استقراء المفاهيم الأساسية المتعلقة بهذا البحث، حيث ستقتصر منالناحية الموضوعية على تحديد ماهية الجريمة البيئية وخصائصها، ومن أجل مكافحة هذا النوع من الجرائم المستحدثة سنتطرق لحماية البيئة من خلال التعاون الدولي والوطني المسخر لمكافحة الجريمة البيئية بأصنافها، فيما تجلت الحدود المكانية للبحث في التطرق للاتفاقيات والمعاهدات الدولية والإقليمية التي تعمل على حماية البيئة، بالإضافة إلى دراسة بعض القوانين المغربية التي شرعت في المجال البيئي لمكافحة الجريمة البيئية، وقد أجري هذا البحث من ناحية الحد الزماني خلال سنة الفين وثلاثة وعشرون.

فرضيات البحث: ان تجدد واختلاف الإشكاليات التي تطرحها الجريمة البيئية وتنوع المشكلات المرتبطة بالتنمية المستدامة؛ استدعى معالجتها دوليا ووطنيا للمحافظة على الموارد الطبيعية والبشرية، والعمل على الحد من تلوث البيئة والتدخل اللاعقلاني للإنسان،

هذا وتعتبر الجريمة البيئة ظاهرة متفشية على الصعيدين الوطني والدولي مما تتطلب معه وضع قواعد قانونية وإجراءات ذات طابع وقائي وردعي في نفس الوقت لتحقق الحماية الجنائية المطلوبة للمنظومة البيئية،

كما أن الجرم البيئي لا يتخذ شكل معين بل تتعدد وتختلف أساليب ارتكابه خاصة في ظل التطور الصناعي واستغلال الموارد الطبيعية والحيوانية واستنزافها، ومدى تأثيره القوي على التنمية المستدامة.

منهج البحث:اقتضت طبيعة البحث الاعتماد على المنهجين: الوصفي والتحليلي لدراسة عدد من الأدوات الرئيسية والمساعدة ذات الصلة والمتعلقة بالجريمة البيئية وبالتنمية المستدامة لاستخلاص نتائجها.

خطة البحث:تم تقسيم البحث إلى مبحثين على النحو التالي:

المبحث الأول: البيئة كقيمة جديدة من قيم المجتمع وبعد من أبعاد التنمية المستدامة،

المبحث الثاني: التعاون الدولي والوطني لمكافحة الجريمة البيئية وتحقيق رهان التنمية المستدامة،

المبحث الأول: البيئة كقيمة جديدة من قيم المجتمع وبعد من أبعاد التنمية المستدامة

تطرقت العديد من المؤتمرات والندوات الدولية لمفهوم البيئة والتنمية المستدامة ووفقا لوجهات نظر مختلفة تعددت التعاريف المطروحة حول تحديد هذين المفهومين باعتبار مصطلح البيئة مصطلح غامض ومعقد، ويعود هذا إلى مجموعة من السلوكيات التي تقع ضمن هذا المفهوم،وعليه سنتطرق من خلال هذا المبحث إلى ماهية الجريمة البيئية والتنمية المستدامة في المطلب الأول، وخصائص الجريمة البيئية وتصنيفاتها في المطلب الثاني.

المطلب الأول: ماهية الجريمة البيئية والتنمية المستدامة

أصبحت الجريمة البيئية معضلة دولية متنامية تتجاوز تداعياتها الحدود الوطنية - ما قد يهدد الأمن والسلم الدوليين – خاصة وأنها تمس الموارد الطبيعية البيئية وتهددمستقبل الإنسان وديمومة الحياة(الطاهر الثابت، 2023)، وفي هذا الصدد فقد تعددت واختلفت تعاريف أهل الاختصاص في الأنظمة المختلفة في محاولة منهم بالتعريف بها، نظرا لاختلاف عناصرها الطبيعية والحضارية ولكون معظم التعريفات تتحدث عن الجريمة البيئية كمصطلح التلوث(زريكي يمينة، سنة 2021، صفحة 13)، ولكن وبصبغة مغايرة وردت تعاريف أخرى عديدة نقتصر من خلالها على التعريف التالي: أن" الجريمة

البيئية هي كل سلوك سلبيأو ايجابي قد يرتكب بطريقة إرادية أو غير إرادية من شخص طبيعي أو معنوي فيضر بالبيئة أوأحد عناصرها بصورة مباشرة أو غير مباشرة(رشيد سالم نعمة، 2015، صفحة 100) فيؤدي إلى الاضرار بالكائناتأو الموارد الحية أو غير الحية، الأمر الذي يؤثر على ممارسة الإنسان لحياته الطبيعية، وهي بذلك الأفعال المحظورة شرعا أو قانونا والتي تحدث تلوثا في البيئة أو تلحق بها ضرر يصدر عن شخص طبيعي أو معنوي يضر أو يحاول الإضرار بأحد عناصر البيئة(فهمي خالد مصطفى ، طبعة سنة 2011، صفحة 324) لكونها تتحقق بغض النظر عن انصراف الإرادة في تحقيق النتيجة الاجرامية، وهو ما يعتبر مخالفا للقواعد النظامية التي تحظر ذلك الاعتداء وبيان العقوبات المقررة لها(هلال أشرف، 2005، صفحة 34).

ولا تنئ الجريمة البيئية عن غيرها من الجرائم وذلك بخضوعها للقواعد العامة للجريمة والتي تتطلب الأركان الأساسية للجريمة "الركن الشرعي والمادي والمعنوي" لترتيب المسؤولية الجنائية، ويعد الركن المادي أهم أركان هذه الجريمة والمتمثل في ذلك السلوك الإجرامي البيئي المتجلي في النشاط المادي الخارجي المكون للجريمة والسبب في إحداث ضررها،وقد يكون هذا السلوك إيجابيا متمثلا في قيام الشخص بحركات عضوية إرادية تؤدي الى نتيجة كالقيام بفعل عمدي من شأنه تلويث البيئة ورمي النفايات والأوساخ، أو قد يكون سلوك سلبي يقوم على الامتناع ويتجسد في امتناع الجاني عن إضافة أو إدخال عناصر حيوية إلى داخل الوسط البيئي مما يؤدي إلى الإخلال بالتوازن البيئي، كامتناع صاحب المنشأة عن اتخاذ بعض التدابير اللازمة لمنع التسرب الغازات والأبخرة المضرة بالصحة الإنسانية كما قد يكون سلوكا مستمرا أو بسيطا أو اعتياديا مجرم في ذاته(اسلام سلمى محمد، سنة 2016، صفحة 36)، فيما تعتبر النتيجة الإجرامية في الجرائم البيئية مسألة معقدة من ناحية التبعية المادية للجريمة (هل هي جريمة ضرر أم جريمة خطر) ومن ناحية النطاق الزمني(هل هي جرائم بيئية وقتية أو جرائم بيئية مستمرة ومتجددة) أما من ناحية النطاق المكاني للنتيجة الإجرامية فإن الجريمة البيئية قد تتجاوز حدود المكان الذي ارتكبت فيه أي أنه ليس لها مكان معين، بينما تتجلى العلاقة السببية في أن يكون فعل الجاني قد تسبب في إحداثها، بمعنى أن تكون النتيجة مرتبطة بالفعل وناتجة عنه.

هذا ويتطلب الركن المعنوي في الجريمة البيئية في ضرورة توفر النية وإرادة الجاني في ارتكاب الفعل الإجرامي، وقد يتخذ صورتين في إطار الجريمة البيئية: إما العمد "القصد الجنائي" أي أن تنصرف إرادة الجاني الى ارتكاب فعل التلويث مثلا وهو على علم بالسلوك الاجرامي الذي يصدر منه ليحقق غرض محدد وبلوغه للنتيجة المعاقب عليها، وإما أن تتخذ الجريمة البيئية صورة الخطأ الغير عمدي الصادر عن خطأ غير إرادي نتيجة اهمال مثلا وعدم أخذ الحيطة والحذر.

وقد أولى المنتظم الدولي نتيجة انتشار الجرائم البيئية وتفاقم مشكلاتها اهتماما كبيرا بقضايا البيئة والتنمية بصورة أساسية في ستينيات القرن الماضي، حيث نشأ وتطور مفهوم التنمية المستدامة في إطار دولي من خلال ندوة الأمم المتحدة حول البيئة بستوكهولم في تقرير دولي لحماية الطبيعة المعنون ب Union International pour la conservation de la Nature (UICN)، كما نصت المادة الأولى من إعلان الأمم المتحدة بشأن الحق في التنمية الذي اعتمدته الجمعية العامة للأمم المتحدة في قرارها رقم 128/31 المؤرخ في ديسمبر 1986 على أن" الحق في التنمية حق من حقوق الإنسان غير قابل للتصرف، وبموجبه يحق لكل إنسان ولجميع الشعوب المشاركة الإسهام في تحقيق تنمية اقتصادية واجتماعية وثقافية وسياسية والتمتع بهذه التنمية التي يمكن فيها إعمال جميع حقوق الإنسان والحريات الأساسية إعمالا تاما"، وعرفت التنمية المستدامة بأنها التنمية التي تستجيب لحاجات الأجيال الحاضرة دون تعريض للخطر قدرة الأجيال القادمة للاستجابة لحاجاتها، أي أنها تلبي الاحتياجات الحالية الراهنة دون الانتقاصمن قدرات الأجيال القادمة في تلبية حاجاتهم،(بينرجيمس كلود دوفوسلو، 2000، صفحة 62)، وقد ركز هذا التعريف على ضرورة نقل بيئة طبيعية مقبولة وقادرة على توفير الشروط الضرورية لاستدامة التنمية ووجود نشاط بشري للأجيال القادمة بعدما استعملتها الأجيال الحاضرة، كما عرف الاتحاد الدولي لحماية الطبيعة التنمية المستدامة بأنها تحسين نوعية الحياة مع العيش ضمن القدرة الاستيعابية للنظم البيئية الداعمة، ولهذا فإن تحديد علاقة البيئة بالتنمية المستدامة تقوم على أساس مبدأ المرونة وقدرة النظام البيئي على المحافظة على السمة الإيكولوجية وقدرتها على التكيف.

ورسخ مفهوم البيئة والتنمية من خلال ندوة الأمم المتحدة بستوكهولم حيث تم التركيز على موضوعات التلوث في الماء والهواء على مستوى البيئات المحلية، ومشكلات النمو الحضري، وطرق المحافظة على البيئات وحمايتها، والوقوف في وجه أخطار القوى النووية فتضمن أولا لوثائق الدولية التي تحدثت عن العلاقات الدولية وشؤون البيئة وطرق التعامل معها، (أبو راضي إبراهيم عيسى علي، فتحي عبدالعزيز، سنة 2004، الصفحات 317-318)، كما عقدت عدة مؤتمرات تحضيرية لقمة الأرض أهمها مؤتمر برجين سنة 1991بلدان الأوروبية المنعقد في النرويج، ومؤتمر بانكوك سنة 1991 في تايلاند، بالإضافة إلى مؤتمر مكسيكو سيتي لأمريكا اللاتينية ومنطقة البحر الكاريبي سنة1991 ومؤتمر نيروبي سنة 1991 والذي تم فيه وضع مشروع ميثاق الأرض على قمة ريو، لينعقد مؤتمر الأمم المتحدة للبيئة (قمة الأرض) بريو دي جانيرو وصدور الإعلان الصادر عنه بالبرازيل سنة 1992تحت عنوان "البيئة والتنمية" إلى جانب بروتوكول كيوتو سنة 1997 الذي اهتم بالأساس بقضية تغير المناخ والزم الدول بمعايير محددة لانبعاثات الغازات المسببة للتغيرات المناخية.

وفي هذا الصدد وضعت القمة العالمية حول التنمية المستدامة جوهانسبورغ لسنة2002 الأسس والقواعد الأساسية لتمكين الدول من تنفيذ الاتفاقيات والمبادئ التي تمخضت عن المؤتمرات البيئية العالمية، بهدف تحقيق التنمية المستدامة القائمة على حماية البيئة والتنمية الاجتماعية والاقتصادية، وباعتبار البيئة من الشروط الأساسية والضرورية لوجود نشاط بشري والحفاظ على الوسط الطبيعي والحيوي ونقله سليما للأجيال القادمة، فإنه لابد من حماية الموارد الطبيعية اللازمة لإنتاج المواد الغذائية،والمحافظة على الجو والحد من انبعاث الغازات، وحماية المناخ من الاحتباس الحراريوالحيلولة دون تدهور طبقة الأوزون الحامية للأرض...الخ، ووضع أهداف جديدة للتصدي للمشاكل البيئية الصعبة، (Karen Delchet، 2003، الصفحات 11-12)، ولهذا فإن تجسيد المفهوم الحديث للتنمية يتطلب التغلب على عقبات وتحديات كثيرة أهمها مشكلة البيئة من خلال الربط بين السياسات التنموية والبيئية مع التركيز على أبعاد التنمية المتواصلة(زغيب, شهرزاد ولمياء عماني، سنة 2011)، ومعنى هذا أن مفهوم التنمية المستدامة ذات الصلة المباشرة بالبيئة يقدم إطار عاما للجمع بين سياسات التنمية واستراتيجيتها الطويلة المدى والتي تعتمد على الإمكانيات الحاضرة من خلال التخطيط لها لأطول فترة زمانية مستقبلا على أن تراعي احتياجات الأفراد والموارد الطبيعية وتحافظ على المحيط الحيوي للبيئة الطبيعية في ظل تنمية متكاملة تقوم على التنسيق والانسجام داخل المنظومة البيئية بما يحافظ عليها ويحقق التنمية المنشودة والأمن البيئي للمدن وللمجتمعات المستدامة.

المطلب الثاني: خصائص الجريمة البيئية وتصنيفاتها

تتعدد أنماط الجرائم البيئة وتختلف صور ارتكابها، وغالبا ما ترتبط بالاستغلال غير القانوني للطبيعة (النباتات، الحيوانات البرية والتلوث والتخلص من النفايات وتجارتها...)، لذلك تنفرد الجريمة البيئية بمجموعة من الخصوصيات تميزها عن الجرائم الأخرى من بينها:

ـ **صعوبة تحديد أركان الجريمة البيئية** وعناصرها وشروط قيامها، فتحديد الطبيعة القانونية للجرائم البيئية أفرزت نقاشات فقهيةمتباينة من حيث الآراء، فمنهم من يعتبر الجريمة البيئية جريمة مادية ومنهم من يذهب إلى خلاف ذلك ويعتبرها جريمة شكلية، ولعل الجريمة المادية كقاعدة عامة هي التي تستدعي الركن المادي وتحقق النتيجة الإجراميةوتعتبر الجريمة البيئية أهم تطبيق لها،(سوط توفيق، سنة 2007، الصفحات 50-51)، بالإضافة إلى أنها قد تكون من جرائم الخطر والتي تتمثل في التهديد بالإهدار للمصلحة أو الحق الذي يحميه القانون إذ أن هذا الإهدار يكون وفقا للتسلسل الطبيعي للأحداث.(وناس يحي، سنة 2007، صفحة 60).

ـ **صعوبة اكتشاف الجريمة البيئية** تمتاز بعض الجرائم البيئية بالغموض كتلك المتعلقة بتلويث الهواء بغاز سام لا لون له ولا رائحة، ومن ثم فإن مسألة اكتشافه بسرعة أمر صعب، اذ لا يؤتى ذلك إلا عن طريق

أجهزة وتقنيات خاصة تكشف تلوث الهواء ودرجته ونوعية المادة الملوثة، بالإضافة إلى أن تأثير هذه الجرائم قد لا يظهر على الضحية إلا بعد مرور فترة زمنية معينة، كتأثير عواد صانع الإسمنت على العمال أو السكان مثلا. (هلال أشرف، 2011، صفحة 28).

ـ **اتساع مسرح الجريمة البيئية وامتداد أثرها** تتميز الجريمة البيئية باتساع مكان وقوعها ونطاقها اللامتناهي فالبيئة الهوائية مثلا لا يوجد ما يحدها، كما أن انتشار بقعة الزيت في البيئة المائية حسب الكمية التي تم تسريبها يصعب معه السيطرة على مثل هذه الجرائم في وقت قصير أو منع انتشارها، والذي عادة يكون بصفة سريعة نظرا لطبيعة مكونات البيئية وعناصرها.(هلال أشرف، صفحة 28) ما يجعل مسرح جريمتها مسرحا مفتوحا وقد تمتد الآثار الناجمة نتيجة الإجرام البيئي لفترة زمنية طويلة.

ـ **كثرة عدد الضحايا** ينطلق وجود الجريمة البيئية كأحد أنواع الجرائم المعروفة من أهمية الضحية الذي لا تنال فرد أو مصلحة بذاتها بل تنال مجموع أفراد أو مصالح المجتمع البشري لكونها جريمة مستقلة بحد ذاتها، وهي بذلك ذات طبيعة نسبية من الصعب تحديد معيار دائم وسليم لها، فالعديد من الجرائم المقننة في القانون الدولي تتسم بالنسبية؛ كما أنه يصعب حصر جرائم الاعتداء على البيئة(محمد خالد جمال رستم، 2006، صفحة 162)، ولاسيما إذا وقعت في المناطق السكنية أو التي تكثر فيها التجمعات البشرية.

ـ **جريمة وطنية أو دولية عابرة للحدود** ومعنى هذا أنه من الممكن أن ترتكب الجريمة البيئية داخل الحدود الوطنيةفتعد اعتداء واضحا على المقتضيات والأحكام العامة التي تسعى للحفاظ على التوازن البيئي، كقيام شخص بصرف المواد المشعة واغراقها في البيئة المائية للبلد الذي يقطن به مثلا، وقد ترتكب خارج الحدود الجغرافية للدول لاسيما إذا تعلق الأمر بجرائم تلويث البيئة الهوائية وما قد تكتنفها من صعوبات للسيطرة عليها فتنتقل من دولة الى أخرىنتيجة الانتشار السريع للهواء الملوث بسبب سرعة الرياح ودرجة الحرارة الخاصة بالجو مثلا،وهو ما أهل هذا النوع من التلوث لأن يتصدر قائمة أخطر الجرائم البيئية.

ومن جهة أخرى تصنف الجرائم البيئية حسب طبيعتها إلى جرائم ماسة بالبيئة الجوية، والجرائم الماسة بالبيئة المائية والبحرية، والجرائم الماسة بالبيئة البرية، كما يمكن تصنيفها حسب خطورتها إلى الجنايات والجنح والمخالفات، وقد تم على المستوى الدولي تجريم مجموعة من أشكال وصور الجريمة البيئية من بينها نجد(Banks D. Daviesl، 2008، الصفحات 1-2):(الاتجار غير المشروع بالحياة البرية في الأنواع المهددة بالانقراض بما يتعارض مع اتفاقية الاتجار الدولي في أنواع الحيوانات والنباتات المعرضة للانقراض CITES؛أو تهريب المواد المستنفدة للأوزون ODS بما يتعارض مع بروتوكول مونتريال لعام 1987 بشأن المواد المستنفدة لطبقة الأوزون، بالإضافة الى الإغراق والاتجار غير المشروع في النفايات الخطرة بما يتعارض مع اتفاقية بازل لعام 1989 بشأن التحكم في نقل النفايات الخطرة والنفايات الأخرى والتخلص منها عبر الحدود، الصيد غير القانوني دون إبلاغ ودون تنظيم بما

يخالف الضوابط التي تفرضها مختلف المنظمات الإقليمية لإدارة مصائد الأسماك، قطع الأشجار بشكل غير قانوني وما يرتبط به من تجارة الأخشاب المسروقة في انتهاك للقوانين الوطنية...).

واعتبارا لأهمية وخطورة النتائج المترتبة عن الجريمة البيئية، فقد تنبهت مختلف الدول لانتشار أشكال الجريمة البيئية ومشاكلها، مما فتح المجال أمام هذه الدول لتكثيف جهودها الدولية والعمل على تأطير المسألة من الناحية القانونية والاقتصادية والاجتماعية وكذا المؤسساتية للوصول الى الأهداف السبعة عشر وتحقيق التنمية المستدامة ووضع حل للوضعية البيئية.

المبحث الثاني: التعاون الدولي والوطني لمكافحة الجريمة البيئية وتحقيق رهان التنمية المستدامة

أصبح الاهتمام بالبيئة وحمايتها من المخاطر التي تهدد حياة البشرية يتطلب تظافر الجهود والتعاون من قبل مختلف المجتمعات الدولية كأولوية تستلزم حماية الانسان والأجيال القادمة، فما كان منها إلا أن تعقد مجموعة من المؤتمرات وتبرم الاتفاقيات والمعاهدات الدولية والإقليمية، ولمزيد من توضيح سيتم التطرق لحماية البيئة من المخاطر على المستوى الدولي في المطلب الأول، وحماية البيئة من المخاطر على المستوى الوطني في المطلب الثاني من هذا المبحث.

المطلب الأول: حماية البيئة من المخاطر على المستوى الدولي

يعتبر القانون الدولي للبيئةقانون حديث العهد(Philippe Malingrey، صفحة 2)، يتضمن مجموعة من القواعد القانونية الدولية التي تتخذ موضوعا لها حماية البيئة، ويكمن هدفه في حماية البيئة من التدمير وعدم التوازن الذي يمكنه أن يهدد السير العادي للحياة، واتساقا مع ذلك تم في إطار الثورة الاقتصادية والتكنولوجية إغناء حصيلة من المعرفة والمكتسبات، إلا أنه وبالموازاة حدث استنزاف في الموارد الطبيعية مما أدى إلى إخلال في الموازين الدقيقة للبيئة، فعمل المجتمع الدولي على محاولة تكثيف الجهود وتوطيد التعاون من أجل المواجهة الحاسمة والفعالة لقضايا البيئة خاصة أمام المخاطر التي تحدق بها، ووضع تشريع دولي من خلال نصوص أساسية تحاول التوفيق بين البيئة والتنمية المستدامة وتوفير حق الإنسان في بيئة سليمة وآمنة؛ لينعكس هذا الاهتمام الدولي بحماية البيئة في إصدار إعلان التقدم والانماء في الميدان الاجتماعي سنة 1969 والذي نصت مادته 13 على أن حماية البيئة البشرية وتحسينها يجب أن يكون أحد الأهداف المنشودة من وراء التحقيق التدريجي للتقدم والانماء الاجتماعي، بالإضافة إلى إعلان ستوكهولم الصادر عن مؤتمر استوكهولم لسنة 1972وهو ميلاد القانون الدولي للبيئة، والذي من خلاله تم التأكيد على حماية البيئة وتحسينها كضرورة للتطور الطبيعي والشفوي للشعوب(Philippe Malingrey، صفحة 3)، وساهم الاهتمام الدولي فيإبرام الاتفاقيات الدولية المتعلقة بالبيئة وإدخال قانون البيئية ضمن أنشطته، وكذا تطوير القانون الدولي للبيئة بواسطة المنظمات الدولية المتخصصة

والمنظمات الدولية الإقليمية(الجنزوري عبد العظيم، 1999، صفحة 86)، بالإضافة إلى إعلان لاهاي الذي يربط الحماية البيئية بحق الإنسان في الحياة وينادي بزيادة السلطة المؤسساتية الجديدة والممنوحة لجمع المعلومات واتخاذ قرارات فعالة بشأن المحافظة على الغلاف الجوي(حسونة محمد علي، سنة 2014، صفحة 102)،كما أكد الميثاق العالمي للطبيعة سنة 1982على ضرورة حماية الطبيعة في إطار التنمية الاقتصادية والاجتماعية وحماية المصادر الطبيعية من الدمار إلى جانب مؤتمر ريو دي جانيرو(Mohamed Ali mekoir , 1988, p. 177)؛ وفي ذات السياق تم اعلان مجموعة من القرارات الصادرة عن الجمعية العامة لحماية البيئة من التلوث وابرام عدة اتفاقيات دولية، وكانت اول المحاولات الدولية لحماية البيئة البحرية من تلوث البحار بزيت البترول تلك التي عقدت في لندن سنة 1945تلاها العديد من الاتفاقيات الدولية من بينها نجد:(الاتفاقية الخاصة بمنع التلوث الناتج عن السفن، الاتفاقية الخاصة بالاستعداد والاستجابة والتعاون في حالة التلوث النفطي والبرتوكول التابع لها، الاتفاقية الخاصة بحماية واستخدام مجاري المياه عبر الحدود والبحيرات الدولية والبروتوكول الخاص بالمياه والصحة...)،والتي جاءتبقواعد قانونية معينة للتصدي ومواجهة تلوث البحار على المستوى الإقليمي أو على مستوى الدولي، سواء كان التلوث من مصدر محدد أو مصادر متعددة،(محمد مصطفى يونس، 1996، صفحة 13).

هذا وقد وضعت منظمة الأمم المتحدة والمنظمات التابعة لها والمعنية بالبيئة العديد من الاتفاقيات لحماية البيئة الهوائية، ونصت على ضرورة التعاون في مجال مكافحة التلوث وحماية الإنسان والبيئة المحيطة به من تلوث الهواء واتخاذ الإجراءات الكفيلة للحد بأقصى قدر ممكن من تلوث الهواء،أو تقليله تدريجيا ثم منعه بما في ذلك التلوث بعيد المدى للهواء الذي يعبر الحدود ويتسبب فيتلويث بيئات الدول الأخرى (محمد علي حسونة، صفحة 94).

بينما هدفت الاتفاقيات الخاصة بحماية البيئة البرية بدورها الى حماية صحة الإنسان والبيئة من الاثار الخطيرة للأسلحة الكيماوية أو الاثار الناتجة عن الحوادث الصناعية؛ كما كان الهدف من المؤتمر الدولي حول الجريمة البيئية المنعقد من قبل برنامج الأمم المتحدة للبيئة UNEP بالشراكة مع وزارتي البيئة والعدل الإيطاليتين بروما سنة 2012 بعنوان: "الجريمة البيئية التهديدات الحالية المتصاعدة"، مناقشة كيفية المضي قدما لمعالجة قضايا البيئة بطريقة أكثر فعالية وكفاءة ودراسة تأثيرات الجرائم البيئية واقتراح توصيات لحل المشكلة ووضع خطة عمل لمكافحتها(بوغالم يوسف، سنة 2015، صفحة 80). وفي هذا الصدد، يمكن القول،ان إبرام الاتفاقيات أو وضع استراتيجياتالتنمية أو صياغة سياسات دولية وإقليمية ومحلية لحماية البيئة ومواردها من أجل الحفاظعلى التوازن الطبيعي للبيئة والتجدد التلقائي لمواردها واستمرار التنمية وادامتها، لازال يتطلب تدعيم وتعزيز التعاون الدولي في مجال مواجهة

الجريمة البيئية والتصدي لها والعمل على اقتراح أساليب حديثة وتطبيقيها وتفعيل الحلول المناسبة في إطار الجهود الدولية المبذولة لمعالجة واقع قضايا البيئة والتنمية المستدامة.

المطلب الثاني: حماية البيئة من المخاطر على المستوى الوطني

تولي المملكة المغربية شأنها شأن باقي الدول والتشريعات المقارنة اهتماما كبيرا بقضايا البيئة والتنمية المستدامة، وقد ترجم هذا الاهتمام بتعزيز الاطار القانوني والمؤسساتي للمحافظة على البيئة والتنمية المستدامة في ظل التحديات الكونية الحالية، الأمر الذي حدى بالمملكة المغربية إلى إحداث مجموعة من المؤسسات والأجهزة التي تعنى بحماية البيئة منذ سنة 1972 وتأسيس المجلس الوطني للبيئة سنة 1995 وبموجب دستور المملكة سنة 2011تم إحداث المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي؛مما يعد اعترافا بقيمة البيئة ومكانتها داخل المجتمع المغربي، فمن حق المواطنين أن يعيشوا في بيئة طبيعية ملائمة لحياتهم خالية من مخاطر التلوث ومضار التسممات البيئية التي عانت منها بعض المجتمعات في النصف الثاني من القرن الماضي، وهو ما أدى إلى ازدياد الوعي بمخاطر الإجرام البيئي، فاتجهت أغلب الدول نحو تأكيد هذه القيمة الجديدة في قوانينها ودساتيرها؛ (وهو التوجه الذي أكده المشرع المغربي من خلال دستور سنة 2011 الذي تضمن في المادة 19 منه الإشارة إلى مساواة الرجل والمرأة في التمتع بالحقوق البيئية إيمانا منه بأهمية هذه الحقوق وإقرارا منه لما تشكله من أولوية قصوى كمصلحة مجتمعية لا محيد عن حمايتها جنائيا).

وقصد المحافظة على البيئة من كل أنواع المخاطر واستصلاحها عززت المملكة الترسانة القانونية الخاصة بحماية البيئة من خلال التنصيص على مجموعة من المقتضيات القانونية من قبل القانون 11.03 المتعلق بحماية واستصلاح البيئة الذي أرسى القواعد والمبادئ العامة للسياسة الوطنية في مجال حماية البيئة واستصلاحها، وقانون رقم 49.17 المتعلق بالتقييم البيئي والذي جاء ليعوض القانون رقم 12.03 المتعلق بدراسة التأثير على البيئة، والقانون 13.03 المتعلق بمكافحة تلوث الهواء، بالإضافة الى القانون رقم28.00 المتعلق بتدبير النفايات والتخلص منها،وقانون الإطار رقم 99.12 بمثابة ميثاق وطني للبيئة والتنمية المستدامة، والذي اعتبر التنمية المستدامة من خلال المادة 9 منه بأنها: مقاربة للتنمية ترتكز على عدم الفصل بين الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والبيئية للأنشطة التنموية والتي تهدف الى الاستجابة لحاجيات الحاضر دون المساس بقدرات الأجيال المقبلة، كما حدد الأهداف والمبادئ والحقوق والواجبات للنهوض بالشأن البيئي قصد حماية الأنظمة البيئة المتنوعة وفق المقتضى الدستوري المتعلق بالحكامة البيئية، بغية الوصول إلى التنمية المستدامة في الموارد البيئية وتفعيل مقتضيات قواعد المسؤولية والمراقبة البيئية...الخ

وإذا ما تأملنا في القوانين التي شرعت في المجال البيئي نجد أنه تمتجريم مجموعة من الجرائم الماسة بالبيئة من قبل الجرائم الواقعة على البيئة "المائية" كتلوث البحار،وهو ما عرفته المادة 3من القانون المتعلق بحماية واستصلاح البيئة 1. رقم 03-11بأنه " القاء أو ادخال بطريقة مباشرة أو غير مباشرة في البيئة البحرية لأية مواد من شأنها إلحاق أضرار بالكائنات والنباتات البحرية، وان تكون مصدر خطر على الصحة البشرية وعائقا لمختلف الانشطة البحرية بما في ذلك صيد الاسماك والاستعمالات الاخرى غير المشروعة لمياه البحر وافساد لنوعية وجود هذه المياه"، وبذلك جرم تلوث البحار بالنفط والمواد البترولية والكيميائية والمواد السامة والنفايات ومختلف المواد ذات الضرر بالمياه البحرية التي تلقى في المياه إما من طرف المقاولات الصناعية أو السفن الناقلة، فإذا كان التصريف عمدا أو نتيجة تقصير مع معرفتهم باحتمال أن تنتج أثارا ضارة ويخضع للخطر، فإن المسؤولية الجنائية في هذه الحالة تصبح قائمة، ويعفى من ذلك الأحوال التي ترخص بها الحكومة والتي ترمي إلى مكافحة حوادث التلوث وغيرها من الجرائم الاقتصادية وجرائم تلويث البيئة الذي تتسبب فيها المؤسسات الاقتصادية والمنشآت الصناعية وكذا الجمعيات والشركات، مما يقتضي تطوير أحكام المسؤولية الجنائية في جرائم مخاطر البيئة التي ترتكب في اطار ممارسة الاشخاص المعنوية لأنشطتها بما يضمن تجريم الافعال الملوثة للبيئة وتنفيذ العقوبات المقررة التي يقضي بها، كما جاء في المادة 330/1 من قانون العقوبات الالماني "التي تجرم واقعة تسريب او تصريف مواد ضارة أو سامة في الهواء أو المياه أو التربة بكيفية من شأنها التعريض لخطر الموت أو الاصابة الجسدية الخطيرة"، بالإضافة الى إدراج نصوص تسري على مناطق اقليمية في هذا الخصوص، على سبيل المثال الاتفاقية الدولية للوقاية من تلوث البحار بالزيت، والتي تعتبر أول أداة دولية متعددة الاطراف تعقد بهدف حماية البيئة وتنفذ في أكثر من 65 دولة وكان الغرض منها حماية السواحل من التلوث بالزيت، بالإضافة الى اتفاقية برشلونة التي تتعهد الدولة المنظمة لها باتخاذ كافة الإجراءات بما يتفق والقانون الدولي لمنع التلوث ومكافحته والتخفيف من اثاره في منطقة البحر الابيض المتوسط الناجم عن التخلص من مخلفات السفن وضمان التنفيذ الفعال للاتفاقية في المنطقة من خلال القواعد المعترف بها على المستوى الدولي، وأحكام الرقابة على هذا النوع من التلوث(الالفي عادل ماهر، 2009، صفحة 404)، كما تم تجريم الجرائم الواقعة على البيئة الهوائية أيضاوالتي من شأنها المساس بسلامة الهواء، وحظرت على نحو يعرض للعقوبات الجزائية حيازة أو استعمال آلات أو محركات أو مركبات التي من شأنها تلويث الهواء وأخضعت كل المصانع وكافة المقاولات والمؤسسات ذات الصلة لرقابة دقيقة واشراف من قبل وزارة البيئة،(حسين علام عبد الرحمان، 1985، صفحة 103)، وهو ماأوجبه المشرع المغربي من خلال قانون حماية واستصلاح البيئة من خلال حماية البيئة ضد كل أشكال التلوث التي تساهم في تدهور جودة الهواء وفي اضعاف طبقة الاوزون ومنع انبعات المواد الملوثة خاصة الدخان والغازات السامة المسببة للتآكل أو المشعة في الهواء

بصفة تفوق الحدود المنصوص عليها في النصوص التشريعية والتنظيمية، وذلك حسب المادة 31 من نفس القانون إلى جانب تجريم مختلف صور الجرائم الواقعة على البيئة البرية والبحرية والجوية والعديد من الافعال التي تتعرض لها البيئة بغية حماية العناصر الأساسية للبيئة.

ونظرا للارتباط الوثيق بين البيئة وبعد التنمية المستدامة حرصت المملكة المغربية على احداث مجموعة من الأجهزة المكلفة بحماية البيئة من المخاطر والعمل على إيجاد توازن بين مختلف المصالح خاصة الاقتصادية والاجتماعية والايكولوجية والتنسيق بين هذه الأجهزة والمؤسسات المتدخلة في حماية البيئة ومنها باختصار:

ـ **المرصد الوطني والمراصد الجهوية للبيئة والتنمية المستدامة** الذي يعمل على تتبع حالة البيئة بالمغرب، وإنجاز الدراسات والبحوث ومتابعة مؤشرات التنمية المستدامة ومعالجتها، كما يتضمن شبكة المراصد الجهوية الموزعة على جهات المملكة، والتي تقوم بنفس المهمة على المستوى الجهوي والمحلي بتنسيق مع مختلف الشركاء من سلطات محلية ومجالس منتخبة وفاعلين اقتصاديين ومعاهد عليا وجمعيات المجتمع المدني.

ـ **المختبر الوطني للدراسات ورصد التلوث** والذي يتكلف بالدراسات ومراقبة التلوث، ويساهم في وضع شبكة المراقبة وقياس جودة البيئة، كما يحلل ويستثمر النتائج انطلاقا من معايير ومؤشرات الجودة.

ـ **المجلس الوطني للبيئة**يعتبر هيئة للتشاور والتنسيق والاقتراح وهو الساهر على ادماج الاهتمامات البيئية في مسلسل التنمية الاقتصادية والاجتماعية لتحقيق أهداف التنمية المستدامة، هذا ويقوم بدراسة مشاريع النصوص القانونية والتشريعية وتتبع الدراسات.

ـ **مؤسسة محمد السادس للبيئة ومؤسسة التربية البيئية** تحيل المؤسسة عند تنفيذ برنامج عملها الى الالتزامات التي تعهد بها المغرب خلال قمة ريو سنة 1992 وسنة 2012 وجوهانسبورغ سنة 2002؛ والتي ترجمتها المملكة المغربية في ميثاق البيئة والتنمية المستدامة والقانون الاطار ذي الصلة والاستراتيجيات الوطنية المنبثقة منها، بالإضافة الى انخراطها في برنامج الأمم المتحدة وأهدافه للتنمية المستدامة في أفق 2023 وكذلك أجندة الاتحاد الأفريقي لسنة 2063؛ وتتمثل المهمة الأساسية للمؤسسة في التربية والتوعية بآثار الأنشطة البشرية على البيئة والتي ستمكن الأجيال الناشئة من التحلي بتصرفات وسلوكيات أخلاقية واعية من أجل تنمية متطورة، وخدمة المصلحة العامة من خلال تعزيز التضامن وتبادل التجارب والخبرات والتحقيقات من أجل مقاربة بيئية للتنمية وحماية البيئة والثروات الطبيعية، هذا وقد انخرطت مؤسسة محمد السادس لحماية البيئة سنة 2002 في مؤسسة التربية البيئية الموجودة بكوبنهاكن بالدانمارك، والتي ترتبط مهمتها بكل بلد عضو فيها من خلال منظمة غير حكومية يكون الفاعل فيها المكلف والمنفذ بإنجاز مختلف البرامج.

وبذلك تسعى المملكة المغربية إلى مواكبة التطورات الحاصلة في المجال البيئي ووضع سياسة بيئية فعالة لتحقيق الأهداف المرجوة منها وإيجاد التوافق بين مختلف المؤسسات الساهرة على تنفيذها، مع الحرص على التنسيق وتبادل الخبرات في إطار التعاون الدولي لتتظافر جهود مختلف الدول وتقوية انخراطها في جل الاتفاقيات الدولية والإقليمية للتصدي للجرائم البيئية على نحو يعزز ويدعم سبل التعاون والتنسيق فيما بينها في مواجهتها وحمايتها.

وختاما، يمكن القول أنه وفي ظل التغيرات والتحولات المناخية الحاصلة حول العالم، أصبح لا يخفى على أحد أن الجريمة البيئية في الوقت الراهن تعد من قضايا العصر التي تعنى بالاهتمام الدولي والمحلي لتحقيق الامن البيئي والمحافظة على البيئة وعناصرها من التلوث والاخطار التي تهددها وتأمين احتياجات المجتمع لتمكنه من تحقيق التنمية والاستقرار، وعليه فإننا نوصي ببعض التوصيات:

- ✓ تأكيد حق الإنسان في بيئة صحية خالية من المخاطر وجميع أنواع التلوث، باعتبار هذا الحق أحد المبادئ الأساسية لحقوق الإنسان،
- ✓ ترسيخ وتنمية فكرة المواطنة البيئية من خلال تعميم الثقافة البيئية والوعي البيئي وزرعهما لدى مختلف الفئات العمرية والاجتماعية لتحقيق التنمية المستدامة،
- ✓ ضرورة توحيد التشريعاتالمتعلقة بالبيئية والتنمية لتشكل ردعا كافيا لبعض الاشخاص والشركات وحتى لبعض الدول، مع التزام الدول بالمعاهدات والاتفاقيات الدولية المبرمة،
- ✓ العمل على تطبيق وتنفيذ النصوص التنظيمية لحماية البيئة الحيوية من جميع أشكال التلوث سواء على الجوية أو الهوائية أو البحرية،
- ✓ ينبغي للسياسات البيئية لجميع الدول أن تعزز القدرة الإنمائية لديها في الحاضر والمستقبل، لأن غياب وضع هذه السياسات سبب كافي يحول دون تحقيق التنمية واستدامتها،
- ✓ تنظيم المؤتمرات الدولية والوطنية والندوات والملتقيات التي تبين الانتهاكات التي تتعرض لها البيئة البحث عن إيجاد حلول مناسبة،
- ✓ تفعيل دور اللجنة الوطنية واللجان الإقليمية للبيئة ودعم وتطوير جهاز الشرطة البيئية،
- ✓ فتح افاق التعاون الدولي بين الدول وتبني تجارب الدول في مجال التنمية المستدامة واكتساب الخبرات والمهارات المتبادلة،
- ✓ تفعيل دور الإعلام في مجال التوعية البيئية في مختلف وسائله.

لائحة المراجع

1. الالفي عادل ماهر. (2009). الحماية الجنائية للبيئة واتفاقية لندن والملحق التابع لها سجل المعاهدات بالأمم المتحدة. جامعة المنصورة: دار الجامعة الجديدة للنشر.
2. الجنزوري عبد العظيم. (1999). الاتحاد الأوروبي. مصر: درا النهضة العربية القاهرة.
3. زريكي يمينة. (سنة 2021). الجريمة البيئية والعقاب عليها في القانون الجنائي الخاص للمؤسسات وقوانين البيئة. الجزائر: جامعة الجيلالي اليابس سيدي بلعباس،.
4. سوط توفيق. (سنة 2007). تأليف الحماية الجنائية للبيئة في القانون المغربي دراسة مقارنة، الرباط،: جامعة محمد الخامس السويسي.
5. وناس يحي. (سنة 2007). الآليات القانونية لحماية البيئة في الجزائر. تأليف أطروحة دكتوراه في القانون العام، كلية الحقوق، جامعة تلمسان،.
6. أبو راضي إبراهيم عيسى علي، فتحي عبدالعزيز. (سنة 2004). تأليف جغرافية التنمية والبيئة؛ بيروت: الطبعة الأولى، دار النهضة العربية.
7. اسلام سلمى محمد. (سنة 2016). الجرائم الماسة بالبيئة في التشريع الجزائري. جامعة محمد خيضر، بسكرة،، كلية الحقوق والعلوم السياسية، قسم الحقوق .
8. الدلالي الشحي هشام بن عيسى بن عبد الله. (2017). حق التنمية المستدامة في قواعد القانون الدولي لحقوق الانسان. تأليف رسالة ماجستير، كلية الحقوق، جامعة الشرق الأوسط.
9. الطاهر الثابت. (2023). الجرائم البيئية. https://medicalwaste.org.
10. الفيل عدنان. (2012). المنهجية التشريعية في حماية البيئة (دراسة مقارنة). تأليف الطبعة الأولى الأردن: دار الثقافة للنشر والتوزيع.
11. بوغالم يوسف. (سنة 2015). المساءلة عن الجرائم البيئية في القانون الدولي. مصر: الطبعة الأولى مركز الدراسات العربية.
12. بينرجيمس كلود دوفوسلو. (2000). تأليف إدارة البيئة من أجل جودة الحياة. القاهرة: مركز الخبرات المهنية للإدارة بميلا.
13. حسونة محمد علي. (سنة 2014). مسؤولية الدولة عن أضرار التلوث البيئي. الإسكندرية: دار الفكر العرب.
14. حسين علام عبد الرحمان. (1985). الحماية الجنائية لحق الانسان في بيئة ملائمة. القاهرة: دار النهضة الشرق.
15. رشيد سالم نعمة. (2015). الحماية الجنائية للبيئة من التلوث ـ دراسة مقارنة (المجلدات المجلد -13). (م. م. سلام مؤيد شريف، المحرر) مجلة جامعة كربلاء العلمية،.
16. زغيب, شهرزاد ولمياء عماني. (سنة 2011). تأليف البيئة والتنمية المستدامة (المجلد العدد السادس) مجلة العلوم الاقتصادية والتسيير والعلوم التجارية.
17. فهمي خالد مصطفى . (طبعة سنة 2011). الجوانب القانونية لحماية البيئة من التلوث. القاهرة: دار الفكر العربية الإسكندرية.
18. محمد خالد جمال رستم. (2006). التنظيم القانوني للبيئة في العالم. بيروت: منشورات الحلبي الحقوقية.
19. محمد مصطفى يونس. (1996). حماية البيئة البحرية من التلوث في القانون الدول العام. مصر: دار النهضة العربية، القاهرة،.
20. هلال أشرف. (2005). الجريمة البيئية بين النظرية والتطبيق (الإصدار الطبعة الاولى). القاهرة: مكتبة الآداب للنشر.
21. هلال أشرف. (2011). التحقيق الجنائي في جرائم البيئة. القاهرة مصر: ، دار النهضة العربية،.

لائحة المراجع بالأجنبية

1. and Van der veen,R.J Robeyns I .(2007) .Sustainable quality of life: Conceptual analysis for policy-relevant empirical specification .Journal of research and rural planning.
2. Banks D. Daviesl .(2008) . Environmental Crime A threat to our future, ENVIRONMENTAL INVESTIGATION .AGENCY, U.K.
3. Karen Delchet .(2003) .qu'est-ce que le développement durableFrance: collection A savoir.
4. Mohamed Ali mekoir .(1988) . Etudes en droitde L'Enveronnement ? Editions OKAD Imprimerie NAJAH EL Jadida.
5. Philippe Malingrey .Introduction au droit de l'environnement .Edition TEC&DOC.

استئخار الدعوى في قانون المرافعات المدنية العراقي رقم 83 لسنة 1969 المعدل

م. زهراء مبروك عبدالله
جامعة النهرين / كلية الحقوق / العراق
Zahraa.laww@GMAIL.COM
009647735412771

الملخص
بمجرد اقامة الدعوى امام المحكمة المختصة يجعلها ملزمة بالسير بنظرها حتى صدور القرار الحاسم فيها، لكن قد يصادف حدوث احوال طارئة تستوجب انقطاعها أوايقافها، اما باتفاق الخصوم أو بطلب من المدعي أو المدعى عليه أو بحكم القانون أو بقرار المحكمة، وهذا ما يسمى باستئخار الدعوى لحين البت بالمسألة الطارئة التي يتعلق الفصل بها عليها، إلا أن هذا الاستئخار لا يكون الى ما لا نهاية فلا بد من مدة لانتهائه اما باستئناف النظر في الدعوى لحين الحكم فيها او بابطالها. وقرارات الاستئخار والابطال ورفض الاستئخار واستئناف النظر في الدعوى جميعها قرارات قابلة للطعن فقرار الاستئخار والابطال قرارات تقبل الطعن تمييزاً على وجه الاستقلال في حين ان قرار رفض الاستئخار وقرار استئناف النظر فيها قرارات لا تقبل الطعن الا مع الحكم الحاسم في الدعوى .
في كل الاحوال حدد المشرع مدة ستة اشهر تبطل بانتهاءها الدعوى بحكم القانون اذا كان استمرار الوقف بفعل المدعي او امتناعه الا ان الاستمرار لا يكون دائما بفعل المدعي فقد يكون بفعل المدعى عليه او لاسباب خارجية لا يد لهما بها.

الكلمات المفتاحية:
وقف الدعوى،استئخار الدعوى ،انقطاع الدعوى،المسألة الأولية ،الدعوى الأصلية ،دعوى مدنية،دعوى جزائية،رد القاضي.

Extension of the case in the Iraqi Civil Procedure Code No. 83 of 1969, amended

Zahraa Mabrouk Abdullah
Al-Nahrain University / College of Law / Iraq

Abstract

As the lawsuit is filed before as soon as the competent court, it makes it obligatory to proceed with its consideration until the issuance of this decisive decision, but emergencies may occur that require its interruption or suspension, either by agreement of the litigants, or at the request of the plaintiff or the defendant, or by the court's decision, or by the law.

The decision is related to it, but this istikhaarah is not indefinitely, so there must be a period for its expiry, either by resuming the consideration of the case until a judgment is issued in it, or by annulling it. The decisions of lstikhaarah, nullification, refusal to lstikhaarah, and resumption of consideration of the case are all decisions subject to appeal. The decision of lstikhaarah and nullification are decisions that are accepted as discrimination based on independence, while the decision to refuse lstikhaarah and the decision to resume consideration of them are decisions that cannot be appealed except with the decisive ruling in the case.

In all cases, the legislator specified six Months at the end of which the case is invalidated by the law if the continuation of the suspension was due to the plaintiff's action or his abstention. However, the continuation is not always by the plaintiff's action, as it may be by the defendant's action or for external reasons beyond their own.

Keywords: stopping the lawsuit, delaying the lawsuit, interruption of the lawsuit, preliminary issue, original lawsuit, civil lawsuit, criminal lawsuit, judge's response

مقدمـــة البحث

للقضاء المدني اهمية بالغة في حماية حقوق الافراد، وقد كفلت الدساتير والقوانين المدنية حق التقاضي للجميع، كما حددت قوانين المرافعات المدنية طريقة سلوك هذا الحق وذلك من خلال اقامة الدعاوى في المحاكم المدنية المختصة.

الأصل ان المحكمة تمضي في نظر الدعوى حتى يتم الفصل فيها، وهذا هو الوضع الطبيعي في نظر الدعاوى إلا إنه قد تحدث اثناء نظر الدعوى بعض الأمور سواء ترجع الى إرادة الطرفين أو قرار المحكمة ترجئ نظر الدعوى لأسباب يتوقف عليها حسمها، إذ قد يعرض للدعوى حالات طارئة تعيق أو تمنع سيرها تؤدي الى تعطيل اجراءاتها بصورة مؤقتة، ويقصد بهذه الحالات الطارئة العوارض والعوامل والظروف التي تطرأ على الدعوى وتؤثر في سيرها، ومن هذه الحالات وقف المرافعة أو ما يطلق عليه باستئخار الدعوى.

فقد تنشأ الروابط والمراكز القانونية في الحياة العملية وهي مرتبطة بروابط أو مراكز قانونية اخرى وقد تعرض احدى هذه الروابط على القضاء فتثور امامه منازعة في رابطة او مركز قانوني آخر فيكون الفصل في هذه المنازعة موجباً للفصل في الدعوى. والاصل ان الفصل في الموضوع يكون من اختصاص المحكمة المنظورة امامها الدعوى إلا ان القانون احياناً لا يجيز ذلك للمحكمة عندما يخرج هذا الموضوع من ولايتها ليدخل في ولاية قضاء اخر فلا بد للمحكمة ان توقف المرافعة الاصلية لحين البت في المسألة الاخرى.

والوقف هو قرار قضائي تتوقف فيه المحكمة عن نظر الدعوى فترة من الزمن ويكون باتفاق الخصوم أو لأسباب ترتأيها المحكمة مهمةً للفصل فيها أو بحكم القانون والحالتين الاخيرتين هي التي يصطلح عليها استئخار الدعوى وقد تناول قانون المرافعات المدنية العراقي هذه الحالات.

مشكلة البحث

ان هذه الدراسة تثير جملة من التساؤلات التي تتعلق بإشكالية الموضوع وتتمثل هذه التساؤلات بماهية الاستئخار وما الغاية منه وما الفرق بينه وبين الانقطاع او التأجيل وهل للمحكمة سلطة تقديرية في ذلك وما هي حدود سلطاتها في الاستئخار وفي وأد سوء نية المدعي او المدعى عليه في إطالة أمد النزاع وما هي المدة المحددة للاستئخار وهل هي من المدد الحتمية ام لا وما هي طرق الطعن المحددة قانوناً لقرار الاستئخار وقرار رفض الاستئخار وقرار إبطال الدعوى المستأخرة.

اهمية البحث

مما لا يقبل الشك أن العدالة احياناً تقتضي اتخاذ المحكمة قرار الاستئخار ووقف الدعوى لحين البت بالمسألة الاولية التي تتعلق بها لغرض حسم الدعوى المنظورة امامها بما يوافق الشرع والقانون إلا إنه لما كان هذا القرار يخضع لسلطة المحكمة التقديرية ونية الخصم التي قد يقصد بها المماطلة في إيصال الحقوق الى اصحابها او اتخاذ الاستئخار سبباً للتسويف واجبار الخصم الآخر على التنازل عن حقوقه كلاً أو جزءاً، وبالتالي يكون سبباً لإذعان بعض الخصوم للبعض الآخر، وهذا مما يتنافى مع مقتضيات العدالة وروح القانون. من هنا تأتي أهمية هذا البحث.

اهداف البحث

نهدف من وراء البحث الى الحد من حالات الاستئخار غير المبررة وعدم فسح المجال امام الخصوم سيئي النية في محاولة اطالة امد النزاع ووأد العدالة وتحديد الجزاءات المناسبة لهم، وفي الوقت نفسه عدم تعسف المحكمة في استخدام سلطتها التقديرية في استئخار الدعوى او ابطالها بعد الاستئخار والتأكد من الظروف التي اجبرت المدعي على التأخير في حسم الدعوى اذ قد يكون لا يد له فيها وكذلك النظر في تعديل بعض النصوص القانونية التي تكفل ذلك.

حدود البحـث

يتحدد نطاق البحث في دراستنا للموضوع وفقاً لقانون المرافعات المدنية العراقي إلا اننا سنتطرق ايضاً الى بعض مواد قانون اصول المحاكمات الجزائية التي تتعلق بموضوع البحث خاصةً ما يتعلق بالوقف بحكم القانون وقاعدة الجزائي يوقف المدني وقانون المحكمة الاتحادية العليا رقم 30 لسنة 2005 .

منهج البحث

ارتأينا ان تكون دراسة البحث وفقاً للمنهج الاستقرائي والتحليلي من خلال قراءة النصوص القانونية وتحليلها والاطلاع على الاتجاهات الفقهية والقضائية وقرارات محكمة التمييز.

هيكلية البحث

تم تقسيم البحث الى مبحثين، تناولنا في المبحث الاول مفهوم الاستئخار وذلك بمطلبين، خصصنا الاول الى أنواع الاستئخار و تمييزه عما يشابهه من مصطلحات قانونية، أما الثاني فتم تخصيصه الى شروط الاستئخار، اما المبحث الثاني تناولنا فيه أحكام الاستئخار وقد قسمناه الى مطلبين، خصصنا المطلب الأول الى الآثار المترتبة على استئخار الدعوى، أما المطلب الثاني فكان للطعن بقرار الاستئخار والإبطال.

المبحث الاول

مفهوم استئخار الدعوى

الاستئخار لغةً اسم، مصدر (استأخر) واستأخر يعني أبطأ وتأخر (الرازي، 1994، ص13) أما الاستئخار اصطلاحاً فهو الوقف الذي يتم بقرار من المحكمة في الاحوال التي يجيز فيها القانون للمحكمة ان تقرره، لذا فهو لا يتحقق بقوة القانون وبمجرد توافر اسبابه، وانما يجب لذلك ان يصدر قراراً من المحكمة بوقف السير في الدعوى، وتبدأ آثار الوقف من تاريخ صدور القرار به (سلمان، 2019، ص 237) إن وقف الدعوى يعني عدم السير فيها خلال وقت يطول أو يقصر بسبب بعض الطوارئ التي تبرر هذا الوقف، وتعود المحكمة لمتابعة سير الدعوى عند زوال الطارئ الذي حتم وقفها أو عند انتهاء الوقف الذي حددته المحكمة وبالتالي فإن وقف الدعوى لا يرفع يد المحكمة عن النزاع كما إنه لا يمنعها من إصدار حكم فاصل فيها بل هو يؤخر صدور هذا الحكم بعض الوقت (عبده، 2008، ص428) لذا اعتبر المشرع العراقي أن الدعوى تصبح مستأخرة لحين الفصل في هذا الطارئ وهذا ما درج عليه العرف القضائي في العراق، فالاستئخار لا يؤدي الى انهاء الدعوى بل تبقى قائمة ومنتجة لجميع آثارها القانونية.

إن الوقف أو الاستئخار الذي تحكم به المحكمة عادةً ما يكون على نوعين، فهو إما أن يكون استئخاراً بحكم القانون، أو استئخاراً قضائياً وللاستئخار شروط يجب تحققها عند نظر الدعوى كي تقرر المحكمة استئخار الدعوى .

عليه سوف نقسم هذا المبحث الى مطلبين، نتناول في المطلب الأول أنواع الاستئخار وتمييزه عما يشابهه من مصطلحات قانونية، وفي المطلب الثاني شروط الاستئخار.

المطلب الاول

أنواع الاستئخار و تمييزه عما يشابهه من مصطلحات قانونية

إن الاستئخار على نوعين، فهو إما ان يكون استئخاراً قضائياً أو بحكم القانون وسنتناولهما تباعاً

الفرع الأول

أنواع الاستئخار

أولاً: الاستئخار القضائي: وهو الوقف الذي تكون فيه للمحكمة سلطة ايقاف السير في اجراءات الدعوى وذلك في الحالات التي يجيز لها القانون او يلزمها الوقف، ويكون وقف الدعوى بحكم المحكمة وليس بقوة القانون. ويترتب على ذلك ان حالة الوقف لا تنشأ الا من تاريخ صدور الحكم بالوقف، فقد تجد المحكمة

أحياناً انها لا تستطيع الفصل في الدعوى المنظورة أمامها لتعلقها بمسألة أخرى لابد من حسمها اولاً ويطلق عليه بالوقف التعليقي اي الذي يتعلق به اصدار الحكم في موضوع الدعوى الاصلية.

وقد الزمت المادة 83 من قانون المرافعات المدنية رقم 83 لسنة 1969 المعدل المحكمة وقف الدعوى كلما رأت تعليق الحكم في موضوعها على الفصل في مسألة اخرى يتوقف عليها الحكم إذ نصت على (اذا رأت المحكمة ان الحكم يتوقف على الفصل في موضوع آخر قررت ايقاف المرافعة واعتبار الدعوى مستأخرة حتى يتم الفصل في ذلك الموضوع وعندئذ تستأنف المحكمة السير في الدعوى من النقطة التي وقفت عندها ويجوز الطعن بهذا القرار بطريق التمييز).

كما نصت عليه المادة (36) من قانون الاثبات العراقي رقم 107 لسنة 1979 ايضاً والتي جاء فيها (اذا ادعى الخصم تزوير السند وطلب التحقيق في ذلك ووجدت المحكمة قرائن قوية على صحة ادعائه، اجابته الى طلبه والزمته ان يقدم كفالة شخصية او نقدية تقدرها المحكمة لضمان حق الطرف الآخر) فهذه المادة الزمت المحكمة بوصف ان الدعوى المنظورة امامها مستأخرة اذا ما طعن الخصم بتزوير السند الذي ابرزه خصمه إثباتاً لدعواه او دفعه وحتى ظهور نتيجة التحقيق في صحة ذلك السند أو كما في حالة وقف المحكمة اجراءات الدعوى المنظورة امامها والمتعلقة بتقسيم التركة الى حين الفصل في دعوى الميراث ذاتها والتي تحدد فيه من هم ورثة المتوفي.

ويتحقق الوقف القضائي في صورتين:

الاولى: ان يتقدم احد الخصوم امام المحكمة واثناء نظر الدعوى بدفع يثير مسألة يخرج الفصل فيها عن اختصاص المحكمة الوظيفي او النوعي، كأن يثير مسألة اولية لا تستطيع المحكمة ان تفصل في الدعوى الاصلية الا اذا فصل في هذه المسألة اولاً وتكون هذه المسألة داخلة في اختصاص جهة قضاء اخرى كالقضاء الاداري مثلا .

الثانية: ان يطرأ على الدعوى حوادث او اوضاع تقتضي من المحكمة ان توقف السير فيها حتى ينتهي هذا الحادث او الوضع الطارئ بالفصل فيه. (العشماوي، 1958، ص382) كما لو رفع شخص دعوى على آخر يطالبه بأجر المثل للدار التي يملكها في محكمة الصلح فدفع المدعى عليه بأن الدار ليست ملكاً للمدعي، فأن لم يكن للمدعي سند الطابو بالملكية، يتوجب عليه رفع دعوى مستقلة بالملكية في محكمة البداءة، فتقرر محكمة الصلح ايقاف المرافعة في دعوى اجر المثل واعتبارها مستأخرة حتى يتم الفصل في دعوى الملكية من قبل محكمة البداءة، واكتساب الحكم البدائي درجة البتات، ومن ثم تستأنف محكمة الصلح السير في الدعوى من النقطة التي وقفت عندها. (خطاب، 1973، ص220-221) أو كما لو رفعت دعوى ازالة شيوع بعقار عائد للمورث وابرز الوارث قساماً، وادعى شخص انه احد الورثة وابرز قساماً

آخر يؤيد ادعائه فيتعذر على المحكمة السير في دعوى ازالة الشيوع فتكلف الشخص الثالث أن يقيم الدعوى امام المحاكم الشرعية لإبطال القسام المقدم من قبل طالب ازالة الشيوع واثبات وراثته، ولهذا تقرر محكمة الصلح اعتبار الدعوى مستأخرة لنتيجة صدور الحكم من المحاكم الشرعية. (العلام، 1969، ص374)

ويثار تساؤل هل يجوز الوقف التعليقي في الدعاوى المستعجلة ؟

ان الوقف التعليقي او استئخار الدعوى لا يجوز في الدعاوى المستعجلة، لان احكام الوقف التعليقي موجهة الى القضاء الموضوعي دون القضاء المستعجل، لان وقف الدعوى (تعليقاً) امام القضاء المستعجل يتنافى مع الاستعجال الواجب توافره فيه إضافةً الى ان القضاء المستعجل قضاء وقتي لا يمس الحكم فيه بأصل الحق، ولا يقيد المحكمة التي تنظر النزاع الموضوعي. (البكري، 2005، ص516-517)

ثانياً :الاستئخار القانوني : ينص القانون في بعض الاحوال على وقف الدعوى بحكم القانون اذا توفر سبب من الاسباب التي ينص عليها وفي هذه الاحوال يتحقق الوقف بمجرد توافر سببه، ومن الناحية العملية اذا قام سبب من اسباب الوقف التي نص عليها القانون تقرر المحكمة وقف السير في الدعوى، ويكون حكمها في هذه الحالة كاشفاً ومقرراً لواقع تم بحكم القانون وليس منشئاً له لذا فإن الدعوى تعد واقفة من يوم تحقق السبب الموقف لسيرها بقوة القانون لا من يوم صدور حكم المحكمة فالوقف القانوني هو الوقف الذي يقع بقوة القانون متى قام سبب من الأسباب التي نص عليها دون حاجة الى تمسك الخصم به أو صدور حكم من القاضي بهذا الوقف إذ تنعدم سلطة المحكمة في تقدير وقف السير في الدعوى أو عدم وقفها وقد تقرر المحكمة وقف الخصومة إلا أن هذا العمل لا يعدو أن يكون تقريراً لأمر واقع بحكم القانون ولذلك تعتبر الدعوى موقوفة من يوم قيام السبب الواقف لا من يوم حكم المحكمة أو تقريرها لذلك. (البكري، 2005، ص532)

ومن أهم امثلة الاستئخار القانوني وقف الدعوى بسبب رد القاضي ووقف الدعوى المدنية حتى يفصل نهائيا في الدعوى الجزائية (سلمان، 2019، ص 237) وسنتناولها تباعاً:

أ-رد القاضي: يعد هذا النظام من أهم الضمانات التي تكفل حسن سير تطبيق مبدأ حياد القاضي ولما كان الإنسان بطبيعته معرضاً للانفعالات النفسية والعاطفية والميول والأهواء التي تثير في النفس عوامل المحبة والبغض والمنفعة والعصبية لذا كان نظام رد القاضي من الأنظمة التي يؤمن معها الجري على سنن العدالة ويراد بالرد عدم نظر القاضي للدعوى والحكم بها إذا كان معرضاً للميل والانحراف الى حد

يخشى منه أن يظل الهوى ويجانب العدالة. وهو لا يقصد به الشك في نزاهة القاضي قدر ما يقصد به رغبة المشرع في استبقاء مظهر الحيدة الذي يجب أن يظهر به القاضي أمام الخصوم.

وأسباب رد القاضي على نوعين اسباب وجوبية تمنعه بحكم القانون من نظر الدعوى مطلقاً سواء وقع طلب الرد من الخصوم أم لم يقع حيث نصت المادة 91 مرافعات عراقي على (لا يجوز للقاضي نظر الدعوى في الأحوال الاتية: 1- إذا كان زوجاً أو صهراً أو قريباً لأحد الخصوم الى الدرجة الرابعة . 2- إذا كان له أو لزوجه أو لاحد أولاده أو احد ابويه خصومة قائمة مع أحد الطرفين أو مع زوجه أو أحد أولاده أو أحد ابويه . 3- إذا كان وكيلاً لاحد الخصوم او وصياً عليه أو قيماً أو وارثاً ظاهراً له أو كانت له صلة قرابة أو مصاهرة للدرجة الرابعة بوكيل أحد الخصوم أو الوصي أو القيم عليه أو بأحد اعضاء مجلس إدارة الشركة التي هي طرف في الدعوى او احد مديريها. 4- إذا كان له او لزوجه او لأصوله أو لأزواجه او لفروعه او أزواجهم او لمن يكون هو وكيلاً عنه أو وصياً أو قيماً عليه مصلحة في الدعوى القائمة. 5- إذا كان قد أفتى او ترافع عن احد الطرفين في الدعوى أو كان قد سبق له نظرها قاضياً أو خبيراً أو محكماً أو كان قد أدى شهادة فيها) وأسباب جوازية أجاز فيها القانون لأحد الخصوم طلب الرد إذا ما توافر أحد الأسباب التي عددتها المادة 93 مرافعات عراقي (يجوز رد القاضي لأحد الاسباب الاتية:-1 -إذا كان احد الطرفين مستخدماً عنده، أو كان هو قد اعتاد مؤاكلة احد الطرفين أو مساكنته، أو كان قد تلقى منه هدية قبيل إقامة الدعوى أو بعدها. 2-إذا كان بينه وبين احد الطرفين عداوة أو صداقة يرجح معها عدم استطاعته الحكم بغير ميل . 3-إذا كان قد ابدى فيها رأياً قبل الاوان) وهذه الأسباب هي حق مقرر للخصم فله أن يتمسك بها أو يتنازل عنها. (العلام، 1969، ص421) وبمجرد تقديم طلب الرد يتوقف السير في الدعوى بقوة القانون فهو وقف قانوني لا يحتاج صدور قرار من المحكمة ولا يجوز للقاضي نظر الدعوى الأصلية قبل أن يحكم نهائياً في طلب الرد فإذا ما نظر الدعوى أو أتخذ فيها إجراء أو اصدر فيها حكماً فإن قراراته هذه سوف تعتبر باطلة (بكر، 2019، ص501) بل معدومة لأن الأجراء الذي اتخذه في هذه الحالة أو الحكم الذي أصدره يكون صادراً من قاض حجب عن الفصل في الدعوى لأجل معين بقوة القانون فلا أثر قانوني له لتعلقه بأصل من أصول المرافعة والتي تقررت لاعتبارات تتصل للاطمئنان الى توزيع العدالة. (البكري، 2005، ص533)

وقد نص المشرع العراقي في المادة 2/96 من قانون المرافعات المدنية العراقي(. . . ويترتب على تقديم هذا الطلب عدم استمرار القاضي أو الهيئة في نظر الدعوى حتى يفصل في طلب الرد) وكنا نفضل لو إن المشرع أستبدل عبارة (عدم استمرار القاضي أو الهيئة بنظر الدعوى) بعبارة (استئخار الدعوى أو وقفها لحين البت في الطلب) لأن الاستئخار اعم واشمل من عدم النظر.

ب-وقف الدعوى المدنية حتى يفصل في الدعوى الجزائية: إن الحكم المدني لا تكون له حجيةً أمام المحكمة الجزائية وفقاً لنص المادة 229 من قانون أصول المحاكمات الجزائية رقم 23 لسنة 1971 التي نصت على (لا يكون الحكم الصادر من غير المحكمة الجزائية حجة أمام المحكمة الجزائية في ما يتعلق بصحة الواقعة المكونة للجريمة أو وصفها القانوني أو ثبوت ارتكاب المتهم إياها) إلا إن الحكم الجزائي قد يؤثر على الفصل في الحكم المدني فإذا كان الفصل في الدعوى المدنية يتوقف على الفصل في الدعوى الجزائية التي لا تزال قيد النظر فيتعين على المحكمة اعتبار الدعوى مستأخرة لحين الفصل في الدعوى الجزائية واكتساب الحكم الصادر فيها درجة البتات كما لو طلبت المدعية الحكم بالتفريق للضرر مستندة الى اعتداء المدعى عليه عليها وكانت قد سجلت شكوى ضده فعلى المحكمة استئخار دعوى التفريق لحين البت في الشكوى الجزائية . (بكر، 2019، ص502-503)

للحكم الجزائي أثر على الحقوق المدنية حيث يرتبط الحكم المدني بالحكم الجزائي في الوقائع التي فصل فيها وكان الفصل فيها ضرورياً منعاً لتعارض الأحكام كما إن طبيعة الحكم الجزائي تعلو على سائر الاحكام الاخرى وهي اعتبارات تتعلق بالنظام العام لذا قضت محكمة التمييز بأنه (وجد إن الحكم المميز غير صحيح ومخالف لأحكام الشرع والقانون ذلك أنه هناك دعوى جزائية بين الطرفين فكان متعيناً وإعمالاً لما توجبه المادة 26 من قانون أصول المحاكمات الجزائية... وقف الفصل بدعوى التفريق حتى يكتسب القرار الصادر في الدعوى الجزائية المقامة بشأن الفصل الذي اسست عليه الدعوى درجة البتات) (المياحي، 2012، ص420)

كما قضت أنه (إذا كانت الدعوى الجزائية لا زالت قيد النظر من قبل محكمتها فلا يصح حسم الدعوى المدنية إذا كانت لها علاقة بالدعوى الجزائية وإنما يترتب على المحكمة المدنية جعل دعواها مستأخرة لحين البت في الدعوى الجزائية واكتساب الحكم الصادر فيها درجة البتات) (المياحي، 2012، ص420) كما قضت بأنه (يتبين من الأوراق عدم صدور قرار بغلق التحقيق وحفظ الأوراق مما يجعل مصير الإجراءات الجزائية لا يزال معلقاً ولما كانت القاعدة في فقه القانون أن الجزائي يوقف المدني لما للحكم الجزائي من أثر على الحقوق المدنية بحيث يرتبط الحاكم المدني بالحاكم الجزائي في الوقائع التي فصل فيها هذا الحكم وكان فصله فيها ضرورياً(م 504 مدني) منعاً من تعارض الأحكام ولأن طبيعة الحكم الجزائي تعلو على سائر الاحكام الأخرى ولما كانت هذه الاعتبارات متعلقة بالنظام العام لذا لابد من إرجاء البت في الحقوق المدنية) (حافظ، 1971-1972، ص358) وهذا يعني أن مجرد صدور حكم من المحكمة الجزائية لا يمنح الحق باستئناف الدعوى المستأخرة بل لابد من اكتسابه درجة البتات وهذا يعني انتهاء مدد سلوك طرق الطعن القانونية وقد تطول المدة أو تقصر إلا إن ذلك لا يمنع من انتظاره لغرض استئناف النظر بالدعوى المستأخرة. وهذا ما نصت عليه المادة 26 من قانون اصول المحاكمات الجزائية

رقم 23 لسنة 1971 (على المحكمة المدنية وقف الفصل في الدعوى حتى يكتسب القرار الصادر في الدعوى الجزائية المقامة بشأن الفعل الذي اسست عليه الدعوى المدنية درجة البتات).

الفرع الثاني

تمييزه عما يشابهه من مصطلحات قانونية

وقف المرافعة أو استئخارها يختلف عن انقطاع المرافعة فالانقطاع هو وقف السير فيها بقوة القانون لقيام سبب من اسباب الانقطاع التي نص عليها القانون وهو يتحقق بالنسبة للمدعي أو المدعى عليه سواء كانا خصمين أصليين أو أشخاص ثالثة مما يغير من حالة الخصوم أو صفاتهم فيستحيل معها متابعة اجراءات الدعوى إلا اذا زالت تلك الاسباب واسباب الانقطاع هي وفاة أحد الخصوم او فقد احدهم لأهلية التقاضي او زوال صفة من كان يمثل الخصم فالانقطاع يتميز عن الوقف والاستئخار بأمرين:

الأول: انه يحصل دائماً بحكم القانون بمجرد قيام سببه.

والثاني: ان له اسباباً معينة نص عليها القانون على سبيل الحصر. (العلام، 1969، ص393)

فيما ان الوقف او الاستئخار لا يحصل دائماً بحكم القانون بل قد يكون قضائياً كما ان الاستئخار ليست له اسباباً معينة ومحددة قانوناً على سبيل الحصر بل انها تخضع في كثير من الاحيان الى سلطة المحكمة التقديرية والحكمة من تقرير الانقطاع هو احترام مبدأ المواجهة الذي يقتضي وجود الخصوم وصلاحيتهم لمباشرة اجراءات الخصومة طوال فترة سريانها فإذا ما حدث عائق يحول دون ذلك انقطعت الخصومة والمرافعة بقوة القانون لمجرد قيام هذا العائق حتى يتم إزالته ويحل شخص اخر محل الخصم الذي قام به العائق. (بركات، 2015، ص370) بينما الحكمة من الاستئخار هو انتظار الفصل في المسألة الأولية المتعلقة بالدعوى المنظورة لغرض حسم الاخيرة بما يتوافق مع العدالة وروح القانون ويترتب على انقطاع المرافعة انقطاع جميع المدد الجارية وبطلان جميع الاجراءات التي تحصل اثناء الانقطاع. (شمس الدين، 2012، ص468)

ويختلف الاستئخار عن التأجيل في أنه لا يتحدد بزمن معين أي ليس هناك تحديد لتاريخ الجلسة القادمة فيما يكون التأجيل في وقت معروف يتم تحديده في الجلسة ذاتها التي يتخذ فيها إضافة الى ان التأجيل يمكن اللجوء اليه كلما اقتضت ضرورة لذلك بينما يجب أن تتوفر اسباب معينة لاتخاذ قرار الاستئخار على ان الاستئخار والتأجيل كلاهما مبناه اسباب موجبة لعدم حسم الدعوى فالتأجيل ايضاً تحتمه ضرورات معينة يقف في مقدمتها صعوبة استكمال اجراءات التبليغ أو إتاحة الفرصة للخصم لتقديم مستندات تؤيد دفوعه أو طلباته فهو ضمانة من ضمانات التقاضي لحصول اطراف الخصومة على وقت

كافٍ لتهيئة دفوعهم وتقديم ما يؤيدها كما إن التأجيل قد يكون بناءً على طلب احد الخصوم او لأمر تقتضيه المحكمة أو لازدحام جدول المحكمة او لتدقيق الدعوى. (العجيلي، 2019، ، ص116-118) (العبودي، 2016، ص319)

المطلب الثاني

شروط الاستئخار

نصت المادة 1/83 من قانون المرافعات العراقي 83 لسنة 1969 المعدل على (إذا رات المحكمة أن الحكم يتوقف على الفصل في موضوع اخر قررت إيقاف المرافعة واعتبار الدعوى مستأخرة حتى يتم الفصل في ذلك الموضوع وعندئذ تستأنف المحكمة السير في الدعوى من النقطة التي وقفت عندها ويجوز الطعن في هذا القرار تمييزاً).

ووفقا لهذه المادة فإنه يشترط لوقف الدعوى أو استئخارها بقرار من المحكمة توافر الشروط التالية:

أولاً: أن يكون الفصل في المسألة الأولية لازماً للحكم في الدعوى

وتسمى المسألة التي يتوقف الحكم في الدعوى الأصلية على الفصل فيها بالمسألة الأولية وهي مسألة يجب عرضها مقدماً على محكمة مختصة لتفصل فيها بعمل قضائي حائز لحجية الشيء المقضي به، فتقوم المحكمة بوقف الفصل في الدعوى المطروحة عليها لأن الفصل فيها معلق على تلك المسألة فيصبح الفصل في المسألة الاولية ضرورياً للفصل في الدعوى بحيث لا يمكن الفصل فيها بالرد أو القبول إلا بعد صدور الحكم في تلك المسألة . (البكري، 2005، ص492) كأن تكون المسألة من اختصاص المحاكم الشرعية أو البدائية إذا كانت الدعوى المنظورة أمام المحاكم الصلحية ويتوقف الفصل في الدعوى على هذه المسألة كالمطالبة بأجر المثل ويثير المدعى عليه دفعاً بعدم تملك المدعي للدار فإذا لم يستطع المدعي إبراز سند الملكية فعليه إقامة دعوى الملكية في المحاكم المختصة أو كما في حالة رفع دعوى إزالة شيوع عقار عائد للمورث وأبرز الوارث قساماً وإدعى شخص أنه أحد الورثة وأبرز قساماً اخراً فيتعذر على المحكمة السير في دعوى إزالة الشيوع في هذه الحالة لذا تكلف الشخص الثالث أن يقيم الدعوى أمام المحاكم الشرعية لإبطال القسام المقدم من قبل المدعي وإثبات كونه وريث ولهذا تقرر المحكمة اعتبار الدعوى مستأخرة لنتيجة صدور الحكم من المحاكم الشرعية. (العلام، 1969، ص374) ويجوز للمحكمة من تلقاء ذاتها أن تأمر باستئخار الدعوى إذا ما رأت أن الحكم في الدعوى يتوقف على الفصل في موضوع اخر. (بكر، 2019، ص501) لذا قضت محكمة التمييز (إن دعوى منع المعارضة تتأثر بدعوى إبطال قيد العقار موضوع الدعوى وعلى المحكمة استئخار دعوى منع المعارضة على نتيجة دعوى إبطال القيد) (الجابري، 2022، ص92) وفي قرار اخر قضت (إذا اقام المدعى عليه دعوى عدم نفاذ

التصرف فيتعين جعل الدعوى الاصلية مستأخرة لحين الفصل في دعوى عدم نفاذ التصرف). (المشاهدي، 1999، ص228)

لكي تتخذ المحكمة قراراً باستئخار الدعوى لابد أن يكون هنالك أمراً قائماً فعلاً وإن حسم ذلك الأمر يؤثر في مسار ومصير الدعوى المنظورة أما إذا لم يكن هناك أمراً قائماً فعلاً فلا يجوز للمحكمة اتخاذ قرار الاستئخار لأن هذا الأمر قد يقع وقد لا يقع لذا قضت محكمة الاستئناف بصفتها التمييزية (أن نص المادة 1/83 من قانون المرافعات المدنية تشترط أن يكون هنالك أمراً قائماً ويجب أن يفصل في هذا الأمر من قبل الجهة المعنية وأن الفصل فيه يؤثر في الحكم الذي سيصدر في الدعوى وعندها يمكن أن تتخذ المحكمة قراراً باستئخار الدعوى لحين الفصل في ذلك الأمر، وحيث إن المدعي لم يحرك الأمر أمام اللجنة المشكلة بموجب قرار مجلس قيادة الثورة المنحل رقم 1527 لسنة 1985 فلا يمكن اعتبار الدعوى مستأخرة إذ قد يراجع المدعي هذه اللجنة أو لا يراجعها). (المحمود، د.ت، ص139)

ويقصد بـ(ان الحكم يتوقف على الفصل في موضوع اخر) أن اعتبار الدعوى مستأخرة مشروط فيه أن يكون للدعوى ارتباط بموضوع آخر بحيث يتعذر إصدار الحكم فيها قبل الفصل في ذلك الموضوع. فلو أثير هذا الدفع من قبل أحد الخصوم أو توافر للمحكمة قناعة بوجود نزاع في محكمة أخرى سواء أكان ذلك النزاع أمام المحاكم العراقية أم أمام محاكم من خارج العراق يمكن تنفيذ أحكامها في العراق، أو وجدت المحكمة ضرورة البت في أمر لا يقع ضمن اختصاصها فلها أن تقرر اعتبار الدعوى مستأخرة وتوقف سير المرافعة حتى يفصل في أمر ذلك النزاع. (القشطيني، 1979، ص283-284) فيمكن استئخار دعوى الملكية لحين البت في دعوى تصحيح القسام الشرعي أو استئخار دعوى النفقة لحين البت في دعوى المطاوعة أو استئخار (النداوي، د.ت، ص268) دعوى المطاوعة لحين البت في دعوى الطلاق أو التفريق، هذا إذا كان هناك دعوى مقامة، ولها أن تقرر جلب إضبارة تلك الدعوى للتأكد من أن الفصل في موضوع الدعوى المنظورة أمامها يتوقف على الفصل في موضوع تلك الدعوى فإذا ما تأكد لها ذلك لابد من إصدار قرارها باستئخار الدعوى المنظورة أمامها، أما إذا لم يكن هناك ارتباط بين الدعويين فلا يجوز للمحكمة استئخار الدعوى إذ لا موجب لذلك وإن الفصل في الدعوى المنظورة امامها لا يتعلق بالفصل في الدعوى الأخرى وهذا ما قضت به محكمة التمييز إذ جاء في قرارها (أن الارتباط بين الحق المدني المطالب به في الدعوى البدائية المترتب على سحب المدعى عليه صكين وظهور عدم وجود رصيد يغطي مبلغهما والدعوى الجزائية التي حركت من قبل المدعية ضد المدعى عليه غير موجود ذلك إن سبب الالتزام في الدعوى المدنية هو الادعاء بانشغال ذمة المدعى عليه بمبلغ الصكين المبرزين في الدعوى وسبب الدعوى الجزائية هو عدم وجود رصيد للمدعى عليه والفعل عند ثبوته ينطبق على أحكام المادة 456 عقوبات وإن حسم الدعوى المدنية لا يتوقف لا على الدعوى الجزائية

للسبب المذكور لذا فإن القرار المتخذ باستئخار الدعوى لا تسعفه المادة 83 من قانون المرافعات المدنية التي استند اليها عليه لذا قرر نقض القرار) (المحمود، د.ت، ص142) أما إذا وجدت أن الدعوى أو الدفع الذي أثاره الخصم يتطلب إقامة دعوى جديدة فعليها أن تقرر تكليفه بذلك وتقرر استئخار الدعوى.

على هذا الاساس قضت محكمة التمييز (حيث إن موضوع الدعوى نزاع بشان تركة متوفى لم تحرر بعد هو مورث الطرفين ومن بينهم صغار فكان على المحكمة بعد علمها بعدم تحرير التركة موضوعة الدعوى ان تقرر تأخير هذه الدعوى وتخبر المحكمة الشرعية بوضع يدها عليها وتكلف الطرفين بمراجعتها وعرض نزاعهم أمامها لتتخذ القرار بشأنه). (حافظ، 1971-1972، ص359) كما لا يمكن للمحكمة ان تقرر استئخار الدعوى لمجرد وجود دعوى اخرى معروض فيها نزاع المسألة الاولية والتي طلب استئخار الدعوى الاصلية من اجلها بل لابد من الاطلاع عليها لمعرفة ما إذا كان الفصل في الدعوى يتوقف على حسم الدعوى أو تلك المسألة من عدمه وتأسيساً على ذلك قضت محكمة التمييز بأنه (كان على محكمة الموضوع جلب الإضبارة الجزائية ذات العلاقة بموضوع الدعوى للاطلاع عليها لمعرفة ما إذا كان الفصل في الدعوى يتوقف على حسم الدعوى الجزائية من عدمه واتخاذ القرار في ضوء ذلك). (المشاهدي، 1999، ص229)

ثانياً: ان يخرج الفصل في المسألة الاولية من اختصاص المحكمة التي تنظر الدعوى الأصلية

لاستئخار الدعوى المنظورة أمام المحكمة لابد أن يكون الفصل في المسألة الأولية التي تتعلق بالفصل بالدعوى المنظورة أمام المحكمة خارجاً عن اختصاص المحكمة الوظيفي أو النوعي ويدخل ضمن اختصاص جهة أخرى، فإذا كان الفصل في هذه المسألة يدخل ضمن اختصاص نفس المحكمة فإنها تستطيع الفصل فيها بوصفها من وسائل الدفاع المتعلقة بإجراءات الدعوى، كما لو أنكر من نسب إليه السند العادي خطه أو إمضاءه أو بصمة إبهامه أو أنكر ذلك من يقوم مقامه أو إدعى الوارث الجهل به وكان السند منتجاً في الدعوى فإن النظر في هذا الدفع واتخاذ القرار المناسب فيه هو من اختصاص المحكمة المنظورة أمامها الدعوى إذ تستطيع أن تقرر إجراء المضاهاة مع إيداع السند صندوق المحكمة بعد تثبيت حالته وأوصافه والتوقيع عليه من القاضي أو رئيس الهيئة. (بكر، 2019، ص495)

أما إذا كان للمحكمة الفصل في الدفع وحسم النزاع بين الخصوم أو قد تستوجب التأجيل فقط فلا محل للوقف أو الاستئخار وتطبيقاً لذلك قضت محكمة التمييز (... كان على المحكمة قبل البت في هذه الدعوى أن تتحقق من صحة الدفع فإذا ثبت لديها وجود دعوى مقامة من قبل المدعى عليها تقرر جعل هذه الدعوى مستأخرة حتى نتيجة تلك الدعوى وفي حالة عدم وجود دعوى مقامة وأبرزت المدعى عليها الوصية التي تمسكت بها فعلى المحكمة أن تقرر إمهالها مدة مناسبة لإقامة الدعوى بشأنها . . . وعدم ملاحظة المحكمة

ما تقدم مما أخل بصحة حكمها المميز لذا قرر نقضه) (العلام، 2009، ص389-390) ولا محل لوقف الدعوى أو استئخارها إذا كانت المسألة التي ترى المحكمة تعليق حكمها عليها ممكن أخذ حكمها من أوراق الدعوى المنظورة أمام المحكمة فلا يصح للمحكمة أن توقف الدعوى إذا كان من سلطتها أن تفصل في الدفع الذي أثير أمامها إذ تستطيع في هذه الحالة أن تفصل في الأمر فلا يكون موجباً لاستئخار الدعوى وإنما على المحكمة أن تمضي في نظرها. (العشماوي، 1958، ص383)

تطبيقاً لذلك قضت محكمة التمييز بأنه (وجد إن القرار المميز مخالف لأحكام المادة 1/83 من قانون المرافعات المدنية ذلك إن عدم العثور على إضبارة الدعوى ليس سبباً من الاسباب التي تستأخر الدعوى المنظورة بناءً عليه وإنما يتخذ قرار بتأجيل الدعوى لفترة مناسبة لحين العثور على إضبارة الدعوى المطلوبة وعند تعذر ذلك فيمكن الاستناد الى المتيسر من مستندات تلك الدعوى والسير بالدعوى المنظورة في ضوء ذلك). (المحمود، د.ت، ص140)

أما إذا دفع أمام المحكمة التي تنظر الدعوى بعدم دستورية القانون المراد تطبيقه في الدعوى الأصلية فعلى المحكمة أن توقف نظرها حتى يتم الفصل في مسألة مدى دستورية هذا القانون من المحكمة الدستورية العليا لذا قضت محكمة التمييز بأنه إذا دفع وكيل المدعى عليه بعدم دستورية المادة 3/39 من قانون الأحوال الشخصية فعلى المحكمة قبل حسم الدعوى تكليفه بتقديم دعوى بذلك وبعد استيفاء الرسم القانوني عنها تبت في قبول الدعوى فإن قبلتها ترسلها مع المستندات الى المحكمة الإتحادية العليا للبت في الدفع وتتخذ قراراً باستئخار الدعوى الأصلية أما في حالة رفض الدفع فإن قرارها يكون خاضعاً للطعن أمام المحكمة الإتحادية العليا. . . .). (المياحي، 2012، ص412-413) إذ تناولت هذا الامر المادة 4 من قانون المحكمة الاتحادية العليا رقم 30 لسنة 2005 التي نصت على (إذا طلبت احدى المحاكم الفصل في شرعية نص في قانون أو قرار تشريعي أو نظام أو تعليمات أو أمر بناءً على دفع من احد الخصوم بعدم شرعية، فيكلف الخصم بتقديم هذا الدفع بدعوى، وبعد استيفاء الرسم عنها تبت في قبول الدعوى، فإذا قبلتها ترسلها مع المستندات الى المحكمة الاتحادية العليا للبت في الدفع بعدم الشرعية وتتخذ قراراً باستئخار الدعوى الاصلية للنتيجة، أما اذا رفضت الدفع فيكون قرارها بالرفض قابلاً للطعن امام المحكمة الاتحادية العليا).

هناك من يضيف شرطاً ثالثاً للشرطين السابقين وهو ان تكون المسألة الأولية المعروضة امام المحكمة جدية كما لو ادعى الخصم ان هناك مسألة اولية يتعين وقف الدعوى امام المحكمة من اجل الفصل فيها، فيجب على المحكمة ان تبحث هذا الادعاء للوقوف عما اذا كانت هذه المنازعة جدية تقتضي وقف الدعوى لحين الفصل فيها من المحكمة المختصة ام انها غير جدية ويتعين الالتفات عنها والفصل في الدعوى وعدم وقفها، ذلك انه قد يكون المقصود من اثارة الدفع مجرد تأخير الفصل في الدعوى والكيد للخصم، فلا

تثريب على المحكمة اذا هي لم تقض بوقف دعوى حساب عن ريع عين من الاعيان ادعى فيها المدعي عليه ان العين ملكه، متى رأت لأسباب سائغة ان الادعاء بالملكية على غير اساس. (البكري، 2005، ص496)

المبحث الثاني

أحكـــــام الاستئخار

الحكم بالوقف هو حكم تمهيدي قد يكشف عما سوف تحكم به المحكمة في موضوع الدعوى. (العلام، 1969، ص376) والأثر القانوني المترتب على استئخار الدعوى هو تأجيل النظر فيها لوقت يطول أو يقصر وفقاً للأسباب التي استؤخرت من أجلها إلا إن حالة الوقف هذه لا تستمر الى ما لا نهاية إذ لا بد من أن تنتهي إذا ما راجع أحد الطرفين طالباً استئناف السير فيها لانتهاء السبب الذي استؤخرت من اجله أو قد تنقضي بغير حكم في موضوعها لعدم مراجعة أحد الطرفين أو بسبب امتناع المدعي من إكمال الاجراءات مما يؤدي الى إبطالها، إلا إن هذه الدعوى ورغم استئخارها فإنها تعد دعوى قائمة ولكنها راكدة، والاستئخار يوجب وقف المواعيد الإجرائية كما إن قرار الاستئخار والإبطال يخضع للطعن به بإحدى الطرق المقررة قانوناً.

لذا سنتناول هذا المبحث في مطلبين سنتناول في المطلب الأول الاثار المترتبة على استئخار الدعوى وفي المطلب الثاني طرق الطعن بقرارات الاستئخار والإبطال.

المطلب الأول

الآثار المترتبة على استئخار الدعوى

يترتب على وقف السير في الدعوى سواء أكان الوقف قضائياً ام قانونياً جملة من الآثار القانونية فالدعوى وإن كانت مستأخرة إلا انها تعد قائمة إذ تبقى المطالبة القضائية منتجة لآثارها الإجرائية والموضوعية، كما تبقى الاجراءات المتخذة في الدعوى بعد إقامتها، وقبل تحقق حالة الوقف، واذا انتهت هذه الحالة باستئناف السير في الدعوى فأن الدعوى تستأنف سيرها من النقطة التي وقفت عندها مع الاعتداد بالإجراءات السابقة على الوقف. (بكر، 2019، ص504) وهي بهذا الاعتبار إذا رفعت نفس الدعوى مرة ثانية يمكن الدفع بسبق إقامة الدعوى بذات الادعاء (المياحي، 2012، ص413) وبالتالي يمكن رد الدعوى الثانية.

بالرغم من ان الدعوى المستأخرة قائمة الا انها تعد راكدة فهي معطلة السير ويمنع اي نشاط فيها، فلا يجوز اتخاذ اي اجراء في الدعوى خلال مدة وقفها، وان اي اجراء يتخذ فيها قبل انقضاء مدة الوقف او زوال سببه يكون باطلاً لا أثر له أما بخصوص تقديم الطلبات المستعجلة الى المحكمة التي استأخرت الدعوى خلال مدة الوقف فقد ذهب الرأي الراجح الى جواز تقديمها خلال مدة وقف السير في الدعوى لأن الوقف لا ينفي قيام الدعوى ولا يسلب ولاية المحكمة في اتخاذ الاجراءات المستعجلة . (بكر، 2019، ص504-505)

وهذه الدعوى توقف المواعيد الإجرائية فاذا كانت هناك مواعيد اجرائية لم تبدأ بعد فلا تبدأ اثناء وقف السير في الدعوى، واذا كان الميعاد قد بدا قبل الوقف ولم ينته، فأنه يقف ويستأنف سريانه بعد انتهاء الوقف، وما دام الخصم ممنوعا من اتخاذ الاجراءات فلا يمكن لومه لعدم اتخاذ الاجراءات في مواعيدها بيد أن تعليق أمر البت في الدعوى على إجراء اخر ترى المحكمة ضرورة اتخاذه أو استيفاءه ووقف الفصل فيها لهذا السبب حتى يتخذ هذا الإجراء أو يتم يجعل حكم الوقف الصادر حكماً قطعياً فيما تضمنه من عدم جواز الفصل في موضوع الدعوى قبل تنفيذ مقتضاه ويتعين على المحكمة احترامه وعدم معاودة النظر في هذا الموضوع دون أن يقدم الدليل على تنفيذ ذلك الحكم . (المياحي، 2012، ص413-414)

والاثر القانوني المترتب على استئخار الدعوى هو وقف المرافعة فيها اعتباراً من الجلسة التي تقرر فيها اعتبار الدعوى مستأخرة، وحتى حسم الموضوع الذي استؤخرت من اجله.

حدد المشرع العراقي مدة ستة اشهر لهذا الاستئخار الا ان هذه المدة غير نهائية، اذ قد تجد المحكمة ان استمرار هذا الوقف تستوجبه ظروف الموضوع الذي من اجله استؤخرت الا اذا تبين ان استمرار الوقف كان بفعل المدعي وامتناعه فعندئذ تبطل عريضة الدعوى بحكم القانون. (ينظر المادة (83) من قانون المرافعات المدنية العراقي النافذ.) ويتضح من نص المادة (83) من قانون المرافعات التي جاء فيها (2-... إذا استمر وقف الدعوى بفعل المدعي أو امتناعه مدة ستة أشهر تبطل عريضة الدعوى بحكم القانون) فقد القى المشرع عبء تعجيل الخصومة ومتابعة سير الدعوى التي لأجلها حصل الوقف على عاتق المدعي وعليه وحده ان يجد المبررات التي تحمي دعواه من السقوط في فخ الابطال، اذ عليه ان يثبت انه لم يكن مهملا في متابعة الدعوى او اقامتها وانما ثمة اسباب قاهرة لم يكن له يد في حصولها، ولم يكن بمقدوره وقفها. (العجيلي، 2019، ص151)

تأسيساً على ذلك قضت محكمة استئناف كربلاء الاتحادية بصفتها التمييزية من ان الدعوى تم استئخارها بسبب وجود قضية تحقيقية للمشتكين فيها وحيث ان القاعدة القانونية المنصوص عليها في المادة (2/83) مرافعات مدنية واضحة وجلية المعنى وفاصلة في الدلالة لا يصح تأويلها وقد تضمنت ابطال عريضة

الدعوى بعد مضي ستة اشهر اذا كان بفعل المدعي او امتناعه وانه لم يقم بأي نشاط خلال هذه الفترة لحسم الموضوع الذي استؤخرت الدعوى من اجله وحيث ان حسم القضية التحقيقية خارج عن ارادة المميز اذ ان امر حسمها يعود لمحكمة التحقيق وبعدها محكمة الموضوع لذا فأن قرار الاستئخار يبقى نافذا لحين حسم القضية التحقيقية. (رقم القرار/30/ت/متفرقة/2009/ في 2009/9/27 غير منشور.)

فمدة الستة اشهر ليست مدة حتمية وانما بمضيها يسأل المدعي عما اذا كان ممتنعا عن متابعة سير الدعوى التي من اجلها استؤخرت دعواه الاصلية، ام انه لم يكن مقصرا في ذلك، وهذا خطأ قد اعتادت عليه بعض المحاكم في ابطال الدعوى بمجرد مضي مدة الستة اشهر دون تحقيق عما اذا كان المدعي مهملا ام جادا في المتابعة. (العجيلي، 2019، ص152) فقد تجد المحكمة أن استمرار الوقف مازال موجباً لغرض حسم الدعوى كأن تكون المسألة أو الدعوى التي استؤخرت من أجلها مازالت غير محسومة لأسباب لا يد للمدعي فيها لكن إذا تبين أن استمرار الوقف كان بفعل الأخير وامتناعه فعندئذ تبطل عريضة الدعوى بحكم القانون.

نصت الفقرة 2 من المادة 83 (إذا استمر وقف الدعوى بفعل المدعي أو امتناعه مدة ستة اشهر تبطل عريضة الدعوى بحكم القانون) وبمفهوم المخالفة يفهم أنه لا يجوز إبطال عريضة الدعوى إذا كان لا يد للمدعي في استمرار هذا الوقف فعريضة الدعوى هنا تكون في حماية من الإبطال ويقع على عاتق المدعي إثبات العذر القهري المادي أو القانوني الذي يعفيه من البطلان فإن ثبت ذلك أوقف حساب المدة التي بانقضائها تبطل عريضة الدعوى حتى يزول المانع وبزواله تحسب مدة الوقف السابقة على قيامه وتضاف إليها مدة تبدأ من تاريخ زواله بحيث تكون في مجموعها ستة أشهر وهي المدة التي تبطل بانقضائها عريضة الدعوى. (الدليمي، 2016، ص325)

الغاية من البطلان مراعاة المصلحة العامة حتى لا تتراكم القضايا امام المحاكم وتؤثر على العدالة كما أن عدم السير فيها من المدعي قرينة على تنازله ويترتب على الحكم بإبطال عريضة الدعوى زوالها مهما كانت المرحلة التي وصلت اليها وهذا يعني زوال الاثار التي ترتبت على رفع الدعوى الا إنه في الوقت نفسه لا يحول دون رفع دعوى جديدة بنفس الحقوق مادامت لم تسقط بالتقادم على إنه يمكن للخصوم وبرغم الإبطال أن يتمسكوا بإجراءات التحقيق والإقرارات وحلف اليمين وأعمال الخبراء التي تمت في الدعوى مالم تكن باطلةً في ذاتها. (العلام، 1969، ص378)

فالإبطال هنا هو حالة من حالات الجزاء نتيجة لإهمال المدعي بواجباته الإجرائية وهي واجب الحضور وتسيير الخصومة وتنفيذ أوامر المحكمة وهذه الواجبات تمثل قواعد أو مبادئ عامة تنطبق على جميع حالات الابطال في قانون المرافعات عدا الإبطال بإرادة الخصوم وقد قرر المشرع هذا الجزاء لاعتبارات

تتعلق بالمصلحة العامة فالمحكمة ملزمة بإبطال عريضة الدعوى في الحالات التي قرر القانون فيها هذا الجزاء إلا إن القانون والقضاء قد أعطى المحكمة سلطة تقديرية في هذا النوع من الإبطال فإذا تأيد للمحكمة أن لا يد للمدعي بتأخير مدة الوقف فلها أن تؤجل قرارها بالإبطال أما إذا ثبت العكس فلا مناص من إصدار قرارها بذلك والقرار الصادر بإبطال الدعوى يؤدي الى انقضاء الخصومة انقضاءً اجرائياً دون الفصل في موضوعه وبالتالي فإن المحكمة تستنفذ ولايتها بالنسبة الى الشق الإجرائي من الخصومة فلا يجوز للمحكمة بعد ذلك تعديل قرارها أو العدول عنه إلا إنه ينشئ للخصوم حق للطعن فيه تمييزاً. (الدليمي، 2016، ص483-486)

فمدة الستة أشهر المحددة قانوناً لا تحوز قوة الأمر المقضي به وغير ملزمة إذا ما اثبت المدعي عدم مسؤوليته عن ذلك كأن يكون التأخير بسبب المحكمة المعروض أمامها النزاع أو بسبب قوة قاهرة كحرب أو فيضانات.

فعلى المحكمة هنا ان تراعي هذه الاسباب وتستمر باستئخار الدعوى لحين البت في المسألة الاولية إذ ليس من العدالة ان تبطل الدعوى وتحمل المدعي اضراراً لأسباب لا يد له فيها كما إنه لا يمكن ان يستمر في الدعوى ولم يصدر حكماً في المسألة الاولية ففي الحالة الاخيرة قد نتعرض الى صدور احكام متناقضة بين هذه الدعوى والمسألة الاولية التي استؤخرت من اجلها خاصةً إذا كانت المسألة الاولية تتعلق بدعوى أو شكوى جزائية كما لو كانت الدعوى المدنية تتعلق بالتعويض وهي تتعلق بالدعوى الجزائية فإذا اضطرت المحكمة المدنية الى الفصل في دعوى التعويض بحالتها دون انتظار الحكم الجزائي فقد يصدر الحكم الاخير منطوياً على معنى التناقض مع الذي انتهت اليه المحكمة المدنية في قضاءها ومما يزيد من وقوع هذا الاحتمال ان الحكم الصادر من المحكمة برفض الوقف لا يعد منهياً للخصومة وبالتالي لا يمكن الطعن فيه فور صدوره وقبل الفصل في الموضوع ولا يدخل ضمن القرارات التي يجوز فيها الطعن وفقاً لنص المادة 216 من قانون المرافعات المدنية العراقي. (محمود، 2019، ص297-298)

وتحتسب مدة الستة أشهر من تاريخ القرار الصادر بوقف السير في الدعوى واعتبارها مستأخرة وليس من تاريخ زوال السبب الذي أدى الى الوقف فإذا ما فصل في المسألة التي تم الوقف بسببها جاز لأي من الخصوم مراجعة المحكمة وتحديد جلسة لنظر الدعوى وهنا لا بد للمحكمة من تكليف الخصم بالحضور وذلك بتبليغه أصولياً. (العجيلي، 2019، ص150-152)

واذا ما رجع احد الطرفين الى المحكمة طالباً استئناف السير في الدعوى لانتهاء الفصل في الموضوع الذي استؤخرت الدعوى بسببه وتحقق للمحكمة ذلك فأنها تحدد موعداً للمرافعة وتبلغ الطرفين به وتستأنف السير في الدعوى من النقطة التي وقفت عندها. (المحمود، د.ت، ص139)

المطلب الثاني

الطعن بقرار الاستئخار والإبطال

القاعدة إنه لا يجوز الطعن في الاحكام التي تصدر اثناء سير الدعوى والتي لا تنتهي بها الخصومة إلا بعد صدور الحكم المنهي للخصومة عدا بعض الاستثناءات. فالمشرع منع الطعن المباشر في الاحكام التي لا تنتهي بها الخصومة منعاً من تقطيع اوصال القضية الواحدة وتوزيعها بين مختلف المحاكم إلا إنه اجاز الطعن تمييزاً في بعض الاحكام ومنها الحكم الصادر بوقف أو استئخار الدعوى لأن هذا الطعن لا يمزق الخصومة بل على العكس يؤدي في حالة نجاحه الى تعجيل الفصل فيها . (البكري، 2005، ص525)

إن قرار اعتبار الدعوى مستأخرة يخضع للطعن تمييزاً وفقاً لأحكام المادة 216 مرافعات فإذا كان صادراً عن محكمة البداءة يكون الطعن لدى محكمة استئناف المنطقة أما إذا كان صادراً عن محاكم الأحوال الشخصية أو محاكم المواد الشخصية فيكون الطعن لدى محكمة التمييز. إذ أجاز المشرع الطعن تمييزاً بقرار الاستئخار بصورة منفردة وفقاً لنص المادة 1/216 التي جاء فيها (يجوز الطعن بطريق التمييز في القرارات الصادرة ... واعتبارها مستأخرة حتى يفصل في موضوع اخر. . .) وبذلك تكون قد حددت الطعن تمييزاً بقرار الاستئخار وليس بالرفض إذ لا يمكن تمييز قرار رفض الاستئخار بصورة مستقلة عن قرار الحكم فهو يعتبر من القرارات الإعدادية التي لا يجوز تمييزها على انفراد وحيث إن القانون قد اخذ بمبدأ الطعن تمييزاً على قرار الاستئخار فلا يصح الاعتراض عليه وفقاً لأحكام الاعتراض الولائي، إذ ذكر في الاسباب الموجبة لقانون المرافعات بأنه لما كانت القاعدة المقررة في القانون أن الطعن في الحكم لا يرد إلا على الأحكام القطعية التي تحسم الدعوى وإن القرارات الأخرى التي تصدر أثناء سير الدعوى لا تقبل الطعن على حدة إنما مع الحكم القطعي. (القشطيني، 1979، ص287-288)

فقد ثار الجدل حول القرار الصادر بوقف الدعوى واعتبارها مستأخرة وعُني القانون بالنص على جواز الطعن في هذا القرار بطريق التمييز لأن القرار الذي يعلق فيه امر البت في الدعوى على اجراء اخر ترى المحكمة ضرورة اتخاذه او استيفائه ووقف الفصل فيها لهذا السبب حتى يتخذ هذا الاجراء او يتم، يجعل حكم الوقف الصادر في هذا الشأن حكما قطعيا فيما تضمنه من عدم جواز الفصل في موضوع الدعوى قبل تنفيذ مقتضاه وقد رؤي الاكتفاء بأن يكون الطعن في هذا القرار بطريق التمييز لان صدور القـرار باعتبار الدعوى مستأخرة يعــالج مسألة قانونية لا موضوعية فضلا عما في ذلك من توفير الوقت وتبسيط الاجراءات ...) (حافظ، 1971-1972، ص357)

ورد في الفقرة الاولى من المادة 83 من قانون المرافعات المدنية العراقي رقم 83 لسنة 1969 المعدل ان القرار الذي تصدره المحكمة باعتبار الدعوى مستأخرة حتى يتم الفصل في ذلك الموضوع يقبل الطعن

بطريق التمييز والتمييز طريق غير اعتيادي من طرق الطعن بالاحكام الحضورية والغيابية وقسم من القرارات بغية نقض هذه الاحكام والقرارات من محكمة التمييز او محكمة الاستئناف بصفتها التمييزية، والاصل في التمييز انه تدقيق للأحكام والقرارات لتبين ما اذا كانت موافقة للقانون او غير ذلك. (النداوي، د.ت، ص403) ويبقى القرار الاخير لمحكمة التمييز في تصديق قرار الاستئخار او نقضه وليس لمحكمة الموضوع الاصرار على قرارها المنقوض فالقرار التمييزي الصادر نتيجة الطعن يكون واجب الاتباع (إذ نصت المادة 216 فقرة 2 على (. . . ويكون القرار الصادر بنتيجة الطعن واجب الإتباع).) من قبل المحكمة اما قرار المحكمة باستئناف السير في الدعوى بعد أن فصل في الموضوع الذي استأخرت من أجله فإنه لا يقبل الطعن تمييزاً إلا مع الحكم الحاسم للدعوى وهو من القرارات التي تصدر اثناء المرافعة ولا تنتهي بها الدعوى وبالتالي تخضع لحكم المادة 170 من قانون المرافعات المدنية والتي نصت على (القرارات التي تصدر اثناء سير المرافعة ولا تنتهي بها الدعوى لا يجوز الطعن فيها إلا بعد صدور الحكم الحاسم للدعوى كلها عدا القرارات التي ابيح تمييزها استقلالاً بمقتضى القانون) وهو ليس من القرارات التي أجاز القانون الطعن فيها استقلالا والتي عددتها الفقرة 1 من المادة 216 . (حيدر، 2011، ص172)

اعتبر المشرع هذا القرار حكم بمعنى الكلمة وهو فرعي وقطعي لأنه يفصل ويقطع سير الدعوى ويقرر عدم صلاحيتها للحكم فيها بالحال التي هي عليها ويؤخر نظر الدعوى، وان هذا التأخير اذ يضر بالمدعى كان له الحق في تمييز هذا الحكم. والطعن بهذا القرار تمييزا يكون في ظرف سبعة ايام وفق ما نصت عليه المادة 216 من هذا القانون. (التي نصت على (1- يجوز الطعن بطريق التمييز في القرارات الصادرة من القضاء المستعجل وفي الحجز الاحتياطي والقرارات الصادرة في التظلم من الاوامر على العرائض والقرارات الصادرة بإبطال عريضة الدعوى وبوقف السير في الدعوى واعتبارها مستأخرة حتى يفصل في موضوع اخر ...).

إن المادة 83 مرافعات اجازت الطعن في قرار المحكمة باستئخار الدعوى أو وقفها واجازت الطعن فيه تمييزاً وحسب الاحوال خلال سبعة أيام من اليوم التالي لتبليغ القرار أو اعتباره مبلغاً. وهذا يأتي تأسيساً على إن استئخار الدعوى يأتي أثره مباشرةً على أطرافها إذ إنه يعطل الحكم في الدعوى معلقاً على موضوع اخر قد يرتب التزامات على طرف فيما قد يعني تأخير الحكم للطرف الاخر وبالتالي يصبح لكل منهما مصلحة بالطعن لقرار الاستئخار فيما لم يجز القانون الطعن تمييزاً برفض قبول الاستئخار بشكل مستقل بل أوجب تمييزه مع الحكم الفاصل في الدعوى على اعتبار ان هذا القرار لن يعطل السير في الدعوى وبالتالي ليس هناك خشيةً على المتداعين - ومع ذلك فإن قرار المحكمة هذا يخضع لرقابة محكمة التمييز متى ما وجدت أن قرار المحكمة هذا قد جانب الصواب – ذلك إن الأحكام التي ترفض الإيقاف أو

الاستئخار ليست لها خطورة الاحكام التي تقرر الوقف إذ يكون للمحكوم عليه فرصةً للطعن في الحكم وإعادة طلب الاستئخار أو الوقف أمام محكمة التمييز. (المياحي، 2012، ص414)

ويخضع قرار ابطال عريضة الدعوى إذا ما استمر وقف الدعوى بفعل المدعي أو امتناعه ستة أشهر الى الطعن بطريق التمييز على انفراد ايضاً وعلى هذا نصت المادة 1/83 من قانون المرافعات المدنية إذ جاء في الشق الثاني منها (ويجوز الطعن في هذا القرار بطريق التمييز) كما أجازت المادة 1/216 من قانون المرافعات المدنية الطعن في قرار إبطال عريضة الدعوى بطريقة التمييز وبذلك حسم المشرع طريق التأويل أو التفسير.

الخـــاتمة

وفي ختام البحث توصلنا الى أهم النتائج والتوصيات والمقترحات

النتائج

1- إن الاستئخار يعني عدم السير في الدعوى خلال وقت يطول أو يقصر بسبب طارئ تجد المحكمة أن الحكم في الدعوى المنظورة امامها يتوقف على الفصل فيه. وبالتالي فان استئخار الدعوى لا يرفع يد المحكمة عن النزاع المنظور امامها ولا يمنعها من اصدار حكم فاصل بل هو يؤخر صدور هذا الحكم بعض الوقت.

2- إن قرار الاستئخار عادة ما يكون على نوعين فهو إما أن يكون استئخاراً قضائياً يخضع لتقدير المحكمة أو استئخاراً قانونياً يلزم المحكمة بحكم القانون بإصدار قرارها بالاستئخار كما في حالة طلب رد القاضي أو تعلق الفصل في الدعوى على حكم جزائي.

3- لابد من توفر شرطين لاستئخار الدعوى أولهما ان يكون الفصل في المسألة الاولية لازماً للحكم في الدعوى بحيث يكون الفصل في الدعوى معلقاً على تلك المسألة، أي ان للدعوى ارتباط بموضوع آخر بحيث يتعذر اصدار حكم فيها قبل الفصل في ذلك الموضوع، فإذا كانت تلك الدعوى قائمة تقرر المحكمة استئخار الدعوى لحين البت فيها. وإن كان الدفع الذي اثاره الخصم يتطلب اقامة دعوى جديدة بتلك المسألة تقرر تكليفه بذلك وتصدر قرارها باستئخار الدعوى. أما الشرط الثاني وهو ان يخرج الفصل في المسألة الاولية من اختصاص المحكمة التي تنظر الدعوى فإذا كان الفصل في هذه المسألة يدخل ضمن اختصاص المحكمة يمكن للمحكمة أن تفصل فيها بوصفها من وسائل الدفاع المتعلقة بإجراءات الدعوى أما اذا كانت من اختصاص محكمة أخرى فلا بد من استئخارها لحين البت بتلك المسألة.

4- على المحكمة ان تبحث في جدية هذه المنازعة وهذا الدفع فإذا رأت المحكمة إن المنازعة غير جدية والمقصود بهذا الدفع تأخير الفصل في الدعوى فعليها أن لا تلتفت الى طلب الاستئخار وتفصل في الدعوى وهذا الامر يخضع لسلطة المحكمة التقديرية.

5- إن الدعوى المستأخرة هي دعوى قائمة والإجراءات المتخذة فيها معتبرة، فإذا انتهت حالة الاستئخار فإن الدعوى تستأنف سيرها من النقطة التي وقفت عندها. إلا إنها دعوى راكدة أي معطلة السير وبالتالي لا يجوز اتخاذ إجراءات فيها خلال مدة وقفها إضافة الى انها توقف المواعيد الاجرائية فاذا كانت هذه المواعيد لم تبدأ بعد فلا يمكن أن تبدأ اثناء الوقف او الاستئخار أما اذا كانت قد بدأت فإنها تقف عند الاستئخار ويستأنف سريانها بعد انتهاء الاستئخار.

6- حدد المشرع بصورة عامة مدة ستة أشهر لهذا الاستئخار إلا إن هذه المدة ليست حتمية إذ يبقى لسلطة المحكمة التقديرية البت في ذلك. فإذا وجدت ان وقف الدعوى كان بفعل المدعي أو امتناعه ابطلت عريضة الدعوى بحكم القانون اما إذا رأت ان التأخير كان لأسباب خارجة عن إرادة المدعي فلها أن تستمر باستئخار الدعوى، ويقع عبء إثبات ذلك على عاتق المدعي ليحمي دعواه من الابطال.

7- إن قرار استئخار الدعوى هو من القرارات التي يجوز الطعن فيها تمييزاً على انفراد خلال سبعة أيام من تاريخ التبلغ به أو اعتباره مبلغاً وكذلك قرار الإبطال على العكس من قرار المحكمة باستئناف السير في الدعوى بعد أن فصل بالموضوع الذي استؤخرت من اجله وقرار رفض الاستئخار الذي لم يجز المشرع تمييزه منفرداً بل مع الحكم الحاسم للدعوى. وان القرارات التمييزية الصادرة نتيجة الطعن تكون واجبة الاتباع فليس للمحكمة الإصرار على قرارها المنقوض الخاص باستئخار الدعوى.

التوصيات والمقترحات

نصت الفقرة الثانية من المادة 83 من قانون المرافعات المدنية النافذ (إذا استمر وقف الدعوى بفعل المدعي او امتناعه مدة ستة اشهر تبطل عريضة الدعوى بحكم القانون) فمن هو المقصود بالمدعي؟ هل هو المدعي بالدعوى الاصلية المنظورة امام المحكمة ام في الدعوى الاخرى التي استؤخرت هذه الدعوى من اجلها؟ ثم إنه ليس المدعي هو من يطلب الاستئخار دائماً فقد يطلب المدعى عليه استئخار الدعوى لوجود دعوى اخرى أو مسألة اخرى تتعلق بالفصل فيها. أو يقصد المماطلة والتسويف بسوء نية. فلماذا قرر المشرع جزاء الإبطال للمدعي ولم يقرر جزاءً للمدعى عليه الذي قد يكون هو سبب التأخير وهو من طلب الاستئخار.

اضافةً الى ان المحاكم قد درجت على إبطال عريضة الدعوى بمجرد مضي مدة الستة اشهر على الاستئخار، وحيث ان التأخير في احيان كثيرة يكون بسبب لا يد للمدعي فيه، لذا نقترح عدم ابطال

عريضة الدعوى بمجرد مرور مدة الستة اشهر بل لابد من تبليغ المتداعيين لغرض الاستماع الى اقوالهما والاستفهام عن اسباب التأخير ومن ثم اصدار القرار المناسب في ضوء ما يتضح للمحكمة.

وحيث ان طلبات الاستئخار لا تخـلو مـن سوء النية خاصةً اذا كان طالب الاستئخار هو المدعى عليه، وان المشرع العراقي في قانون المرافعات المدنية لم يحدد جزاءً لطالب الاستئخار سيء النية فكان الاجدر بالمشرع لغرض الحد من حالات طلب الاستئخار التي يقصد بها المماطلة وتسويف الحقوق ان يضع جزاءً مناسباً لطالب الاستئخار سيء النية كما ان المشرع العراقي كان مقتضباً جداً في نص المادة 83 ونحن في الوقت الذي نؤيد موقف المشرع الذي كان بعيداً عن الإطناب الممل إلا اننا في الوقت نفسه لا نحبذ الاختصار المخل. عليه نقترح تعديل الفقرة الثانية من نص المادة 83 واضافة فقرات اخرى اليها تستوعب هذه المقترحات.

وبرأينا المتواضع نقترح ان تكون المادة 83 على الشكل الاتي:-

1- إذا رأت المحكمة ان الحكم يتوقف على الفصل في موضوع آخر قررت ايقاف المرافعة واعتبار الدعوى مستأخرة حتى يتم الفصل في ذلك الموضوع . وعندئذ تستأنف المحكمة السير في الدعوى من النقطة التي وقفت عندها. ويجوز الطعن في هذا القرار بطريق التمييز.

2-إذا استمر وقف الدعوى لمدة ستة اشهر ولم يراجع الخصوم تفتح المحكمة باب المرافعة وتحدد جلسةً لنظر الدعوى يبلغ عليها الطرفان وتستمع الى اقوالهما.

3- إذا تبين للمحكمة ان التأخير كان بفعل المدعي تبطل عريضة الدعوى، اما اذا كان التأخير بفعل المدعى عليه، وكان هو من طلب الاستئخار، فتعتبر دفعه كأن لم يكن وتستمر بإجراءات الدعوى من النقطة التي وقفت عندها.

4- اذا كان التأخير لأسباب خارجية لا يد للمدعي او المدعى عليه فيها تقرر المحكمة استمرار استئخار الدعوى لحين البت في المسألة الأولية.

4- للمحكمة اذا رأت ان طالب الاستئخار كان سيء النية ويقصد اضرار الخصم الآخر فلها ان تحكم عليه بغرامة مناسبة.

المراجع

الكتب القانونية

1- المشاهدي، ابراهيم. (1999). *المختار من قضاء محكمة التمييز، قسم المرافعات المدنية. الجزء الثالث*. بغداد: مطبعة الزمان.

2- النداوي، آدم. (د.ت). *المرافعات المدنية*. القاهرة: العاتك لصناعة الكتاب.

3- الدليمي، اجياد. (2016). *نظرية إبطال عريضة الدعوى المدنية في قانون المرافعات المدنية*. الإسكندرية: دار الجامعة الجديدة.

4- العلام، عبد الرحمن. (2009). *شرح قانون المرافعات المدنية رقم 83 لسنة 1969*. الجزء الثاني. (ط.2). القاهرة: مطبعة العاتك لصناعة الكتاب.

5- العبودي، عباس. (2016). *شرح احكام قانون المرافعات المدنية*. (ط 1). بيروت: مكتبة السنهوري.

6- سلمان، عماد. (2019). *شرح قانون المرافعات المدنية*. بيروت: مكتبة السنهوري.

7- بكر، عصمت. (2019). *شرح احكام قانون المرافعات المدنية في ضوء اراء الفقه واحكام القضاء*. بيروت: مكتبة السنهوري.

8- شمس الدين، عفيف. (2012). *المحاكمات المدنية بين النص والاجتهاد*. بيروت: منشورات زين الحقوقية.

9- بركات، علي. (2015). *الوجيز في شرح قانون المرافعات المدنية والتجارية*. دار النهضة العربية.

10- عبده، محمد. (2008). *أصول المحاكمات المدنية* (ط1). بيروت.

11-العشماوي، محمد والعشماوي، عبد الوهاب. (1958). *قواعد المرافعات في التشريع المصري والمقارن*، الجزء الثاني. الجماير: منشورات مكتبة الآداب.

12-البكري، محمد. (2005). *الدفوع في قانون المرافعات في ضوء الفقه والقضاء*، القاهرة: دار محمود للنشر والتوزيع.

13-المحمود، مدحت. (د.ت). *شرح قانون المرافعات المدنية*. بغداد: المكتبة القانونية.

14-حافظ، ممدوح. (1971-1972). *شرح قانون المرافعات المدنية العراقي رقم 83 لسنة 1969*، الجزء الأول (ط1). بغداد: مطبعة الأزهر.

15-خطاب، ضياء. (1973). *الوجيز في شرح قانون المرافعات المدنية*، بغداد: مطبعة العاني.

16-المياحي، فوزي. (2012). *صديق المحامي في المرافعات المدنية* (ط1). بغداد: مكتبة صباح.

17-الجابري، ضياء. (2022). *المختار من قضاء محكمة التمييز الاتحادية الموقرة*، بغداد: مطبعة الكتاب.

18-القشطيني، سعدون. (1979). *شرح أحكام قانون المرافعات*، الجزء الأول، (ط3). بغداد: مطبعة المعارف.

19-العجيلي، لفتة. (2019). *دراسات في قانون المرافعات المدنية*، الجزء الثاني. بيروت: مكتبة السنهوري.

20-محمود، يحيى. (2019). *التناقض بين الاحكام القضائية في ضوء قانون المرافعات المدنية العراقي رقم 83 لسنة 1969 المعدل* (ط1). بيروت: منشورات زين الحقوقية.

21-الرازي، محمد. (1994). مختار الصحاح (ط1). بيروت: دار الكتب العلمية.

القـــوانين

قانون المرافعات المدنية العراقي رقم 83 لسنة 1969 المعدل

قانون اصول المحاكمات الجزائية العراقي رقم 23 لسنة 1971

قانون الاثبات العراقي رقم 107 لسنة 1979

قانون المحكمة الاتحادية العليا رقم 30 لسنة 2005

المواقع الالكترونية

- الموقع https://www.almaanny.com .

القرارات غير المنشورة

-رقم القرار/30/ت/متفرقة/2009/ في 2009/9/27

قضايا الماء بواحة فركلة بالجنوب الشرقي للمغرب

عبد الصمد خويا
باحث في الجغرافية الطبيعية، المغرب.
khouyageographie2014@gmail.com
00212633821930

حسن علاوي
باحث في علم الاجتماع، المغرب
all.hassan@yahoo.com
00212661523409

ملخص
أصبحت قضايا الماء في الوقت الراهن من أهم الانشغالات وأكبر الأولويات بالمناطق الجافة وشبه الجافة كما هو الحال بالواحات (مناطق الندرة)، ذلك أن نقص الموارد المائية وسوء تدبيرها واستغلالها إضافة إلى تدهور جودتها، من شأنه أن ينعكس سلبا على الظروف المعيشية والصحية للساكنة، ويهدد أحيانا حتى استقرارها بمناطق الخصاص المائي. وتعد واحة فركلة بحوض غريس إحدى هذه المجالات، حيث إن التحولات الاجتماعية والتقلبات المناخية التي تعرفها، وما صاحبها من تراجع في كمية التساقطات وطول فترات الجفاف، أفرزت أزمة مائية حادة، خاصة منذ ثمانينيات وتسعينيات القرن الماضي، بل استمرت هذه الوضعية حتى مطلع القرن الحالي، الشيء الذي فرض اعتماد أشكال وأنماط جديدة لتدبير الماء والتكيف مع التحديات الراهنة.

الكلمات المفتاحية: واحة فركلة، ندرة الماء، أشكال التكيف، الواحات.

Water issues in Farkala Oasis in south-eastern Morocco

Abdessamad khouya
Researcher in physical geography, Morocco
Hassan Allawi
Researcher in sociology, Morocco

Abstract
Water issues have currently become one of the most crucial concerns and top priorities in arid and semi-arid regions, such as oases (areas characterized by water scarcity). The shortage of water resources, along with their mismanagement and exploitation, in addition to the deterioration of water quality, have the potential to adversely affect the living and health conditions of the population and at times even jeopardize their stability in water allocation zones. The Ferkla oasis in the Ghéris Basin is a case in point. Social transformations and climate fluctuations, accompanied by reduced precipitation and prolonged periods of drought, have triggered a severe water crisis, particularly since the 1980s and 1990s of the previous century. This situation has persisted into the early years of the current century, necessitating the adoption of new forms and strategies for water management and adaptation to the prevailing challenges.
Keywords: Ferkla Oasis, Water scarcity, Adaptation strategies, Oases.

مقدمة

يعتبر الماء أحد الموارد الطبيعية الأكثر تفاوتا من حيث التوزيع الجغرافي على الصعيد العالمي، ويقدر حجم المياه العذبة بحوالي 35 مليار كيلومتر مكعب، أي 2.5 في المائة من إجمالي حجم مياه الأرض البالغ 1.4 مليار كيلومتر مكعب. ولا يتجاوز المتاح من هذه المياه العذبة لاستخدامات البشر سوى 0.3 في المائة، أما الباقي فإما مجمد أو في جوف الأرض. لذلك، بدأت مجموعة من الدول على الصعيد الدولي بإدماج مفهوم البيئة في سياستها العمومية، كماأصبحت القضايا المتعلقة بالماء من أكثر المواضيع إثارة للنقاشات في مختلف المحافل الدولية، اعتبارا لكون 884 مليون شخص لا يتمتعون بسبل الوصول إلى مصادر مياه الشرب النقية، وفي المقابل أن حوالي 2.5 مليار شخص يفتقر إلى مرافق الصرف الصحي، مما جعل الحق في الماء كحق من حقوق الإنسان، لا يقل أهمية عن الحقوق الأخرى التي وردت في المواثيق والاتفاقيات الدولية لحقوق الإنسان، على غرار الحق في الحياة والحق في الصحة والحق في بيئة سليمة والحق في السلامة الجسدية.

ويطرح مشكل قلة الماء بحدة في العديد من المناطق الجافة وشبه الجافة، كالمغرب العربي وبلدان الشرق الأوسط، باعتباره قوام الحياة وأساسها الرئيسي الذي لا يمكن الاستغناء عنه، كما أنه عماد كل حضارة وتنمية، إذ تتجلى خصوصية الماء في كونه أثمن شيء خلقه الله تعالى بعد البشر. وإذا كان الانسان قد استطاع في تفاعله مع الطبيعة أن يسخر جلها لخدمته ولأغراضه، واستطاع أيضا بفعل العلم أن يخترع كل ما هو في حاجة إليه، إلا أن حاجته من الماء لا يمكن أبدا تلبيتها بتركيب وتصنيع هذه المادة، أو بتعويضها بغيرها.

علاوة على ذلك، يشكل الماء موضوعا أنثروبولوجيا بامتياز، وهو بمثابة مرآة للمجتمع وقيمة اجتماعية تتربع على أقدس مقدسات مجتمع الواحة، ووعاء اجتماعيا وثقافيا ودينيا لعملية إنتاج الطقوس الزاخرة بدلالات القداسة(حمودا، 2021، ص99). كما يشكل في مجتمعات الندرة شرط الوجود والامتداد، إنه يختزل تاريخ المجال والإنسان. فملكية الماء في المغرب الواحي لا تقل أهمية عن ملكية الأرض، فبسببه نشأت في تاريخ المغرب القديم، العديد من الصراعات وما زالت(العطري، 2019، ص80)، هذه الأهمية القصوى للماء في المجتمع الواحي، تستوجب مزيدا من التنظيم، وفقا لمبادئ الشرع، والعرف، والقانون، التي تستند إليها الجماعة في تدبيرها للمشترك الحيوي، فمن خلال التشبع بالتنظيم الشرعي والعرفي لحقوق الماء، والمتمثلة في حق الشرب، وحق الشفعة، وحق المجرى، وحق العالية على السافلة، فضلا عما تراكم من أعراف وأحكام في إطار فقه النوازل تمكن المجتمع الواحي من إنتاج منظومة قانونية محلية تؤطر علاقة الأفراد والجماعات بالثروة المائية. والبحث باستمرار عن آليات وتعبيرات لتأمين شرط البقاء، في مواجهة مخاطر الندرة والهدر البيئي(العطري، 2021، ص 77).

تنبع أهمية الورقة من تموضع واحة فركلة جغرافيا ضمن مجال صحراوي يعرف خصاصاً كبيراً في الموارد المائية، والذي تقوم عليه الحياة البشرية والطبيعية. وتتوخى رصد جوانب من المسألة المائية وأهميته بواحات تافيلالت عامة وفركلة بشكل خاص في سياق مهددات التقلبات المناخية على هذا المورد الحيوي، والوقوف عن دور الذاكرة المحلية من خلال الأمثال والأعراف والحكايات الشعبية المحلية في الحفاظ على الماء وبالتالي على ديمومة واستدامة المجال والمجتمع.

ولأن واحة فركلة في الجنوب الشرقي للمغرب تعاني من ندرة المياه والتي يعتمد عليها السكان بشكل كبير، وهذا يشكل تحديًا كبيرًا للاستدامة البيئية والتنمية المحلية. وبناءً على ذلك، تنبثق إشكالية رئيسة تتمثل في: هل تولي ساكنة واحة فركلة أهمية لعنصر الماء، وهل للذاكرة المحلية أثر إيجابي على لإستدامة الماء والبيئة بمناطق الواحات المغربية.

وللإشارة، تقعواحة فركلة مجاليّا بحوض غريس بالجنوب الشرقي للمغرب، على السفوح الجنوبية الشرقية للأطلس الكبير، تابعة إداريا لقيادة فركلة، دائرة تنجداد بإقليم الرشيدية، التابع لجهة درعة تافيلالت. تبعد بـ 78 كم عن مدينة الرشيدية مركز الإقليم. يحدّها من جهة الشرق جماعة ملاعب ومن الجنوب جماعة ألنيف، أما من الغرب فتحدها عمالة تنغير (الخريطة 1).

تقدر مساحتها واحة فركلة بحوالي 930 كلم مربع. أي ما يعادل 2800 ألف هكتار، تنتشر الجبال على مساحة18450 هكتار، والتلال على 5145 ه ثم الهضاب على 73800 ه(بيان، 2021، ص56).

مناخيا، تنتمي واحة فركلة إلى المناطق الجنوبية الشرقية للمغرب، ذات المناخ الصحراوي، حيث إن التساقطات لا تتعدى في جزء كبير 100 ملم سنويا، وهذا ما سيعقّد أكثر علاقة إنسان هذه المناطق بوسطه الطبيعي، خاصة علاقته بالموارد المائية التي تزيد قيمتها في مثل هذه الأوساط الجافة، خصوصا وأن حوض غريس عموما الذي تنتمي إليه الواحة، يتوفر على أراضي زراعية مهمة تفوق الموارد المائية المتاحة.

بشريا، استقرت بالمنطقة مجموعة من الأجناسالبشرية المختلفة، مما أكسبها فسيفساء عرقي ثقافي وتاريخي، بلغ عدد السكان بها حوالي 43999 حسب الإحصاء العام للسكان والسكني لسنة 2014 (8942 نسمة بالمركز الحضري تنجداد، 22722 نسمة بالجماعة القروية فركلة العليا، 12335 نسمة بالجماعة القروية فركلة السفلى)، بمعدل كثافة سكانية تقدر ب 43 ن / كم (خويا، 2022، ص22).

خريطة 1: موقع واحة فركلة في إطارها المحلي والإقليمي والوطني

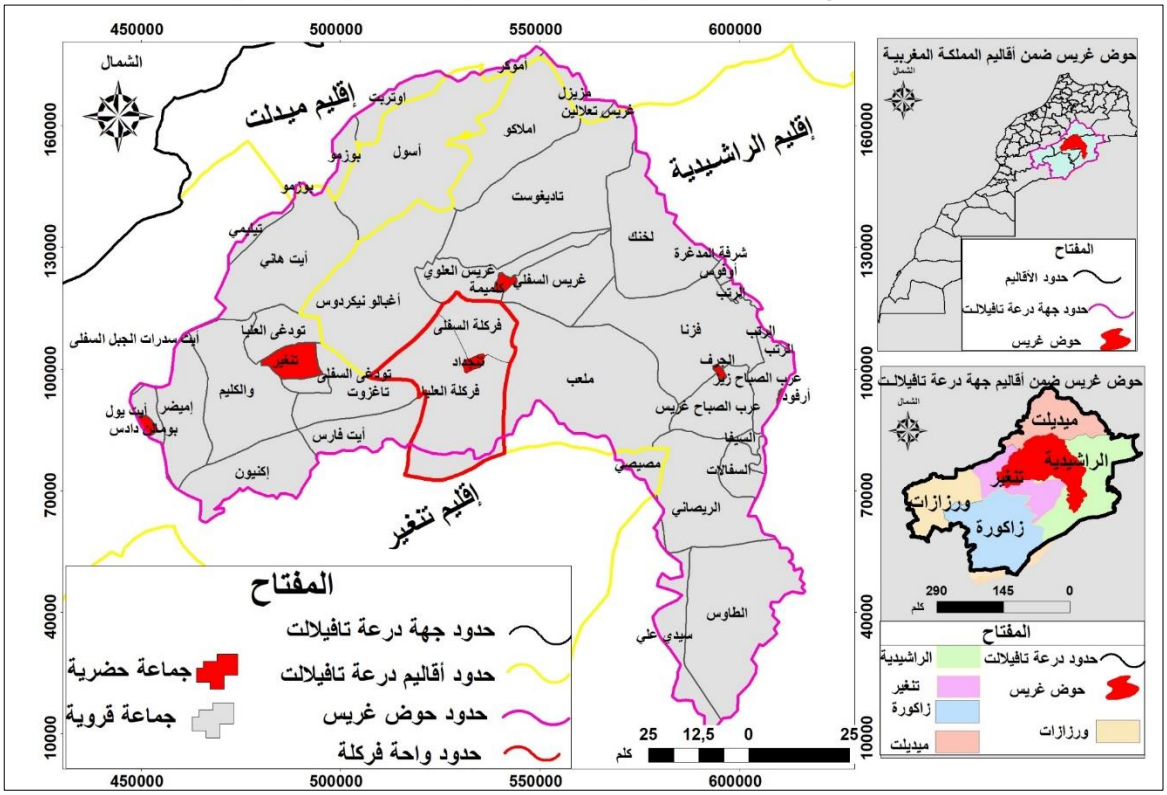

المصدر: عمل شخصي باعتماد نظام المعلومات الجغرافية Arc Gis

أولا: جوانب من المسألة المائية وأهميته بواحات تافيلالت

حاول الفلاح الفيلالي دائما عبر التاريخ البحث عن سبل ووسائل تضمن له ممارسة نشاطه الزراعي بشكل مستمر، لذلك أصبح لزاما عليه أن يتقن استغلال الماء ويحسن تدبيره، لكونه الأساس في استمرارية الحياة. وقد تعددت طرق الاستفادة من المياه الجوفية فضلا عن المياه السطحية. هذه المياه يتم جلبها بواسطة مصدرين أساسيين(تاوشيخت، 2015، ص2)، يتمثل الأول في الجريان الموسمي لوادي زيز وغريس اللذين تحظيان بعدد كبير من المصادر الجغرافية والتاريخية، نظرا لأهميتهما في تاريخ تافيلالت التي تعد هبتهما(تملاين، 2015، ص32)، فهما يتغذيان من منابع جبال الأطلس الكبير ويخترقان الواحة من الغرب وفي الوسط والشرق. أما المصدر الثاني للمياه بتافيلالت، فهو جوفي يستمد مياهه من الفرشاة الباطنية التي تحتل مساحة شاسعة وتمثل منبعا لا ينضب بفعل تغذيته المستمرة بواسطة مياه الثلوج والأمطار والأنهار الجوفية، مما جعل تافيلالت منارة خضراء في وسط الصحراء(أمراني، 2015، ص10).

ومن أجل الاستغلال المفيد لمياه الواديين، استطاع سكان تافيلالت، خلال العصور التاريخية المتلاحقة من إنجاز شبكة هيدروغرافية مهمة تتمثل في بناء عدة سدود صغيرة وسواقي ونافورات تقوم بتحويل هذه المياه نحو قنوات ذات اتجاهات متعددة وذات أهمية تخترق كل أطراف الواحة. أما بخصوص استغلال

المياه الجوفية فيتم عبر وسيلتين تتعلق إحداهما بالخطارة، وهي عبارة عن قناة شبه جوفية تتخللها آبار ارتوازية، بحيث تقوم هذه القناة بنقل الماء من مكان مرتفع جوفي نحو مكان سطحي ومنخفض نسبيا. أما الوسيلة الثانية، فتتمثل في الآبار التي يجلب منها الماء بواسطة الدلو أو أغرور (صورة 1)التي يصل عمقها ما بين 10 و20 متر بينما يصل عرضها حوالي متر ونصف.

صورة 1: مكونات النظام التقليدي "أغرور" لجلب المياه الجوفية بواحات الجنوب الشرقي

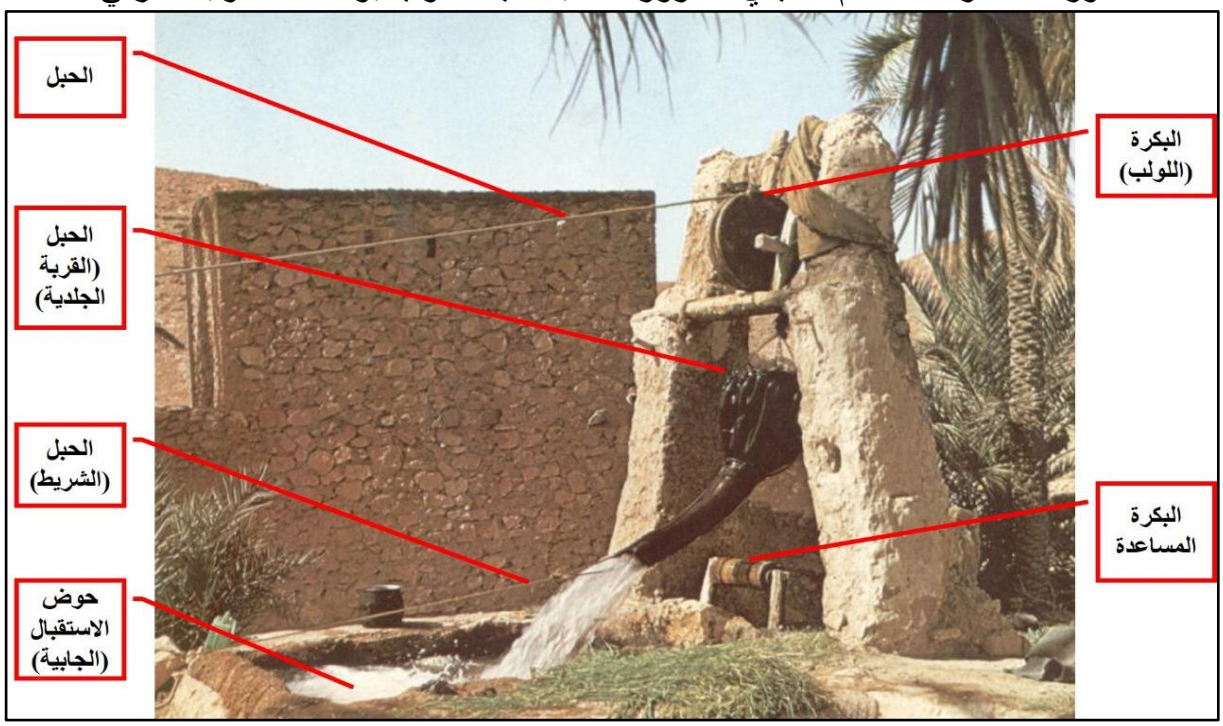

المصدر: عبد الصمد خويا، " تدبير الموارد المائية بالمنظومات البيئية الواحية في ظل التغيرات المناخية والرهانات التنموية: واحة فركلة بحوض غريس نموذجا": أطروحة دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، 2022، ص 201.

يتبين من خلال ما سبق، أن الظروف البيئية والمناخية الصعبة التي تعرفها منطقة تافيلالت وواحة فركلة بشكل خاص، جعلت الساكنة مؤهلة أكثر لابتكار تقنيات استنباط المياه الجوفية لممارسة الأنشطة الزراعية دون الاعتماد فقط على مياه الفيضانات التي يغلب عليها طابع التذبذب والموسمية. كما حاول الإنسان إلى جانب ذلك - بهذه المناطق- تنظيم عملية توزيع الماء بين السكان، من خلال الاعتماد على عدة طرق كالنوبات المائية ثم الفردية كوحدة قياسية وهي مجموع ما يجري في ساقية خلال الليل والنهار(أخروش، 2003، ص141).

ثانيا: جوانب أهمية الماء بواحة فركلة بالجنوب الشرقي للمغرب

شكلت محدودية الموارد المائية بمناطق الواحات المغربية عامة وفركلة بشكل خاص نتيجة الأزمات والكوارث الطبيعية المرتبطة بالتغيرات المناخية والتدخلات البشرية غير المعقلنة، دورا مهما في اهتمام الإنسان الواحي بهذا المورد الطبيعي، الذي يشكل شريان الحياة بهذه المناطق. علاوة على كونه يشكل مرآة عاكسة لانشغالات الساكنة المحلية للواحة(حمودا، 2021، ص84)، وهذا الاهتمام بعنصر الماء، يتضح في استحضاره في كل جوانب الحياة للإنسان المستقر بهذه المناطق من خلال الأمثال الشعبية والعادات والطقوس، وفي كل ما له علاقة في الحفاظ على تماسك القبائل وتحديد مكانة الفرد في الهرم الاجتماعي وغيرها.

1. أهمية الماء لدى ساكنة فركلة من خلال الأمثال والحكايات الشعبية

تعزيز مكانة الماء الرمزية والمادية في المجتمع، لم يتضح فقط من بالاستناد إلى المنظومة القانونية في مستوى الشرع والعرف، بل تواصل وتعضد أيضا، عن طريق المتون الشعبية المفتوحة على الحكايات، والأمثال، والنوادر. التي تؤسس لنظام قيمي قوي التأثير، يسهم، بالفعل وبالقوة في بناء الوضعيات الثقافية والاجتماعية التي تعزز مكانة الماء في المخيال المجتمعي(العطري، 2019، ص81).

وبواحة فركلة، يشكل التراث الشفوي من خلال الأمثال المحلية إحدى الوسائل للتعبير عن واقع ساكنة الواحات جراء الأزمات الطبيعية المرتبطة بتوالي فترات الجفاف وما يترتب عنه من خصاص مائي كبير، وما يشكله الماء من أهمية كبرى لاستمرارية واستدامة الواحات، كما أن الجمالية اللغوية لهذه الأمثال المحلية سهلت حفظها، مما ساهم في امتداد تاريخي لها وجعلها مصدرا من المصادر، التي يمكن الاعتماد عليها في دراسة عنصر الماء، ومن بين هذه الأمثال المحلية نجد:

- " **أمان أخف تبنا** " (تيتاو، 2010، ص28)الماء هو الأساس الذي تبنى عليه كل الأمور، فلا قيمة للأرض مثلا بدون ماء.
- " **أونامي إيكا ربي ياڭمأمان** " (ازيدان، 2010، ص165)من منَّ عليه اللـه، فلينعم عليه بالماء.
- " **أمان أ إيمان** " (بلقاسمي، 2010، ص37)يا ماء يا روح.
- " **ديكات أنزار إفرح أمردون** " حين يسقط المطر تفرح الأراضي البورية والجرداء.

وبجوار واحة فركلة، في منطقة تودغى، حيث هشاشة المجال وندرة التساقطات المطرية، تصبح الحكاية مدخلا مساهمة بقوة في حماية الثروة المائية عن طريق استثمار آليات اللعنة والثواب(العطري، 2021، ص38)، حيث تقول الحكاية الأولى عن عين مائية في تودغى العليا، أن بها أفعى مباركة لا تمس بسوء إلا من غسل ثيابه أو رجليه في العين، أما من يريد الشرب فقط، فالأفعى لا تمسه بسوء، وتيسر له كثيرا من الأعمال في حياته، وبسبب الاعتقاد في وجود هده الأفعى، فإن تلك العين لا تستعمل إلا للشرب، ولا تتعرض بالمرة للتلوث.

وفي نفس السياق نستحضر حكاية رواها عبد الرحيم العطري، وهي حكاية السمك المقدس في عين توجد قريبا من مضايق تودغى، والتي يؤكد سكان المنطقة أن بها أسماكا مباركة، تظهر يوم الجمعة أساسا، وتحمل أقراطا في زعانفها، لا ينبغي أن تصطاد أو تؤكل، وبذلك يحذر من إيذائها، حيث يشير الكثيرون إلى سوء عاقبة المعتدين على الأسماك، وجودة مياه العين.

ومن جهة ثانية، كان الماء أيضا مصدر الفرح والابتهاج والإنشاد، خصوصا القصائد التي تم إنتاجها في المنطقة، والتي تتغنى بالماء والوسائل المستعملة في العلاقة مع الماء. وهو ما تؤكده قصيدة الخطارة مع أغرور (بوزكري، 2012، ص28)وهذه بعض أبياتها:

البرح الخطارة مع أغرور ادربوا

أجمل واقف بنتهم عالاخبار

العيب تالي قالت الخطارة ولا مايكونش

من تبعك فتراب الجنون تخليه أنت غدار

الملوخية اطلع رقيقة بالسموم

ماك مالح ما ينبت لفت ولا جزر

الخطارة قالت أنت فالأرض مخبية بالتمام

عينك فخوخ على طول الطريق كلك خطر

أحبل طويل من الخلا جيا

جنابك ماشمو ندا تسقي الحفار

على النوبة اضاربوا وتخاصموا الأقوام

شحال عداوة شعلتي ما بين الجار وجار

من خلال ما سبق، يتضح أن الذاكرة المحلية من خلال الأمثال والحكايات الشعبية المحلية ذات أهمية للحفاظ على الماء وبالتالي على ديمومة واستدامة المجال والمجتمع، حيث اعتبر الماء سر الوجود وخير النعم الربانية. وهنا يتضح ما ذهب إليه جورج بالا ندبيه بالقول: "في مجتمعات الندرة هناك ثراء كبير(Geoge, 1981, p10)" ففضلا على ندرة الموارد الطبيعية، هناك ثراء في القيم والانشغالات الرمزية للمجتمع(العطري، 2019، ص83). كما تبين لنا من خلال الحكايات السابقة، ذلك أن ما يهم منها هي المرامي والغايات، فبدل أن نتعب أنفسنا بحقيقة الأفعى المباركة والسمك المقدس، علينا أن ننتبه إلى غايات إنتاج الحكاية، والتي لا تبتعد عن أهداف حماية الماء من الضياع والتلوث، فالحكاية بهذا الشكل تصير حليفا استراتيجيا للتنمية.

2. دور الأعراف والمعتقدات الدينية خلال فترات الجفاف وندرة المياه

فرض تتابع وتواتر فترات الجفاف، وما رافق ذلك من ندرة وخصاص في الموارد المائية بواحات الجنوب الشرقي للمغربي عامة، وواحة فركلة بشكل خاص، في تفنن وإبداع الإنسان لمجموعة من الطقوس وتمسكه وارتباطه بعدة معتقدات دينية، من أبرزها:

- **صلاة الاستسقاء**

حين يعم الجفاف ويحبس المطر بكل ربوع البلاد، تدعو وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية لأداء صلاة الاستسقاء بكل أرجاء المملكة، حيث بواحة فركلة يخرج الرجال والأطفال إلى المصلى أو إحدى البيادر من أجل التوسل إلى الله سبحانه وتعالى لإنزال المطر وإغاثة العباد، خلالها يحذر الخطيب الناس من أسباب القحط ويحذرهم أيضا من المعاصي التي قد تؤدي لانحباس المطر،كما يحث الرجال على ضرورة إحضار الصغار، نظرا لكونهم لم يبلغوا بعد سن الرشد، وبالتالي ما زالوا غير مؤهلين للمحاسبة الإلهية على ذنوبهم، وهذا من شأنه أن يدعم استجابة الله لدعاء صلاة الاستسقاء (أزيدان، 2010، ص2).يتأكد ذلك أيضا في الوضوء داخل مجال الصحراء، فالوضوء لا يصح إلا إذا كان بالقرب من شجرة، وبذلك يصير استعدادا للصلاة وسقيا محتملا لكائن حي، مما يمنحه واقعة البناء الديني والايكولوجي في الآن ذاته.

- **الصدقة:**

تشكل الصدقة شكلا من أشكال العادات والتقاليد الموروثة أبا عن جد، والتي تقوم بها قبائل واحة فركلة كلما انحبس المطر وتراجع صبيب العيون والخطارات نتيجة حساسية النظام الواحي للتغيرات المناخية، فيتم القيام بطقوس معينة حيث يسهر الجميع على تنفيذها حتى تحقق الصدقة أهدافها.

كما سبقت الإشارة إلى ذلك، فكلما شعر السكان بطول مدة الجفاف يتم التحضير لإقامة "الصدقة" وأول شيء يبدأ به سكان القبيلة حالة قصر تغفرت بفركلة السفلى للقيام بهذه العادة، جمع التبرعات من الأسر المكونة للقبيلة عينية (الدقيق، الخضر...) أو نقدية، ويتطوع عدد من الرجال والنساء معا للقيام بهذه المهمة، ليتم بعد ذلك شراء الأضحية وباقي المستلزمات للتحضير لهذه الوليمة الجماعية لساكنة الدوار ولعابري الطريق.

تقام هذه الصدقة في غالب الأحيان يوم الجمعة الذي يصادف يوم الراحة بالنسبة لأغلبية ساكنة الدوار، حيث يسودها جو من التسامح والإخاء والمحبة، فيظل الجميع يردد في المسجد أو في ساحات القصر كالنوادر عبارة "قدمنا لك وجه النبي يا ربي تعفو علينا...حنا متايبين ليك يا ربي تعفو علينا" وبعد الصلاة يقدم الطعام لكل الحاضرين. وبعد الانتهاء من الأكل يقوم فقيه القبيلة بالدعاء، حيث يتضرع إلى الله عز وجل بأن ينزل الغيث والرحمة، ويصاحب دعاء الفقيه خشوع الحاضرين ورفع الأيدي راجيا من الله نزول المطر. والغريب والملفت للنظر، وفي مناسبات عديدة كما جاء على لسان عدد من شيوخ المنطقة

من خلال المقابلات الشفوية، أن بمجرد الانتهاء من الدعاء أو بعد وقت وجيز من انتهاء الدعاء يتم نزول المطر ويستجاب للدعاء.

- **طقوس عروسة المطر (تلغنجـــا)**

ليس غريبا أن الثقافة المغربية بشكل عام، والواحية بشكل خاص، تتميز بالثراء الرمزي وتنوع لأشكال وأنماط العيش، وآليات التفاوض مع واقع الندرة، وواقع الندرة كواقع جيواجتماعي، يفرض الدخول في ممارسات للتفاوض مع هذا الواقع، والاستناد بالمرئي واللامرئي(العطري، 2021، ص150). في هذا الإطار نجد ساكنة واحة فركلة تمارس بعض الطقوس والتي تراجعت بشكل كبير، اللهم في مناطق قليلة ومعزولة، وذلك خلال مواسم الجفاف والخصاص في الموارد المائية، ومن بين هذه الطقوس ما يسمى عند عموم ساكنة المنطقة بـ "تلغنجا" أو "تسليت ن انزار" والتي يقابلها باللغة العربية عروسة المطر. والذي يعتبر طقسا من طقوس الاستمطار. "تلغنجا" مشتقة من "أغنجا" الذي يعني الملعقة الخشبية الكبيرة المستعملة في تحريك الطعام أثناء الطهي وإفراغه في الصحن والذي يعتبر في الثقافة المحلية رمزا للخصوبة، وسميت عروسة المطر بـ "تلغنجا" نظرا لكون "أغنجا" يغطى بالملابس حتى يبدو على هيئة عروسة.

بعد إلباس المجسم الزي محلي للعروس وتزيينه بقلادات يقوم الجميع بالطواف في جميع أرجاء الدوار الذي ينتهي في الغالب عند الضريح أو المسجد، مرددين ***تاغنجا تاغنجا، ياربي تعطينا الشتا، تاغنجا تاغنجا يارب عطينا الشتا، وا السبولة عطشانة رويها يا مولانا*** كما يتم تردد هذه العبارات باللسان الأمازيغي ببعض قصور واحة فركلة على الشكل التالي:

- أتنغنجا نفلاحن أسيدي ربـي*** كرد أنزار أتنغن توكاحف إغان أسيدي ربي
- عروس المطر للفلاحين الله *** أنزل المطر حتى ينتشر الكلاء يا مولانا
- السبولـــة عطشانـــة *** غيتنا يا مولانا.
- اكال، أقور وأكال، أربي سومغيتد *** نرد ساكماد إندغ غاس أنزار أيداغ دي إيروران
- التراب، جف التراب، اسقينا يا رب***ذهبنا إلى الجهة الأخرى ولم يرجعنا إلا المطر
- "إغر إربي أدكرأنزار *** هاتنغنجا"

من جهة ثانية، فما يؤكد عليه البعد الغرائبي في المعرفة الكولونيالية هو أن **إدموند دوتي** أشار إلى أن الرحامنة مثلا يلجأون خلال الجفاف إلى شنق شريف أو مرابط بحبل إلى درجة الاختناق الوشيك، ثم يفرغون عليه الماء قبل فك الحبل من حول عنقه، وبعدها مباشرة يسقط المطر(العطري، 2021، ص150).

3. أهمية عنصر الماء من خلال تحديد ثمن الأرض

تلعب محدودية الموارد المائية بواحة فركلة، دورا مهما في تحديد المساحة المسقية، لذلك نجد أن الأراضي المسقية بواحة فركلة تكون مرتفعة الثمن مقارنة مع نظيرتها البورية، بل الأكثر من ذلك، فإنثمن الأرض الفلاحية يرتفع كلما اقتربنا من منبع ومصدر مياه الري، خاصة من مياه الخطارة التي تعتبر المصدر الرئيسي للمياه بعدد من قصور ودواوير المنطقة، بقصر تغفرت على سبيل الذكر يكون ثمن الأرض الفلاحية مرتفعا كلما اقتربنا من القطاع الزراعي الذي يسمى عند الساكنة المحلية ب"أكورام" حيث تعتبر هذه الأخيرة نقطة دخول مياه الخطارة، ليعرف تراجعا كلما ابتعدنا عن هذه الأخيرة، حيث يتطلب وصول الماء إلى بعض القطاعات الزراعية، قطع مسافة طويلة قد تصل إلى 4 كلم وتستغرق وقتا كبيرا، تصل ما بين ساعة ونصف إلى ساعتين حسب ارتفاع أو انخفاض الصبيب، وبالتالي فإن ثمن هذه الأراضي يكون بسيطا حتى وإن تم بيعها مرفوقة بحصة مياه الري.

عموما، هناك عامل ارتباط قوي بين قرب الأرض من الماء وارتفاع ثمنها، كما تتضح أهمية الماء ودوره في تحديد ثمن الأرض انطلاقا أيضا من خلال ارتفاع أو انخفاض صبيب الخطارة، فكلما كان الصبيب مرتفعا صار ثمن الأرض غاليا. ومن هنا فالماء يلعب دورا أساسيا في تحديد ثمن الأرض بواحة فركلة. إلا أن هذه القاعدة العامة لا تكون صحيحة في بعض الحالات، حيث أنه مع طول فترات الجفاف وتراجع الموارد المائية ظهر التوسع والتطاول على هذه الأرض، والترخيص لعملية البناء، خصوصا إذا كانت هذه الأرض قريبة من الشبكة الطرقية الرئيسية فأصبحت مرتفعة الثمن ، وخير دليل على ذلك نذكر

الأراضي الفلاحية الممتدة على طول الطريق السياحية الرابطة بين أيت معمر القديم وصولا إلى قصر أسرير عبر قصر تغفرت وتالالت وتايرزة.

4. دور حصص الماء في تحديد مكانة الفرد داخل القبيلة

يكتسي الماء مكانة بارزة في الذاكرة المحلية لساكنة الواحة، وفي تحديد مكانة الفرد داخل الهرم الاجتماعي أيضا، فإذا كانت الأرض هي المحدد الأساسي للسلم الاجتماعي داخل المناطق المسقية التي تعرف وفرة في الموارد المائية في مقابل محدودية الأراضي الصالحة للزراعة، فإن ندرة وقلة الماء تجعل منه المتحكم الأساسي في التراتبية الاجتماعية داخل المجال الترابي لواحة فركلة، حيث تتميز هذه الأخيرة بوجود عناصر إثنية مختلفة، ففي قمة الهرم الاجتماعي نجد الشرفاء وأيت مرغاد وإكرامن ثم العوام أما في القاعدة نجد "إقبلين" أو ما يسمى بالحراطين، كل منهم إحتل المكانة التي هو عليها داخل الهرم الاجتماعي الواحي نظرا لامتلاكه حصة مائية أو افتقاره لها. فالسيد يصبح سيدا لأنه يملك حصة من الماء، والخماس في أسفل الهرم لأنه لا يملكها، وهو ما يجعل هذا الأخير يضطر للعمل في حقول السيد، لكن عدم ملكيته لحصة الماء يجعل أرضه بدون جدوى، اللهم في إطار الزراعة البورية الخاضعة للتقلبات المناخية والتي لا تكفيه لسد حاجياته، أو في إطار زراعة مسقية باستعمال تقنية أغرور، والتي تتطلب مجهودا كبيرا مقابل إنتاجية ضعيفة.

وفي إطار التراتبية الاجتماعية كما سبق ذكرها، نجد أن الشرفاء كانوا يحضون باحترام وتقدير الجميع لاعتقاد الساكنة الروحي بأنهم يتوفرون على ملكات تمكنهم من التوسط الإيجابي مع الله للاستجابة ثم هطول المطر، وهو ما جعلهم في رغد العيش، لكون الساكنة تخصص لهم نصيبا من المحصول تبركا بهم وطمعا في دعواتهم. كما أن للماء في تاريخ الواحة دور مهم في تحديد نصيب الفرد من الأراضي الجماعية التي يتم تقسيمها قصد الاستغلال، فكلما كانت الحصة المائية للفرد كبيرة، كلما انعكس ذلك على مساحة نصيبه من الأراضي الجماعية المقسمة قصد الاستغلال، وهكذا فالماء هو الذي يضمن لمالكيه استمرارهم في قمة الهرم الاجتماعي.

هذا الترتيب في الهرم الاجتماعي سيعرف تغيرا خصوصا خلال ثمانينيات القرن الماضي، حيث أن توالي فترات الجفاف بالمنطقة، وفتح باب الهجرة الخارجية جعل الحراطين (**إقبلين**) الذين كان معظمهم يشتغل في إطار "الخماسة" يستثمرون أموالهم في شراء الأراضي والمضخات المائية وبالتالي حفر الآبار والتحرر من عقدة امتلاك الماء.

5. أهمية الماء بواحة فركلة من خلال اختيار الموضع والموقع

ارتبط إشعاع واحة فركلة بموضعها وموقعها الاستراتيجي الذي نشأت فيه دواويرها وقصورها لأول مرة، إذ يجمع بالأساس بين العنصر الطبوغرافي والذي يوافق غالبا سهل فركلة الذي يوفر تربة صالحة للزراعة، وعنصر المياه الذي يشكل عصب الحياة على طول جنبات المجاري المائية الرئيسية (واد فركلة، واد تنكرفة، واد السات). كما أن الطبقات الجيولوجية الواقعة تحت موضع واحة فركلة وخاصة الفرشة القريبة من السطح جد غنية بفرشات مائية مهمة، بدليل الانتشار الواسع لتقنية الخطارات مند القديم بالمنطقة. والتي من المستحيل استمرارها واستدامتها ثم تغذيتها في غياب فرشة قريبة من السطح، رغم أن مياهها لم تكن كافية في تلك الفترات، بحجة لجوء السكان إلى بناء السدود التحولية لاستغلال مياه الفيض. وبالتالي فاختيار موضع وموقع واحة فركلة ينم عن حنكة وحسن اختيار، على التركيز على تواجد عنصر استمرارية الحياة وهو الماء طبعا. كما يعكس من ناحية ثانية، مدى تأقلم وتكيف الإنسان مع خصائص البيئة الجافة منذ القديم.

لكن وبدخول المستعمر إلى المنطقة، وشق الطريق الوطنية رقم 10 التي تربط بين مركز الإقليم الرشيدية ومدينة ورززات، تراجعت مكانة المراكز القروية، خاصة مركز أسرير الذي كان في فترات سابقة القلب النابض، من خلال احتوائه على سوق تجاري واحتكاره لمختلف الحرف والخدمات بالمنطقة ليحل مكانها مركز تنجداد الذي تطور بشكل كبير بعد الاستقلال. انطلاقا من هذا التاريخ، حيث بدأ هذا المركز في التوسع وأصبحت الساكنة تهاجر من القصر للاستقرار بالمركز الجديد وعلى طول الطريق الوطنيةرقم 10، خاصة في الوقت الذي عرفت فيه هذه المراكز القروية نقصا حادا في الخدمات العمومية (التعليم،

الصحة...) والتجهيزات (الماء، الكهرباء، الطرق...)، كما زاد من حدة مشكل الهجرة نحو هذا المركز تشابك عدد من المخاطر الطبيعية، في مقدمتها: توالي فترات الجفاف، الفيضانات، التصحر...إلخ.

6. الصراع والتضامن حول الماء وجهان لعملة واحدة

مند القديم، لم يكن صراع الإنسان داخل الواحات بسبب عوامل طبيعية فقط، من قبيل الجفاف، الندرة، التغيرات المناخية، الاستغلال غير المعقلن للماء في قطاع الري الذي لا زال يعتمد على السقي التقليدي على نطاق واسع، حماية التربة المهددة بزحف الرمال والتصحر ثم حماية الأراضي المهددة بفيضانات الأودية خلال بعض فترات السنة، بل يوازيه نزاع وصراع أهالي الواحة حول الثرة المائية وحول حيازتها ووضع اليد على نقطها ومصادرها الأساسية، مما جعل إشكالية الماء بواحة فركلة تكتسي طابعا خاص، مركب ومعقد. ويتأكد هذا الطرح من خلال بعض العبارات التي تتردد على مسامعنا من قبيل **"لواحد كيموت يا على بلادو يا على ولادو"** وحين الحديث هنا على الأرض فهذا لا يعني أنه بمعزل عن الماء" ففي واحة ملاعب، لعل أبرز الصراعات والتي لا زالت ذاكرة شيوخ قبائل واحة ملاعب تحتفظ ببعض جزيئاتها، صراعات أيت عطا مع عرب الصباح، الذين كانوا مستقرين بواحة إكلي(آخروش، 2003، ص160)، والذي نجح أيت عطا في طردهم من هذه الواحة -ملاعب- بعد معارك طويلة، كذلك، معارك أيت عطا مع قبيلة "التواركة"، التي كانت تستقر بواحة تروك قبل أن يقوم أيت عطا بطردهم من هذه الواحة، بالإضافة إلى الصراعات الطويلة بين أيت عطا وأيت مرغاد حول الواحات(قسطاني، 1996، ص70). كل هذا يبين الدور الذي لعبه الماء في حدوث الصراعات بين القبائل بالمنطقة.

بواحة فركلة، فإن تراجع مياه الأودية وطول فترات الجفاف قد ساهم في مناسبات عدة في صراعات حول الماء، والذي قد ينتهي أحيانا إلى وقوع حالات من الوفيات، هذا ما تأكده وثيقة تجديد الأمانبفركلة التي دعا إليها حفدة الشيخ علي بن يوسف سنة 1086 هـ / 1675م وجود صراعات ونزاعات فردية وجماعية حول الماء والأرض، هذا ما أرغم هؤلاء على عقد هذه الاتفاقية قصد إيقاف الصراعات ومعاقبة المعتدين(ازيدان، 2010، ص27).

والجدير بالذكر أن هذا الصراع حول الماء بين القصور المجاورة وبين أفراد نفس القصر، لا زال إلى يومنا هذا حول مياه الفيض، فبقصر تغفرت أو كردمت مثلا، يشتد الصراع بين الساكنة التي تملك الأرض في عالية الساقية مع الساكنة التي توجد في السافلة، بالرغم من وجود نظام عرفي لتدبير هذه المياه، إما بسبب كون أصحاب العالية يقومون بحجز المياه كليا أو القيام بعملية السقي بشكل مستمر أثناء تكرار حملات الفيض في زمن قصير رغم أنهم لم يكونوا في حاجة للماء أو لأسباب أخرى متعددة.

من المستملحات التي يرددها سكان قصور أغبالو نكردوس، حسب الروايات الشفوية وهم معروفون بالصراع فيما بينهم على الأرض والماء بوجود سبب أو غيابه بعد هطول الأمطار وحمل واد تانكرفة **"نوزناون الحق نون نينيغان"** ومعنى ذلك "لقد أرسلنا لكم نصيبكم من الخصام والصراع" نظرا لكون مياه الفيض تسبب نزاعات بين الفلاحين.

ونظرا لهذه الاعتبارات، نجد أن الإنسان بواحة فركلة، كان حريصا على توثيق ملكية الماء، وكل ما له علاقة باستغلال الماء، لتفادي ما أمكن الصراعات والنزاعات التي قد تحدث بسببه. فمن خلال وثيقة محلية يتضح الحرص الشديد على توثيق شراء أهل تايرزة بفركلة السفلى لأرض بتاريخ 1246 هجرية لمرور ساقية تايرزة بها، وذلك حتى يتم استغلالها والاستفادة منها بشكل دائم مما دفعهم إلى توثيق ذلك عدليا(أمراني، 2015، ص14).

ويتمثل الوجه الآخر لمظاهر التكامل والتضامن بين قبائل المنطقة فيما يخص مسألة الماء، في وجود اتفاقيات ومعاهدات شفوية لتنظيم العلاقات بين القصور، من بين هذه المعاهدات المعروفة بفركلة نجد معاهدة "تافركانت" وعقد اتفاقيات بين القصور حول حقوق الموارد المائية بشكل يرضي كل الأطراف تفاديا للصراع ومن أهم هذه الحقوق المكتسبة إزاء التضامن حول الماء (ازيدان، 2010، ص78):

- التخلي عن مبدأ أولوية العالية على السافلة: رغم وجود نظام عرفي يقر بأحقية العالية في الاستفادة من مياه الفيض إلا أنه أحيانا يتم التخلي عن هذا المبدأ لأسباب متعددة (مهدان، 2007، ص125)، منها ما هو تقني وهيدرولوجي أو اجتماعيودييني...إلخ.

- وضع السدود التحويلية ومرور السواقي: حيث فرضت حتمية العوامل الطبيعية من طبوغرافية وهيدرولوجية...إلخ، تواجد علاقات التضامن بين سكان العالية والسافلة، والتي من مظاهرها، وضع سدود تحويلية وبالتالي مرور السواقي (سواقي مياه الفيض والخطارات) في العالية، نظرا لكون المشارات الفلاحية تكون عادة أكثر ارتفاعا من مستوى الوادي، ويتم ذلك أحيانا بالمقابل حيث تستفيد كل من ساكنة قصور تايرزة وتالالت بالجماعة القروية فركلة السفلى من أخذ مياه الشرب من خطارة تغفرت التي تعبر أراضيهم، كما يمكن أن يتم ذلك بدون مقابل، حيث ثم وضع سد تحويلي من طرف قبيلة تغفرت مثلا على أراضي تايرزة بالعالية بمنطقة "الشابورة" لتحويل جزء من مياه واد تانكرفة وبالتالي مرور ساقية الفيض على أراضي كل من قصر تالالت وقصر وتايرزة رغم عدم استفادة هذه الأخيرة من هذه التجهيزات الهيدروفلاحية.

7. دور الماء في تقوية التماسك بين أفراد القبيلة والقبائل المجاورة

فرضت قلة الإمكانات المادية وندرة المياه بمناطق الواحات المغربية، وواحة فركلة بشكل خاص في فترات سابقة واهتمام الدولة بالمناطق الحضرية بالمقارنة مع المجالات الريفية والتعامل بمنطق المردودية حتى داخل نفس القطاع الواحد، خلق أشكال من التعاون وتكامل الجهود لما يتطلبه الوصول إلى الماء وتعبئتها وإيصالها إلى الحقول من تقنيات وأعمال جماعية، ومن هنا جاء اختيار قبائل واحة فركلة لمجموعة من التقنيات، أهمها تقنية الخطارات والسدود التحويلية وغيرها. وهي تقنيات يتطلب إنجازها تكاثف الجهود بين أفراد القبيلة، إذ يستحيل على الفرد إنجاز هذه التقنيات نظرا لضخامتها وتتطلب يدا عاملة كثيرة هذا ما يجعل الحصول على الماء في هذه المجالات، والحفاظ عليه أمرا مستحيلا، إلا في إطار جماعي متماسك، لضمان استدامته من خلال أعمال الصيانة المستمرة، التي تزيد بدورها في التحام القبيلة، مما يجعل من الماء الدافع إلى الالتحام القبلي والمحافظة عليه.

لوحة 1: جانب من التعاون بين أفراد القبيلة لتهيئة السواقي وتحويل الماء نحول الحقول

المصدر: معاينة ميدانية (أكتوبر 2020)

8. دور الماء في الخضوع للسلطة الروحية للأولياء حسب بعض الروايات الشفوية بالمنطقة

ارتباط بعض القبائل وخضوعهم للسلطة الروحية لأحد الأولياء بالمنطقة، يجد أحيانا تفسيره بالأساس بالماء، لاعتقاد القبيلة بامتلاكه البركة، والرغبة في استمرارية الماء تدفع القبائل إلى تقديم هبات سنوية من قبيل الأضاحي أو تقديم جزء من المحاصيل الزراعية، وأحيانا أخرى حصة من الماء لفائدة الوالي الصالح. فعلى سبيل المثال، فقد وقفت قبيلة واحة مروتشة، ما قدره 36 ساعة من مياه العين في كل 14 يوما لفائدة الوالي الصالح سيدي أحمد الهواري، وكذلك قبيلة واحة اكلي التي تخصص جزء من المحصول لفائدة نفس الوالي الصالح، مما يبرز المكانة التي حضي بها الماء بالنسبة للإنسان الواحي.

خاتمة

بسبب واقع الندرة التي تعرفه واحة فركلة، شكل الماء قضية يومية، من خلال اكتساب الأهالي ثقافة تدبير هامة، وحكامة رشيدة، ناتجة عن الخبرة في التعامل مع الإشكالات المتعلقة بالماء ونظامه وكل ما يتعلق ببناء السواقي والسدود التحويلية وأغرورن والخطارات وغير ذلك. والملاحظ من هذه التقنيات، أنه رغم بساطتها إلا أنها استطاعت أن تؤدي الغاية المتوخاة منها، كما تنم عن مستوى عال من البراعة والابتكار اللذين حتمتهما الظروف الطبيعية والمناخية القاسية بالمنطقة. كما أن هذا السياق أيضا، فرض الدخول في

مشاريع جماعية لتحصين الحقوق والواجبات، لعل أبرزها تأسيس أشكال من التعاون وتكامل الجهود لما يتوافق مع متطلبات الوصول إلى الماء وتعبئته وإيصاله إلى الحقول، وهي تقنيات يقتضي إنجازها تكاثف الجهود بين أفراد القبيلة الواحدة، إذ يستحيل على الفرد إنجازها، نظرا لضخامتها وما تتطلبها من يد عاملة كثيرة.

ومن جهة ثانية، تبين أن للأعراف دورا هاما في قضايا الماء من خلال حسن ونجاعة ضبطه وتوزيعه بين ذوي الحقوق لتجنب الدخول في نزاعات وحروب من خلال مبدأ حفظ المصلحة العامة ورفع الضرر، كما يجب ألا ننسى دور المعتقد والحكاية، حيث يستأثر فيهما عنصر الماء بأهمية قصوى وما يواكبهما من ممارسات تجعل منه شيئا مقدسا كقدسية "ماء زمزم" الذي يتبرك به. هذا ما يجعل الحصول على الماء في مناطق الندرة والحفاظ عليه أمرا صعبا، إلا في إطار جماعي متماسك لضمان استدامته وبالتالي ضمان استقرار الإنسان والمحافظة على البيئة وتحقيق التنمية المستدامة.

إلا أن التحولات الراهنة التي تعرفها المناطق الواحية خلال العقود الأخيرة، كما هو الشأن بالنسبة لباقي مناطق المعمور (التغيرات المناخية، النمو الديمغرافي السريع...) وما رافق ذلك من ارتفاع في طلب الماء، جعلها تعرف نوعا من الانتقال من التدبير الاجتماعي إلى التدبير الفردي للموارد المائية وبروز أنماط وطرق جديدة لاستغلال الموارد المائية، والتي أثر معظمها على البيئة والمجتمع بمناطق الواحات.

المراجع

العربية

- أخروش، مولاي الحسن. (2003). *المجتمع القبلي ودور الزوايا بالحوض الأعلى والأوسط لوادي غريس من القرن 14 م إلى القرن 19 م*. أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه. جامعة محمد بن عبد الله. فاس.
- أزيدان، جمال. (2010). *التدبير الاجتماعي للموارد المائية بواحة فركلة*. بحث لنيل شهادة الماستر، جامعة القاضي عياض. مراكش.
- أعفير، مصطفى، (2020). "نشأة وتدبير خطر الفيضانات بالمناطق شبه الجافة: حالة واحة فركلة"، ورقة مقدمة في أشغال الندوة الدولية تقوية تكيف الأنظمة المائية في ظل التغيرات العامة من القياس الهيدرولوجي الى نماذج التدبير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة مولاي سليمان، بني ملال المغرب.
- بلقاسمي، مصطفى. (2010). *التدبير الاجتماعي للموارد المائية بواحات ملاعب*. رسالة لنيل شهادة الماستر. جامعة القاضي عياض. مراكش.
- بوزكري، فدوى. (2012). *دور التراث في خدمة التنمية السياحية: منطقة تافيلالت نموذجا*. بحث لنيل شهادة الاجازة المهنية، جامعة مولاي إسماعيل. الرشيدية.
- بيان، عبد السلام. (2021).*التنظيمات التقليدية والحديثة بالواحات المغربية، واحة فركلة نموذجا، دراسة سوسيو أنتروبولوجية*. أطروحة دكتوراه. جامعة ابن طفيل. القنيطرة.
- تاوشيخت، لحسن. (2015). سجلماسة والماء، تاريخيا وأثريا. *مجلة واحات المغرب*، العدد الثاني.
- تملاين، ابتسام. (2015). الانسان وعنصر الماء بواحات تافيلالت: التدبير والتمثلات. *مجلة واحات المغرب*، العدد الثاني.
- حمودا، حنان. (2021). *الماء وصناعة المقدس؛ دراسة أنتروبولوجية لبنيات المجتمع الواحي بالمغرب*. أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه. جامعة محمد الخامس. الرباط.
- خويا، عبد الصمد. (2021). الخطارة كتقنية للتكيف والتأقلم مع التغيرات المناخية بواحات تافيلالت: *مجلة القضايا البيئية بالمغرب، التحديات وأساليب التدبير المستدام*، العدد الثامن.
- خويا، عبد الصمد. (2022). *تدبير الموارد المائية بالمنظومات البيئية الواحية في ظل التغيرات المناخية والرهانات التنموية: واحة فركلة بحوض غريس نموذجا*. أطروحة دكتوراه في الجغرافية. جامعة سيدي محمد بن عبد الله. فاس.
- العطري، عبد الرحيم. (2019). من ثراء الثقافة المغربية: الحكاية الشعبية و"تقديس" الماء في مجتمعات الندرة. *مجلة الثقافة المغربية*، العدد 38.

- العطري، عبد الرحيم،(2021). تدبير ندرة المياه في المجالات القروية، قراءة في تجارب محلية بمنطقة الرحامنة، مجلة البيئة والتنمية المستديمة أدوار جديدة واعدة للعلوم الاجتماعية، العدد 8.
- لمراني، علوي محمد، (1999). قضايا الماء في بلاد المغرب الأقصى من خلال كتب النوازل الفقهية "المعيار للونشريسي كنموذج"، الماء في تاريخ المغرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية عين الشق جامعة الحسن الثاني، سلسلة الندوات رقم 11.
- مهدان، امحمد. (2007). *الماء والتنظيم الاجتماعي: دراسة سوسيولوجية لأشكال التدبير الاجتماعي للسقي بواحة تودغى*. أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه. جامعة الحسن الثاني. المحمدية.

Issue - Sixteenth - Part II - September - 2023 - Third Year Refereed Quarterly Scientific Journal

American International Journal of Humanities and Social Sciences

ISSUED BY AMERICAN INTERNATIONAL ACADEMY FOR HIGHER EDUCATION AND TRAINING

QUARTERLY JOURNAL ON HUMANITARIAN AND SOCIAL AFFAIRS

ISSN - 2710 - 4834

Deposit number in the Iraqi National Library and Archires: 2460

Special Issue of Articles